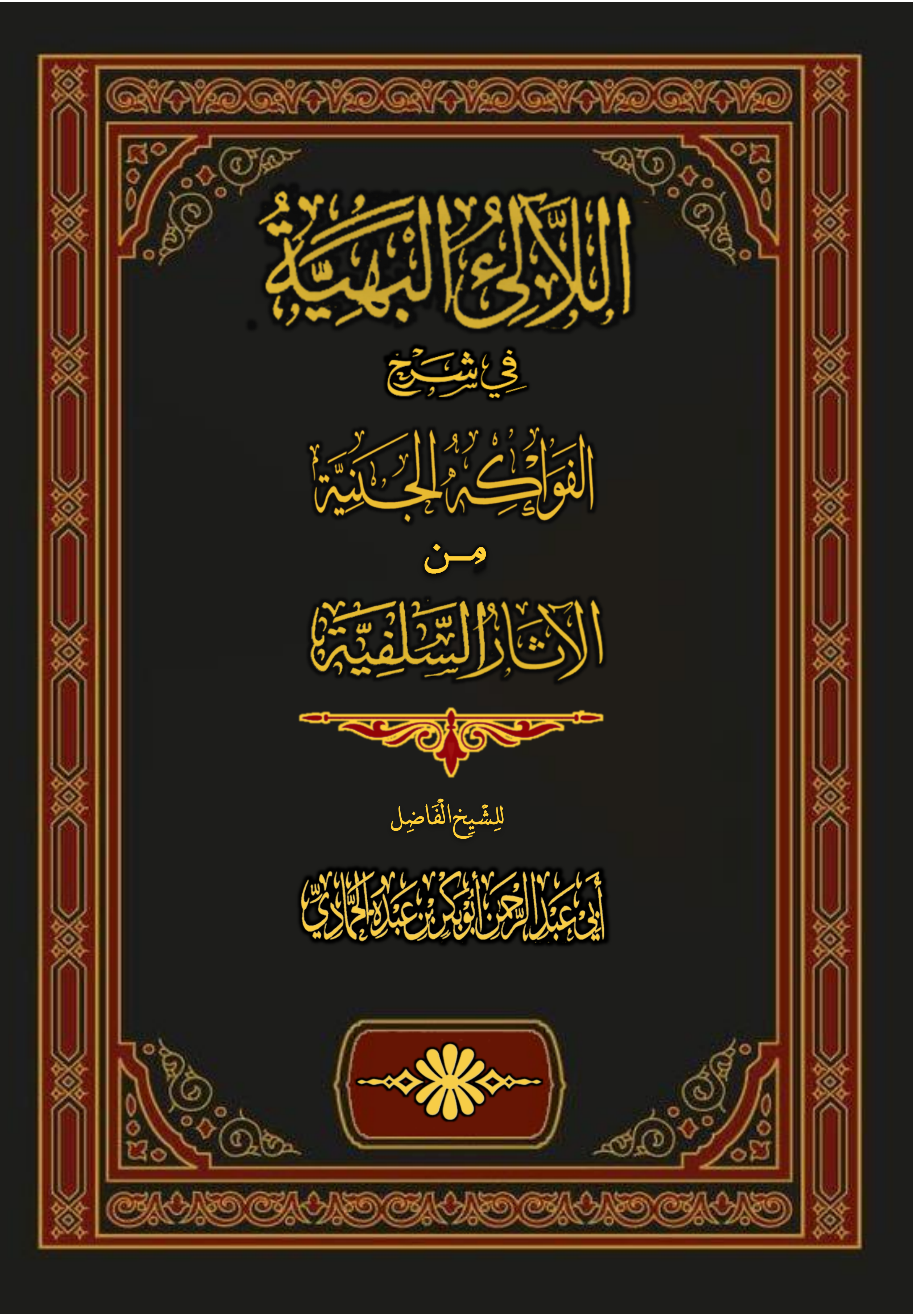


اللآلئ البهية
في شرح
الفواكه الجنية
من
الآثار السلفية
للشيخ الفاضل
أبي عبد الرحمن أبو بكر بن عبده الحمادي



بسم الله الرحمن الرحيم

اللآلئ البهية

في شرح

الفواكه الجنية
من
الآثار السلفية

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

للشيخ الفاضل:

أبي عبد الرحمن أبو بكر بن عبده الحمادي

تمهيد

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ محمد وآله وصحبه.

أمَّا بعد:

فهذا شرح مختصر علىٰ كتاب الفواكه الجنية من الآثار السلفية، وهي عبارة عن تفريغ للصوتيات التي سُجلت أثناء تدريسي للكتاب في مسجد التوحيد في مدينة إب من بلاد اليمن، ويعود الفضل في إخراجه بعد الله تعالىٰ لأخينا الفاضل: (أبي الحسن علي بن حسن بن علىٰ بن محروس الحبيشي) وفقه الله وبارك الله فيه وكتب أجره.

وأسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذا الشرح ويكتب الأجر لكل من شارك فيه.



كتبه

أبو بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

في ليلة الثلاثين من شهر جمادىٰ الآخرة لعام ست وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة.



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ للهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

أما بَعَدَ:

فهذا الكتاب جمعَ فيه المؤلف رحمة الله عليه جُملة من الآثار النافعة الطيبة المُباركة من آثار أئمة السلف، جمعها من كُتب السُنة المتفرقة، وقام بترتيبها وجمع بعضها إلىٰ بعض، وجعل لها بعض العناوين والتبويبات المُفيدة، وعلَّق عليها بعض التعليقات النافعة، جزاه الله خيرًا وبارك الله فيه.

وهم أصدع الناس بالحق، وأبعد الناس عن البِدع والأهواء، وهم أبصر الناس بأهل البِدع والأهواء وبأضرارهم وبشبهاتهم، فآثار السلف من أنفع الآثار، أولئك قوم تربوا علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تربوا علىٰ النهج الصافي، وتمسكوا بسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تمسكًا عظيمًا، وآتاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العلم الغزير، والبصيرة النافذة في الدين، فما قالوه من النصائح وما نشروه من العلوم فإنه من أنفع العلوم ومن أبركها.



وقد استفتح المؤلف وفقه الله هذا الكتاب: بـ (العلم)، فإن العلم يحتاج إليه المُسلم قبل العمل، فالعلم قبل القول والعمل، كما ذكر ذلك الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ واحتج بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

ولا يُمكن للعبد أن يعمل عملًا صحيحًا بغير علم، فلا يُمكن أن يوحد الله عَزَّوَجَلَّ عن جهل، ولا يُمكن أن يُصلي الصلاة الصحيحة عن جهل، ولا أن يؤدي الزكاة المفروضة عن جهل، ولا أن يصوم ولا أن يحج عن جهل، ولا يُمكن أن يأتي بأي شيء من أمور الدين عن جهل، فلا بد من تقدم العِلم، فالعلم لا بد منه، فلا يوجد العمل الصحيح إلا بعد وجود العلم الصحيح.



العِلم

قال وفقه الله:

ما يُبدأ به من العلم:

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ أَنْ يَبْدَأَ بِحِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، إِذْ كَانَ أَجَلَّ الْعُلُومِ وَأَوْلَاهَا بِالسَّبْقِ وَالتَّقْدِيمِ، ثُمَّ الَّذِي يَتْلُو الْقُرْآنَ مِنَ الْعُلُومِ أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَنُهُ، فَيَجِبُ عَلَى النَّاسِ طَلَبُهَا إِذْ كَانَتْ أُسَّ الشَّرِيعَةِ وَقَاعِدَتَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣][(١)].

الشرح:

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ أَنْ يَبْدَأَ بِحِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، إِذْ كَانَ أَجَلَّ الْعُلُومِ وَأَوْلَاهَا بِالسَّبْقِ وَالتَّقْدِيمِ).



بيَّن الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه ينبغي لطالب العلم أن يبدأ بحفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ هو أجلّ العلوم وهو أصل العلوم وهو أصل الدين، فديننا كتاب الله وسنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهما أصلا الدين، والدين لا يخرج عن الكتاب وعن السنة.

فأعظم ما يُبدأ به وأحقُّ ما يُبدأ به: كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فيحفظ العبد كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويعمل به ويفهم معناه، فيجمع بين الحفظ وبين الفهم وبين العمل، وهكذا كان من مضى من السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين كانوا يأخذون العلم

(١) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (٢٧-٢٩) ط. الكتب العلمية.

والعمل معًا، فإن العمل هو ثمرة العلم، والعمل هو الذي يُثبت العلم، وإذا ذهب العمل ذهب العلم:

نَـــــدبَ العِلـــــمُ بالعَمْـــــلْ   فــــإن أجابـــــه وإلا ارتحــــلْ

فيبدأ العبد بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ ويحفظه فإنه خير الكُتب.

وفي حديث عائشة في "الصحيحين" قالت: قال النبي ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»، وهم الملائكة الذين هم سُفراء بين الخالق سبحانه وبين الرُسل، ثم قال: «وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»، هذا لفظ الإمام مسلم في صحيحه.

والماهر بالقرآن المراد به: الحافظ له المُتقن في حفظه، الذي يقرأ القرآن من غير تتعتع؛ لقوة حفظه.

وجاء في "الصحيحين" بلفظ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»، فبيَّن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن المراد بذلك: حفظ القرآن، فالذي يقرأ القرآن ويحفظه ويتقن حفظه كان بهذه المنزلة الرفيعة، وإن كان دون ذلك يتعتع في قراءته للقرآن وهو عليه شاق فله أجران.



والحفظ نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ، فهناك من أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليه بالحفظ فتيسر له أن يحفظ القرآن من غير تتعتع؛ لقوة حفظه وهذه نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ، وهناك من لا يُعطيه الله عَزَّوَجَلَّ هذه النعمة فلا ييأس فإنه لا يخلو من خير، فيحفظ علىٰ حسب ما تيسر له وإن كان يتعتع في حفظه ويشق عليه الحفظ فإنَّ له أجران كما أخبر بذلك النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والحفظ مع الممارسة ينمو ويقوىٰ، فكلما مارس الإنسان الحفظ قويَّ الحفظ في حقه كسائر القوىٰ، فسائر القوىٰ الموجودة في الإنسان تنمو

بالتمرين وكثرة الممارسة، فإذا مارس الإنسان الحفظ وأكثر من ذلك أعانه الله عَزَّوَجَلَّ وقويت حافظته.

فعلى كلٍ: هذا أول ما يُبدأ به فإن تعلمُ القرآن هو أشرف العلوم، وكتاب الله عَزَّوَجَلَّ هو خير الكُتب: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد:٣١]، أي: لكان هذا القرآن هو أحق بذلك: أن تُسير به الجبال، وأن تُقطع له الأرض، وأن يُكلم به الموتىٰ فهو أحق بذلك من غيره:

وقال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء:١٠]، أي: شرفكم، فالقرآن شرف لهذه الأمة فمن حفظه وعَمِلَ به وفهم معناه نال الشرف.

وفي حديث عبد الله بن مسعود: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»، وفي حديث عُثمان المشهور: قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، فهذا خير الناس الذي يتعلم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ويُعَلِم كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فيحفظ الإنسان كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع المُراجعة، ويتفهم معناه فإن الله يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر:١٧]، فلا بد للإنسان أن يتفهم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

فلا ينبغي للإنسان أن يحفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا يفهم معناه فهذا نقص.

وإذا جاءت رسالة من ملك من الملوك إلىٰ شخص بلغة ليست عربية حرص علىٰ أن يعرف معنىٰ تلك الرسالة، وما يُريد منه ذلك الملك من ملوك الدنيا وربما

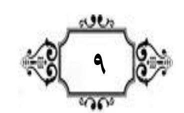



كان من الكافرين، ويأتي بالمترجمين يُريد أن ينظر طلب ذلك الملك وما هو الذي يُريد، وهو ربما ملك حقير مهين، فكيف يقرأ الإنسان كتاب الله ولا يفهم معناه؟! وهو كتاب المِلك العظيم، كتاب رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا يدري ما الذي يُريد الله منه!.

فالتفسير لا يُستهان به فهو من العلوم النافعة، ومن العلوم المفيدة، ومن أجلَّ العلوم ومن أنفسها، ومن أشرفها.

فعلىٰ كلٍ: يحتاج الطالب علىٰ حفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وإلىٰ أن يفهم معناه، وهكذا يحتاج إلىٰ أن يعمل بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فلا بد من علم وعمل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩]، تجارة رابحة ليست كالتجارة في الدنيا؛ فأي تجارة في الدنيا قابلة للربح والخسارة، أما التجارة مع رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهي رِبح وليس كأي ربح، ربح لا يخطر بالبال، وربح ليس فيه أي نوع من أنواع الخسارة، ليس هناك تجارة خاسرة مع رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩]، لكن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من صفتهم أنهم: ﴿يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٢٩]، والتلاوة ليس المقصود بذلك مُجرد القراءة، فإن معاني التلاوة: الاتباع: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١]، ما المُراد بذلك؟ يتبعونه حقَّ اتباعه.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾ [الشمس:١-٢]، ومعنىٰ: ﴿تَلَىٰهَا﴾ : تبعها، فالتلاوة تأتي والمُراد بها: الاتباع، ﴿ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٢٩]، بمعنىٰ: يتبعونه، وهذا هو الأصل؛ أن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن ليتبعه الناس، ويعمل الناس به، ويتحاكموا إليه، فلا بد من الحفظ ومن الفهم ومن العمل، فلا بد من الجمع بين هذه الأمور الثلاثة.



ومنقصة عظيمة: أن يحفظ الإنسان كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ويكون في بُعد عنه، كتاب الله عَزَّوَجَلَّ يأمره بكذا وكذا وهو لا يمتثل لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا يدل علىٰ ضعف الإخلاص، وأنَّه ما حَفِظَ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وهو يُريد الله والدار الآخرة، فإنَّ من حفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وهو يُريد الله والدار الآخرة فإنه يدعوه إلىٰ أن يعمل به عَزَّوَجَلَّ.

وسُئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلق النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقالت: (**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**)، وهذا أحسن ما قيل في خُلق رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فما أمره الله به قام بامتثاله وسارع في امتثاله، وما نهاه الله عنه سارع باجتنابه فخُلقه القرآن لا يتجاوز القرآن، وهكذا ينبغي لحامل القرآن: أن يتخلق بآداب القرآن، عَزَّوَجَلَّ ويتمسك بأوامر الله ويبتعد عن نواهيه.

ثُمَّ الَّذِي يَتْلُو الْقُرْآنَ مِنَ الْعُلُومِ أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَنُهُ، فَيَجِبُ عَلَى النَّاسِ طَلَبُهَا إِذْ كَانَتْ أُسَّ الشَّرِيعَةِ وَقَاعِدَتَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾ [الحشر: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠]، وَقَالَ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ**﴾ [النجم: ٣].

أي: لا بد منهما: فالدين هو الكتاب والسنة، فيهتم الإنسان بكتاب الله وبأحاديث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وسائر العلوم إنما هي وسائل لهذين العِلْمَين، فَعِلْم اللغة، وعلْم المصطلح، وعِلْم الأصول وغير ذلك من العلوم هي وسائل، فلا ينبغي أن يبقىٰ الإنسان منشغلاً بالوسائل ويترك الأصل، فالمُراد بتلك الوسائل هي تيسير الوصول إلىٰ التفقه بكتاب الله وسنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والحفظ من غير فهم واتباع قد يكون فتنة لصحابه كما حصل للخوارج، قال فيهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث الشهير الذي في "الصحيح" عن جماعة من الصحابة: «**يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ**»، فكانوا قُراء لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وحُفاظًا

لكتاب الله، حتىٰ أن الصحابة يحقر الواحد منهم حاله مع حالهم من حيث القراءة والصلاة والصيام، فجمعوا بين العبادة وقراءة القرآن من غير فهم ولا اتباع صحيح، فكان القرآن فتنةً لهم، وكما قال النبي عليه الصلاة السلام: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ». والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»، وصاحبُ القرآن هو: المُلازم له؛ فإن الصُحبة تدل علىٰ المُلازمة، فهو الملازم له من حيث الحفظ، والتلاوة، والعمل، والاتباع، والانقياد فيقال: صاحب القرآن؛ لملازمته للقرآن ولا يكون صاحبًا للقرآن بمجرد حفظه، بل يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، ويحل حلاله ويحرم حرامه.

ولا ينبغي للشخص أن تكون حاله كحال الإخوان المسلمين الذين يهتمون بتحفيظ القرآن وحفظه مع الجهل البالغ فعندهم حفظ من غير علم ولا اتباع، ولهذا لا ترون للقرآن أثراً عليهم من حيث أخلاقهم، ولا استقامتهم، فربما تجد الواحد منهم يقص ويحلق شعره الحلقات الغربية، ويلبس اللبس الذي يلبسه الكافرون، ويتكلم بالكلام القبيح ويتهاون بالصلوات وهو حافظ لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه هي تربية الإخوان المسلمين، فلا بد إذاً من العمل والاستقامة علىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ.

والأصل: هو العمل والاتباع، فيجمع الإنسان بين الخيرين، بين الحفظ والاستقامة علىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول عبد الله بن مسعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما رواه الإمام ابن مالك في "موطئه": (قَالَ لِإِنْسَانٍ: إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ، قَلِيلٌ قُرَّاؤُهُ، تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ، وَتُضَيَّعُ

حُرُوفُهُ)، إلىٰ أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ، كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ، يُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَتُضَيَّعُ حُدُودُهُ)[1].

فابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقو لرجل: (إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ، قَلِيلٌ قُرَّاؤُهُ، تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ) وهذا هو الأصل، فالله عَزَّ وَجَلَّ أنزل القرآن حتىٰ يستقيم الناس عليه فيحلون حلاله ويُحرمون حرامه، (وَتُضَيَّعُ حُرُوفُهُ) يشير إلىٰ قلة من يحفظ القرآن في ذاك الزمان، لكن الكثرة الغالبة فيهم هي الاستقامة علىٰ القرآن والعمل به والتحاكم إليه، فهذا هو الأمر الغالب في ذلك الزمان، فالفقهاء كُثر والقُراء أقل منهم، ويُحافظ أكثر الناس علىٰ حدود القرآن وإن ضيعوا حروفه أي: من حيث الحفظ فقلَّ فيهم الحفظ وكثر العمل.

وقال بعد ذلك: (وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ، كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ، يُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَتُضَيَّعُ حُدُودُهُ)، هذا هو الشر، فيكون القرآن حينئذ حُجة علىٰ العبد، ولا يكون حجة له: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»، فمجرد الحفظ من غير استقامة لا ينفع ولا يفيد، فلا بد من الحفظ والعلم والاستقامة علىٰ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

وفي أثر مُعاذ بن جبل الشهير الذي رواه أبو داود وغيره، قال: (إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ)، يتجه الناس إلىٰ حفظ القرآن من غير عمل، ثم قال: (حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ)، وهذا الأثر وإن كان من الآثار الموقوفة علىٰ مُعاذ بن جبل لكن له حُكم الرفع؛ لأنه يتحدث عن أمر غيبي

---

(١) جاء هذا الأثر عن عبد الله بن مسعود في "الموطأ" بإسناد منقطع؛ لكن ذكر الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الاستكثار": أنه جاء موصولًا، بل حكم أنه تواتر عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والخبر المتواتر من أصح الصحيح، والحافظ ابن عبد البر في "الاستكثار" يحكم عليه بالتواتر.

سيحصل في هذه الأمة، فيكثر المال في أوساط الناس ويفتح القرآن فيصير الناس يتنافسون علىٰ حفظه فقط من غير عمل، تفتح دور تحفيظ القرآن كما يفعل كثير من الحزبيين وهم مع هذا في بُعد بعيد عن أحكام القرآن وعن الاستقامة علىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ وإنَّما مجرد حفظ فقط من أجل الدنيا ومن أجل المكانة، وربما يُريد بحفظة ولا سيما إذا كان حسن الصوت أن يذهب إلىٰ البلدة الفلانية والبلدة الفلانية من أجل التآكل بالقرآن، وأن يقال له: الشيخ الفلاني، والقارئ الفلاني ويجمع حُطام الدنيا، والقرآن بعيد عنه من حيث العمل والاستقامة، فلربما يُفرط في كثير من الواجبات ويُضيع كثيرًا من حدود الله عز جل ولا يظهر عليه أثر القرآن، قال: (**وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ**)، فالمنافق قد يأخذ القرآن.



وفي حديث أبي موسىٰ الذي في **"الصحيحين"**: قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**»، فالمنافق قد يأخذ القرآن، قال مُعاذ: (**حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ**)؛ لكن هذا ليس من أجل الله عَزَّوَجَلَّ، وإنَّما يُريد بذلك العلو، ويُريد الدنيا، ويُريد الشرف والمكانة؛ ولهذا إذا وجد الناس لا يتبعونه ماذا يقول؟ يقول: (**مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ**)، أي: غير القرآن، هذا نيته فاسدة فلم يحفظ القرآن من أجل أن يعمل به وأن يحل حلاله وأن يحرم حرامه، وأن يستقيم عليه، وأن يكون كحال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد كان خُلقه القرآن، وإنما يُريد الشرف والمكانة، فيتجه إلىٰ البِدع من أجل أن يتبعه الناس والعياذ بالله، هذه هي النيات الفاسدة.

والمتأمل في أحوال كثير من هؤلاء الحزبيين يجد هذا فيهم: بُعد ساحق عن كتاب الله وعن حدود القرآن، واهتمام بالغ في حفظ الحروف مع تضييع الحدود، وهذا كما قلنا من كان كذلك فالقرآن حجة عليه وليس حجة له.

وجاء في "جامع معمر" وهو أيضًا في "مُصنف عبد الرزاق" من روايته عن عمر في كتاب "الجامع": (قَدِمَ عَلَىٰ عُمَرَ رَجُلٌ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَسْأَلُهُ عَنِ النَّاسِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَرَأَ مِنْهُمُ الْقُرْآنَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَتَسَارَعُوا يَوْمَهُمْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْمُسَارَعَةِ، قَالَ: فَزَبَرَنِي عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: «مَهْ» قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ أَهْلِي مُكْتَئِبًا حَزِينًا)، أي: من غلظة عمر عليه ومن زجر عُمر عليه، قال: (فَقُلْتُ: قَدْ كُنْتُ نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَنْزِلَةً، فَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ سَقَطْتُ مِنْ نَفْسِهِ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي حَتَّى عَادَنِي نِسْوَةُ أَهْلِي وَمَا بِي وَجَعٌ، وَمَا هُوَ إِلَّا الَّذِي تَقَبَّلَنِي بِهِ عُمَرُ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: خَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَنْتَظِرُنِي، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ خَلَا بِي، فَقَالَ: «مَا الَّذِي كَرِهْتَ مِمَّا قَالَ الرَّجُلُ آنِفًا؟»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنْتُ أَسَأْتُ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، وَأَنْزِلُ حَيْثُ أَحْبَبْتَ، قَالَ: «لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي كَرِهْتَ مِمَّا قَالَ الرَّجُلُ»، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى مَا تَسَارَعُوا هَذِهِ الْمُسَارَعَةَ يَحِيفُوا، وَمَتَى مَا يَحِيفُوا يَخْتَصِمُوا، وَمَتَى مَا يَخْتَصِمُوا يَخْتَلِفُوا، وَمَتَى مَا يَخْتَلِفُوا يَقْتَتِلُوا، فَقَالَ عُمَرُ: «لِلَّهِ أَبُوكَ، لَقَدْ كُنْتُ أُكَاتِمُهَا النَّاسَ حَتَّى جِئْتَ بِهَا»).

فعلى كُلٍ: حفظ القرآن من الأمور المحمودة لكن علىٰ ما كان عليه السلف، كانوا يتعلمون العلم والعمل ليس مُجرد حفظ فقط، يحفظون ويفهمون معاني ما يحفظون، ويعملون بما يحفظون، وهذا هو الأصل: أن يعمل بِعلمه، هذا كان دأب من مضىٰ من الصحابة الكرام رَضِيَٱللَّهُعَنهُم أجمعين يهتمون بحدود القرآن والاستقامة علىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وامتثال أوامر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، هذه هي الثمرة الحقيقة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

فهذا هو نهج من مضىٰ، فبعضهم ربما يبقىٰ الفترة الطويلة في حفظ الشيء اليسر من القرآن من أجل هذا الأمر، بعضهم ربما يحفظ البقرة في ثمان سنين لا لضعف

حفظهم؛ ولكنهم أخذوا العلم والعمل، فَهِمُوا القرآن وعملوا به واستقاموا عليه وكانوا يهتمون بحدود القرآن أكثر من اهتمامهم بحروفه، فهذا الذي ينبغي: وهو أن الشخص يحفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فإن أول ما يُبدأ به من الحفظ، لكن يهتم أيضًا بالجانب الآخر اهتمامًا بالغًا وهو الأصل: أن يُحِل حلاله، وأن يُحرم حرامه، وأن يعلم حدود الله عَزَّوَجَلَّ فيستقيم مع كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ويتخلق بأخلاق القرآن.

وقد ألفَّ العُلماء كُتبًا في آداب حملة القرآن، فذكروا حافظ القرآن وما عليه من الأخلاق ومن الآداب، فهذا الذي ينبغي أن يكون علىٰ المرء، وهو سبيل من مضىٰ من أهل العلم رحمهم الله جميعًا.



فهذا من باب التنبيه علىٰ هذا الأمر، فلا يكون الناس كما قُلنا كالإخوان المسلمين أو الخوارج يكون القرآن فتنة له، فلا بُد أن يُصلح الإنسان نيته وأن يأخذ القرآن كما أخذه من مضىٰ من الصحابة وأئمة التابعين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين.

قال وفقه الله:

فَضلُ العلم:

١- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: عند حديث: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»-:

(وَلَازِمُ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرًا فَيَكُونُ التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ فَرْضًا، وَالتَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ: مَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِأَدِلَّتِهَا السَّمْعِيَّةِ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُتَفَقِّهًا)(١).

٢- قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: **(عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ)**(٢).

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٣/ ١٩٨) ط. مكتبة الرشيد.

(٢) "الفقيه والمتفقه" برقم (١٥٦) بسند صحيح.

٣- قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إن تَرَكَ النَّاسُ العِلم صَارَ النَّاسُ جُهَّالًا)**[١].

٤- قال عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني في كتاب كتبه لأبي زُرعة: **(ولا يزال الناس بخير ما بقيَّ من يعرف العِلم وحقهُ من باطله، ولولا ذلك لذهب العِلمُ وصَارَ النَّاسُ إلى الجَهْلِ)**[٢].

٥- وقال ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن العلم النافع: **(هُوَ أصلُ النَّجاةِ والسعادةِ إذ هُو الدَّاعي إلى أسبابِ الخيرِ الصارفُ عن أَسبابِ الشرِّ)**[٣].

٦- قال أبو العباس أحمد بن إدريس المعروف بالقرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَصْلُ كُلِّ فَسَادٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ الْجَهْلُ فَاجْتَهِدْ فِي إِزَالَتِهِ عَنْك مَا اسْتَطَعْت كَمَا أَنَّ أَصْلَ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ فَاجْتَهِدْ فِي تَحْصِيلِهِ مَا اسْتَطَعْت وَاَللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُعِينُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ)**[٤].

٧- وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكَمَا هُوَ مَعلومٌ بِأنَ العِلمَ نُورٌ، وأن إبليس يُحسِّنُ للإنسان إطفاءَ النور لِيتمكن مِنْهُ فِي الظلمةِ ولا ظُلمة كظلمة الجهل)**[٥].

٨- قال ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمن طلب الْعلم ليحيى بِهِ الاسلام فَهُوَ من الصديقين ودرجته بعد دَرَجَة النُّبُوَّة)**[٦].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْمَقْصُود أَن الله سُبْحَانَهُ يحب أَن تعرف سَبِيل أعدائه لتجتنب تبغض كَمَا يحب أَن تعرف سَبِيل أوليائه لِتُحَبّ وتسلك)**[٧].



---

(١) "الفقيه والمتفقه" برقم (١٣٣) بسند صحيح.

(٢) "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١/ ٢٧٨).

(٣) "إثار الحق علىٰ الخلق" (١/ ٩٥).

(٤) "الفروق" (٤/ ١٤١٠) ط. دار السلام القاهرة.

(٥) "تلبيس إبليس" (ص ٢٨٩) ط. دار الفِكر.

(٦) "مفتاح دار السعادة" (١/ ٣٩٦).

(٧) "الفوائد" (ص ١٣٥).

١٠- قال بعضهم:

مَنْ حَـازَ الْعِلْمَ وَذَاكَرَهُ ... صَلَحَتْ دُنْيَاهُ وَآخِـرَتُهْ

فَـأَدِمْ لِلْعِـلْمِ مُـذَاكَرَةً ... فَـحَيَاةُ الْعِلْمِ مُذَاكَرَتُهْ[1]

١١- وقال آخر:

يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ ... لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبًا[2]

الشرح:

قوله: (فَضلُ العلم):

والعلم الذي جاءت الأدلة ببيان فضله: هو علم الشرع، وليس المُراد بذلك علوم الدنيا، وإنما المُراد بذلك علم الكتاب والسنة، العلم الموصل إلىٰ الجنة: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»، هذا هو العلم الذي جاءت الأدلة ببيان فضله.



وأما عِلم الدنيا فإنه مُباح ما لم يشغل عن علم الآخرة، فإن شغل عن علم الآخرة فهو مذموم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧﴾ [الأعراف:١٨٧]، أي: علم الشرع، وقال: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧]، فإذا كان العبد كذلك فهو مذموم؛ لأن هذا العلم أورثه الغفلة عن علم الآخرة.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ [النجم:٢٩-٣٠]، مبلغهم من العلم الدنيا.

---

(١) "فتح المغيث" للسخاوي.

(٢) "الفقيه والمتفقه".

١ – قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند حديث: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُّ فِي الدِّينِ»-: (وَلَازِمُ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرًا، فَيَكُونُ التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ فَرْضًا، وَالتَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ: مَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِأَدِلَّتِهَا السَّمْعِيَّةِ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُتَفَقِّهًا).

قوله: (**وَلَازِمُ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرًا**): والأمر كذلك، فإن الحديث يدلُ علىٰ هذا المعنىٰ.

قوله: (**فَيَكُونُ التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ فَرْضًا**): والأمر كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن من لم يتفقه في الدين لم يُرد الله به خيرًا، والله عَزَّوَجَلَّ إذا لم يُرد بالعبد خيرًا فهذا يدل علىٰ وقوعه في أمر مُحرم وكون الله عَزَّوَجَلَّ لم يُرد به خيرًا يدل علىٰ أن إعراضه عن العلم من الأمور المُحرمة، وأن التفقه في الدين من الأمر الواجب، فيعرف الإنسان به الحلال والحرام، ويعرف به ما يجب عليه مما لا يجب، فهذا من الأمور الواجبة.

وما زاد عن معرفة الواجبات والمحرمات فهو من فروض الكفايات، لا يأثم الإنسان بترك ذلك إلا إذا ترك الناس ذلك العلم بالكلية فإنَّهم يأثمون جميعًا، وهكذا الشأن في فروض الكفايات.



قوله: (**وَالتَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ: مَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ**): خرج بذلك الأحكام الغير شرعية فلا تدخل في الفقه في الدين، (**بِأَدِلَّتِهَا السَّمْعِيَّةِ**)، خرج من ذلك ما لم يُكن بالأدلة السمعية، كأن يكون عن طريق التقليد للأئمة، فإن المُقلد إذا كان مقلدًا لا يدخل في اسم الفقيه، (**فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُتَفَقِّهًا**).

٢- قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ).

وهذا كقوله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في الحديث المشهور المتفق عليه: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»، فيقبض الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ العلم بموت العلماء، فإذا مات العلماء فإن العلم يذهب بذهاب العلماء.

وفي الحاشية عزىٰ أثر ابن مسعود إلىٰ الفقيه والمتفقه وقال: (**بسند صحيح**)، والصواب: أنَّه إسناد منقطع، فإنَّه من طريق أبي قلابة ولم يُدرك ابن مسعود، فالإسناد منقطع.

٣- قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُٱللَّهُ: (إن تَرَكَ النَّاسُ العِلم صَارَ النَّاسُ جُهَّالًا).



وهذا ظاهر معلوم: إذا لم يوجد من يطلب العلم وترك الناس عمومًا العلم فإن الجهل ينتشر في أوساط الناس، وإذا انتشر الجهل انتشر الشر، فإن الشر قرينُ الجهل، والأماكن التي يكثر فيها الجهل يكثر فيها الشر، ومن أعظم الشرور: الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فالأماكن التي لم يدخل إليها نور العلم ونور السنة ترىٰ فيها الشرور، يكثر الشرك، وتكثر الخرفات، وتكثر البدع، فإذا ما جاء العلم فإن هذه الأشياء تقل وتقل إلىٰ أن تزول بالكلية، فالشر قرين الجهل، والخير قرين العلم، فالعلم يدعو إلىٰ الخير، وإذا وجد العلم والعلماء في مكان فإن الخير ينتشر ويقل الشر.

٤- قال عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني في كتاب كتبه لأبي زُرَعة: (**ولا يزال الناس بخير ما بقيَّ من يعرف العِلم وحقهُ من باطله، ولولا ذلك لذهب العِلمُ وصَارَ النَّاسُ إلى الجَهْلِ**).

قوله: (**ولا يزال الناس بخير ما بقيَّ من يعرف العِلم وحقهُ من باطله**): والأمر كما قال، إذا وُجِدَ العالم علىٰ هذه الصفة: الذي يُميز بين الحق والباطل فإن الخير ما زال باقيًا، فإن هنالك من العلماء من يُلبس الحق بالباطل، وهؤلاء ضررهم أكثر من نفعهم وشأنهم كشأن أهل الكتاب الذين لبسوا الحق بالباطل، فالعالم الذي يعرف الحق من الباطل فيأمر بالحق وينهي عن الباطل إن وجِدَ هذا العالم فما زال الخير موجود في الناس.

قوله: (**ولولا ذلك لذهب العِلمُ وصَارَ النَّاسُ إلىٰ الجَهْلِ**): وهذا كما قلنا مخصوص بالعالم الذي يُميِّز بين الحق والباطل فيظهر الحق وينكر الباطل، وإلا هناك علماء من أهل البدع والأهواء لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن المنكر بل يلبسون الحق بالباطل ويظلون الناس، فيكون الناس ربما في بلد من البلدان في شر وفي ضرر فيزيدونهم ضلالًا والعياذ بالله، ولربما يكون في البلد من يدعو إلىٰ الشرك وينتشر الشرك، وعبادة القبور، والالتجاء إلىٰ غير الله عَزَّوَجَلَّ، وهناك من هو موصوف بالعلم في أوساط هؤلاء فيزين لهم الباطل، وهذا موجود في هذه الأزمان وفي غيرها من الأزمان، ومن يقرأ في التاريخ وما كان عليه الحال في زمن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجد العجب، من بعض علماء الشافعية، ومن بعض علماء المالكية، ومن بعض علماء الحنابلة والحنفية عندهم ما عندهم من العلم ومع هذا يزينون الشرك الأكبر للناس ولا يُنكرون أعظم المنكرات وهو الشرك، ولا يأمرون بأعظم الأوامر وهو التوحيد، فكان كثير من الناس في عمىٰ فزادوهم عمًا والعياذ بالله، وهؤلاء ضررهم أكثر من نفعهم، وهؤلاء فتنة للناس.

٥- وقال ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن العلم النافع: (**هُوَ أصلُ النَّجاةِ والسعادةِ إذ هُو الدَّاعي إلى أسبابِ الخيرِ الصارفُ عن أسبابِ الشرِّ**).

وهذا كما قال، و كلام ابن الوزير وارد في العلم النافع، فالعلم منه ما هو نافع ومنه ما هو ضار، فعلم الكلام علم ضار، وعلم السحر علم ضار، وعلم الفلسفة علم ضار، أما علم الكتاب والسنة هو العلم النافع؛ فإنه يدعو إلىٰ الخير وينهىٰ عن الشر.

٦- قال أبو العباس أحمد بن إدريس المعروف بالقرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَصْلُ كُلِّ فَسَادٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إنَّمَا هُوَ الْجَهْلُ فَاجْتَهِدْ فِي إزَالَتِهِ عَنْك مَا اسْتَطَعْت كَمَا أَنَّ أَصْلَ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ فَاجْتَهِدْ فِي تَحْصِيلِهِ مَا اسْتَطَعْت وَاَللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُعِينُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ**).



قوله: (**المعروف بالقرافي**): هو صاحب كتاب "الفروق"، وهو من أهل العلم وإن كان زَلَّ في باب الأسماء والصفات، والمتأمل فيما كتبه في كتاب "الفروق" يجده زلَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إما إلىٰ مذهب الأشاعرة أو إلىٰ المذهب الماتريدية مع سعة علمه واطلاعه.

قوله: (**وَأَصْلُ كُلِّ فَسَادٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إنَّمَا هُوَ الْجَهْلُ**): وأصل كل فساد في الدنيا والآخرة إنما هو الجهل، فالجهل حرام، فالدنيا والآخرة معمورة للمتقين؛ لكن الجاهل يُخرب علىٰ نفسه الدنيا والآخرة فلا يسعد في الدنيا ولا في الآخرة، فشرور الدنيا منشؤها الجهل وحرمان الآخرة من الجهل: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠]، كانوا لا يعقلون، ولو كان عندهم العقل النافع لما كانوا من أصحاب السعير، فالعقل النافع والعلم الصحيح يُرشد إلىٰ الخير ويدعو الىٰ الخير في الدنيا وإلىٰ الآخرة.

قوله: (فَاجْتَهِدْ فِي إِزَالَتِهِ عَنْك مَا اسْتَطَعْت كَمَا أَنَّ أَصْلَ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ فَاجْتَهِدْ فِي تَحْصِيلِهِ مَا اسْتَطَعْت وَاَللَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْمُعِينُ عَلَىٰ الْخَيْرِ كُلِّهِ):

* أقول: العلم فضل من الله عَزَّوَجَلَّ، والعبد يسعىٰ في أسبابه وإلا فإنه مِنَّة وفضل من الله عَزَّوَجَلَّ، لكن لكل شيء سبب، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُّ فِي الدِّينِ»، فهو فضل من الله عَزَّوَجَلَّ فمن مِنَّ الله عليه بالعلم مع العمل فقد مَنَّ عليه بالخير كُلِه.

٧- وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكَما هُوَ مَعلومٌ بِأنَ العِلمَ نُورٌ، وأن إبليس يُحَسِّنُ للإنسان إطفاءَ النور ليتمكن مِنْهُ فِي الظلمةِ ولا ظُلْمة كظلمة الجهل).

قوله: (وقال ابن الجوزي): وهو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، وكان أشعريًا مع سعة علمه، وهو غير ابن الجوزية المشهور بابن القيم، فابن القيم من أئمة السُنة الذين فيهم الصفاء والنقاء وحسن الاتباع لمنهج السلف، أما ابن الجوزي فمع سعة علمه إلا أنه كان أشعريًا، زلَّ في هذا الباب وكان مشهورًا بالوعظ كما هو معلوم، فكان ربما يحظر في مجلس الوعظ مائة ألف، وهذا في تلك الأزمان، والناس ليسوا بالكثرة مثل هذه الأزمان ومع هذا فكان يحظر في مجلسه ربما مائة ألف، ويحضر الأمراء والتجار وعامة الناس ويجتمعون وما منهم من أحد إلا وقد ذرفت عينه ورقَّ قلبه، فكان واعظًا بليغًا يعظ في هذا الجمع الهائل ويبلغ صوته إلىٰ هذا الجمع الهائل من الناس، ويجتمع له هذا الجمع في مجلس الوعظ، وكان يعظ علىٰ البديهية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومع هذا كان كثير التأليف، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عنه: أنه قد وقف له إلىٰ ساعته علىٰ أكثر من ألف كتاب قال: وما زال يبلغني أشياء، فكان كثير التأليف، وله

المؤلفات المشهورة المتداولة: كـ "زاد المسير في التفسير"، وهكذا "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، إلىٰ غير ذلك من التآليف الكثيرة.

قوله: (**وَكَما هُوَ مَعلومٌ بِأنَ العِلمَ نُورٌ، وأن إبليس يُحسِّنُ للإنسان إطفاءَ النور لِيتمكن مِنْهُ فِي الظلمةِ ولا ظُلمة كظلمة الجهل**): هذا كلام حسن، (**العِلمَ نُور**)؛ لأنه مأخوذ من الكتاب والسنة والله يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢]، فالعلم نور وإبليس كما قال: يُحسن للناس إطفاء النور، فإبليس يُريد من الناس أن يعيشوا في ظُلمة الشرك والبدع والخرافات: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]، فإبليس يُحبُ الظلمة الحسية والمعنوية؛ فلهذا الشياطين تنتشر عند غروب الشمس، فيسعون إلىٰ صرف الناس عن العلم وعن النور حتىٰ يعيش الناس في ظلمة، وإذا عاش الناس في ظُلمة الجهل سَهُلَ عليهم أن يرموهم في أودية الباطل.

وقد تمكن الشيطان من الناس في هذا الباب فانصرف أكثرُ الناس عن العلم وعاشوا في الباطل إلا من أراد الله له الخير: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ:٢٠]، فأكثر الناس اتبعوا الشيطان في ذلك وابتعدوا عن العلم وزهدوا فيه، ومنهم من يُحارب العلم ويؤذي ولده إذا سعىٰ في طلب العلم.

وصار جُهَّال الناس يرون: أن التفرغ للعلم من السفه بسبب ما عندهم من الجهل، ويرون أنه من تضييع المستقبل، ومستقبل المسلم في الحقيقة الجنة، والعلم هو الموصل إليه كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**»، وأما الدنيا فلا تبقىٰ لأحد ولا يبقىٰ عليها أحد، فلا

هي باقية ولا من عليها يبقى، لا بد من زوال الدنيا ومن زوال من فيها والآخرة هي الباقية.

٨- قال ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمن طلب الْعلم ليحيى بِهِ الاسلام فَهُوَ من الصديقين ودرجته بعد دَرَجَة النُّبُوَّة)**.

وهذا الكلام لابن القيم في "مفتح دار السعادة ومنشود ولاية العلم والإرادة" كما في الحاشية، وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب توسع في ذكر فضائل العلم وذكر فضائل متعددة جدًا، فذكر أكثر من مائة وجه فضل فيها العلم وبيَّن فيها شرف العلم، وهذا الكلام الذي ذكرهُ من أحسن كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن طلب العلم ليحيي به الإسلام)** بهذه النية الحسنة، **(فَهُوَ من الصديقين ودرجته بعد دَرَجَة النُّبُوَّة)**.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْمَقْصُود أَن الله سُبْحَانَهُ يحب أَن تعرف سَبِيل أعدائه لتجتنب تبغض كَمَا يجب أَن تعرف سَبِيل أوليائه لِتُحَبّ وتسلك)**.

وهذا إنما يكون بالعلم، ولا يستطيع الإنسان أن يعرف سبيل أولياء الله عَزَّوَجَلَّ إلا بالعلم، ولا يعرف سبيل المجرمين إلا بالعلم، وإذا كان جاهلًا التبس عليه الصراط المستقيم وصراط المغضوب عليهم والضالين فتلتبس عليه الأمور.

١٠- قال بعضهم:

مَنْ حَازَ الْعِلْمَ وَذَاكَرَهُ	صَلَحَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ
فَأَدِمْ لِلْعِلْمِ مُذَاكَرَةً	فَحَيَاةُ الْعِلْمِ مُذَاكَرَتُهُ

وهذه البيت لأبي الأسود الدؤلي.

١١- وقال آخر:

يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ	لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا

نعم، فالعلم شرفه عظيم.

على كُلٍ: ما جاء في فضل العلم في الكتاب والسنة وآثار الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين وآثار التابعين وأئمة الإسلام شيء كثير، فليحرص المُسلم علىٰ العلم غاية الحرص فإنه طريق السعادة وطريق الخير، وما حصلت الشرور في الناس إلا من الجهل، والجُهَّال هم وقود الفتن، فهذه الفتن التي نزلت بالناس كان وقودها جُهَّال الناس، وتحرز عنها العلماء وابتعدوا عنها وحذروا منها غاية التحذير، وإذا ما هاجت الفتن فإن وقود الفتن هم الجُهَّال، وأهل البدع يُهيجون جُهَّال الناس إلىٰ الفتن والشرور، فالواجب علىٰ العبد أن يتحصن بالعلم حتىٰ تسلم له الدنيا والآخرة.

قال وفقه الله:

العلم هو الذي يُصحح العبادة:

١- قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم:٥٩]: (**وَلعمُر الله لقد يُشاهدُ في الوجود من يشار إليه ويظن به العلم تنفله كذلك بل فرضه إذ ينقره نقر الديك؛ لعدم معرفتِهِ بالحديث فكيف بالجهَّالِ الذينَ لا يعلمون!**)[1].

٢- قال عياض في شرح حديث المسيء صلاته: (فيه أن أفعال الجاهل في العبادة على غير علم لا تُجزئُ)[2].

٣- وعلقَّ الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قول الربيع بن خُثَيم: **(تَفَقَّهْ ثُمَّ اعْتَزِلْ)**، قال: لأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا بَعْدَ التَّفَقُّهِ[3].

الشرح:

(١) "الجامع لأحكام القرآن" (٦/ ١١٤) ط. دار الحديث.

(٢) "الفتح" (٢/ ٣٦٠) ك. دار السلام.

(٣) "الفقيه والمتفقه" (ص١١١) **فائدة**: يشهد لذلك من السنة قول النبي ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، رواه مسلم: (١٧١٨).

قوله: (**العلم هو الذي يُصحح العبادة**): **فالعلم له أهمية كبيرة، فهو الذي يصحح العمل فانظر مثلًا**: من دخل في الإسلام ولم يعلم ما هي الصلاة وكيفية الصلاة فإنَّه لا يُمكن أن يُصلي صلاةً صحيحة بمجرد أن يُقال له صَلِّ، أو تتلىٰ عليه الآيات التي فيها الأمر بالصلاة فلا يُمكن أن يُصلي صلاة صحيحة، ولا يُمكن أن يصوم صومًا صحيحًا وهكذا القول في سائر العبادات، فالعلم هو الذي يُصحح العبادة كما ذكر المؤلف وفقه الله.

١- قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم:٥٩]: (**وَلعمرُ الله لقد يُشَاهدُ في الوجودُ مَن يُشار إليه ويُظَّنُ بِهِ العِلم تَنفلهُ كَذلك بل فرضه إذ ينقرهُ نَقر الديك؛ لعدم معرفتِهِ بِالحديث فكيف بالجهال الذين لا يعلمون؟!**).



قوله: (**قال القرطبي**): والقرطبي صاحب التفسير المشهور "الجامع لأحكام القرآن"، يُكنىٰ بأبي عبد الله، واسمه محمد بن أحمد القرطبي، وهو غير صاحب "المُفهم لما أشكل من صحيح مُسلم"، فصاحب "المُفهم" تلميذه، هو: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي.

فالقرطبي صاحب التفسير وقع في شيء من الأشعريات في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**وَلعمرُ الله لقد يُشَاهدُ في الوجودُ مَن يُشار إليه**): أي: بالبنان، أي: له المكانة والمنزلة في أوساط الناس.

قوله: (**ويُظَّنُ بِهِ العِلم تَنفلهُ كَذلك**): أي: أنه لا يطمئن في صلاته للنافلة.

قوله: (**بل فرضهُ**): أي: أنه أيضًا حصل منه ما هو أعظم من هذا، لا يطمئن في فرضه ولا في نفله.

قوله: (**إذ ينقرهُ نَقر الديك؛ لعدم معرفتِهِ بِالحديث فكيف بالجهال الذين لا يعلمون**): أي كيف يكون حالهم؟! فإذا كان هناك من ينتسب إلىٰ العلم ويُشار إليه بالبنان وهذه صلاته ينقر الصلاة كنقر الديك مع أنه منسوب إلىٰ العلم، فكيف بالجُهَّال الذين ينسبون إلىٰ الجهل ولا يُنسبون إلىٰ العلم كيف يكون حالهم؟!

وهذا خطأ كبير فإن العَالِم هو قدوة الناس فالناس يقتدون به، وإذا كان العالِم لا يعمل بعلمه فكيف يكون حال الجُهَّال؟.

وهنا يقول: (**لعدم معرفتِهِ بِالحديث**): أي: لجهله بالحديث النبوي مع أنه يُشار إليه بالبنان، فقد يكون عنده بعض العلوم لكنه جاهل بمعرفة الحديث النبوي فيحصل منه هذا الأمر.

فعلىٰ كلٍ: العلم لا بد منه، والعمل بالعلم لا بد منه، فيعلمَ الإنسان ويعمل بعلمه هذا هو الواجب.

٢- قال عياض في شرح حديث المسيء صلاته: (فيه: أن أفعال الجاهل في العبادة على غير علمٍ لا تُجزئُ).

هذا كلام القاضي عياض، والقاضي عياض يُكنىٰ بأبي الفضل، وهو عياض بن موسىٰ، وله شرح لمسلم الشرح المشهور، وأيضًا لم يسلم من الأشعريات رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لمسلم.

قوله: (**فيه: أن أفعال الجاهل في العبادة علىٰ غير علم لا تُجزئُ**): فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أبطل صلاة المُسيء، فقال له: «**ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، مع أنه كان جاهلًا ولم يعذره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بجهله؛ لأن الوقت ما زال قائمًا، فأمره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يُعيدها، وأما الصلوات التي صلاها قبل ذلك وذهب وقتها فلم يأمره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بإعادتها.

٣- وعلقَّ الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قول الربيع بن خُثَيم: (**تَفَقَّهْ ثُمَّ اعْتَزِلْ**)، **قال: لأن الْعِبَادَةُ لَا تَصِحُّ إِلَّا بَعْدَ التَّفَقُّهِ**).

قوله: (**وعلقَّ الخطيب البغدادي**): والخطيب يُكنىٰ بأبي بكر، واسمه أحمد بن علي، ومنزلته معروفة في العلم، وله المصنفات الكثيرة الشهيرة، غير أن الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السيَّر ذكر أنه كان علىٰ مذهب الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**تَفَقَّهْ ثُمَّ اعْتَزِلْ**): والأمر كذلك، فيحتاج الإنسان أن يتفقه قبل أن يعتزل، أما اعتزال من غير علم فإن ضرره أكثر من نفعه.

وقد ذكر **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتابه**: "صيد الخاطر" حين تكلم علىٰ اعتزال العامي، فذكر أن العامي لا ينتفع من العزلة إلا كما ينتفع الحمار من الاسطبل: مجرد أكل، وشرب، وقضاء حاجة، فإذا اعتزل الجاهل فهذا الذي يجنيه من العُزلة، فالذي يُريد أن يتعزل لا بد أن يكون عنده شيء من العلم ولا يعتزل الناس في كل شيء حتىٰ ولو كان عنده العلم، ولكن يعتزل ما لا خير فيه، وما كان مما يجب فيه الخُلطة فيجب عليه ذلك، فيجب عليه أن يشهد الجمعة والجماعة فلا يعتزل الناس ويبقىٰ في بيته لا يشهد الجمعة ولا الجماعة، وهكذا لا يترك الحج والعمرة بحجة الاعتزال، وسواءً كان ذلك من قبيل الفرض أو من قبيل المستحب، وهكذا لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الناس الخير بحجة الاعتزال، فالعزلة التي تمنع العبد من الواجبات أو من فضائل الأعمال هذه عُزلة ليست نافعة لا للعالم ولا للجاهل.

وما لا خير فيه في الاختلاط فالأحسن له العُزلة فيعتزل الناس فيما لا خير فيه، ويعتزل مجالس القيل والقال، وما لا خير فيه وما لا يعود عليه بالنفع، وهكذا يحتاج العبد أن يكون له وقت عزلة أيضًا بينه وبين ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدعو ربه ويستغفر من ذنوبه ويتوب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ويعبد ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ببعض العبادات في خلواته فالعبد





يحتاج إلىٰ أن يخلو بنفسه، كما قال بعض السلف: **(نِعْمَ صومعةُ الرجل بيته)**، فيحتاج إلىٰ أن يعتزل في بعض الأوقات لما يعود إليه بالنفع، فيعتزل لدعاء ربه، وللصلاة، والذكر، وللعلم وتصنيفه وغير إلىٰ ذلك من الخير، فيأخذ من العُزلة ما يعود له بالنفع، ويأخذ من الخُلطة ما وجب عليه أو ما كان من الأمور المستحبة، فيخالط الناس في أداء الواجب أو في فعل المستحب فإن هناك بعض العبادات مستحبة ما هي واجبة: كالتنفل في الحج، والتنفل في العمرة، وهكذا كبعض الصلوات المستحبة صلاة الكسوف، وصلاة الاستسقاء إذا أقامها الناس فإنه لا يعتزل الناس في الخير، يعتزل الناس في الشر، ويعتزل الناس فيما لا خير فيه، **إذًا**: لا بد في العزلة أن تُضبط بالضوابط الشرعية.



وعلىٰ كلٍ: العالِم إن اعتزل واختلىٰ بنفسه يستفيد من خلوته لكن علىٰ الضوابط الشرعية التي ذكرناها، وأما الجاهل كما قال ابن الجوزي: لا يستفيد من الخلوة إلا كما يستفيد الحمار من الاسطبل: أكل، وشرب وقضاء حاجة.

قوله: **(لأن الْعِبَادَةُ لَا تَصِحُّ إِلَّا بَعْدَ التَّفَقُّهِ)**: وهذا كلام صحيح؛ لأن العبادة لا تصح إلا بعد التفقه، وهذا الذي يتعزل كيف يعبد ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهو جاهل؟ يحتاج إلىٰ أن يتعلم العلم أولًا.

قال وفقه الله:

الرحلة في طلب العلم:

قال الزجاج كما في "فتح القدير" عند قول الله عَزَّوَجَلَّ مُخبرًا عن موسى عليه السلام: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف:٦٦]: **(وَفِيمَا فَعَلَ مُوسَى عليه السلام وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالرِّحْلَةِ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ طَلَبَ الْعِلْمِ وَإِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَ نِهَايَتَهُ، وَأَنْ يَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْه)**"(١).

الشرح:

قوله: (الرحلة في طلب العلم): وهي سنة من مضىٰ.

قوله: (قال الزجاج): وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج.

قوله: (وَفِيمَا فَعَلَ مُوسَىٰ عليه السلام وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ):

فالرحلة في طلب العلم من سنن المرسلين، كما فعل ذلك موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رحل تلك الرحلة يُريد أن يلتمس العلم من الخضر، وموسىٰ أفضل من الخضر؛ لكن عنده الخضر علم لا يعلمه موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فتواضع موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للخضر من أجل ذلك العلم مع أن عند موسىٰ من العلم الشيء الكثير ما لا يعلمه الخضر؛ لكن تواضع باعتبار ذلك العلم الذي انفرد به الخضر عنه، ومقام موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرفع وموسىٰ أكرم علىٰ ربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من الخضر فإنه من أولي العزم من الرُّسل وهو كليم الرحمن عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومع هذا رحل في طلب العلم تلك الرحلة الواسعة.

(١) "فتح القدير" (٣/ ٤١٣) ط. دار الوفاء، فائدة: الرحلة في طلب العلم سنة عمن سلف، وتميز بها أهل الحديث.

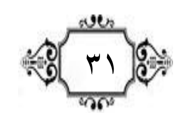



قوله: (وَالرِّحْلَةِ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ طَلَبَ الْعِلْمِ وَإِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَ نِهَايَتَهُ): ولا يوجد أحد يبلغ نهاية العلم: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِى عِلۡمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، فإن العلم ليس له نهاية؛ لكن وإن بلغ مبلغًا عظيمًا فلا يترك طلب العلم ويستغني بما معه، والعبد كلما ازداد علمًا كلما ازداد معرفةً بجهله.

قوله: (وَأَنْ يَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْه): ولو كان أعلم منه في بعض المسائل، والتواضع لا بد منه في طلب العلم فإن العلم لا يُناله مستحي ولا مستكبر، المستحي: الذي يستحي من حضور العلم فإنه لا ينال العلم وحياؤه هذا في غير موضوعه فهو حياء مذموم، وهكذا الذي في قلبه كِبر، فإنَّه لا يجلس في مجالس العلم؛ لما في قلبه من الكِبر فإنه لا ينال العلم.

والعلم مثله النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالمطر النازل من السماء، وقد أخبر النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في حديث أبي موسىٰ الأشعري فقال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا»، وهكذا في قال الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧]، والأودية أمثله للقلوب، فهناك أودية واسعة تستقبل الماء الكثير وهناك قلوب واسعة تستقبل العلم الكثير، وهناك أودية ضيقة وهناك قلوب ضيقة كلٌّ علىٰ حسبه.

الشاهد من هذا: أن الماء يستقر في الأودية ويتجاوز الجبال وهكذا العلم، العلم يتجاوز المترفعين الذين في قلوبهم شيء من الكِبر والترفع فيتجاوزهم العلم ويهبط العلم في المتواضعين، كما يستقر الماء في الأودية والأماكن المنهبطة، وهكذا العلم فمن كان في قلبه كِبر تجاوزه العلم ونزل في القلوب المتواضعة.



يقول **وكيع بن الجراح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لا يَنبُل الرجل حتىٰ يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه**)، فلا ينبل الرجل في العلم إلا إذا حصل منه هذا الأمر، لا يكون في قلبه شيء من الكِبر بهذا ينال العلم ويَنبُل ويرفعه الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا والآخرة.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي في "مسلم": قال النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ الله**»، وفي حديث عياض بن حمار الذي في "مسلم": قال النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»، فهذا مما أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وهو التواضع، فيتواضع الإنسان للعلم ويأخذ العلم والفائدة عمن هو أعلىٰ منه، أو عمن هو مثله، أو عمن هو دونه بهذا يَنبُل ويرفعه الله عَزَّوَجَلَّ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ الله**»، يرفع الله عَزَّوَجَلَّ المتواضعين، فمن تواضع للعلم ولمجالس العلم رفعه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأعلىٰ من منزلته.

وما زال السلف علىٰ هذا يتواضعون يروي بعضهم عن بعض، وكتب المصطلح والحديث مليئة بهذا وهو الذي يسميه العلماء: رواية الأكابر عن الأصاغر، فهذا موجود بكثرة في كتب الحديث، ويذكر ذلك العلماء في كُتب المصطلح رواية النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ عن تميم الداري في قصة الجساسة، ويذكرون أشياء متعددة في الباب من هذا القبيل.

ويذكرون: (أن رجلًا قال لحكيم بن حزام حين يقرأ علىٰ مُعاذ بن جبل: أتقرأ علىٰ هذا الغُلام الخزرجي؟! فقال: إنما أهلكنا الكِبر)، فلا يتكبر الإنسان علىٰ أحد، خذ الفائدة ممن جاء بها، فالعلم شريف ومن تمسك به نال الشرف، خذ العلم عمن هو فوقك أو مثلك أو دونك إذا أردت أن يرفعك الله عَزَّوَجَلَّ، وتواضع في مجالس العلم فلا ينال العلم مستحي ولا متكبر، فينبغي لطالب العلم أن ينظر في هذه المسألة.

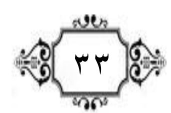



وهذا موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما عرفنا تواضع للخضر مع أن مكانة موسىٰ أرفع من الخضر، والله عَزَّوَجَلَّ يأمر نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يقرأ علىٰ أُبيَّ بن كعب كما في "الصحيحين": «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [البينة: ١] » قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَىٰ أُبيَّ بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال بعض العلماء: أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يُشرف أُبيَّ بن كعب بقراءة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عليه.

فعلى كلٍ: لا بد من التواضع وترك الأنفة في العلم حتىٰ يرفعك الله عَزَّوَجَلَّ وتستفيد العلوم الكثيرة.



وقوله: (وَأَنْ يَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْه): ولو كان ذلك في مسألة من المسائل كما حصل للخضر، فالخضر ليس بأعلم من موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في كل شيء وإنما عنده علم علمه الله لا يعلم به موسىٰ، وعند موسىٰ علم علمه الله وما يعلم به الخضر كما جاء في الحديث، فتواضع له من أجل ذلك العلم الذي لا يعلمه وإن كان هو أعلم وأكرم من الخضر فإنه من أولوا العزم من الرُسل وهو كليم الرحمن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والخضر مُختلف في نبوته، هل هو بني أو ليس بنبي؟ والنزاع فيه قائم بين أهل العلم.



قال وفقه الله:

إخلاص النية في طلب العلم:

١- قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، ثنا عَلِيُّ بْنُ حَمْشَادَ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الطَّالْقَانِيُّ، قَالَ: قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: **(مَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ الْحَدِيثِ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ)**[1].

٢- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ، أبنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاكِرٍ، ثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ الْغَلَابِيُّ، حَدَّثَنِي وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: **(لَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ مِنَ الْعِلْمِ أَوِ الْحَدِيثِ لِمَنْ حَسُنَتْ فِيهِ نِيَّتُهُ)**[2].

٣- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، نا بُكَيْرُ بْنُ الْحَدَّادِ الصُّوفِيُّ، بِمَكَّةَ، نا أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ سَلَمَةَ، نا سَعِيدُ بْنُ زُنْبُورٍ، قَالَ: سَمِعْتُ فُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ، يَقُولُ: **(إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا، وَلَا يَقْبَلُهُ إِذَا كَانَ خَالِصًا لَهُ إِلَّا عَلَى السُّنَّةِ)**[3].

الشرح:

قوله: (إخلاص النية في طلب العلم):

وذلك: أن العلم قُربة من القُرَبْ، بل هو من أعظم القُرب، والإخلاص لا بد منه في جميع القُرب: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، فلا بد من الإخلاص في طلب العلم حتى يتقبل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من العبد العلم الذي يسعى

(١) "المدخل إلى السنن" رقم الأثر(٤٧٠).
(٢) "المدخل إلى السنن" رقم الأثر (٣٦٧).
(٣) "شعب الإيمان" برقم (٦٤٥٦) بسند صحيح.

لتحصيله، ويُثاب عليه العبد، وإذا أراد العبد بطلبه للعلم الدنيا فإن هذا مما يضره، وهكذا إذا أراد الرياسة في الناس فإن هذا مما يضره.

وإذا فسدت النية في طلب العلم فلا يترك الإنسان العلم؛ بل يستمر في العلم ويجتهد في إصلاح النية، ويدعو ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فكم من شخص طلب العلم لغير الله عَزَّوَجَلَّ ثم غيَّر الله عَزَّوَجَلَّ نيته، كما جاء هذا عن جماعة من السلف منهم سفيان الثوري رَحِمَهُٱللَّهُ، حدث بذلك عن نفسه وقال: (**طلبت العلم لغير الله عَزَّوَجَلَّ فأبىٰ الله إلا أن يكون له**)، فقد تفسد النية في أول الطلب فيغيرُ الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك النية ويصلحها.

وقال مَعمْر وغير واحد ممن مضىٰ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَطْلُبُ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ فَيَأْبَىٰ عَلَيْهِ الْعِلْمُ حَتَّىٰ يَكُونَ لِلَّهِ)، فإن العلم يدعو إلىٰ الإخلاص، والإنسان إذا طلب العلم فإنه ينتفع بعلمه فإنَّه يقرأ الكثير من الزواجر عن الرياء وإرادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، ويقرأ كثيراً من أدلة الترغيب في الإخلاص، ويقرأ الأمور النافعة في العلم مما يكون له موعظة فيتعظ بما يتعلم، وتصلح نيته شيئًا فشيئًا.

فعلى كلٍ: يُجاهد الإنسان نيته، وليس المعنىٰ: أن الإنسان يترك العلم بالكلية لفساد نيته ليس هذا بصحيح، ولكن يسعىٰ في إخلاص النية ويستمر في العلم ويجاهد نفسه، ولا يترك المجاهدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩]، فيجاهد نفسه حتىٰ يُصلح الله عَزَّوَجَلَّ له النية، والعلم خير واعظ فربما يسمع كلمة ينتفع بها وهو في طلبه للعلم، يسمع كلمة من معلمه فتستقر في قلبه، أو يقرأ ما ينتفع به في كُتب العلم فتصلحُ النية، فيجاهد الإنسان نفسه ويستمر في العلم وإن فسدت النية، ويحرص علىٰ تصحيح النية وسيعينه رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إن جاهد نفسه.

فعلى كل: يُجاهد الإنسان نفسه علىٰ إخلاص النية ولا يترك العلم لفساد النية.

قال وفقه الله:

العمل بالعلم:

١- قال الإمام أبو محمد البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم - رحمك اللهُ - أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، إنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير العلم والكتب)[١].

٢- قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أهل السنة: (وَلَيْسَ الْعلم بِكَثْرَة الرِّوَايَة، وَإِنَّمَا هُوَ الإتباع، والاستعمال يَقْتَدِي بالصحابة، وَالتَّابِعِينَ وَإِن كَانَ قَلِيل الْعلم، وَمن خَالف الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ فَهُوَ ضال، وَإِن كَانَ كثير الْعلم)[٢].

٣- وقال العلامة ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد أجمع أهل العلم والعقل على ذم العمل بغير العلم، وعلى أن ثمرة العلم وسبب شَرَفِه وفضله هو العمل به)[٣].

٤- وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ العِلْمُ لَيْسَ هُوَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّهُ نُوْرٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي القَلْبِ، وَشَرْطُهُ الاتِّبَاعُ، وَالفِرَارُ مِنَ الهَوَى وَالاَبْتَدَاعِ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم لِطَاعَتِهِ)[٤].

الشرح:

---

(١) "شرح السنة" (ص٩٤) مع شرح الفوزان، ط. دار ابن حزم، القاهرة.
(٢) "الحُجة في بيان المحَجة" و "شرح عقيدة أهل السنة" (٢/ ٤٦٩) ط. الراية.
(٣) "العواصم والقواصم" (٢/ ٣٠٢) ط. مؤسسة الرسالة.
(٤) "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٣٢٣) ط. مؤسسة الرسالة.

قوله: (العمل بالعلم):

وهذا هو العلم النافع الذي يُثمر العمل فإن العمل هو ثمرة العلم، وعلم بغير عمل مُصيبة عظيمة، فهذا كما قيل: كالشجر بغير ثمر.

وكما عرفنا فيما مضىٰ: أن العمل يُثبت العلم، وترك العمل مُذهب للعلم:

نَـدبَ العِلـمُ بالعَمْـلْ فـإن أجابـه وإلا ارتحـلْ

أي: أن العلم يدعو العمل، ومن عَمِلَ بعلمه علمهُ الله عز جل ما لم يعلم من أجل أن يعمل به، فالذي يعمل بالعلم فإن الله عَزَّوَجَلَّ يرزقه علمًا آخر من أجل أن يعمل به فإن الحسنة تدعو أختها، والسيئة تدعو أختها، فإذا عَلِمَ الإنسان وعمل رزقه الله عَزَّوَجَلَّ علمًا آخر ورزقه العمل بذلك العِلم.



١ - قال الإمام أبو محمد البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم - رحمك اللهُ - أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، إنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير العلم والكتب).

قوله: (واعلم - رحمك اللهُ - أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب): بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن العلم هو الاتباع، فمن كان قليل العلم وهو متبع غير مبتدع فذلك العالم حقيقةً، ومن كان كثير العلم كثير الرواية وكثير الكُتب له المؤلفات الكثيرة وله الروايات الكثيرة وهو صاحبُ هوىٰ هذا ما عنده العلم الحقيقي، فإن العلم النافع هو الذي يورث الاتباع، أما العلم مع البدعة فهو وبال علىٰ صاحبه، ضرره عليه أكثر من نفعه، ما الذي يستفيده من هذا العلم وهو صاحب هوىٰ؟، وهل الناس يستفيدون منه وإلا يكون فتنة للناس؟ الجواب: يكون فتنة للناس، فهو في الحقيقة لم ينتفع بعلمه ولم ينتفع الناس به بل صار فتنةً لهم وربما أضل من أضل؛ بسبب اتباع الهوىٰ فهذا مُضر ولا ينفع.

وقوله: (**إنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب**): هذا هو العِلم وهذا هو العَالِم: المتبع للعلم المقتفي للسنة والآثار.

٢- قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أهل السنة: (وَلَيْسَ الْعلم بِكَثْرَة الرِّوَايَة، وَإِنَّمَا هُوَ الإتباع، والاستعمال يَقْتَدِي بالصحابة، وَالتَّابِعِينَ وَإِن كَانَ قَلِيل الْعلم، وَمن خَالف الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ فَهُوَ ضال، وَإِن كَانَ كثير الْعلم).

إذن: هذا هو الضابط للعلم: العلم هو الاتباع وترك الابتداع.

والأصبهاني ينقل هذا عن أهل السنة، فهذا هو العلم عند أهل السنة ليس هو بكثرة الرواية، ولا بكثرة الكتب، ولا بكثرة التصنيفات، ولا بكثرة الحفظ، العلم: هو الاتباع، أن يتبع الإنسان كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ويتبع سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويبتعد عن البدع والأهواء، فهذا هو العلم النافع وهذا هو العالِم في الحقيقة الذي انتفع بعلمه، فإذا كان الشخص كثير التأليفات كثير الرواية واسع الحفظ وهو من أهل الأهواء فما عنده العلم الذي يُنتفع به، بل هذا يصير وبالًا عليه ولا يستفيد منه ولا يستفيد الناس منه بل يضر الناس بعلمه؛ لأنه علىٰ غير هُدىٰ.



٣- وقال العلامة ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد أجمع أهل العلم والعقل على ذم العمل بغير العلم، وعلى أن ثمرة العلم وسبب شَرَفِه وفضله هو: العمل به).

وهنا ينقل ابن الوزير الإجماع علىٰ ذم العمل بغير علم، وهذا هو شأن النصارىٰ الذين وصفهم الله عَزَّوَجَلَّ بالضلال عَمِلوا بغير علم، واليهود وصِفوا بأن الله عَزَّوَجَلَّ غَضِبَ عليهم؛ لأنهم تركوا العمل بالعلم، فالكل مذموم من عَمِلَ بغير عِلم أو ترك العمل بالعلم، فمن عَلِم ولم يعمل كان به شبه باليهود، ومن عَمِلَ بغير علم كان به شبه بالنصارىٰ وهذا خلاف الصراط المستقيم الذي أمر الله عَزَّوَجَلَّ عباده أن يسألوه

إياه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، فإنه طريق العلم والعمل وهو عكس صراط المغضوب عليهم والضالين.

٤- وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ العِلْمُ لَيْسَ هُوَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّهُ نُوْرٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي القَلْبِ، وَشَرْطُهُ الاتِّبَاعُ، وَالفِرَارُ مِنَ الهَوَى وَالابْتِدَاعِ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم لِطَاعَتِهِ).

علىٰ هذا سار أئمة السُنة وعبارات أئمة السنة متفقة علىٰ هذا الكلام: أن العلم ليس بكثرة الرواية، ولا بكثرة الكتب، ولا بسعة الحفظ، العلم: هو الاتباع، والفرار عن البدع والأهواء، فهذا هو العالم في الحقيقة: فالذي وفقه الله عَزَّوَجَلَّ للاتباع والفرار من الهوىٰ والابتداع هو العالم الذي هداه الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ الصراط المستقيم، وعلِمَ صراط المغضوب عليهم والضالين فابتعد عنه ذلك، ولازم الكتاب والسنة وسار علىٰ منهج السلف الصالح فهذا هو العالِم في الحقيقة وإن قَلَّ حفظه وقلَّت روايته، وقلّت تأليفاته، فالعلم هو الاتباع وترك الابتداع.



وقوله: (**ثُمَّ العِلْمُ لَيْسَ هُوَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّهُ نُوْرٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي القَلْبِ**): نعم، فالعلم نور يقذفه الله عَزَّوَجَلَّ في القلب، فقد يكون الشخص عنده الجد والاجتهاد في تحصيل العلم ولا ينال منه إلا الشيء اليسير، وآخر ربما يكون أقلّ اجتهادًا منه وينال العلم الكثير فهو مِنَّة من الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وَرُبَّ شخص ينال العلم الكثير في فترة يسيرة، وَرُبَّ شخص يمكث كذا وكذا من السنين ولا ينال إلا الشيء اليسير من العلم فهو مِنَّة ونور يقذفه الله عَزَّوَجَلَّ في القلب يُميز به الحق من الباطل، وتحصل له الهداية بهذا النور الذي يقذفه الله عَزَّوَجَلَّ في القلب.



قال وفقه الله:

بيان أن العلم لا يؤخذ إلا عن أهل السنة، وأن المبتدعة لا يؤخذ عنهم العلم:

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مقدمة صحيحه":

١- حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، وَهِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، وَحَدَّثَنَا فُضَيْلٌ، عَنْ هِشَامٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «**إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ**»[1].

٢- وقال أيضًا: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: (**سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ**)[2].

٣- قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِذَا كَانَ الرَّاوِي مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْمَذَاهِبِ الَّتِي تُخَالِفُ الْحَقَّ لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ، وَإِنْ عُرِفَ بِالطَّلَبِ وَالْحِفْظِ).

ثم نقل بسنده عن الإمام الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: (مَنْ سَمِعَ مِنْ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَنْفَعْهُ مَا سَمِعَ)[3].

٤- وعن الحسين بن منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَمَّنْ نَكْتُبُ الْعِلْمَ؟ فَقَالَ: عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ، إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةٍ، صَاحِبِ هَوًى يَدْعُو إِلَيْهِ، أَوْ كَذَّابٍ فَإِنَّهُ لَا يُكْتَبُ عَنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، أَوْ عَنْ رَجُلٍ يَغْلَطُ فَيُرَدُّ عَلَيْهِ فَلَا يَقْبَلُ)[4].



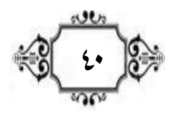
---

(١) رقم الأثر (٢٦).

(٢) رقم الأثر (٢٧).

(٣) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (٤٧-٤٨) ط. دار الراية.

(٤) "الكفاية للخطيب" برقم (٤١٠) بسند صحيح.



٥- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا كلام أهل الزيغ أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلمنا وإياكم من كل هلكة)[(١)].

٦- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإياكم أن تكتبوا عن أحد من أصحاب الأهواء قليلًا ولا كثيرًا، عليكم بأصحاب الآثار والسنن)[(٢)].

٧- قال علي بن حرب الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَنْ قَدَرَ أَلَّا يَكْتُبَ الْحَدِيثَ إِلَّا عَنْ صَاحِبِ سُنَّةٍ، فَإِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ، وكُلُّ صَاحِبِ هَوًى يَكْذِبُ وَلَا يُبَالِي)[(٣)]، وهذا القول كما قال الخطيب البغدادي في الكفاية مرويٌ عن طائفة من السلف[(٤)].

٨- وقال الإمام يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحدًا مِن أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[(٥)].

فائدة:

ابن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أئمة الحديث وحفاظه، وفي ابن عون قال هذا الشاعر:

خُذُوا عَن مَالكٍ وَعن ابن عونٍ وَلا تَرووا أحاديث ابن دابِ[(٦)].

الشرح:

(١) "الإبانة." (٢/ ٥٣٩) باختصار كتاب الإيمان رقم الأثر (٦٧٦) ط. دار الراية.

(٢) "سير أعلام النبلاء" (١١/ ٢٣١).

(٣) "شرح علل الترمذي" لابن رجب (١/ ٤٥) ط. دار العطاء.

(٤) "فتح المغيث" (٢/ ٦٣) ط. مكتبة السنة، القاهرة.

(٥) "تاريخ بغداد" (٧/ ١٤٥).

(٦) "التمهيد" (١/ ١٧٨) ط. الكتب العلمية، وابن داب: هو محمد المديني، قال أبو زرعة: ضعيف الحديث كان يكذب، "تهذيب التهذيب" (٣/ ٥٥٦).

قوله: (**بيان أن العلم لا يؤخذ إلا عن أهل السنة، وأن المبتدعة لا يؤخذ عنهم العلم**): نعم، هذا كلام صحيح سديد سار عليه من مضىٰ من أئمة السلف: أن العلم لا يؤخذ عن أهل البِدع، فإن شرط العلم: هو الاتباع والفرار من هوىٰ الابتداع، كما قال الذهبي، فالمبتدع ما عنده الاتباع وقد نقض شرطًا من شروط العلم الذي هو: الاتباع والفرار من الهوىٰ والابتداع، فكيف تطلب العلم عند شخص قد نقضَّ شرطه؟! شخص ما انتفع بعلمه فكيف تنتفع أنت بعلمه؟! بل حصل له الضلال وحصل له الزيغ، بل يسعىٰ في إضلالك بما عنده من العلم فإن صاحب البدعة إذا كان عنده شيء من العلم فإنه يسعىٰ في تزيين البدعة بما عنده من العلم، ويُلبس علىٰ الناس بقدر ما عنده من العلم، ويبث الشبهات بقدر ما عنده من العلم، فإذا أراد الشخص أن يطلب العلم عنده فإنما يطلب الشبهات لنفسه، ويطلب البدعة، ويطلب الزيغ والضلال؛ فإن صاحب البدعة يسعىٰ جادًا في إدخال الناس في بدعته.

إذا كان يُقال في حق بعض أصحاب المعاصي: ودَّت الزانية لو أن كل الناس زواني وهي صاحبة فسق وفجور، فكيف بصاحب البدعة فإن محبته لذلك أعظم، وصاحب البدعة يُريد أن جميع الناس علىٰ تلك البدعة فيتمنىٰ هذا ويسعىٰ بكل ما يستطيع إلىٰ إدخال الناس في الهوىٰ الذي دخل فيه؛ لأنه يعتبر ذلك الهوىٰ دينًا، وأنه علىٰ الحق، أما صاحب الفسق فهو يرىٰ أنه فاسق لكنه يُحب أن الناس يُشاركونه في ذلك الفسق حتىٰ لا يُنكر عليه أحد بل يفعل ما يشاء.




قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مقدمة صحيحه":

١ - حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، وَهِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، وَحَدَّثَنَا فُضَيْلٌ، عَنْ هِشَامٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «**إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ**».

فهذا العلم دين وهو أصل الدين: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فالعلم قبل القول والعمل، فلا يُمكن للعبد أن يوحد الله عَزَّوَجَلَّ إلا بالعلم، ولا يترك الشرك إلا بالعلم، فالتوحيد وما دون التوحيد بحاجة إلىٰ العلم، فالعلم دين فكيف يأخذ الإنسان دينه ممن قد فَسُدَّ عليه شيء من دينه وهم أهل البدع والأهواء فإن الفساد في دينهم عظيم، وإن لم يفسد الدين بالكلية لكن الفساد فيهم عظيم.



وإذا كان الشخص في أمر الدنيا يتحرىٰ الشيء الذي لا فساد فيه، فلا يُمكن أن يأخذ وأن يشتري الشيء الذي دخله الفساد، ولا يقول: أنا سوف آخذ الفاسد وأترك الطيب، ما عند الإنسان هذا المنظار، وإنما يختار الشيء الطيب ويبتعد عن الشيء الذي فيه نوع فساد سواءً في الفواكه، أو في الخضروات، أو في غير ذلك من أنواع المطعومات أو الملبوسات، أو المركوبات فيتحرىٰ الشيء الذي ليس فيه أي نوع من أنواع الفساد، وأما في أمر الدين هناك من يتجه إلىٰ أصحاب البِدع والأهواء مع ما فيهم من الفساد العظيم فإن فساد أهل البدع في الدين، وفساد الخضروات والمأكولات إنما هي علىٰ الأبدان، وإذا فسد الدين فَسدت الدنيا والآخرة، وإذا ما فسد البدن وكان الشخص من أهل الخير والصلاح فإنما تفسد عليه الدنيا ولا يضره فساد الدنيا مع صلاح الآخرة: (**إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ**).

٢- وقال أيضًا: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: (**سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ**).

قوله: (**لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ**): أي: في أول الأمر.

قوله: (**فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ**): وهي فتنة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخروج الخوارج، فانتشرت الفتنة في ذاك الزمن وظهر أهل البدع والأهواء.

قوله: (**قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ**): لأن الأمر اختلف، كانوا قبل ذلك في عافية لا يوجد أهل بدع وأهواء، وأمور الناس علىٰ عافية، فلما قُتِلَ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكَثُرت الفتن وظهرت الخوارج وانتشرت الشرور تغيرت الأحوال.



قوله: (**فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ**): فهذا هو الأصل: أن أهل البدع لا يؤخذ عنهم العلم، وإنما اضطر علماء السنة اضطرارًا إلىٰ أخذ الحديث عن بعض أهل البدع والأهواء من باب الاضطرار من أجل أن يحفظوا السُنة، ولولا ذلك لما أخذوا عنهم شيئًا، سواء كانوا من الخوارج، أومن القدرية، أومن المُرجئة، ومن أهل العلم من كان يروي عن الدعاة وغير الدعاة، ومنهم من روىٰ عن غير الدعاة وترك الدعاة، ومذاهب العلماء في ذلك معروفة ومدونة في كُتب المُصطلح في باب الرواية عن أهل البدع.

فاضطر علماء السُنة اضطرارًا من أجل أن يحفظوا الدين فنظروا إلىٰ المصالح والمفاسد، فرأوا أنَّ هجر أهل البدع والأهواء مصلحة شرعية، وحفظ الدين مصلحة شرعية فأيهما أعظم؟

الجواب: مصلحة حفظ الدين أعظم.

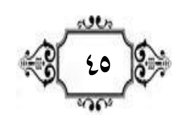



وهجر أهل البدع والأهواء فيه مصالح شرعية **منها**: أن ينزجروا عن بدعهم وينزجر الناس عن بدعهم، **ومنها**: أن يقي الإنسان نفسه من شرورهم، فهذه مصلحة من المصالح الشرعية، وحفظ الدين والإسلام مصلحة من المصالح الشرعية، ومن الفقه الشرعي: أننا نُقدم أعلىٰ المصلحتين وإن فاتت أدنىٰ المصلحتين، وندرأ أعلىٰ المفسدتين وإن وقعنا في أدنىٰ المفسدتين، فندرأ المفسدة العظيمة وإن حصل الوقوع في مفسدة دون ذلك، هذا أمر سار عليه من مضىٰ من أهل العلم، وهو حقيقة الفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ: أن يعرف الإنسان المصالح والمفاسد ويوازن بينهما.

فالعلماء اضطروا اضطرارًا إلىٰ الرواية عن أهل البدع والأهواء من أجل أن يحفظوا الدين وكان هذا في زمن الرواية، وبعد ذلك دونت الأحاديث في الكُتب وحُفِظت السنة في الكُتب كما هو معلوم، فلا حاجة للشخص بعد ذلك أن يتجه إلىٰ أهل البدع والأهواء.

والآن بعد زمن الرواية إذا أراد الشخص أن يأخذ العلم عن بعض أهل البدع والأهواء فإنَّ المفسدة راجحة علىٰ المصلحة؛ لأننا بعد زمن الرواية، والشخص يُمكنه أن يطلب العلم عند أهل السنة، ويجعل الله عَزَّوَجَلَّ له الخير والبركة، وإذا ما طلب العلم عند أهل البدع والأهواء فإنه وإن نال علمًا يسيرًا سينال بدعـًا عظيمة، والعالم من أهل البدع يحرص غاية الحرص أن يكون الطالب علىٰ منهجه، ويأتيه بالشبهات من مكان خفي ويُشككه فيما هو عليه من العقيدة الصحيحة ولو من وجه خفي شيئًا فشيئًا إلىٰ أن تتمكن البدعة من قلبه فيضل كما ضَلَّ هو والعياذ بالله.

قد وقع بعض الكبار من أهل العلم في شيء من مُخالفة السنة والتبست عليهم بعض الأهواء مع سعة علمهم؛ بسبب شيوخهم من أهل الأهواء، وكما سبق أن ذكرنا عن عبد الرزاق الصنعاني مع علمه وإمامته أدخل عليه التشيع جعفر بن سليمان







الضبعي، اغتر بسمته وتأثر به فدخلت فيه بدعة التشيع ثم تاب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وغيره كثير.

فإذا كان العالم لا يأمن علىٰ نفسه من شيخه إذا كان صاحب هوىٰ فكيف بطالب العلم الصغير؟! فإنه أشد تأثرًا بشيخه، وعبد الرزاق أعلم من جعفر بن سليمان يعني: منزلته أرفع ومع هذا تأثر به، فإذا كان العالِم قد تأثر بمن هو دونه إذا كان صاحب هوىٰ فكيف بطالب العلم أو المُبتدئ إذا أخذ العلم عن بعض أهل البدع والأهواء كيف لا يتأثر؟!، فالواجب هو الابتعاد كل البُعد عن أهل البدع والأهواء.

والحافظ البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع سعة علمه وحفظه، جمع بين علم الحديث، وبين علم الفقه وبين كثير من العلوم وصار إمامًا من أئمة العلم حتىٰ قيل: ما جاء أحد بعد الشافعي إلا وللشافعي عليه مِنَّة إلا البيهقي فإن له مِنَّة علىٰ الشافعي، وذلك باعتبار: أنه هو الذي نصر مذهب الشافعي نصرًا كبيرًا، وألف المؤلفات الكثيرة واحتج لمذهب الإمام الشافعي بالحُجج الكثيرة، وكم له في ذلك من المصنفات الحديثية، فكان متبحرًا في علم الفقه، وفي علم الحديث، وفي علم العلل وله ما له من العلم الواسع، ومع هذا فإنَّه تأثر ببعض مشايخه كأبي بكر بن فورك من الأشاعرة، وأين ابن فورك من البيهقي؟ البيهقي أعلم من ابن فورك ومع هذا تأثر بشيخه ووقع في بعض مصنفاته بعض الأشعريات تأثرًا بشيخه الأشعري مع أن البيهقي كما قلنا أعلم منه، وليس معناه أنه أخذ المذهب الأشعري من جميع وجوهه؛ لكن حصلت له بعض الأشعريات.



وتأثر أيضًا بالحسين بن الحسن الحليمي من علماء الأشاعرة وهو وإن لم يكن من مشايخه لكنه تأثر بكتبه تأثرًا بالغًا، وهو من مشايخ شيوخه غير أنه تأثر به تأثرًا بالغًا، ويُكثر من النقل عنه لا سيما في كتاب "شُعب الإيمان" فإنه أكثر من النقل عنه




في هذا الكتاب وهكذا في كتابه "الأسماء والصفات "، فقد أكثر من النقل عن الحليمي الحسين بن الحسن، وكان من الأشاعرة.

فهؤلاء وغير هؤلاء تأثروا بمشايخهم وإن كانوا من حيث العلم أوسع بالعلم منهم.

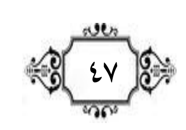
وهكذا الحافظ ابن حجر والنووي حصل لهما تأثر ببعض مشايخهم من الأشاعرة، فحصلت لهم بعض الموافقات لمذهب الأشاعرة كما هو ظاهر وبيَّن في كتاب "فتح الباري" للحافظ ابن حجر وفي كتاب "شرح مسلم" للعلامة النووي، وإن كان العلامة عبد المُحسن العباد وفقه الله عَزَّوَجَلَّ كتب رسالة قرر فيها تراجع الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ والعلامة النووي فيما وقع فيه من بعض الأشعريات.

فالشخص يتأثر بمن يُجالس ولو كان هو أعلم ممن يُجالس.

فمن طلب العلم عند أهل البِدع والأهواء فإنه يتأثر بذلك، فالإنسان لا يملك قلبه، وإن ركنَ الإنسان إلىٰ نفسه فإنه يضل؛ لأنه اعتمد علىٰ شيء ضعيف: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»؛ ولهذا كان من منهج السلف هو الابتعاد عن أهل البدع والأهواء، فيفر الإنسان منهم كفراره من الأسد، يحمي نفسه ويحمي غيره من شرهم ولو كان عالمًا، فيبتعد ويحذر من أهل البدع والأهواء؛ ليحمي نفسه ويحمي غيره.

ولا يثني عليهم فإنه يضر نفسه ويضر غيره بالثناء عليهم.

ولنا فيما حصل من الحافظ الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع البلقاني عبرة، فكان البلقاني من أئمة الأشاعرة من المتكلمين وله الردود الكثيرة علىٰ أهل البدع والأهواء مع وقوعه في مذهب الأشعري، فالحافظ الدارقطني مع إمامته وعلو منزلته ومكانته ألتقىٰ بالباقلاني في بغداد ومعه أبو ذر الهروي فإذا بالدراقطني يقبل رأس الباقلاني ويقبل بين عينيه فيتعجب أبو ذر الهروي من صنيع شيخه الحافظ الدارقطني، ويقول له:



تصنع هذا بهذا الرجل وأنت إمام العصر؟! قال: هذا إمام المسلمين، وهذا الذاب عن الدين، وأثنىٰ علىٰ الباقلاني الأشعري ثناءًا عطراً، فَسمِعَ أبو ذر الهروي هذه الكلمة من شيخه الذي يُعد إمام العصر وصار بعد ذلك يتردد علىٰ الباقلاني ووقع بسبب ذلك في المذهب الأشعري.

ولمَّا عاد إلىٰ مكة كان يأتي إليه الناس من أماكن متعددة يسمعون عنه الحديث وكان من رواة صحيح البخاري فجاء إليه المغاربة وأخذوا منه الحديث وأخذوا منه المذهب الأشعري، ثم انتشر المذهب الأشعري في بلاد المغرب؛ بسبب ما حصل من الحافظ الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه زلَّة من زلاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر الله له، فما فعله يُعتبر مما زلَّ به رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع إمامته وعلو منزلته وقِدمه، فالدارقطني له المنزلة العالية عند أهل العلم وله المكانة الرفيعة وله ما له من العلم الغزير؛ لكن لكل عالم هفوة، ولكل جواد كبوة، لكن هذه الهفوة التي حصلت من الحافظ الدارقطني ما كان مؤداها؟ مؤداها أن دخل أبو ذر الهروي في المذهب الأشعري، ومؤداها أن انتشر المذهب الأشعري في بلاد المغرب، فليحذر الإنسان من أهل البدع والأهواء لا يدرس عندهم ولا يُثني عليهم، ولا يحث علىٰ الدراسة عندهم، لا يكون مفتاح شر، يكون مفتاح خير ومِغلاق شر، هذا الذي يجب في هذا الباب.

إذا الأصل: أن أهل البدع والأهواء لا يُدرس عندهم، ولا يؤخذ العلم منهم، يؤخذ العلم ممن عُرِفَ منه الصفاء في منهجه، والصفاء في استقامته علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما كان فيه غبش يُبتعد عنه، من كان من أهل البِدع الذين قد تبينت بدعتهم فهذا أمره ظاهر، ومن كان فيه غبش أمره مُريب لا أظهر السنة إظهارًا صافيًا ولا أنه أظهر البدعة إظهارًا صافيًا هذا ربما يكون خطره أشد وأكثر من غيره، فربما يكون من أهل البدع وهو يتستر بالسنة فإذا ما تمكن أضلَّ من أضله من



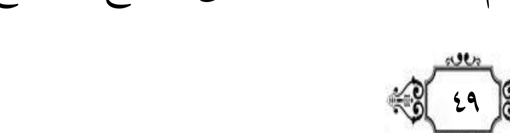

الناس، فمثل هؤلاء النصيحة الابتعاد عنهم، ويطلب الإنسان العلم عمن عُرِفَ منه الصفاء والنقاء، هذا الذي يجب.

فعلى كلٍ: الشيخ يتأثر بشيخه ولو كان أعلم منه؛ فلهذا الحذر الحذر من أهل البدع والأهواء، فإذا كان العالم يتأثر بشيخه وإن كان التلميذ أعلم من شيخه، فكيف إذا كان الأمر علىٰ العكس من ذلك فإن التأثر أشد وأشد.

فهناك من أهل العلم من تأثر بشيخه من أهل الأهواء، وهناك من أهل العلم من تأثر بكتب بعض أهل الأهواء بالقراءة فيها، وكما عرفنا الحافظ البيهقي تأثر بشيخه ابن فورك وتأثر بكتب الحسين بن الحسن الحليمي وكان أشعريًا.

فالواجب الابتعاد عن التتلمذ علىٰ أيدي أهل الأهواء، وأيضًا الابتعاد عن كتب أهل الأهواء، فالكتب التي صُنفت علىٰ مذهب الاعتزال أو علىٰ مذهب الأشاعرة، أو علىٰ مذهب الماتريدية مثل هذه المصنفات أو غير ذلك من الكتب التي صنفت في نصر بعض العقائد الواجب الابتعاد عنها فإن الإنسان لا يملك قلبه، قد تأثر كثير من أهل العلم كما عرفنا إما بمشايخهم وإما ببعض الكتب التي هي من كتب أهل الأهواء التي صُنفت في باب العقيدة في تقرير ما يتعلق بمسائل العقيدة علىٰ المذهب الأشعري، فيبتعد الإنسان عن هذين الأمرين إذا أراد السلامة لنفسه، فإذا أراد العقيدة الصحيحة فليقرأ في كتب السلف، ولا يقرأ في كتب الأشاعرة ولا كتب الماتريدية ولا كتب المعتزلة، فالذي يُريد أن يعرف منهج السلف فإنَّ منهج السلف يؤخذ من كتب السلف، فلا يؤخذ منهج السلف من كتب المعتزلة ولا من كتب الأشاعرة، ولا من كتب الماتريدية، فالإنسان ضعيف يتأثر، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن.

ومن الغش الكبير ومن عدم النصيحة للمسلمين: أن يُحث علىٰ الدراسة عند أهل البدع والأهواء، أو عند من لم يُعلم منه الصفاء والنقاء علىٰ المنهج الصحيح،



فهذا غِش فلا يُنصح بالدراسة عند هؤلاء، ومن الخطأ حصل في هذه الأيام القريبة من الحث علىٰ الدراسة عند العصيمي أو عند الخُضير فليس هذا من النصيحة أن يترك الشخص علماء السنة الذي عُرفوا بالصفاء والنقاء والمنهج الصحيح، الذين تَربوا التربية الصحيحة وصاروا علىٰ منهج السلف وعُلم منهم الصفاء والنقاء، ويُهمش هؤلاء ويُنتقل إلىٰ أصحاب الغبش الذي ما عُرِفوا بالصفاء والنقاء وإنما ظهر منهم الدخن والثناء علىٰ أهل البدع والأهواء بل الثناء علىٰ كبار أهل البدع والأهواء من غير توبة صحيحة شرعية، سواءً كان العصيمي أو الخُضير، والخضير دعوته كما يُقال يُريدها مخضرية ما يُريد دعوة سلفية صحيحة فيرىٰ القراءة في "ظَلال القرآن للسيد قطب" وغير من كتب السيد قُطب، وهكذا كتب الحسن البناء ويرىٰ الاستفادة من هذه الكتب كما يُستفاد من كتب الحافظ ابن حجر والعلامة النووي، وهذه أمور عجيبة! المقارنة بين الحافظ ابن حجر والعلامة النووي وبين السيد قطب والبناء من أعجب الأمور!، الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء الكبار، وهكذا العلامة النووي ممن خدموا الإسلام خدمة عظيمة في أمور متعددة، ومصنفات الحافظ ابن حجر والعلامة النووي من المصنفات الحسنة الجميلة المتقنة إلا أشياء حصل لهم اللبس فيها من مسائل العقيدة فخفيت عليهم بعض تلك الأمور ولا يُعلم عنهما اتباع الهوىٰ، والظن فيهما: أنهما أرادا الحق واجتهدا في التوصل إليه لكن خفي عليهما بعض الأمور والتبست عليهما بعض الأمور.

وهناك من أهل العلم من قرر توبتهما وتراجعهما كالشيخ عبد المحسن العباد وفقه الله فبيَّن ذلك في رسالته التي كتبها.

فعلى كلٍ: الحافظ ابن حجر والعلامة النووي من علماء الإسلام، والسيد قُطب ليس من العلماء ولا من طُلاب العلم، رجل أديب من الأدباء تلكم في بعض أمور العلم وخبط خبط عشواء، وهكذا البناء ليس هو من أهل العلم ولا من طُلاب العلم،





نعم هو مؤسس حزب الإخوان، فأما أنَّه من طلاب العلم أو من المشايخ؟ ليس الأمر كذلك فليس هو من العلماء ولا من طُلاب العلم.

فالمقارنة بين كُتب الحافظ ابن حجر والعلامة النووي وكتب مثل هؤلاء من العجب العجاب، وما أحسن قول الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند ذكره لهذه المقارنة: (كلام يكاد الشخص يضحك منه من ركبته).

وهكذا يرىٰ الخضير الاستفادة من "تفسير الشعراوي"، ويرىٰ أيضًا الاستفادة من كُتب علي الطنطاوي، ويرىٰ أن من كان دون منزلة عمرو خالد فإنه يستفيد من أشرطة عمرو خالد، إلىٰ غير ذلك من المقالات المُخالفة لمنهج السلف فهو يبغيها دعوة مُخضرية، فيتجه الناس إلىٰ كتب أهل البدع والأهواء ويقعون في أنواع الضلال والانحراف بسبب ذلك.



وهناك من يدعي السنة والسلفية وإذا به يتجه إلىٰ مثل هؤلاء أو يحث علىٰ الدارسة عندهم، ويزعم أن عندهم التأصيل، نعم عندهم تأصيلات أهل البدع والأهواء، فقد كان أبو الحسن المصري يدعو إلىٰ التأصيل وهو إنما يؤصل أصول المغراوي وأصول عدنان عرعور، وأصول الصاوي، فهؤلاء الذين يتبجحون بالتأصيل إنما يُريدون التأصيل المبتدع، فما نحتاج إلىٰ تأصيل محدث، أصولنا: كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والإجماع أيضًا أصل من أصول أهل السنة، فما نحتاج إلىٰ تأصيلات الصاوي، ولا المغراوي، ولا عدنان عرعور، ولا تأصيلات أبي الحسن، ولا تأصيلات محمد الإمام صاحب كتاب الإبانة، ولا غير ذلك من التأصيلات، فالدعوة السلفية متأصلة بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبمنهج السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

فعلىٰ كل: هذا من الغِش للإسلام والمسلمين أن يُنصح بالدراسة عند هؤلاء ويُترك علماء السنة الذي عُرِفوا بالصفاء والنقاء، الذين إذا جاءت الفتن خرجوا منها كالذهب المُصفىٰ، فيُهمش هؤلاء ويُتجه إلىٰ أولئك القوم!.

فالمؤلف هاهنا عقد هذا الفصل النافع فقال: (**بيان أن العلم لا يؤخذ إلا عن أهل السنة، وأن المبتدعة لا يؤخذ عنهم العلم**)، هذا الذي سار عليه أئمة السلف، وهذا هو المنهج الصحيح وفيه السلامة للناس من البدع والاهواء.

٣- قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِذَا كَانَ الرَّاوِي مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْمَذَاهِبِ الَّتِي تُخَالِفُ الْحَقَّ لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ، وَإِنْ عُرِفَ بِالطَّلَبِ وَالْحِفْظِ).

ثم نقل بسنده عن الإمام الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: (مَنْ سَمِعَ مِنْ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَنْفَعْهُ مَا سَمِعَ).

قوله: (قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِذَا كَانَ الرَّاوِي مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْمَذَاهِبِ الَّتِي تُخَالِفُ الْحَقَّ لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ، وَإِنْ عُرِفَ بِالطَّلَبِ وَالْحِفْظِ)**: لا يُغتر به بسبب طلبه للعلم وسعة حفظه إذا كان من أهل الأهواء فإن ضرره أكثر من نفعه.

قوله: **(مَنْ سَمِعَ مِنْ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَنْفَعْهُ مَا سَمِعَ)**: نعم، لا ينتفع بما سمع من أهل البدع والأهواء بل يتضرر من ذلك غاية التضرر ويمرض قلبه، وربما ينحرف في عقيدته بسبب هذا الأمر، والعياذ بالله.

٤- وعن الحسين بن منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنبَلٍ عَمَّنْ نَكْتُبُ الْعِلْمَ؟ فَقَالَ: (عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ، إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةٍ، صَاحِبِ هَوًى يَدْعُو إِلَيْهِ، أَوْ كَذَّابٍ فَإِنَّهُ لَا يُكْتَبُ عَنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، أَوْ عَنْ رَجُلٍ يَغْلَطُ فَيُرَدُّ عَلَيْهِ فَلَا يَقْبَلُ).

قوله: **(سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَمَّنْ نَكْتُبُ الْعِلْمَ؟)**: والسؤال عن كتابة العلم الشرعي.





قوله: (فَقَالَ: (عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ، إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةٍ): أي: هؤلاء لا يُكتب عنهم العلم.

قوله: (صَاحِبِ هَوًىٰ يَدْعُو إِلَيْهِ)، فإن صاحب الهوىٰ وإن تكلم بشيء من السنة فإنه يَدس هواه فيما يذكره من الآيات ومن الأحاديث، ويتأول القرآن علىٰ ما يُريد، ويتأول أحاديث السنة علىٰ ما يُريد، وبعض الناس الذين فيهم شيء من الجهل يقولون: (نحن نسمع إلىٰ فلان وإنما يذكرون الآية والحديث، نسمع منهم قال الله وقال رسوله ﷺ، ويظنُ هؤلاء الجهال أن المبتدع ما يكون مبتدعًا حتىٰ يتكلم بالتوراة أو الإنجيل أو الزبور!)، يا هؤلاء المبتدع هو من أهل الإسلام ليس يهودياً ولا نصرانياً، لكنه يُريد أن يقوي بدعته بالآية والحديث، فيذكر الآية ويحتج بها علىٰ بدعته.

وكثير من أهل البدع والأهواء يحتجون بالقرآن علىٰ بدعهم وأهوائهم؛ ولهذا قال من قال من السلف: (حاجحوا أهل البدع بالسنة)، فالقرآن فيه وجوه كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ [آل عمران:٧]؛ ولهذا كثير من أهل البدع والأهواء يتجهون إلىٰ القرآن، فالخوارج يحتجون ببعض آيات القرآن ويتأولونها علىٰ غير مُراد الله، وهكذا القدرية، وهكذا المعتزلة، وهكذا الأشاعرة والماتريدية وغير هؤلاء يتمسكون بشيء من القرآن ويتأولونه علىٰ غير مُراد الله عَزَّوَجَلَّ.



واحتجاجهم بالقرآن أكثر من احتجاجهم بالسنة، وقد يحتجون بالسنة ويتأولونها علىٰ غير مُراد رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالجاهل ربما يحضر بعض المجالس لأهل البدع والأهواء ويقول: نسمعهم يقولون: قال الله قال رسوله، وكما قلنا: يُريد هؤلاء أن من أهل البدع يتلون التوراة أو الإنجيل أو الزبور حتىٰ يتبين لهم أنهم من أهل البدع، وأهل البدع كما قلنا: ليسوا بيهود ولا نصارىٰ، هم من أهل الإسلام

فيذكرون شيئًا من آيات القرآن أو أحاديث النبي ﷺ ويبثون البدع ويتأولونها علىٰ غير مُراد الله عَزَّوَجَلَّ وعلىٰ غير مراد نبيه الكريم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قوله: (**أَوْ كَذَّابٍ فَإِنَّهُ لَا يُكْتَبُ عَنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ**): الكذاب قد أفسد منطقه فكيف يؤخذ منه العلم؟! وكيف يوثق بعلمه؟! وكيف يوثق بخبره؟! وإذا روىٰ كيف يوثق بما رواه وهو موصوف بالكذب؟! فالكذاب قد أفسد نطقه فلا يُكتب عنه شيء.

قوله: (**أَوْ عَنْ رَجُلٍ يَغْلَطُ فَيُرَدُّ عَلَيْهِ فَلَا يَقْبَلُ**): أي: يُعاند الحق، يُبيَّن له الغلط فَيُصِرُّ علىٰ أنه ما غَلِط ويُعاند، فمثل هذا أيضًا لا يؤخذ عنه العلم ولا يُكتب عنه العلم، الذي يُبين له ما وقع فيه من الخطأ ومن الزلل وهو يُعاند ويصر علىٰ ما هو عليه، وأنه علىٰ الحق: (عنزة ولو طارت)، حتىٰ لو طارت ما زالت عنده هي العنزة، من كان كذلك فهذا لا يوثق به ولا يؤخذ بعلمه، فمثل هؤلاء لا يؤخذ عنهم العلم كما بيَّن ذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا كلام أهل الزيغ أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلمنا وإياكم من كل هلكة).



قوله: (**عليكم بالسنن والآثار**): والسنن: هي أحاديث رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والآثار في هذا الموضع المراد بذلك: ما جاء عن الصحابة الكِرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أجمعين.

قوله: (**والفقه الذي تنتفعون به**): هو الفهم، والناس يتفاضلون به تفاضلًا عظيمًا، ولا يكفي أن الإنسان يأخذ السنن والآثار ويحفظ السنن والآثار من غير فقه، وكلٌّ علىٰ خير خير، لكن من جمع السنن والآثار مع الفقه فإن منزلته أرفع، وهذا كحال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكحال الإمام الشافعي والإمام مالك وغير هؤلاء ممن جمعوا بين السنن والآثار، وبين الفقه والفَهم في أحكام الشريعة.

وفي حديث أبي موسىٰ الأشعري في "الصحيحين": قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ **بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ الْأَرْضَ، فَكَانَتْ مِنْهُ طَائِفَةٌ قَبِلَتْ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ **بِهَا نَاسًا فَشَرِبُوا فَرَعَوْا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَسْقَوْا، وَأَصَابَتْ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى. إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ** عَزَّوَجَلَّ **وَنَفَعَهُ اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ **بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، وَنَفَعَ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ. وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ** عَزَّوَجَلَّ **الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»، فالذي فَقُه في دين الله عَزَّوَجَلَّ منزلته أرفع كالأرض الطيبة جاءها الغيث: وهو الوحي أي العلم النافع، نزل العلم النافع علىٰ قلوبهم، فقلوبهم أرض كالأرض الطيبة، فاستنبطوا الفوائد الكثيرة والمسائل المتعددة بما عندهم من الفهم الثاقب، فَرُبَّ عالم يسمع حديثًا من أحاديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويستفيد منه فائدة، وآخر عشر فوائد، وآخر مائة فائدة وأكثر من ذلك علىٰ حسب ما أوتوه من الفهم، كالأرض الطيبة التي إذا جاءها المطر أخرجت الثمار، وهؤلاء إذا نزل العلم إلىٰ قلوبهم فإنهم يستنبطون الأحكام النافعة الفوائد الكثيرة، وينتفع الناس بهم انتفاعًا عظيمًا.

وهناك من الناس من هو صاحب حفظ من غير فهم، ما عنده فهم وفقه لأدلة النصوص كالأجادب التي أمسكت الماء فانتفع الناس بما أمسكوه كالحُفاظ الذين حفظوا السُنة فانتفع الناس بحفظهم، وكما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»، فكانوا أداة لغيرهم، وهذا موجود في حُفاظ الإسلام ممن حفظوا النصوص وبلغوها إلىٰ غيرهم، وإن لم يكن لهم الباع الكبير في الفقه في النصوص؛ لكن حصل منهم النفع، فحفظوا النصوص وانتفع الناس بما حَفظوا فانتفع الفقهاء بما بلغوه، فهم حفظوا العلم وبلغوه إلىٰ من هو أفقه منهم فانتفع بذلك الفقهاء وصنفوا الأحكام الكثيرة، وحصل بلك النفع الكثير.

فمن جمع بين العلم والفهم والفقه لأحكام الشريعة فمنزلته أرفع، ومن كان عنده مجرد الحفظ ففيه منفعة للناس وإن كان دون منفعة الصنف الأول، والناس يتفاوتون، ومن أعرض عن الدين بالكلية هذا الذي أضر نفسه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحث علىٰ التمسك بالسنن والآثار وعلىٰ الفقه.

قوله: (ودعوا كلام أهل الزيغ، أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلمنا وإياكم من كل هلكة): وهم عُلماء الكلام فإن علمهم ضرره أكثر من نفعه.

٦- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإياكم أن تكتبوا عن أحد من أصحاب الأهواء قليلًا ولا كثيرًا، عليكم بأصحاب الآثار والسنن).

وهذا كما عرفنا هو الأصل إلا ما دعت إليه الضرورة كما عرفناه في مسألة حفظ الدين، وإلا الأصل: أن الإنسان يبتعد عن أهل البدع والأهواء علىٰ ما سبق إيضاحه.

٧- قال علي بن حرب الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَنْ قَدَرَ أَلَّا يَكْتُبَ الْحَدِيثَ إِلَّا عَنْ صَاحِبِ سُنَّةٍ، فَإِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ، وكُلُّ صَاحِبِ هَوًى يَكْذِبُ وَلَا يُبَالِي)، وهذا القول كما قال الخطيب البغدادي في الكفاية مرويٌّ عن طائفة من السلف.



فالكذب كثير في أهل الأهواء فإن صاحب الهوىٰ ربما يُريد أن ينتصر لمذهبه ولو بالكذب، هذا موجود في كثير من أهل الأهواء، بل موجود حتىٰ فيمن دخل هوىٰ التعصب المذهبي في قلبه، فكيف بالأهواء المتعلقة بالعقائد فإنها أشد، فكم كذب الكاذبون في هوىٰ التعصب والتقليد لبعض أصحاب المذاهب؟! كما قال بعض الحنفية: (إن النبي ﷺ قال: سيأتي رجل في آخر الزمان يُقال له: محمد بن إدريس، هو أضر علىٰ أمتي من إبليس، وأبو حنيفة سُراج أمتي، سراج أمتي، سراج أمتي)، هذا كذب واضح بيِّن فما الذي دفعهم إلىٰ هذا الكذب؟ الجواب: التعصب الأعمىٰ



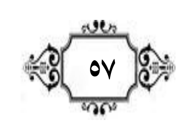

والتقليد الأعمىٰ، فمحمد بن إدريس الشافعي أضر علىٰ الأمة من إبليس!، هذا غاية في البغي وفجور عظيم، الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نصر الله عَزَّوَجَلَّ به السُنة، وقمع الله عَزَّوَجَلَّ به البدعة، وله المكانة الرفيعة عند علماء السُنة، وكان الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعظمه ويدعو له وهو من مشايخ الإمام أحمد، وكان يحضر مجالس الإمام الشافعي ويدعو له، وهذا يقول: (أضر علىٰ أمتي من إبليس! وأبو حنيفة سراج أمتي، سراج أمتي، سراج أمتي!).

علىٰ كلٍ: الهوىٰ قد يجرُ العبد إلىٰ الكذب علىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقوله: (**مَنْ قَدَرَ أَلَّا يَكْتُبَ الْحَدِيثَ إِلَّا عَنْ صَاحِبِ سُنَّةٍ، فَإِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ، وكُلُّ صَاحِبِ هَوًىٰ يَكْذِبُ وَلَا يُبَالِي**): فهذا أمر مشتهر فيهم وليس هو علىٰ سبيل العموم، فهناك من أهل الأهواء من عُرِفَ بالصدق والتحري، وقد روىٰ أئمة السُنة عن كثير من أهل الأهواء، وهذا موجود في "صحيح البخاري" و"صحيح الإمام مسلم"، وفي كتب المسانيد والسنن والمعاجم رووا عن جماعة من القدرية، ومن المُرجئة ومن غير هؤلاء ممن عرفوا بالصدق في الحديث، توفرت فيهم شروط الصحة فرووا عنهم أحاديث متعددة.

٨- وقال الإمام يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحدًا مِن أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

في هذه الأزمان التي تغيرت فيها الأحوال صار من يشتم عثمان موصوف بالإمامة ويُعظَم عند كثير من الطوائف، ويُذبُ عنه أشد من الذب عن الصحابة الكرام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، كالشأن في سيد قُطب تكلم في عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالكلام الذي لا يليق في كتابه "العدالة الاجتماعية" وهو كتاب الظُلم، بغىٰ علىٰ عُثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في كتابه وذكر: (أنه كانت أسوأ مُصادفة حصلت في التاريخ هي تأخير علي وتقديم



عُثمان، وهو شيخ ضعيف ما عنده قدرة لأمور الحُكم، ولو شاء حُسن الطالع: أن يتقدم علي بعد الشيخين لاستمرت تقاليد الإسلام)، والمعنىٰ: أنه تغيرت تقاليد الإسلام بهذا الأمر الذي انعكس فيما يزعم، (ولكن غير ما كان من طمس روح الإسلام)، يعني: لمَّا تولىٰ عثمان الخلافة حصل طمس في نور الإسلام، فيتكلم بهذا الكلام القبيح السيء في أمير المؤمنين في الخليفة الراشد في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كانت تستحي منه الملائكة، وكان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يستحي منه كما تستحي الملائكة منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، زوجه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بابنتيه، واتفق المسلمون علىٰ توليته الخلافة، وأنه أفضل من بقىٰ، وكان الناس يُخيرون بين أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيقدمون: أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان ولا يُنكر عليهم ذلك، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ**»، وحفرهُ عثمان، «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ**»، فجهزه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكم له من الفضائل والمناقب الكثيرة.

والسيد قُطب أيضًا: يرىٰ أن الثورة التي حصلت علىٰ عثمان أنها أقرب إلىٰ روح الإسلام واتجاهه من موقف عثمان، هكذا يقول في "العدالة الاجتماعية"، ثورة الخوارج الذين ثاروا علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتلوه ظُلمًا وبغيًا أنهم أقرب إلىٰ روح الإسلام من خلافة عثمان.

علىٰ كلٍ: هذا كلام أئمة السلف فيمن يشتم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحدًا مِن أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)**، هكذا يقول يحيىٰ بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ.

فائدة:

ابن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أئمة الحديث وحفاظه، وفي ابن عون قال هذا الشاعر:

خُذُوا عَن مَالكٍ وَعن ابن عونٍ ... وَلا تَرووا أحاديث ابن دابِ.

الشرح:

ابن عون هو: عَبْدُ اللهِ بنُ عَوْنِ بن أَرْطَبَانَ الْمُزَنِيُّ.

وابن داب هو أَبُو الْوَلِيدِ عِيسَىٰ بْنُ يَزِيدَ بْنِ بَكْرِ بْنِ دَابٍ الْمَدِينِيُّ كان أخبارياً لكنَّه ساقط الرواية، واتهم بوضع الحديث.

وهذه الأبيات لابْنِ مَنَاذِرَ وتمامها:

وَمَنْ يَبْغِ الْوَصَاةَ فَإِنَّ عِنْدِي ... وَصَاةً لِلْكُهُولِ وَلِلشَّبَابِ

خُذُوا عَنْ مَالِكٍ وَعَنِ ابْنِ عَوْنٍ ... وَلا تَرْوُوا أَحَادِيثَ ابْنِ دَابِ



قال وفقه الله:

ما يحتاج إليه طالب العلم:

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنبأنا أَبُو بَكْرٍ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأُشْنَانِيُّ[1]، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ: مُحَمَّدَ بْنَ يَعْقُوبَ الْأَصَمَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: **(يَحْتَاجُ طَالِبُ الْعِلْمِ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: أَوَّلُهَا: طُولُ الْعُمُرِ، وَالثَّانِيَةُ: سَعَةُ الْيَدِ، وَالثَّالِثَةُ الذَّكَاءُ)**، قُلْتُ: أَمَا طُولُ الْعُمُرِ، فَإِنَّمَا قَصَدَ بِهِ: دَوَامَ الْمُلَازَمَةِ لِلْعِلْمِ، وَأَرَادَ بِسَعَةِ الْيَدِ: أَنْ لَا يَشْتَغِلَ بِالِاحْتِرَافِ، وَطَلَبِ التَّكَسُّبِ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْقَنَاعَةَ أَغْنَتْهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ)[2].

---

(١) ثقة نيسابوري كما في "توضيح المشتبه" (٣/ ١٧٩) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) "الفقيه والمتفقه" رقم الأثر (٨٣٨) بإسناد صحيح، ط. ابن الجوزي.

الشرح:

هذه نصيحة عظيمة من هذا الإمام فطالب العلم يحتاج إلىٰ ثلاث خصال:

الأولى: طول العمر أي في تحصيله، والعلم إن أعطيتك كلك أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك لم يعطك شيئًا، والعلم بحر يحتاج في قطعه إلىٰ زمن طويل.

الثانية: سعة اليد، وذلك أنَّ التكسب يشغل العبد عن كثير من العلم.

الثالثة: الذكاء، فالذكي يفهم العلوم ويحفظها في أقرب وقت بعكس الغبي فلا يكاد يدرك العلم إلَّا بجهد جهيد.

وقد أحسن أبو المعالي الجويني حين قال:



أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إلَّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَنْ مَكْنُونِهَا بِبَيَانِ

ذَكَاءٍ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ وَبُلْغَةٍ ... وَإِرْشَادِ أُسْتَاذٍ وَطُولِ زَمَانِ

وهنالك من جعلها لغيره لكن رواه الخطيب في تاريخه بإسناده إلىٰ الجويني.

قال وفقه الله:

العناية بالآثار:

١- قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْأَزْهَرِيُّ، نا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَانَ الْعُكْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ يَعْقُوبَ أَبُو الْقَاسِمِ، نا أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ، نا ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، يَقُولُ: **(مَا قَلَّتِ الْآثَارِ فِي قَوْمٍ إِلَّا كَثُرَتْ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ)**[(١)].

٢- وقال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ)[(٢)].

٣- وقال هبة الله بن الحسن الشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) "الفقيه والمتفقه" رقم الأثر (٨٣٥) بإسناد صحيح ط. ابن الجوزي.

(٢) " الفقيه والمتفقه" رقم الأثر (٤٩٩) ط. ابن الجوزي.




وَمن تَركَ الآثار ضَلَّلَ سَعيه   وَهل يتركُ الآثارَ مَن كان مُسلمًا![1]

٤- قال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِنَّمَا العِلمُ بالْآثَار**)[2].

٥- وقال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وعليك بالآثار، وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس)[3].

الشرح:

١- قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْأَزْهَرِيُّ، نا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَانَ الْعُكْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ يَعْقُوبَ أَبُو الْقَاسِمِ، نا أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ، نا ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، يَقُولُ: (**مَا قَلَّتِ الْآثَارِ فِي قَوْمٍ إِلَّا كَثُرَتْ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ**).

هذا كلام حق فإنَّ الأهواء خلاف السنة والآثار فإذا كثرت الآثار فرت البدعة، وإذا قَلَّتِ الآثار كثرت البدع، ولهذا تجدون البدع منتشرة في أوساط من قلة معرفة بالآثار، وأمَّا من كان عالمـاً بالآثار فلا تكاد تأتي منه بدعة، وتأملوا في أئمة الحديث وفي علماء الكلام وأهل الرأي فإنَّكم تجدون البدع ظهرت في أهل الكلام والرأي دون أهل الحديث والأثر.



٢- وقال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ).

وهذا كلام صحيح فإن من ترك الآثار وقع في الجهل ومن وقع في الجهل هلك في أودية الباطل.

---

(١) "قرة عين المحتاج شرح صحيح الإمام مسلم ابن الحجاج" (٢/ ٥٤٣) ط. ابن الجوزي.

(٢) "الحلية" لأبي نعيم برقم (٩١٤٤).

(٣) "شرح السنة" الفقرة (١١٧).

٣- وقال هبة الله بن الحسن الشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمن تَركَ الآثار ضَلَّلَ سَعيه وَهل يتركُ الآثارَ مَن كان مُسلمًا!

وذلك لأنَّ الإسلام مبني علىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وعلىٰ سنة رسوله الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فمن ترك السُنة بالكلية وكذب بها ولم يعمل بها ولم يحتج بها فهذا ليس مُسلمًا، ولا يُمكن أن يستقيم الإسلام إلا بسنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والسنة مُبينة للقرآن، مُبينة لمجمله فلا يُمكن للعبد أن يأخذ بالقرآن من غير السُنة.

٤- قال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِنَّمَا العِلمُ بالْآثَار)**.

هذا هو العلم النافع، وغير الآثار إنما هي جهالات وإن ظنها أهلُها من العلم فهذا الظن من جهلهم.

٥- وقال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعليك بالآثار، وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس)**.

والمراد بهم: أهل السنة فهم أهل الآثار، وهم الذين يُعظمون الآثار ويحرصون عليها، ويتفقهون بها، ويتمسكون بها.






قال وفقه الله:

الاجتهاد في تحصيل العلم:

١- قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (علينا جميعًا أن نتواصى بتقوى الله والجدِّ والاجتهاد في تحصيل العلم فهو سبيل النجاة في هذا الزمان، وهو الذي نستطيعُ بهِ أن نُميِّزَ بين المُحقِّ والمُبطل وبين الهدى والضلال، فعلينا أن نتزودَ من العلم من العلم النافع وأن نحرص على اقتناءِ كُتبِ السلف)[١].

٢- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه[٢]: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: (**لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ**).

٣- قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أمَّا الذي لا يعرف قدر العلم أو يعرفهُ ثُمَّ لا يجتهدُ في تحصيلهِ فهو في الليل نَؤُومٌ أو كسولٌ مع القيلِ والقالِ، وفي المتنزهات ليس له مقصدٌ إلا أن يُرَفِّهُ عن نفسه يصدق عليه قول الشاعر:

إذا كان يؤذيكَ حرُّ المصيف ... وكربُ الخريفِ وبردُ الشتا
ويُلهيكَ حُسنُ زمـانِ الربيع ... فَأَخذُكَ للعلِمِ قُـلْ لي مَتَى[٣]



٤- قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهل تَتَحققُ عبَادَة الله الَّتِي هِيَ حَقه على الْعباد كلِّهم إلا بِالْعلمِ وَهل ينَالُ الْعلمِ إلا بِطَلَبِهِ)[٤].

٥- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا ينَال الْعلم إلا بهجر اللَّذَّات وتطليق الرَّاحَة، وَمن آثر الرَّاحَة فَاتَتْهُ الرَّاحَة، فَمَا لصَاحب اللَّذَّات وَمَا لدرجة وراثة الأنبياء:

---

(١) "غارة الأشرطة" (١/ ١٠٧) ط. صنعاء الأثرية.
(٢) "مسلم" (١٣٨٩).
(٣) "المخرج من الفتنة" (ص ١٩٣) ط. صنعاء الأثرية.
(٤) "مفتاح دار السعادة" (١/ ٤٨١).

فدع عَنْك الْكِتَابَة لست مِنْهَا ... وَلَو سودت وَجهك بالمدادِ[1]

٦- وقال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يحثُّ طالبَ العلمِ على الاجتهاد في الطلب: (وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَرِيصًا على التعليم مُوَاظِبًا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا حضرًا وسفرًا وَلَا يُذْهِبُ مِنْ أَوْقَاتِهِ شَيْئًا فِي غَيْرِ الْعِلْمِ إلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ لِأَكْلٍ وَنَوْمٍ قَدْرًا لا بدُ مِنهُ وَنَحوهُمَا كاستِراحةٍ يَسيرة لإزالة الْمَلَلِ وَشِبْهِ ذَلِكَ مِنْ الضَّرُورِيَّاتِ)[2].

الشرح:

١- قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (علينا جميعًا أن نتواصى بتقوى الله والجدِّ والاجتهاد في تحصيل العلم فهو سبيل النجاة في هذا الزمان، وهو الذي نستطيعُ بهِ أن نُميِّزَ بين المُحقِّ والمُبطل وبين الهدى والضلال، فعلينا أن نتزودَ من العلم من العلم النافع وأن نحرص على اقتناءِ كُتبِ السلف).

قوله: **(علينا جميعًا أن نتواصىٰ بتقوىٰ الله والجدِّ والاجتهاد في تحصيل العلم فهو سبيل النجاة في هذا الزمان)**: نعم، في هذا الزمن وفي سائر الأزمان، العلم هو سبيل النجاة؛ وذلك لأن العلم نور، فإذا كان الإنسان في سيره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ما عنده النور تخبط في ظُلمات الجهل ووقع في شِباك أهل البدع، وزلَّ في الفتن، فلا يُمكن للسائر في الظُلمات أن يسير إلا بنور وإلا ما استقام سيره، والله يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

والجهل ظُلمات، وأعظم الجهل: جهل الكافرين والمشركين: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾

---

(١) "المصدر السابق" (١/ ٤٤٦).

(٢) "المجموع" (١/ ٦٨).




[النور:٤٠]، فالذي يسير إلىٰ ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فإنَّه يسير في شيء من الظلمات فيحتاج إلىٰ نور، فهناك ظُلمات الجهل بأنواعها: ظلمة الشرك، وظلمة الكفر، وظلمة البدع والأهواء فإذا سار الإنسان من غير نور العلم فإنه لا يسير سيرًا صحيحًا، كالسائر في الظُلمة الحسية من غير مِصباح لا يستطيع أن يسير سيرًا صحيحًا، فإنَّه يسير ويقع تارة في حفرة، وتارة يصطدم بشجرة أو بحجرة أو بجدار وربما ضلَّ الطريق إذا ما عنده نور، وهكذا الذي يسير إلىٰ ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وما عنده نور العلم فتارة يقع في بدعة، وتارة يقع في بعض الذنوب بين كبائر وصغائر وربما زلَّ في الشرك والكفر والعياذ بالله؛ بسبب جهله.



قوله: **(وهو الذي نستطيعُ بِهِ أن نُميَّزَ بين المُحقِّ والمُبطل وبين الهدىٰ والضلال)**: نعم، فالعلم يحصل به التمييز بين المُحق والمُبطل، وبعض الناس يقول: التبست علينا الأمور، فما نعرف المُحق من المُبطل؟ وهذا إنما أُتيَّ من جهله، ولو تعلم العلم لتبينت له الأمور ولعرف المُحق من المُبطل، فالبلاء من جهة نفسه؛ بسبب إعراضه عن العلم، فالعلم هو النور الذي نستطيع به أن نُميز بين المُحق والمُبطل وبين الهُدىٰ والضلال.

قوله: **(فعلينا أن نتزودَ من العلم من العلم النافع وأن نحرص علىٰ اقتناءِ كُتُبِ السلف)**: انتهىٰ كلام العلامة الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ.

٢- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: (**لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ**).

قال الشاعر:

لا تحسبَ المجد تمرًا أنـتَ آكلـهُ — لن تبلغَ المجـد حتـىٰ تلعـق الصـبِرا

فلا ينال الإنسان المُكرمات إلا بعد الشدائد؛ ولهذا يقول: (**لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ**)، وهذه المقولة اشتهرت اشتهارًا كبيرًا وسطرها العُلماء في مُصنفاتهم من كلام يحيىٰ بن أبي كثير.

وأوردها الإمام مسلم في "صحيحه" في أحاديث المواقيت، فذكر جملة من أحاديث المواقيت في صحيحه، ثم ساق بإسناده إلىٰ يحيىٰ بن أبي كثير وذكر هذه المقولة: (**لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ**)، فاستغرب كثير من العلماء، ما مُناسبة هذا الأثر في باب المواقيت؟! ولِما ذكر الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأثر في باب المواقيت ولا علاقة له بالمواقيت لا من قريب ولا من بعيد؟!

فقال بعض العلماء كالقاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ **استنباطًا منه**: إن الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أورد هذا الأثر؛ لبيان أن ما ذكره من طُرق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في المواقيت لا يُنال براحة الجسم وإنما بالجهد والاجتهاد، فإنه ساق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في المواقيت من طُرق كثيرة جمعها من أوجه كثيرة مع ما فيها من الألفاظ وما فيها من الفوائد، فجمعها جمعًا حسنًا فاستحسن من نفسه هذا الصنيع الذي قام به، وأراد أن يُبين أن مثل هذا العلم ومثل هذا الخير لا يناله الشخص في راحة الجسم، فأورد هذا الأثر؛ ليبين مثل هذا الأمر: أن الإنسان لا ينال

مثل هذا الخير ومثل هذه العلم ومثل هذه الفائدة إلا بعد الجد والاجتهاد، وإلا فإن الأثر كما عرفنا ليس له علاقة بالمواقيت.

يقو إبراهيم الحربي، الإمام المشهور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أجمع عقلاء كل أمة: أن النعيم لا يُعدرك بالنِعم، ومن آثر الراحة فاتته الراحة**)، هذا بإجماع العقلاء في كل أمة من الأمم، النعيم لا يُدرك بالنِعم لا بد من شيء من التعب؛ فلا ينال الإنسان النِعم العظيمة إلا بعد التعب والجِد والاجتهاد، سواءً ما كان من أمور الدنيا أو أمور الآخرة، وأعظم النعيم هو نعيم الجنة، وهل ينال العبد نعيم الجنة بالتوسع في النِعم؟ الجواب: لا يُنال نعيم الجنة إلا بالجد والاجتهاد: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء:١٩]، ليس أي سعي، السعي الذي تستحقه: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد:٢١]، وقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:١٣٣]، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، فلا بد من الجد والاجتهاد، فأعظم نعيم هو نعيم الجنة، ولا ينال العبد نعيم الجنة إلا بالجد والاجتهاد في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن آثر الراحة في أول حياته فإن الراحة الحقيقية تفوته، ولا ينال المُكرمات، ومن أتعب نفسه في مبدأ عُمرهِ فإنما يُتعب نفسه ليستريح، ولا راحة للعبد إلا إذا كان من أهل الجنة هناك الراحة، وإلا فالدنيا دار ابتلاء وامتحان، فمن آثر الراحة فإنها تفوته الراحة الحقيقة.

فعلى كل: من أراد العلم فعليه بالجد والاجتهاد ولا يؤثر الراحة، ولا يؤثر النِعم والتنعم: (**لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ**)، ومن قرأ في تراجم من مضىٰ من أئمة السلف وجد العجب العُجاب، كيف صبروا في طلب العلم؟! وسافروا إلىٰ البُلدان البعيدة ومنهم من كان يُسافر علىٰ الأقدام يقطع المسافات البعيدة وما عنده مركوب،

فأحدنا ربما لو كُلِفَ أن يأتي علىٰ قدمه من أول مدينة إب إلىٰ آخرها ما جاء وترك طلب العلم، وأولئك كان أحدهم يذهب إلىٰ المسافات البعيدة، ويبقىٰ الأشهر الكثيرة في السفر ويمشي علىٰ قدمه، وربما يذهب زادهُ ويذهب الماء ويتعرض للهلاك ويُنجيه الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد حصلت لهم الأمور العجيبة في رحلتهم في طلب العلم، فصبروا وجدوا واجتهدوا فرفعهم الله عَزَّوَجَلَّ، وأعلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ شأنهم، وإذا ذُكِروا ذُكِروا بالجميل وبالترحم والثناء الحسن.

وكما قيل: (من كانت بدايته محرقة، كانت نهايته مشرقة).

٣- قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أمَّا الذي لا يعرف قدر العلم أو يعرفهُ ثُمَّ لا يجتهدُ في تحصيلهِ فهو في الليل نَؤُومٌ أو كسولٌ مع القيلِ والقالِ، وفي المتنزهات ليس له مقصدٌ إلا أن يُرَفِّهُ عن نفسه يصدق عليه قول الشاعر:

إذا كان يؤذيكَ حرُّ المصيف وكربُ الخريفِ وبردُ الشتا
ويُلهيكَ حُسنُ زمان الربيع فَأَخذُكَ للعلِم قُلْ لي مَتَى

فإذا كانت السنة بأكملها مع فصولها المختلفة لا تُناسبه في طلب العلم، فمتىٰ يطلب العلم إذًا؟!.

وهذه الأبيات لابن فارس النحوي، ساقها الحافظ ابن عساكر في "تاريخ دمشق" بإسناده إليه.




٤- قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهل تَتَحققُ عبَادَة الله الَّتِي هِيَ حَقه على الْعباد كلِّهم إلا بِالْعلمِ وَهل ينَالُ الْعلمِ إلا بِطَلَبِهِ).

والأمر كذلك، فعبادة الله عَزَّوَجَلَّ لا تحقق إلا بالعلم، ومن أراد أن يعبد الله عن جهل فلا يستطيع بل يضل، والعلم لا يُنال إلا بالطلب، فما يأتي العلم وينصب انصبابًا علىٰ قلبك وإنما يأتي بالطلب.

والذي ينزل علىٰ القلوب نزولاً من غير طلب هو الوحي الذي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أنبيائه ورسله، وأما غير الأنبياء والرُسل لا بد من جد واجتهاد في تحصيل العلم، ومن نظر ودراسة، ومن رحلة في طلب العلم، ومن مُذاكرة حتىٰ يثبت العلم ويزيد، فلا يُنال العلم إلا بالطلب والجد والاجتهاد.



٥- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا ينَال الْعلم إلا بهجر اللَّذَّات وتطليق الرَّاحَة، وَمن آثر الرَّاحَة فَاتَتْهُ الرَّاحَة، فَمَا لصَاحب اللَّذَّات وَمَا لدرجة وراثة الأنبياء:

فدع عَنْك الْكِتَابَةَ لست مِنْهَا   وَلَو سودت وَجهكَ بالمدادِ

هذا كلام حسن جميل فمن آثر الراحة فاتته الراحة، من آثر الراحة في الدنيا فاتته الراحة الحقيقية، فتفوته الراحة في الدنيا فإنَّ العلم يورث القلب طمأنينة وراحة وسعادة وحياة طيبة فيكون العبد في جنة قبل جنة الآخرة.

وهكذا تفوته الراحة في الآخرة، وذلك أنَّ الجنة لا يصل إليها العبد بعد فضل الله ورحمته إلَّا بالجد والاجتهاد في الخيرات.

٦- وقال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يحثُّ طالبَ العلمِ على الاجتهاد في الطلب: (وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَرِيصًا على التعليم مُوَاظِبًا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا حضرًا وسفرًا وَلَا يُذْهِبُ مِنْ أَوْقَاتِهِ شَيْئًا فِي غَيْرِ الْعِلْم إلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ لِأَكْلٍ وَنَوْمٍ قَدْرًا لا بدُ مِنهُ وَنَحوهُمَا كاستِراحةٍ يَسيرة لإزالة الْمَلَلِ وَشِبْهِ ذَلِكَ مِنْ الضَّرُورِيَّاتِ).

وهذا كان حال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكان في غاية الجد والاجتهاد.

وهكذا كان كثير من أهل العلم علىٰ ذلك، ولذلك لما يجدونه من لذة وسرور العلم، وكان بعضهم يأمر من يقرأ عليه عند دخوله الخلاء، ومنهم من يتداوىٰ من مرضه بقراءة العلم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "روضة المحبين" (ص: ٧٠):

وحدثني أخو شيخنا عبد الرحمن بن تيمية عن أبيه قال كان الجد إذا دخل الخلاء يقول لي: اقرأ في هذا الكتاب وارفع صوتك حتىٰ اسمع.

وأعرف من أصابه مرض من صداع وحمىٰ وكان الكتاب عند رأسه فإذا وجد إفاقة قرأ فيه فإذا غلب وضعه فدخل عليه الطبيب يومـًا وهو كذلك فقال: إن هذا لا يحل لك فإنك تعين علىٰ نفسك وتكون سببا لفوات مطلوبك.

وحدثني شيخنا قال: ابتدأني مرض فقال لي الطبيب إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض فقلت له لا أصبر علىٰ ذلك وأنا أحاكمك إلىٰ علمك أليست النفس إذا فرحت وسرت قويت الطبيعة فدفعت المرض فقال بلىٰ فقلت له فإن نفسي تسر بالعلم فتقوىٰ به الطبيعة فأجد راحة فقال هذا خارج عن علاجنا أو كما قال اهـ.



قال وفقه الله:

ضوابط في تلقي العلم:

١-.العلم النافع هو المبني على الدليل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلمُ معرفةُ الهدى بدليلِهِ ... ما ذاكَ والتقليدُ يستويان[١]

فائدة:

الفرق بين التقليد والاتباع:

التقليد معناهُ: (**الرجوعُ إلى قولٍ لا حُجَّةَ لقائلِهِ، والاتباع: ما ثبتَ عليه حُجَّةٌ**)[٢].

٢- أخذ العلم عن أهله.

٣- أخذ العلم وفِقَّ مفاهيم السلف.

٤- التواضع والصبرُ على الطلب.

كيفية الطلب:

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَن طَلبَ العلم جُملةً ذَهَبَ مَنهُ جُملةً، إنَّما كُنا نَطلبُ العِلم حديثًا وَحديثين)[٣].



الشرح:

(١) "النونية".

(٢) "إعلام الموقعين" (١/ ٤٦٤).

(٣) "تهذيب الكمال" (٨/ ٣٣١) ط. مؤسسة الرسالة.

١-.العلم النافع هو المبني على الدليل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلمُ معرفةُ الهدى بدليلِهِ ... ما ذاكَ والتقليدُ يستويان

هذا العلم النافع المبني على الدليل من كتاب الله أو من سنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وليس هو التقليد الأعمى، والمقُلد ليس بعالم باتفاق العلماء.

فائدة:

الفرق بين التقليد والاتباع:

التقليد معناهُ: (الرجوعُ إلى قولٍ لا حُجَّةَ لقائلهِ، والاتباع: ما ثبتَ عليه حُجَّةٌ).

نعم، هذا هو الفرق بين التقليد والاتباع، فأخذ قول القائل بغير حجة هذا هو التقليد، وأخذ قول القائل بحجة هذا هو الاتباع: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ [الأعراف:٣]، فمن أخذ قول القائل بغير حجة فقد قلده، ومن أخذ قوله بحجه فقد اتبع الحجة فهو متبع وليس بمقلد.

والأصل في التقليد: الحُرمة، وإنما يُباح إذا ما دعت إليه الضرورة، كما تُباح الميتة للمضطر، فقد يضطر للتقليد حتىٰ العالم المجتهد اضطرارًا، فمن اضطر إلىٰ التقليد جاز له أن يُقلد، ومن لم يضطر إليه فالأصل فيه الحرمة، الأصل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ [الأعراف:٣]، لكن قد يضطر الشخص إلىٰ التقليد، حتىٰ العالم قد يضطر إلىٰ ذلك فإن العالم لم يُحط بكل شيء علمًا، فقد تحصل للعالم حادثة في أثناء صلاته، وقد لا يكون بذل جهده في معرفة الحق في تلك المسألة ولا اجتهد فيها، فطرأت عليه في أثناء الصلاة، لكنَّه يعرف فيها مثلًا: مذهب الإمام أحمد، فيستحضر مذهب الإمام أحمد في تلك المسألة، وأن من حصل له كذا فالحكم فيها كذا، فمثل هذا لا يُقال له: التقليد في حقك مُحرم

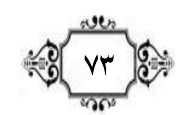



والواجب عليك أن تخرج من الصلاة وأن تجتهد في هذه المسألة، وأن تعرف الحق بدليله.

إذاً قد يضطر العالم للتقليد كضيق الوقت فلا يجد سعة للاجتهاد كأن تحصل له المسألة في صلاته، أو يكون في موطن ليس موطن للاجتهاد، وقد يكون في بعض الأسفار فتأتيه مسألة من المسائل أو تقع له حادثة من الحوادث والوقت ليس وقت اجتهاد وليس عنده كتب العلم حتىٰ ينظر في أقوال العلماء وفي أدلتهم ويبذل جهده حتىٰ يصل إلىٰ الصواب في تلك المسألة، وهو مع ذلك يعرف فتوىٰ بعض العلماء إما من التابعين أو من الأئمة الأربعة أو من غيرهم؛ فله أن يأخذ وأن يُقلد ذلك العالم؛ لأن الضرورة دعته إلىٰ التقليد، وإذا لم تدعه الضرورة فالواجب في حق العالم المجتهد الاجتهاد، وأن يتوصل إلىٰ الحق بعد أن يبذل جهده في النظر والتحري في تلك المسألة.



وهكذا قد يحتاج الشخص إلىٰ التقليد إذا كان من عامة الناس، فيُقلد بعض العلماء الموثوق بعلمهم، كما قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل:٤٣]، والمسألة المسؤول عنها قد يكون فيها دليل ظاهر من كتاب الله أو من سنة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيفتيه العالم ويذكر له الدليل فيفهمها العامي فيكون متبعًا للدليل، فإذا ما ذُكِرت له المسألة بالدليل فإنه يفهم الأمر فيصير متبعًا في هذه الصورة، لكن هناك من المسائل هي من الأمور المستنبطة وليست فيها أدلة ظاهرة، فإذا ما ذُكِرت للعامي أو لم تُذكر له لا يفهم، وربما إذا ذُكِرت له الأدلة المستنبطة حصل له التشكك في الفتوىٰ، فهنا قد يُحتاج العامي إلىٰ التقليد المحض يُفتىٰ له في تلك المسألة ويقال له هذا مما يجوز أو مما لا يجوز من غير أن يُذكر له الدليل؛ لأنه من الأدلة المستنبطة، والدليل المستنبط إذا ذَكِرَ للعامي ربما يصير له فتنة، كأن تقول له: الشيء الفلاني حرام والدليل كذا وكذا، فهو لا يفهم الدليل، فيقول: إذا كان هذا هو



الدليل علىٰ أنه حرام؟ إذًا فليس بحرام؛ لأنه لا يفهم الدليل ولا يعرف كيف يستدل العلماء، فلا يعلم الاستدلال بعموم الألفاظ، ولا يعلم غير ذلك من أمور الاستنباطات التي يذكرها العلماء، فهو يُريد النص الصريح، مثلًا: إذا جئت له إلىٰ القات وقلت له: القات مُحرم، يُريد آية أن الله قال: القات مُحرم، أو حديث أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: القات حرام لا تأكلوه، يُريد مثل هذا، فإن ذُكِرت له أدلة ليست من هذا القبيل وفيها نوع استنباط ربما لا يفهم ويقول: إذًا هو حلال، فلا توجد آية ولا حديث أن الله أو رسوله ﷺ قال: القات حرام.

فبعض الأمور التي هي من قبيل الاستنباط قد لا تذكر للعامي؛ لأنه لا يفهم الحجة، وربما إذا ذُكِرت له وقع في الحرام؛ لأنه ما فَهِم وجه الاحتجاج بتلك الحجة، فما كان من الأدلة الظاهرة فينبغي أن تُذكر له الحجة الظاهرة حتىٰ يأخذ الحُكم بدليله، وما كان من الأمور المستنبطة والأمور الاجتهادية والتي فيها نوع خفاء فلا يُفصل للعامي فيها؛ لأنه لا يفهم مثل هذه الأمور.

فعلىٰ كل: قد يحتاج الجاهل إلىٰ التقليد فيقلد العالم الموثوق بعلمه، فالأصل في التقليد: هو الحرمة إلا ما دعت إليه الضرورة، هذا هو الذي دلت عليه الأدلة كقوله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣]، وغير ذلك من الأدلة الواردة في الباب.

وكان الشيخ مُقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: **(من يقلدني فهو ساقط)**، وهكذا تكلم سائر أئمة السلف من الأئمة الأربعة عن تقليدهم فحذروا من ذلك، وقد ذكر العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مقدمة الصفة" عدة أقوال لأئمة الإسلام في التحذير من التقليد، فحذروا الناس من تقليدهم ورَبوا الناس علىٰ اتباع أدلة الكتاب والسنة.

وهذا الذي كان يُربي الشيخ مُقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلابه عليه كما ربىٰ من مضىٰ من أئمة الإسلام طلابهم.




وقد تربىٰ طلاب الشيخ رحمه الله علىٰ نبذ التقليد إلىٰ أن جاءت الفتنة القريبة فتنة أصحاب "الإبانة"، وإذا بمحمد الإمام يقول: (**إذا رأيتم قولي يُخالف قول المشايخ فخذوا بقول المشايخ**)، وهذا هو عين التقليد، والواجب إذا خالف قوله قول المشايخ هو الرد إلىٰ الكتاب والسنة، لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورىٰ:١٠]، فإذا حصل الاختلاف فالمرد إلىٰ الكتاب والسنة.

وفي حديث العرباض بن سارية: قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، فهذا الذي دلت عليه الأدلة، فما يصح أن يُقال: (**إذا رأيتم قولي يُخالف قول المشايخ فخذوا بقول المشايخ!**)، فهذا هو التقليد الذي جاءت الأدلة بالنهي عنه.



وهناك من كان يستعمل التقليد استعمالًا سيئًا كأبي الحسن في أيام فتنته كان ينهىٰ عن التقليد؛ لكن كلمة حق أُريد بها باطل، يُحذر من التقليد في أيام فتنته، واتركوا التقليد، وكذا وكذا، لا تقلدوا فلانًا، ولا تقلدوا فلانًا ممن ردَّ عليه، والذين ردوا عليه في أيام فتنته لم يردوا عليه بالهوىٰ، وإنما ردوا عليه بالحجج الظاهرة البينة، فذكروا أقواله وما فيها من الباطل، وهو يقول ويُخاطب طُلاب العلم: لا تقلدوا فلانًا، ولا تقلدوا فلانًا وهو يُريد أن يبعدهم عن الحجج، وهذا الذي حذر منه ليس بتقليد فالذين أخذوا بقول الشيخ الفلاني والشيخ الفلاني ممن ردَّ عليه من علماء السنة فهم لم يأخذوا قوله من غير حجة، وذاك العالم ما تكلم بالهوىٰ وإنما تكلم بالحجج الظاهرة، فيقولون: قُلتَ في كتاب كذا: كذا وكذا، وقُلتَ في شريط كذا: كذا وكذا، فيذكرون قوله وما فيه من الباطل وهو يُسمي هذا تقليدًا ويقول: اتركوا التقليد ولا



تقلدوا فلانًا، والحُكم لكم يا طُلاب العلم، فيجعل طُلاب العلم حُكماء علىٰ مشايخ السنة وعلىٰ كبار علماء السنة في تلك الفتنة.

وكل هذا من استعمال التقليد علىٰ غير معناه الصحيح؛ لأن علماء السنة ولا سيما في هذا البلد تربوا علىٰ يد شيخهم الشيخ: مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ التنفير من التقليد، وكرهوا التقليد، فاستغل هذه الكلمة وأراد أن ينفرهم عن الحق وعن قبول كلام العلماء وحجج العلماء بأن هذا من قبيل التقليد؛ وذلك لشدة نفورهم من التقليد، فاستعمل التقليد في غير محله من أجل أن يصرف الناس عن الحجج وعن البراهين.

فكل هذا من الباطل: أن يُسمىٰ الأخذ بالحجج تقليداً، أو أن يُدعىٰ الناس إلىٰ التقليد.

فمحمد الإمام كما سبق يقول: (**إذا رأيتم قولي يُخالف قول المشايخ فخذوا بقول المشايخ**)، طيب والمشايخ هؤلاء ألهم العصمة؟! فلو كانوا هؤلاء المشايخ هم الأئمة الأربعة، فهل إجماع الأئمة الأربعة يُعتد به ويدخل في الإجماع الشرعي؟ الجواب: لا يدخل في الإجماع الشرعي، ولو كانوا من فقهاء المدينة السبعة، واتفق فقهاء المدينة السبعة علىٰ أمر هل هو إجماع لا يجوز أن يُخالف؟ الجواب: ليس بإجماع ويجوز أن يُخالف إذا كان الدليل بخلاف قولهم، فإذا كان الأمر كذلك في هؤلاء الأئمة فكيف بمن هم دون هؤلاء بمئات المراحل.

وهذا يقول: (**اتركوا قولي وخذوا بقول المشايخ**)، نعم هذه تربية خلفية وليست بتربية سلفية، التربية السلفية: هي الرجوع إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإلىٰ سنة الخلفاء الراشدين؛ كما قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».




٢- أخذ العلم عن أهله.

وأهل العلم: هم العلماء، فلا يؤخذ العلم عن الجاهلين، وإنما يؤخذ عن أهل العلم وعن المتمكنين في العلم، سواءً كانوا في مرتبة العلماء أو كانوا من طُلاب العلم المتمكنين في فن من الفنون أو في عدة فنون، فيؤخذ العلم عنهم ولا يؤخذ العلم عن أهل البدع والأهواء علىٰ ما سبق إيضاحه فيما مضىٰ، وقد مرت معنا هذه المسألة عند كلام ابن سيرين وغيره: (**إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ**).

٣- أخذ العلم وِفقَّ مفاهيم السلف.

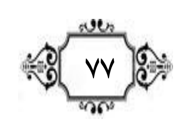
فلا ينفرد الإنسان بفهمه، ولا يقول قولًا ليس له فيه إمام، وقد كان يقول هذه المقولة إمام أهل السنة: أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: "لا تقل قولًا ليس لك فيه سلف" فيقول هذه المقولة مع سعة علمه، فكيف بمن جاء بعده؟ وكيف بمن هو دون الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمراحل، فلا ينفرد الإنسان بنفسه، ولا يأتي بمقولة إلا وله فيها سلف، إما من الصحابة وإما من التابعين أو من جاء بعدهم.



٤- التواضع والصبرُ على الطلب.

فالتواضع لا بد منه فإنه لا ينال العلم مستكبر، ولا مستحي، وكما قلنا فيما مضىٰ: العلم مثله النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالغيث النازل من السماء، والغيث كما هو معلوم يستقر في الأودية ويتجاوز الجبال، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ﴾ [الرعد:١٧]، **فالوحي**: هو الماء النازل من السماء، **والأودية**: هي قلوب الناس.

وإذا نزل الماء من السماء إلىٰ الأودية فكلٌ بقدره، فالأودية الواسعة تحمل الماء الكثير، والأودية الضيقة تحمل من الماء علىٰ قدرها: ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧]، فالقلوب مثل هذه الأودية: واسعة وضيقة، فهناك قلوب واسعة تأخذ الشيء الكثير،



وقلوب ضيقة تأخذ من العلم علىٰ قدرها، فالسيل إذا نزل في الأودية صفىٰ الأودية، فيقذف السيل الزبد في نواحيه من العيدان وغيرها من أنواع القذر فهذا هو الزبد، وهكذا العلم إذا جاء إلىٰ القلوب يُزيل ما فيها من أمراض الشهوات وأمراض الشبهات فتبقىٰ القلوب صافية بنور العلم.

الشاهد من هذا: أن العلم كالماء النازل من السماء والقلوب كالأودية، والماء يستقر في الأودية ويتجاوز الجبال، وهكذا العلم يتجاوز من كان في قلبه ترفع وتكبر ويستقر العلم في قلوب المتواضعين، فلا بد من التواضع، وكما قال وكيع فيما مضىٰ: (**لا يَنبُل الرجل حتىٰ يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه**)، فلا يَنبُل الشخص بالعلم إلا بالتواضع، كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ**»، وقال: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»، فلا بد من التواضع حتىٰ ينال الإنسان العلم، ولا بد من الصبر، فمن قبل صبره لا ينال العلم فإن العلم يحتاج إلىٰ مجاهدة شديدة ولا سيما في أول الطلب، فإنه يُحارب نفسه مُحاربة شديدة، ويُحارب هواه محاربة شديدة، وإذا ما لازم العبد العلم كان أشهىٰ له من مطعمه ومشربه؛ لكن في أول الأمر يحصل له ربما شيء من المشقة والتعب، ثم بعد ذلك يجد أنه لا راحة له إلا به، وإذا ابتعد عنه شَعَر بالضيق، فتضيق عليه الدنيا بما رَحُبَت.

كيفية الطلب:

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَن طَلَبَ العلم جُملةً ذَهَبَ مَنهُ جُملةً، إنَّما كُنا نَطلبُ العِلم حديثاً وَحديثين).

وجاء بنحوه عن الزهري فيما رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي، ورواه أيضًا غير الخطيب، فيقول الإمام الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ إِنْ**




أَخَذْتَهُ بِالْمُكَاثَرَةِ غَلَبَكَ وَلَمْ تَظْفَرْ مِنْهُ بِشَيْءٍ، وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي أَخْذًا رَفِيقًا تَظْفَرْ بِهِ)، فهذه هي نصيحة أئمة الإسلام في أخذ العلم، فما يؤخذ العلم بالمكاثرة، وأولئك قوم عندهم ما عندهم من سعة الحفظ، وكانوا من آيات الله عَزَّوَجَلَّ في الحفظ: كقتادة، والزُهري وغير هؤلاء من أئمة الإسلام عندهم الحفظ الواسع، وحفظنا بالنسبة إلىٰ حفظهم كلا شيء ومع هذه ينصحون بهذه النصيحة: أن العلم يأخذه الإنسان أخذًا رفيقًا فما يأخذ العلم بالمكاثرة، كأن يُريد أن يأخذ جميع العلم في وقت يسير، فإن العلم إن أراد أن يأخذه في وقت يسير غلبه، وكان نهاية أمره إلىٰ أنه يكره العلم وينقطع عن طلبه، وإنما عليه أن يأخذ العلم شيئًا يسيرًا فشيئًا يسيراً.

وقتادة هاهنا يقول: (**مَن طَلَبَ العلم جُملةً ذَهَبَ مَنهُ جُملةً، إنَّما كُنا نَطلبُ العِلم حديثًا وَحديثين**)، وهذا قوله لا لضعف حفظهم؛ لكن من أجل أن يرسخ العلم في قلوبهم، فإنَّ هؤلاء هم حُفاظ الإسلام.



وذكر الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "موطئه" بلاغًا إلىٰ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه أخذ سورة البقرة في ثمان سنين، وهذا من بلاغات الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكن جاء موصولًا عند ابن سعد في "الطبقات" من طريق أخرىٰ أصح من الطريقة السابقة، وفيه: أنه أخذ سورة البقرة في أربع سنين، وهي فترة طويلة.

قال أهل العلم: وليس المعنىٰ أنه كان رديء الحفظ، وإنما أولئك قوم أخذوا العلم والعمل، تعلموا العلم وفهموا ما يحفظونه وعملوا به، فما كان هم أولئك القوم مجرد الحفظ، بل كانت لهم همة أوسع من هذا، أرادوا أن يأخذوا: العلِم، والعمل، والفهم مرة واحدة، فلهذا طال بهم الوقت ومكثوا الوقت الطويل في حفظ بعض السور، وإلا فهم حُفاظ الإسلام سواءً كانوا من الصحابة أو ممن جاء بعدهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.



فهكذا العلم يؤخذ مع السنين والأيام شيئًا فشيئًا فلا يؤخذ بالمكاثرة، وإذا أُخِذَ شيئًا فشيئًا ثبت ورسخ في القلب، وإن أُخِذَ بالمكاثرة كما ذكر قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَن طَلَبَ العلم جُملةً ذَهَبَ مَنهُ جُملةً**)، ولا يُكلف الإنسان نفسه ما لا يُطيق، وينبغي للإنسان أن يأخذ نفسه بالسياسة، فإن حمَّل نفسه ما لا يُطيق أهلك نفسه وربما انقطع وكره العلم، فليحرص الإنسان علىٰ الخير في جميع أوقاته، وليس المعنىٰ: أن الإنسان يُضيع وقته فيما لا ينفع؛ لكنه لا يُحمِّل نفسه ما لا يُطيق، فربما يُريد أن يحفظ كذا وكذا في وقت يسير ويُجهد نفسه جُهدًا كبيرًا فوق طاقته، ويُريد أن يُتِم المحفوظ الفلاني في وقت معين ويحفظ الشيء الكثير، وتعسر عليه بعد ذلك المُراجعة، وكلما كَثُرَ الحِفظ صَعُبت المراجعة وثقُلَت، ثم يُصاب بالإحباط والتعب والإرهاق فيترك بعد ذلك الحفظ بالكلية، وإنما أُوتِيَّ من نفسه فلم يساير نفسه السيايسة الصحيحة، فاحفظ ما تستطيع أن تحفظه واتقن المحفوظ، وكرر المحفوظ ولو مكثت زمنًا طويلًا، المهم لا تنقطع، والناس يتفاوتون في الحفظ، فهناك من يستطيع أن يحفظ الشيء الكثير بسهولة، فيحفظ علىٰ قدر حفظه، وهناك حفظه أبطأ من ذلك فلا يُحمل نفسه ما لا يُطيق بل يُحمل نفسه الشيء الذي يستطيعه، فالعلم كما عرفنا لا يؤخذ بالمكاثرة وإنما شيئًا فشيئًا وتحصل البركة.



قال وفقه الله:

مُلازمة طالب العلم للأدب:

١- قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، أبنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، أبنا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، يَقُولُ: **(إِنَّ حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ، وَسَكِينَةٌ، وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِأَثَرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ)**[(١)].

٢- وقال مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ)[(٢)].

٣- وقال أبو أحمد الزبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكنت إذا جلست إلى شريك بن عبد الله رجعتُ وقد استفدت أدبًا حسنًا)**[(٣)].

٤- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أُمِرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه)[(٤)].

٥- قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يُبين آداب الطلب: (وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِلْعِلْمِ وَالْمُعَلِّمِ فَبِتَوَاضُعِهِ يَنَالُهُ: وَقَدْ أُمِرْنَا بِالتَّوَاضُعِ مُطْلَقًا فَهُنَا أَوْلَى)[(٥)].

٦- وكان شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (يُشترط في من يُريد أن يطلب العلم هاهنا -يعني في دار الحديث بدماج- أن يكون مُحبًا للعلم، مُحبًا للسُّنة مُلازمًا للأدب، وأن لا يكون حزبيًا).



الشرح:

---

(١) سنده صحيح انظر "المدخل" للبيهقي رقم (٥١٠).
(٢) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (ص٩) رقم الأثر (١١) ط. الكتب العلمية.
(٣) "تاريخ بغداد" ترجمة شريك بن عبد الله النخعي (٩/ ٢٨٣) ط. الكتب العلمية.
(٤) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (ص٨٨) و "تاريخ بعداد" (٩/ ٢٣).
(٥) "المجموع" (١/ ٦٦) ط. إحياء التُراث.

قوله: (**مُلازمة طالب العلم للأدب**).

وهذا مما ينبغي أن يتحلىٰ به طالب العلم، فلا بد أن يتحلىٰ بالأدب، وقد ألفَّ العلماء المصنفات الكثير في آداب طالب العلم فإن علم الشريعة من أشرف الأمور، فلا بد أن يتأدب الإنسان في طلبه للعلم بالآداب الشرعية، وهي الآداب المذكورة في كتاب الله وفي سنة النبي عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا أيضًا ما ذكره العلماء من الأخلاق والآداب الحسنة.

١ - قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، أبنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، أبنا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، يَقُولُ: (**إِنَّ حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ، وَسَكِينَةٌ، وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِأَثَرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ**).

لا بد علىٰ طالب العلم أن يكون له: وقار، وسكينة، وخشية من الله عَزَّوَجَلَّ بما عنده من العلم، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، فلا يكون صاحب طيش وسفه.

والعلم كما قال بعض أئمة السلف: (**هو خشة الله**)، هذا هو العلم النافع، وكان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ موصوفًا بذلك، فكان صاحب وقار وسكينة، وكان طُلابه يُجلونه ويوقرونه، حتىٰ قال قائلهم:

يدعُ الجواب فلا يُراجع هيبةً	**والسائلون نواكسُ الأذقانِ**
أَدَبُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلطان التُقىٰ	**فَهُوَ المُهابُ وليسَّ ذُا سُلطانِ**

هكذا كان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إن سُئِلَ عن شيء فترك الجواب وصمت ولم يُجب فلا يأتي السائل ويُعيد له المسألة من هيبته، ومن جاء يسأله فإنَّه ينكس ذقنه لهيبته.

فعلى كلٍ: لا بد من الوقار والسكينة والخشية، فيتحلىٰ طالب العلم بهذه الآداب وبغيرها مما ذكره العلماء.

٢- وقال مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ).

هذا كلام صحيح، فلا بد من مُراعاة الأدب والتحلي بالأخلاق الحسنة، فطالب العلم يحرص أن يتعلم أشرف العلوم وخير العلوم، لكن العلم إذا لم يُثمر العمل والأدب فهذا علم ما انتفع به صاحبه، فيتأدب طالب العلم الآداب الشرعية، ويكون عنده الوقار والسكينة والتواضع وسائر الأخلاق الحسنة التي أمر الله بها أو أمر بها رسوله الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خُلقه القرآن، وهذا الذي ينبغي لطالب العلم: أن يتخلق بأخلاق الإسلام فينتفع بعلمه.



٣- وقال أبو أحمد الزبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكنت إذا جلست إلى شريك بن عبد الله رجعتُ وقد استفدت أدبًا حسنًا)**.

العلماء مدرسة في كل شيء فمن جالسهم استفاد من علمهم الذي ينثرونه من أقوالهم، وستفيد من جالسهم من أدبهم، هكذا كان الأئمة والعلماء فيما مضىٰ، من جلس معهم استفاد من علمهم وأدبهم، وهذا هو العلم النافع الذي يؤثر علىٰ خُلق الشخص وعلىٰ أدبه.

٤- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أُمِرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه).

وهذا أيضًا من جُملة الآداب التي يتحلىٰ بها طالب العلم: يتواضع مع من يعلمه، وهو من التواضع للعلم: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ الله».

٥- قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يُبين آداب الطلب: (وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِلْعِلْمِ وَالْمُعَلِّمِ فَبِتَوَاضُعِهِ يَنَالُهُ: وَقَدْ أُمِرْنَا بِالتَّوَاضُعِ مُطْلَقًا فَهُنَا أَوْلَى).

والأمر كما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَدْ أُمِرْنَا بِالتَّوَاضُعِ مُطْلَقًا**)، كما دلت علىٰ ذلك الأدلة: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»، وقال: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ**»، فالتواضع في هذا المقام أمره أوكد، يتواضع للعلم ويتواضع لمن يقوم بتعليمه، وبهذا كما ذكر الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُنال العلم، فلا ينال العلم من كان في نفسه شيء من الأنفة والكِبر والتعالي، فالذي لا يتواضع للعلم فإنه يبقىٰ علىٰ جهله ويبقىٰ علىٰ ذُل الجهل طول حياته.

٦- وكان شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (يُشترط في من يُريد أن يطلب العلم هاهنا – يعني في دار الحديث بدماج- أن يكون مُحبًا للعلم مُحبًا للسُّنة مُلازمًا للأدب، وأن لا يكون حزبيًا).

هذه شروط القبول عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أن يكون مُحبًا للعلم**)، فمن كان مُبغضًا للعلم أنىٰ له أن يتعلم وهو يكره العلم!.

وقوله: (**مُحبًا للسنة**): لا يكون مُعاديًا للسُنة مُبغضًا لها فهذا ربما يُفسد في دور العلم ويحصل منه الضرر.

قوله: (**مُلازمًا للأدب**): ومن أجل هذا ذكر المؤلف كلام الشيخ مُقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإنه في مبحث مُلازمة طالب العلم الأدب، فقال: (**مُلازمًا للأدب**)، فيتأدب مع مُعلمه، ويتأدب أيضًا مع إخوانه فالأدب مطلوب في كل شيء.

قوله: (**وألا يكون حزبيًا**): فبقاء الحزبي علىٰ جهله أحسن، فإنه إن تعلمَّ وازداد علمًا ازداد إضلالًا للخلق، فيبقىٰ علىٰ جهله حتىٰ يقل أتباعه هذا أحسن من أن ينال العلم ويستعمل العلم في إضلال الناس وفي بث الشبهات في أوساطهم فتعظم فتنته.




قال وفقه الله:

حث طالب العلم على القناعة:

١- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي شُرَحْبِيلُ وَهُوَ ابْنُ شَرِيكٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»[1].

٢- وقال عُتبة بن غزوان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (**وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا**)[2].

٣- وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ «**لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ، مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ**»[3].

٤- قال الإمام ابن أبي شيبه في "مصنفه": حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ هَذَا الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ**»[4].

٥- وكان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:

هيَّ القنـاعة لا أرضى بها بدلًا   فيها النعيمُ وفيها راحــةُ البدنِ

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها   هل فاز منها بغير اللحد والكفنِ



(١) "صحيح مسلم مع شرح النووي" (٢٤٢٣).

(٢) "صحيح مسلم مع شرح النووي" (٧٣٦٣).

(٣) " صحيح مسلم مع شرح النووي " (٧٣٨٥).

(٤) "المصنف" برقم (٣٤٨٠٢) ط. الكتب العلمية، بسند صحيح.

٦- قال مُعاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (فمن جعل الله غناهُ في قلبه فقد أفلح، ومن لا فليست بنافعتهِ دنياهُ)[١].

٧- قال أبو بكر -وهو الخطيب البغدادي-: (**إِذَا كَانَ الطَّالِبُ لِلْحَدِيثِ عَزَبًا فَآثَرَ الطَّلَبَ عَلَى الِاحْتِرَافِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَوِّضُهُ وَيَأْتِيهِ بِالرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**)[٢].

٨- وقال أيضًا: (**وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْحَالِ الصَّعْبَةِ إِلَّا مَنْ آثَرَ الْعِلْمَ عَلَى مَا عَدَاهُ، وَرَضِيَ بِهِ عِوَضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ**)[٣].

الشرح:

قوله: (حث طالب العلم على القناعة).

من كان عنده القناعة بيسير الدنيا فيقنع بما فتح الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليه ويسر الله له من أمر الدنيا اتجهت نفسه إلىٰ الإكثار من العلم، وإن كانت نفسه ليس عندها قناعة بل هو متشوف لأمور الدنيا فإنه يُقبل علىٰ الدنيا ويُضيع العلم، فقناعة النفس هي الغنىٰ، فمن كانت عنده القناعة فإنه يرضىٰ باليسير ويهتم بأمر آخرته، والمراد بالقناعة القناعة في أمر الدنيا وليس القناعة بالعلم، فلا يكون عنده قناعة في العلم بمعنىٰ: أنه يكتفي بالشيء اليسير منه؛ ليس هذا بصحيح، بل في باب العلم: «**مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ**»، فلا يكون عنده قناعة بما عنده بل يطلب المزيد والمزيد إلىٰ أن يأتيه الموت، فتكون نفسه متطلعة لما هو أعظم في أمر العلم وفي أمر العمل الصالح، لكن المراد هاهنا بالقناعة: القناعة في الدنيا، فيرضىٰ بما يسر الله له ويُقبل علىٰ العلم وعلىٰ أمر آخرته.



---

(١) "الأحكام في أصول الأحكام" (ص٨٤٥).

(٢) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (ص٢٤).

(٣) "المصدر السابق" (ص٢٦).

١- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي شُرَحْبِيلُ وَهُوَ ابْنُ شَرِيكٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**».

هذا هو المُفلح الذي مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليه بالإسلام ورُزِقَ الكفاف أي ما يحصل له به الكفاية، أي ما يكفيه ويكفي من يعول، فهذا هو الخير، فإن الازدياد من الدنيا مُضر في الغالب ولا ينجو إلا من نجاه الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وقد قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**هَلَكَ الْمُكْثِرُونَ**»، فالذي يُكثر من الدنيا فإنه يهلك، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ [العلق:٦-٧]، أي إن رأىٰ نفسه غنيًا فإنه يطغىٰ ويتجاوز الحد في معصية الله، فالمال إذا ما كثر إما أن يطغىٰ العبد أو يلهيه، فالمال إما أن يُطغي وإما أن يُلهي، فأقل ما في الأمر أن يُلهيه عن كثير من الخير، فإن حصل الطغيان فهذه مُصيبة وخسارة في الدنيا والآخرة، وإن حصل الالتهاء به أيضًا هذا مُضِر، والالتهاء بالمال قد يُنسي الآخرة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢﴾ [التكاثر:١-٢]، أي: بالأموال والأولاد ونحو ذلك من متاع الدنيا فأصيبوا بغفلة؛ بسبب الالتهاء بالتكاثر، فيُريد الواحد منهم أن يكون أكثر من غيره في المال والولد ونحو ذلك ويحصل التنافس في الدنيا، ويبقىٰ الإنسان في غفلة عن آخرته ويستيقظ وهو من أهل القبور، فالدنيا إن كثرت فإنها تضر من حيث الغالب إلا من تخلص منها بوجوه الخير، كما في حديث أبي سعيد المشهور الذي في "الصحيحين": لمَّا قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا**»، قَالُوا: وَمَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**بَرَكَاتُ الْأَرْضِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ قَالَ: «**لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، لَا يَأْتِي الْخَيْرُ**



إِلَّا بِالْخَيْرِ، لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، إِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرِ، فَإِنَّهَا تَأْكُلُ، حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ وَبَالَتْ وَثَلَطَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ».

والمعنىٰ: أن من جمع الدنيا ولم يهتدِ إلىٰ إخراجها فإنه يهلك كالبهيمة التي جاءت إلىٰ العُشب في جانبي الربيع -النهر الصغير الجاري-، فإن العشب ينبت في جانبي النهر الجاري نباتًا حسنًا فتُقبل الماشية علىٰ ذلك العشب وتأكل منه بشره، وتأكل حتىٰ تمتد خاصرتاها، وتكاد أن تموت من الحبط، فإن لم تحتل بإخراج ما جمعت هلكت، فقال: «إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرِ، فَإِنَّهَا تَأْكُلُ، حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ»، حتىٰ تدخل الحرارة إلىٰ جوفها فتستطيع أن تتخلص مما في جوفها، «اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ وَبَالَتْ وَثَلَطَتْ»، أخرجت ما في جوفها وإلا هلكت، وهكذا الذي يجمع الدنيا ويستكثر من الدنيا ولا يخرج هذه الدنيا في مرضات الله عَزَّوَجَلَّ بل كان جموعًا منوعًا فإنه هالك: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾ [المعارج:١٥-١٨]، فهذا هلاك.

فالكفاف خير للعبد من الغنىٰ وهذا من حيث الغالب، والفقر قد يضر، والغنىٰ قد يضر، والكفاف هو أكمل الأمور، وإلا فإنَّ الإنسان ربما بسبب فقره يقع فيما يقع مما لا يُرضي الله عَزَّوَجَلَّ، غير أنَّ صلاح الناس بالفقر أغلب من صلاحهم بالغنىٰ؛ ولهذا أتباع الرُسل هم الفقراء وضعفاء الناس فهم أقرب إلىٰ الخير من أغنيائهم، وقد قال هرقل لأبي سفيان: «وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ»، لكن مع هذا فإنَّ الكفاف هو الأحسن؛ ولهذا




قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»، وهذا هو حقيقة الغنىٰ، فالغنىٰ غنىٰ النفس كما أخبرنا بذلك نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وليس الغنىٰ عن كثر العرض، الإنسان قد يكثر ماله وهو في فقر، فقره بين عينيه، وكلما ازداد مالًا ازداد فقرًا، إذا لم توجد القناعة في النفوس.

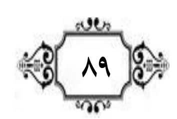
٢- وقال عُتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فهذا هو طعامهم وهم خير الناس بعد الأنبياء والرُسل عليهم الصلاة والسلام، ومعهم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خير الرُسل وأكرم الخلق علىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم في جهاد في سبيل الله ويأكلون أوراق الشجر من شدة ما بهم من الحاجة، وصبروا علىٰ ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.



٣- وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ «**لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ، مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ**».

الدقل: هو رديء التمر، وكان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتقلب ظهرًا لبطن؛ من شدة ما به من الجوع، ويربط في بطنه الحجر والحجرين من شدة الجوع وهو أكرم الخلق علىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومع هذا فكان يُصيبه الجوع إلىٰ هذا الحال، وربما الواحد منَّا لم تمر به هذه الحال مُنذ أن ولِد إلىٰ يومه هذا، وبعض الناس ربما إذا أُصيب بهذا الأمر خرج من الإسلام وباع دينه بعرض من الدنيا قليل، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو خير الخلق كان صابرًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ هذه الحال، ولو دعا ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لفتح عليه الدنيا؛ لكنه ما أرادها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



وما شاهد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعينه شاةً مشوية، -أي: التي تشوىٰ علىٰ جلدها علىٰ هذه الصفة-، ولا أكل خُبزًا مرققًا حتىٰ جاءهُ الموت عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٤- قال الإمام ابن أبي شيبه في "مصنفه": حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ هَذَا الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ**».

وهذا الحديث حديث أبي موسىٰ الأشعري اختلف في رفعه ووقفه، ورجح الحافظ الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "العلل" الوقف؛ لكن له حُكم الرفع؛ فإنه يتحدث عن أمر غيبي: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ هَذَا الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ**».

٥- وكان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:

هيَّ القنـاعة لا أرضى بها بدلًا ... فيها النعيمُ وفيها راحــةُ البدنِ

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل فاز منها بغير اللحد والكفنِ.



وهذه **عِبرة**: الغني والفقير يخرج من الدنيا باللحد والكفن، أغنىٰ الخلق وأفقر الخلق، فلا يخرج الغني بماله من الدنيا، ولا يخرج الفقير بشيء من المال هم علىٰ حدٍ سواء ما لهما إلا الكفن والقبر، الغني والفقير في ذلك مستويان.

والشخص ربما ينشغل بأمر الدنيا انشغالًا كبيرًا، ويجمع من الدنيا الشيء الكثير وهو لا ينتفع من الدنيا إلا بالشيء اليسير: في مطعمه، وفي مشربه، وفي ملبسه، وفي مسكنه؛ وإنما يجمع لغيره، فالناس ربما يفتحون التجارات الواسعة والأموال الطائلة وما يأكل منها إلا الشيء اليسير، ويترك المال لغيره من الورثة، والورثة إن كانوا علىٰ نفس حاله فهذا حالهم: يجمعون ويجمعون ولا ينتفعون إلَّا بالشيء اليسير ويتركون أكثر المال لمن يأتي بعدهم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.




فالعاقل يهتم بأمر آخرته ويأخذ من الدنيا ما يكفيه لا ما يُطغيه، ويُقدم لآخرته فهذا هو المال النافع الذي قدمه لآخرته:

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل فاز منها بغير اللحد والكفنِ

نعم، جمع كما قلنا المال لغيره، وإلا هو ينتفع بالشيء اليسير منه: في مطعمه، وفي مشربه، وفي ملبسه، وفي مركبه، وفي مسكنه، وذاك المال أشغله عن آخرته في ليله وفي نهاره، ويبقىٰ مُعذبًا في دنياه بهذا المال، مشغولاً في نهاره وإذا جاء الليل فهو في هم وغم قد شغله ماله، وهو بذلك يُريد الراحة وإنما الراحة بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ ليست بالمال، الراحة بذكر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وبمجالس العلم فإنها مجالس تَنزلها السكينة، وتغشاها الرحمة، وتحفها الملائكة.

فالراحة في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ والإقبال عليه، أما الإقبال علىٰ الدنيا فإنه مرض وقلق في النفس، ولا توجد السكينة بل تكثر الهموم والغموم، فمن اقترب من الدنيا آذته وأهمته وأقلقته، ومن اقترب من الآخرة انشرح صدره وزال همه وغمه وعاش في جنة في الدنيا قبل جنة الآخرة وهذا يكفيه إن كان عاقلاً.

وهذه موعظة للعبد في أمر الدنيا: وهي أن الإنسان كلما أقبل علىٰ الدنيا وعلىٰ حبِّ الدنيا فإنَّا تؤذيه علىٰ قدر محبته لها وإقباله عليها فلا تُكرمه؛ بل تؤذيه أشد الأذىٰ، فعلىٰ العبد أن يقبل علىٰ آخرته ويأخذ من الدنيا ما يحتاج إليه، وليجعل الدنيا مركبًا له ولا تركب عليه الدنيا فيصير مركوبًا لها.

٦- قال مُعاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (فمن جعل الله غناهُ في قلبه فقد أفلح، ومن لا فليست بنافعتهِ دنياهُ).

ومصداق ذلك ما رواه الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا**



وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ».

٧- قال أبو بكر -وهو الخطيب البغدادي-: (إِذَا كَانَ الطَّالِبُ لِلْحَدِيثِ عَزَبًا فَآثَرَ الطَّلَبَ عَلَى الِاحْتِرَافِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَوِّضُهُ وَيَأْتِيهِ بِالرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).

ومصداق ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

٨- وقال أيضًا: (وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْحَالِ الصَّعْبَةِ إِلَّا مَنْ آثَرَ الْعِلْمَ عَلَى مَا عَدَاهُ، وَرَضِيَ بِهِ عِوَضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ).

صدق رحمه الله فمن ذاق لذه العلم وجرىٰ العلم في أحشائه واعتاض به عن كل ما سواه صبر علىٰ نيله وتحصيله وتحمل من أجله المشاق والمتاعب، ومَنْ عَرَفَ قَدْرَ مَطْلُوبِهِ هَانَ عَلَيْهِ مَا يَبْذُلُ فِيهِ.

قال وفقه الله:

البعد عما يشغل عن طلب العلم:

قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(طلبُ العلم يُعتبر سببًا من الأسباب فعليك أن تعتمد على الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، وأن تبتعد عن الوظائف التي تُبعدك عن طَلَبِ العِلْمِ وتُقسيّ قلبك)**[1].

الشرح:

صدق رحمه الله فطلب العلم من أعظم أسباب الرزق ومصداق ذلك ما رواه الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) "المُصارعة" (ص١٥١) ط. صنعاء الأثرية.

فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ».

قال وفقه الله:

ما يمنع العلم ويذهب ببركته:

١- قال مُجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ**)[١].

٢- قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**للعلم آفات كثيرة فأعظمُها: الاستنكاف وثمرته الجهلُ والذِلةُ في الدنيا والآخرة**)[٢].

٣- وقال الشيخ المحدث الناصح الأمين سيف السنة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله: (**الاستمرارُ في العلم والجدُّ من فيه بركةٌ، والانقطاع عنهُ مذهبٌ لبركة العلم، ومِن أشدِّ ما يُذهِبُ بركة العلم: البدع، والتحزب، والإقبال على الدنيا**)[٣].

الشرح:



في أثر مجاهد: (**لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ**): وقد سبق الكلام فيما مضىٰ علىٰ معنىٰ ذلك.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ: الْمُتَوَاضِعُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ الْمُنْخَفِضَ أَكْثَرُ الْبِقَاعِ مَاءً.

وَقَدْ نَظَمَ هَذَا أَبُو عَامِرٍ النَّسَوِيُّ فَقَالَ:

الْعِلْـــــمُ يَـــــأْتِي كُـــــلَّ ذِي ... خَفْـــــضٍ وَيَـــــأْبَىٰ كُـــــلَّ آبِـــــي

---

(١) "صحيح البخاري" تعليقًا علىٰ كتاب العلم: باب الحياء من العلم، قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقول مجاهد هذا وصله أبو نعيم في الحلية من طريق علي بن المديني عن ابن عيينة، عن منصور عنه، وهو إسناد صحيح علىٰ شرط المصنف، "الفتح" (١/ ٣٠٢) ط. دار السلام.

(٢) "عُمدة القاري" (٢/ ٣١٧) ط. الكتب العلمية.

(٣) "شرح لامية ابن الوردي" (ص٧٣) ط. صنعاء الأثرية.

كَالْمَــاءِ يَنْــزِلُ فِــي الْوِهَــادِ   وَلَــيْسَ يَصْــعَدُ فِــي الرَّوَابِــي

وقول العيني: (للعلم آفات كثيرة فأعظمُها: الاستنكاف وثمرته الجهلُ والذِلةُ في الدنيا والآخرة): كذلك سبق بيان أنَّه لا ينال العلم مستحيي ولا متكبر، وقد بيَّن رحمه الله أنَّ ثمرة الاستنكاف عن العلم الجهل والذلة في الدنيا والآخرة.

وقال الأَصْمَعِيِّ رحمه الله: مَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ ذُلَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً بَقِيَ فِي ذُلِّ الْجَهْلِ أَبَدًا.

وقال آخر:

وَمَـنْ لَـمْ يَـذُقْ ذُلَّ الـتَّعَلُّمِ سَـاعَةً   تَجَـرَّعَ كَـأْسَ الْجَهْـلِ طُـولَ حَيَاتِـهِ

وَمَـنْ فَاتَـهُ التَّعْلِـيمُ وَقْـتَ شَـبَابِهِ   فَكَبِّــرْ عَلَيْــهِ أَرْبَعًــا لِوَفَاتِــهِ

قال وفقه الله:

طالبُ العلم يحرص على تدوين الفوائد:

١- قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَحْتَقِرَنَّ فَائِدَةً يَرَاهَا أَوْ يَسْمَعُهَا فِي أَيِّ فَنٍّ كَانَتْ بَلْ يُبَادِرُ إِلَى كِتَابَتِهَا ثُمَّ يُوَاظِبُ عَلَى مُطَالَعَةِ مَا كَتَبَهُ)[١].

فائدة:

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَالعِلْمُ بَحْرٌ بِلاَ سَاحِلٍ، وَهُوَ مُفَرَّقٌ فِي الأُمَّةِ، مَوْجُوْدٌ لِمَنِ التَمَسَهُ)[٢].

الشرح:

١- قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَحْتَقِرَنَّ فَائِدَةً يَرَاهَا أَوْ يَسْمَعُهَا فِي أَيِّ فَنٍّ كَانَتْ بَلْ يُبَادِرُ إِلَى كِتَابَتِهَا ثُمَّ يُوَاظِبُ عَلَى مُطَالَعَةِ مَا كَتَبَهُ).

(١) "المجموع للنووي" (١/ ٧٠) باب: آداب المتعلم ط. إحياء التراث.

(٢) "سير أعلام النبلاء" (١٢/ ٦٨)، قلت: فعجبًا لمن يحصر العلم والمرجعية في خمسة أو ستة، فاعتبروا يا أولي الألباب.

قوله: (وَلَا يَحْتَقِرَنَّ فَائِدَةً يَرَاهَا أَوْ يَسْمَعُهَا فِي أَيِّ فَنٍّ كَانَتْ بَلْ يُبَادِرُ إِلَىٰ كِتَابَتِهَا):
وهذه نصيحة نافعة من العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يتعلق بتدوين الفوائد، فالفوائد ثمارُ العلم تحتاج إلىٰ تدوين، ورُبَّ فائدة تمرُ بالإنسان ولا يحرص علىٰ تدوينها ثم يحتاج إليها في وقت من الأوقات فيندم غاية الندم علىٰ تفويتها، وربما يحتاج إليها ولا يصل إليها بعد ذلك إلا بعد جهد جهيد ومشقة كبيرة وهذا إن وصل، ولو دونها من أول الأمر لوصل إلىٰ مقصوده في أقرب طريق.

وهذا مما يجده الإنسان من نفسه: أنه إذا استهان ببعض الفوائد وما قام بتدوينها نَدِم، واحتاج بعد ذلك إلىٰ أن يُجهد نفسه في البحث حتىٰ يصل إلىٰ تلك الفائدة، وربما يصل إليها وربما لا يصل.

وما زال العلماء يسمعون هذا منذ الزمن القديم ويدونون الفوائد المختلفة والمتنوعة، ومنهم من أخرجها كتابًا ممن تقدم أو من المعاصرين كالعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "بدائع الفوائد"، وهي فوائد متنوعة جمعها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد طُبِعَ الكتاب في مجلدين، وهكذا العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغير هؤلاء من العلماء.

وأقل ما في الأمر إذا قرأ الإنسان في كتاب يُشير إلىٰ الفائدة في أول ورقة فارغة من أوراق الكتاب فيُشير إشارة ويكتب: (فائدة كذا في صفحة كذا، ومسألة كذا في صفحة كذا)، وهذا إن لم تكن له همة بتدوين الفائدة وبكتابتها فهذا أقل ما يفعل، وإن احتاج إليها بعد ذلك رجع إلىٰ ذلك الموضع، فلا يحتقر الشخص فائدة تمر به.

قوله: (ثُمَّ يُوَاظِبُ عَلَىٰ مُطَالَعَةِ مَا كَتَبَهُ): أي: من الفوائد، والإنسان قد يدون بعض الفوائد في سنوات متعددة، ثم إذا رجع إلىٰ ما كتبه استفاد وكأن بعض تلك الفوائد ما قرأها إلا تلك اللحظة وهو الذي دونها، فيهتم الإنسان بهذا الأمر.

فائدة:

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَالعِلْمُ بَحْرٌ بِلاَ سَاحِلٍ، وَهُوَ مُفرَّقٌ فِي الأُمَّةِ، مَوْجُوْدٌ لِمَنِ التَمَسَهُ).

قوله: (**فَالعِلْمُ بَحْرٌ بِلاَ سَاحِلٍ**): العلم بحر، والبحار لها سواحل لكن العلم بحر بلا ساحل، إذا دخله الإنسان فإنه لا يبلغ إلىٰ أقصىٰ العلم وإلىٰ منتهىٰ العلم.

قوله: (**وَهُوَ مُفَرَّقٌ فِي الأُمَّةِ، مَوْجُوْدٌ لِمَنِ التَمَسَهُ**): أي: العلم مُفرق في الأمة ليس مجموع في شخص واحد وإنما مُفرقٌ في الأمة، فذاك يعلم ما لا يعلمه فلان، وفلان يعلم ما لا يعلمه فلان، فليس بمجموع في شخص واحد من أتباع رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل هو مفرق في الأمة من التمس العلم علىٰ أيدي العلماء فإنه يصل إليه، وليس المعنىٰ أنه يُحيط بالعلم فلا يُمكن ذلك؛ فالعلم بحر بلا ساحل، وهو مفرق في الأمة موجود لمن التمسه.

قال وفقه الله:

طالب العلم يسلك سبيل أهل السنة:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ أَهْلِ السُّنَّةِ اسْتَقَامَ قَوْلُهُ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْتِدَالِ، وَإِلَّا حَصَلَ فِي جَهْلٍ وَكَذِبٍ وَتَنَاقُضٍ**)[1].

الشرح:

قوله: (**طالب العلم يسلك سبيل أهل السُّنة**).

وهذا هو التوفيق: أن يسلك سبيل أهل السنة، وهذا هو العلم النافع، وأما إذا سلك السُبل المتفرقة فإنه لا ينال العلم النافع وإنما يزيغ ويصير العلم وبالًا عليه، ويصير العلم حجةً عليه.

---

(١) "منهاج السنة" (٤/ ٣١٣) ط. دار الفضيلة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ أَهْلِ السُّنَّةِ اسْتَقَامَ قَوْلُهُ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْتِدَالِ، وَإِلَّا حَصَلَ فِي جَهْلٍ وَكَذِبٍ وَتَنَاقُضٍ).

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، فالباطل فيه التناقض والاختلاف، وأهل الباطل فيهم هذا الوصف، أما أهل الحق فهم متمسكون بالوحي بما جاء من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وما جاء من عند الله ليس فيه تناقض ولا اختلاف، بل الوحي متوافق لا اختلاف فيه سواءً كان كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلا يوجد فيه شيء من الاضطراب والتناقض.

يقول شيخ الإسلام: (**فَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ أَهْلِ السُّنَّةِ اسْتَقَامَ قَوْلُهُ**): باعتبار أن سبيل أهل السنة هو الكتاب والسنة، وما كان من عند الله ليس فيه تناقض ولا اختلاف.

وقوله: (**وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْتِدَالِ، وَإِلَّا حَصَلَ فِي جَهْلٍ وَكَذِبٍ وَتَنَاقُضٍ**): وهذا الذي عليه أهل البدع والأهواء، فيهم هذه الأوصاف: الجهل، والكذب، والتناقض، يتناقضون في أمور متعددة، ويضطربون اضطرابًا كبيرًا؛ لأنهم ما سلكوا سبيل الهُدىٰ، ما سلكوا سبيل أهل السنة والجماعة، فيقررون شيئًا ثم يقومون بنقضه ويقررون غيره، وليس هذا في مسائل اجتهادية ليس فيها نصوص شرعية، بل يتناقضون في أمور عِظام فيما يتعلق بأمور الاعتقاد، والسير الذي يسيرونه والنهج الذي ينتهجونه فيتناقضون فتارة في كذا، وتارة في كذا؛ لأنهم لم يسلكوا سبيل الحق سبيل أهل السنة والجماعة، وهذا موجود في أهل البدع والأهواء، فالناظر فيهم يجد العجائب من الأمور المتناقضة المضطربة التي لا تكاد تستقيم.

وقد يحصل للواحد منهم في بعض المؤلفات في الكتاب الواحد تناقضٌ؛ لأنه ليس مبنيًا علىٰ هُدىٰ، ليس مبنيًا علىٰ كتاب الله وسنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيُقرر شيئًا في أول الكتاب وينقض ما قرره في آخره، كما هو الشأن في أهل الكلام وفيما يقررونه من الأصول والقواعد النظرية التي يدعون أنها من المعقولات، فيضطربون اضطرابًا

عجيبًا حتىٰ في الكتاب الواحد يحصل لهم ما يحصل من الاضطراب؛ لأنهم في حيرة لا توجد طمأنينة في قلوبهم ولا استقرار في نفوسهم.

وهكذا غير هؤلاء من أهل البدع والأهواء أمورهم في غاية التناقض والاضطراب؛ لأنهم ما تمسكوا بالحق ولا تمسكوا بالوحي، وإنما اتبعوا أهواؤهم والأهواء مُضطربة.

قال وفقه الله:

طالب العلم لا يتكلم بغير علم:

١- قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، نا قَاسِمٌ، نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ نا سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، وَمَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: (**إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ تَقُولَ لِمَا لَا تَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ** ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦])[1].

٢- قال القاسم بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِأَنْ يَعِيشُ الرَّجُلُ جَاهِلا بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ حَقَّ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لا يَعْلَمُ**)[2].

٣- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا يُعِينَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ أَوْ أَدْخَلَ فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ**)[3].

٤- وقال العلامة ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والسُّنيُّ يؤمِنُ بآيات الله تعالى، وأحاديث رسول الله - ﷺ - من أول الأمر، ولا يقفُو ما ليس لَهُ به علمٌ**)[4].

الشرح:

---

(١) "جامع بيان العلم وفضله" برقم (١٥٥٩) بسند صحيح.

(٢) "تاريخ الإسلام" (٣/ ٣٢٩).

(٣) "مجموع الفتاوىٰ" (٣/ ٤٧٤) ط. مكتبة الرشيد.

(٤) "العواصم والقواصم" (٢/ ٢٩٨) ط. مؤسسة الرسالة.

١ - قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، نا قَاسِمٌ، نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ نا سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، وَمَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: (**إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ تَقُولَ لِمَا لَا تَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ** ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]).

وهذا هو الواجب علىٰ طالب العلم: أنه يتكلم بحدود ما يعلم، وما لا يعلم لا يتكلف القول فيه وليقل: (لا أعلم، أو لا أدري)، فإن القول علىٰ الله بغير علم من الكبائر العِظام، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، فذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مرتبة القول عليه بغير علم في أعلىٰ المراتب، وأعلىٰ المراتب في هذا الموضع هي شر المراتب.

ومن العلم: أن يقول الشخص: لا أدري فيما لا يدري.

وثبت عند الدارمي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (**إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْتَفْتُونَهُ فِيهِ مَجْنُونٌ**)، فهذا ليس عاقلًا فضلًا علىٰ أن يكون عالمًا، بل هو من جُملة المجانين؛ لأنه كلما سئل عن شيء أفتىٰ فيه، فهذا يقول ابن مسعود فيه: (**مَجْنُونٌ**)، وهذا ثابت بإسناد صحيح في "سُنن الدارمي"، فليس هذا دليل علىٰ سعة العلم، ولم يكن علىٰ هذا من مضىٰ من أئمة الإسلام الذين بلغوا من العلم المبلغ الواسع.

وقد ثبت عن شرحبيل الشعبي فيما رواه الدارمي وغيره بإسناد صحيح، قال: (**لَا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ**)، يعني: الذي فاته لا أدري فاته نصف العلم، فالعلم أدري ولا أدري، ينقسم إلىٰ هذين القسمين، وإذا قال الإنسان: لا أدري هذا عالم؛ لأنه عَلِمَ

جهله بالمسألة فقال: لا أدري، لكن الذي يُفتي بجهل يكون جاهلاً جهلًا مُركبًا، يعني: جَهِلَ الحُكم الشرعي وجَهِلَ أنه جاهل؛ ولهذا أفتىٰ فيما لا يعلم، لكن إذا قال: لا أدري فهو عالم بجهله في تلك المسألة فهو من جُملة العلماء.

وهكذا كان أئمة الإسلام من الصحابة ومن غيرهم، فقد جاء عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأسانيد لا تخلو من ضعف أنه كان يقول: (**مَا أَبْرَدَهَا عَلَى الْكَبِدِ، مَا أَبْرَدَهَا عَلَى الْكَبِدِ» فَقِيلَ لَهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: " أَنْ تَقُولَ لِلشَّيْءِ لَا تَعْلَمُهُ: اللهُ أَعْلَمُ**)، فيجد بردها علىٰ كبده رضي الله عنه.



ومعلوم ما حصل للإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ فإنَّه سئل عن ثمانية وأربعين مسألة من مسائل العلم وهو إمام دار الهجرة، فيقول في اثنتين وثلاثين مسألة: (**لا أدري**).

ويقول ابن وهب، وهو من طُلاب الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (لو كتبنا ما سُئِلَ عنه الإمام مالك فقال: لا أدري، لملأنا الألواح)، وهذا مع سعة علمه رَحِمَهُ اللَّهُ، ومعلوم من هو الإمام مالك ومع هذا كان يقول ويُكثر من قوله: لا أدري.

ومما يُذكر عنه رَحِمَهُ اللَّهُ، ما رواه عبد الرحمن بن مهدي فقال: (جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ جِئْتُكَ مِنْ مَسِيرَةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ حَمَّلَنِي أَهْلُ بَلَدِي مَسْأَلَةً أَسْأَلُكَ عَنْهَا، قَالَ: فَسَلْ، فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ «**لَا أُحْسِنُهَا**» قَالَ: فَبُهِتَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَىٰ مَنْ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، قَالَ فَقَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ أَقُولُ لِأَهْلِ بَلَدِتِي إِذَا رَجَعْتُ لَهُمْ؟ قَالَ: " تَقُولُ لَهُمْ: **قَالَ مَالِكٌ: لَا أُحْسِنُ** ")، فما كانوا يخجلون ولا يصيبهم الحياء من أن يقول قائلهم: (لا أدري- لا أُحسن)، في الشيء الذي لا يعلمه ولا يُحسنه.

فهؤلاء هم العلماء حقًا: الذين إن تكلموا تكلموا بعلم، وإن جهلوا اعترفوا بجهلهم، فهذا هو العلم النافع.





ووصايا السلف في ذلك كثيرة فيما يتعلق بهذا الباب، فالذي يُجيب عن كل شيء فهو كما قال عبد الله بن مسعود أنه مجنون، ليس من العقلاء فضلًا علىٰ أن يكون من العلماء.

٢- قال القاسم بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لِأَنْ يَعِيشُ الرَّجُلُ جَاهِلا بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ حَقَّ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لا يَعْلَمُ).

٣- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا يُعِينَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ أَوْ أَدْخَلَ فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ).

القول علىٰ الله بغير علم من الذنوب العظام، والواجب علىٰ الإنسان أن يتكلم بحدود ما يعلم.

٤- وقال العلامة ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والسُّنيُّ يؤمِنُ بآيات الله تعالى، وأحاديث رسول الله - ﷺ - من أول الأمر، ولا يقفُو ما ليس لَهُ به علمٌ).



فهذا هو السُّني الذي يتمسك بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وبأحاديث رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أول الأمر، فلا يُجادل لرد الأدلة فإن المجادلة بعد ظهور الأدلة مما تورث العمىٰ بعد الهدىٰ قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠]، فيُربيّ الإنسان نفسه علىٰ الانقياد للحق والاستسلام للأدلة من أول الأمر، ولا يُجادل في ردها، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد يُضله، فالواجب: هو الإيمان بالحق من أول ما يأتي وإلا يُخشىٰ علىٰ العبد العقوبة، بأن لا يعرف الحق بعد ذلك والعياذ بالله، فإن كثيرًا من أهل الباطل في أول الأمر كانوا يعرفون الباطل غير أنهم عاندوا الحق أول ما جاءهم مع معرفتهم للحق والباطل، ثم بعد ذلك قلبَّ الله عَزَّوَجَلَّ قلوبهم وأبصارهم فصاروا لا يعرفون الحق، وصار الذي في قلوبهم: أن ما هم فيه من الباطل هو الحق؛ ولهذا ربما الإنسان يُضحي

بنفسه من أجل الباطل، ويُضحي بماله من أجل الباطل، ويُضحي بولده من أجل الباطل؛ لأنه ما آمن بالحق أول ما جاء إليه، فبعد ذلك قلَّبَ الله عَزَّوَجَلَّ قلبه وبصره فلا يُشاهد إلا الباطل، ويظن بعد ذلك أنه هو الحق، وهو وقد حصلت له الهداية قبل ذلك، بمعنىٰ: حصل له البيان وعرف الحق والباطل لكنَّه استحب العمىٰ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧]، فحصلت لهم هداية الدلالة والإرشاد، وهكذا أهل الباطل تحصل لهم هذه الهداية، فيعاندون الحق فيطمس الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ قلوبهم والعياذ بالله.

فهذا الأمر من الأمور الخطيرة علىٰ القلوب وهو: رد الحق أول ما يأتي.

قال وفقه الله:



طالبُ العلم يصدع بالحق والسُّنة:

في ترجمة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من "سير أعلام النبلاء" قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالصَّدعُ بِالْحَقِّ عَظِيمٌ، يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ وَإِخْلَاصٍ، فَالْمُخْلِصُ بِلاَ قُوَّةٍ يَعجِزُ عَنِ القِيَامِ بِهِ، وَالقَوِيُّ بِلاَ إِخلاَصٍ يُخْذَلُ، فَمَنْ قَامَ بِهِمَا كَامِلًا، فَهُوَ صِدِّيْقٌ، وَمَنْ ضَعُفَ، فَلاَ أَقَلَّ مِنَ التَّأَلُّمِ وَالإِنكَارِ بِالقَلْبِ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ إِيْمَانٌ - فَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ)**[1].

الشرح:

قوله: (طالب العلم يصدع بالحق والسُّنة).

وهذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن يصدع بالحق والسُّنة، كما أن أهل الباطل يصدعون بباطلهم فأهل الحق يصدعون بما عندهم من الحق والغلبة

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (١١/ ٢٣٤) ط. مؤسسة الرسالة.

للحق: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ [الأنبياء:١٨]، وقوله: ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ أي: أنه يُزيل الباطل.

الطعنة التي في الرأس يُقال لها: **الدامغة**: وهي طعنة تصل إلىٰ غشاء الدماغ، وكانوا قديمًا يقولون: إن الطعنة إذا وصلت إلىٰ ذلك الغشاء فإن فيها الهلاك، فلا ينجو الشخص إذا بلغت فيه الطعنة إلىٰ ذلك الموضع، وأمَّا قبل ذلك فلربما يحصل له النجاة، فهكذا الحق يدمغ الباطل ويزيله ويهلكه، فالعلو للحق ولا بد من التصارع بين الحق والباطل فهذه سنة الله عَزَّوَجَلَّ في خلقه، لكن الغلبة للحق.

في ترجمة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من "سير أعلام النبلاء" قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالصَّدعُ بِالْحَقِّ عَظِيْمٌ، يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ وَإِخْلاَصٍ، فَالْمُخْلِصُ بِلاَ قُوَّةٍ يَعجِزُ عَنِ القِيَامِ بِهِ، وَالقَوِيُّ بِلاَ إِخلاَصٍ يُخْذَلُ، فَمَنْ قَامَ بِهِمَا كَامِلًا، فَهُوَ صِدِّيْقٌ، وَمَنْ ضَعُفَ، فَلاَ أَقَلَّ مِنَ التَّأَلُّمِ وَالإِنكَارِ بِالقَلْبِ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ إِيْمَانٌ - فَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ).



الذي يصدع بالحق يحتاج إلىٰ هذين الأمرين: القوة، والإخلاص.

فالصدع بالحق يحتاج إلىٰ قوة وإلىٰ إخلاص، قوة في القلب بحيث أنه لا يهاب الخلق في قيامه بالحق ويحتاج إلىٰ إخلاص وإلا فإنه يُخذل فلا تنفعه قوته إذا لم يكن عنده الإخلاص لربه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وما حصل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو من هذا القبيل، فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان عنده القوة بالحق وعنده الإخلاص فيما نحسبه والله حسيبه، فحصل له الظهور وأعلاه الله عَزَّوَجَلَّ ورفع الله عَزَّوَجَلَّ من شأنه، وكانت العاقبة الحميدة له رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقُمعت الجهمية بعد أن كانت لهم دولة، وزالت شوكة الجهمية بحول من الله وقوته، ونجىٰ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كيد الجهمية ورفع الله عَزَّوَجَلَّ من شأنه، وأذل الله عَزَّوَجَلَّ الجهمية.

وهكذا الأمر دُوَلٌ، وهذه سنة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتارة تحصل قوة للباطل، وتارة تحصل قوة للحق والعاقبة للمتقين، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، هذه سنة الله عَزَّوَجَلَّ فلا بد من المداولة، فإنَّه لو كانت الغلبة والظهور لأهل الحق باستمرار لدخل أهل الباطل في أهل الحق والتبست الأمور، ودخل أهل النفاق في أهل الإيمان وحصل ما حصل من الضرر، ولو كان الظهور غالبًا أو باستمرار للكفار فإن الحق يزول وينتهي بذلك، فمن حكمة الله عَزَّوَجَلَّ أن جعل الأمر دول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠].

فتأتي الفتن الشديدة ويحصل منها تنقية من الله عز جل لصفوف المؤمنين من المنافقين، فإن الفتن إذا اشتدت ظهر المنافقون وأعلنوا نفاقهم، أظهروا ما كانوا يخفونه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وكيف يميزّ الخبيث من الطيب؟ بالفتن والابتلاءات والمِحن، فيظهر المنافقون بنفاقهم ويظهر الصادقون بصدقهم، وسواءً كان فيما يتعلق بالإيمان والكفر أو فيما يتعلق بالحق والباطل عموماً فأهل الحق من أهل السنة الذين يذبون عن سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد يدخل فيهم من ليس منهم، ويكون فيه ما فيه من الشر والفساد والكيد للحق ولأهله، فإذا ما جاءت الفتن حصل التمييز فميزَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أهل الحق من أهل الباطل، وفي هذا التمييز يحصل فيه قوة لأهل الحق.

فالفتن يحصل فيها منفعة؛ ولهذا ما زال أهل السنة في فتنة بعد فتنة، ويحصل فيها ما يحصل من ظهور الحق، ومن قوة الحق، ومن الصفاء والنقاء بعكس أهل البدع، فأهل البدع لا يحصل في جانبهم الصفاء ولا النقاء، فهم في شر إلىٰ شر، وفي بلاء إلىٰ بلاء؛ ولهذا الذي ينظر إلىٰ أهل السنة من الجاهلين ويقول: في كل حين وأنتم في فتنة، وفي كل حين أنتم في فتنة.




ومن نظر إلىٰ هذا الأمر بمنظار آخر عَلِمَ أن هذه الفتن فيها ما فيها من المصلحة، فلله عَزَّوَجَلَّ فيها الحكمة البالغة من تصفية أهل الحق من أهل الباطل، وفي هذا ما فيه من قوة الحق وظهوره.

فعلىٰ كل: هذا مما لا بد منه، وهذه حكمة عظيمة من حِكم الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وتمييز الخبيث من الطيب مصلحة من المصالح العظيمة للإسلام والمسلمين.

قال وفقه الله:

فائدة في أثر النصيحة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى. وَقَدْ لَا يَنْقَلِعُ الْوَسَخُ إلَّا بِنَوْعِ مِنْ الْخُشُونَةِ؛ لَكِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ مِنْ النَّظَافَةِ وَالنُّعُومَةِ مَا نَحْمَدُ مَعَهُ ذَلِكَ التَّخْشِينَ)**.



الشرح:

وهذا كلام حسن جميل من شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بين فيه: أن المؤمن قد يحصل منه تخشين وشِدة علىٰ أخيه المؤمن، والغرض من ذلك: هو النظافة والطهارة، فهو يُريد بذلك أن يُزكي أخاه المسلم، يُريد أن يُطهر أخاه المسلم من الذنوب، والمعاصي، ومن البدع، ومن الأهواء فإذا ما زالت تلك الأمراض بالتخشين والشدة حصل الخير، فهناك من الناس من ينتفع بالموعظة الحسنة وبالكلام اللطيف، وهناك من الناس من لا ينتفع بالموعظة الحسنة فيحتاج إلىٰ شيء من الشدة فيرتدع، والطباع تختلف والناس يختلفون ما هم علىٰ حد سواء، نعم هناك من الناس من يحتاج إلىٰ مجرد تذكير فقط تُذكره فيتذكر وينتفع، وهناك من الناس من يحتاج إلىٰ عِلم، يعني: لا يعرف الحكم الشرعي في أمر من الأمور فيحتاج أن




يُعَلَّمَ أن هذا لا يجوز فيجتنب ذلك، فإذا قيل له: إن هذا لا يجوز والدليل كذا وكذا فإنه يبتعد مُباشرة، وذلك أنَّه وقع فيما وقع فيه بسبب الجهل، وهناك من يقع بسبب الغفلة فيحتاج إلىٰ تذكير، فمُجرد ما يُذكر إذا به تنقلع عنه الغفلة فيرجع إلىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهناك من الناس من يحتاج إلىٰ شدة في الكلام وإلىٰ إغلاظ وربما يحتاج إلىٰ هجر فما يزول عنه المرض إلا بهذا كالوسخ، والوسخ يختلف فهناك وسخ خفيف ربما بمجرد نفض اليد يزول كالغبار، وهناك وسخ يحتاج إلىٰ مجرد جريان الماء علىٰ ذلك الموضع فيزول، وهناك وسخ يحتاج إلىٰ شيء من الدلك واستعمال أنواع المنظفات والشدة في قلع ذلك الوسخ، وهكذا أحوال الناس تختلف.

فالإنسان يتحمل من أخيه النصيحة ولو كانت شديدة، فإن الحق يُقبل ولو جاء بأشد أنواع العبارات، ولو جاء من أهل العداوات فيقبل الحق ممن جاء به، ويُقبل النُصح ممن جاء به ولو كان بأشد العبارات أو كان من أهل العداوات، فيُربي الإنسان نفسه علىٰ هذا: أن يستسلم للحق وأن يقبل الحق ممن جاء به فيتواضع للحق ومن تواضع للحق رفعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.






قال وفقه الله:

فرح طالب العلم بالردود العلمية:

كُتبُ الردود العلمية فيها نصرٌ للحق، ونصرٌ للسنة، ودمغٌ للباطل وأهله، قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ [الأنبياء:١٨]، والقراءة في كُتب الردود تزيد العبد ثباتًا على الحق والسُنة، وطريق السلف.

١- لمَّا خرجت بعض كُتب الردود لشيخ الإسلام فرح بذلك وقال: (**وَخُرُوجُ الْكُتُبِ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ فَإِنِّي كُنْت حَرِيصًا عَلَى خُرُوجِ شَيْءٍ مِنْهَا، فَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْحَقَّ هَدَاهُ اللَّهُ؛ وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْبَاطِلَ قَامَتْ عَلَيْهِ حُجَّةُ اللَّهِ؛ وَاسْتَحَقَّ أَنْ يُذِلَّهُ اللَّهُ وَيُخْزِيَهُ**)[١].

٢- في ترجمة عبد الغني بن سعيد من السير قال عبد الغني: (**لمَا رددتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الحَاكِمِ الأَوهَامَ الَّتِي فِي "المدخلِ" بَعثَ إِليَّ يَشْكُرُنِي، وَيَدْعُو لِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ عَاقِلٌ**)[٢].

الشرح:

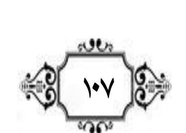
١- لمَّا خرجت بعض كُتب الردود لشيخ الإسلام فرح بذلك وقال: (وَخُرُوجُ الْكُتُبِ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ فَإِنِّي كُنْت حَرِيصًا عَلَى خُرُوجِ شَيْءٍ مِنْهَا، فَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْحَقَّ هَدَاهُ اللَّهُ؛ وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْبَاطِلَ قَامَتْ عَلَيْهِ حُجَّةُ اللَّهِ؛ وَاسْتَحَقَّ أَنْ يُذِلَّهُ اللَّهُ وَيُخْزِيَهُ).

الردود العلمية مما يفرح بها طالب العلم ويفرح بها العالم؛ لما فيها من نصرة الحق؛ ولما فيها من إبطال الباطل، فإن الرد علىٰ أهل البدع والأهواء وإبطال



(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٤/ ١٣٦).

(٢) "سير أعلام النبلاء" (١٧/ ٧٠).



المقالات المُحدثة من الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، فالجهاد يكون بالسيف والسنان، ويكون أيضًا بالحُجة والبيان.

فطالب العلم يفرح بذلك ولا ينفر منها، فإنه إن نفر منها خُشِيَّ عليه فإن الشيطان قد يأتي إلىٰ بعض الناس ويقذف في قلبه: أن الردود علىٰ أهل الباطل مضيعة للأوقات، ويقول: أشغل وقتي بالعلوم النافعة: بحفظ القرآن، ودراسة العلوم النافعة.

صحيح أن العبد يحتاج إلىٰ أن يُؤسس نفسه علىٰ العلوم النافعة، وعلىٰ مبادئ العلوم، وعلىٰ أصول العلوم؛ لكن يحتاج مع ذلك أن يعرف سبيل المُجرمين فإنه ربما يتعلم العلم ويقع في أحضان أهل البدع والأهواء إذا لم تكن عنده معرفة وتحصن: معرفة بكيد أهل البدع والأهواء، وبأساليبهم وطُرقهم وأنواع كيدهم فربما يقع في شِباكهم والعياذ بالله فيحتاج الشخص إلىٰ أن يتبصر في هذا الأمر وأن يقرأ في كُتب الردود علىٰ أهل البِدع والأهواء فإن البِدع يُشبه بعضها بعضًا كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٣]، فأهل الباطل تتشابه أقوالهم لتشابه قلوبهم، كما أن أهل الحق تتشابه أقوالهم لتشابه قلوبهم.

فيحتاج طالب العلم إلىٰ أن يقرأ في الردود العلمية في الرد علىٰ أهل البدع والأهواء؛ حتىٰ تحصل له البصيرة في الفتن، فإن الفتن لا تزال تأتي بين يديه.

والمتأمل في الفتن يجد أن فيها شيئًا من التشابه فالدندنة هي الدندنة والسير هو السير؛ لكن بأساليب فيها نوع اختلاف والمؤدىٰ واحد، فإذا كان طالب العلم عنده تبصر في هذه الأمور فإن الله عَزَّوَجَلَّ يُنجيه من الفتن والأهواء بإذنه.

وأهل البدع عندهم الحرص الشديد علىٰ جذب أهل السنة إليهم، فيكيدون من أجل ذلك في الليل والنهار وبكل ما يستطيعونه سواءً بأموالهم أو بشبهاتهم، ومن رأوا منه شيئاً من النبوغ والذكاء والحرص علىٰ العلم يحرصون عليه أشد من غيره، فيحتاج طالب العلم إلىٰ أن يتحصن.




وكتب الردود مثل: التلقيح يُتحصن بها من الأمراض، وهذه يتحصن بها من الفتن فيعرف بها مسالك أهل البدع والأهواء، وما هي طُرق أهل البدع والأهواء في الكيد بالدعوة السلفية وبأهل السنة، فينبغي لطالب العلم أن يجعل له شيئًا من الوقت ينظر في الفتن الماضية ويقرأ في كُتب العلماء وفي ردودهم علىٰ أهل البدع والأهواء، فإنها كما قلنا: الفتن يُشبه بعضها بعضًا، من تأمل في فتنة أبي الحسن ومن جاء بعده من الفتن يجدها متشابهة، فالسير هو السير والمنهج هو المنهج، والدندنة هي الدندنة، والسبيل هو السبيل، وإن وجِدَ شيء من الاختلاف اليسير.

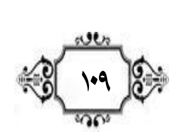
والتزهيد من كتب الردود سبيل غير صحيح، ففي فتنة أبي الحسن كان علماء أهل السنة يردون علىٰ أبي الحسن بالردود الكثيرة، وإذا ببعض المشايخ في اليمن من أصحاب "الإبانة" قبل أن يُسموا بذلك إذا بهم يُشددون في هذا الباب ويقولون: لا تقرؤوا الردود. فربوا طُلابهم علىٰ الابتعاد عن الردود، وهم في الحقيقة يبتعدون عن ردود العلماء ويسمعون إلىٰ أبي الحسن وإلىٰ شبهاته وإذا بهم ينجرفون إلىٰ فتنة أبي الحسن، فهم في الحقيقة إنما يمنعونهم من السماع لكلام أهل الحق ولردود العلماء ضد أبي الحسن، وآذانهم مع ذلك مفتوحة إلىٰ الجانب الآخر فتجتمع الشبهات في قلوبهم ولا يدخل الحق فيها؛ لأنهم أعرضوا عنه وابتعدوا عنه.



وفي فتنة أبي الحسن كم سقط من سقط بهذا الأسلوب، وجاءت فتنة الإبانة وساروا علىٰ نفس الطريق: لا تقرؤوا، احرصوا علىٰ العلم، تفرغوا للعلم.

مع أنَّ هذا علم عظيم: فكون الإنسان يعرف سبيل المجرمين، وسبيل أهل الحق هذا علم نافع يحمي الإنسان به نفسه من البدع والأهواء، ويستقيم سيره إلىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا من أعظم العلم.

وكثير من كُتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ من تأمل فيها وجدها كُتب ردود علىٰ أهل البدع والأهواء، كتاب "منهاج السنة النبوية" وكتاب "الرد علىٰ البكري"،



وكتاب "الرد علىٰ ابن العربي" وغير ذلك من الكتب الكثيرة، حتىٰ "الجواب الصحيح" هو رد علىٰ النصارىٰ، وكثير من كُتب شيخ الإسلام هي من هذا القبيل ردود علىٰ أهل البدع والأهواء، وفيها ما فيها من العلم النافع الغزير.

وكُتب الردود ليست مجرد كلام، بل فيها ما فيها من العلم الكثير، وفيها ما فيها من بيان العقيدة الصحيحة للسلف، وفيها ما فيها من التحذير من الباطل، والتحذير من أهل البدع والأهواء، فليست من كتب فلسفة، ولا كتب علماء الكلام، ولا كُتب منطق؛ هي كتب تُقرر عقيدة السلف: فيما يتعلق بالأسماء والصفات، فيما يتعلق بالإيمان، فيما يتعلق بالقدر، وغير ذلك من مسائل العقيدة، فكُتب الردود ترد علىٰ المُبطلين في مثل هذه الأمور وفي غيرها فهي من العلم، والقراءة فيها يحصل للإنسان له العلم والمعرفة، ويعرف أهل الباطل من أهل الحق، ويحصل للشخص شيء من التمييز بين المُحقين وبين المُبطلين، وإذا ما جاءت فتن صار عنده شيء من التلقيح كما يُقال ضد الفتن الآتية؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ جعل له شيئًا من البصيرة، فلا يزهد الإنسان في مثل هذه الأمور النافعة.

٢- في ترجمة عبد الغني بن سعيد من السير قال عبد الغني: (لَمَا رددتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الحَاكِمِ الأَوهَامَ الَّتِي فِي "المدخلِ" بَعثَ إِلَيَّ يَشْكُرُنِي، وَيَدْعُو لِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ عَاقِلٌ).

ذكر عبد الغني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنَّه ردَّ علىٰ الحاكم ما حصل له من الأوهام في كتاب "المدخل إلىٰ الصحيح"، فعرف الحاكم هذه المِنة من عبد الغني بن سعيد فأثنىٰ عليه خيرًا وشكره ودعا له، فقال: (**فَعَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ عَاقِلٌ**)، فهذا من عقلاء العلماء، فالعالم يفرح إذا ما نُبه علىٰ خطأ حصل له في بعض كتبه أو في بعض صوتياته يفرح بذلك؛ لأنه استفاد علمًا كان يجهله، ويفرح لأنه صحح خطًا ربما تابعه عليه غيره من الناس، فهي نعمة من النِعم التي تهدىٰ إليه وتحتاج إلىٰ شكر.

ومن لا يشكر الناس فإنه لا يشكر به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهذا شأن العلماء الصادقين في علمهم.

يقول ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب "إصلاح الغلط" في "غريب الحديث" لأبي عُبيد -وقد أصلح في كتابه هذا بعض الأغلاط التي وقعت لأبي عُبيد في كتابه الغريب-، قال: (**كُنا نؤمل شُكر الناس بالتنبيه والدلالة، فصرنا نرضىٰ بالسلامة، وليس هذا بعجيب من انقلاب أحوال الناس**)، فهذا ابن قتيبة يتكلم في زمنه ويبِّين: أنَّ من ردَّ علىٰ غيره كان يرجو أن يُشكر علىٰ هذا التنبيه، فينبه غيره علىٰ شيء من الخطأ ويدله علىٰ الصواب كان يؤمل الشُكر؛ لأنه أسدىٰ إليه معروفًا، لكن انقلبت الأحوال في زمنه فصار يرضىٰ في زمنِهِ بالسلامة، يعني: لو سَلِمَ من ألسنة الناس فهذه نعمة في حقه، فإذا نبه المُخطئ علىٰ خطئه وسَلِمَ من شره هذه نعمة، وذلك بسبب فساد أحوال الناس في زمنه، وهذا في زمنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكيف بأزماننا؟! فإنَّك تنبه بعض الناس علىٰ خطئه فينقلب عدوًا ويكيد بك أنواع المكائد والعياذ بالله، فابن قُتيبة يقول: (**نرضىٰ في أزماننا بالسلامة**)، أي لو نبهنا علىٰ الخطأ وقبل ذلك منا هذا التنبيه ونسلم من شر من نبهناه فهذا الذي نريده وهذا الذي نرضاه من الناس، ولا نطمع منهم بالشُكر، بل نريد أن نسلم من شر الناس.

وابن قُتيبة رحمه الله نبه علىٰ شيء من الأغلاط التي حصلت لأبي عُبيد في كتابه الغريب، وقد مكث في تأليفه ما يقرب من أربعين سنة، ومن جاء بعده استفاد منه كابن الأثير في كتابه "النهاية في غريب الحديث"، وصار كتاب "النهاية في غريب الحديث" مرجعًا لمن جاء بعده.

فمكث ذاك العمر الطويل في تأليف الكتاب وهو بشر حصل له شيء من الغلط والخطأ، جاء بعد ذلك ابن قتيبة وتكلم علىٰ بعض الأخطاء ونبه علىٰ بعض الأخطاء الحاصلة في الغريب، فما سَلِمَ من ألسنة الناس فضلًا عن أن يُشكر، فقالوا له: كيف

تُخطئ ذاك الإمام من أئمة العلم وتتجرأ علىٰ كتابه وتقول: أخطأ في كذا وأخطأ في كذا؟!.

قال وفقه الله:

الحث على مُلازمة أهل الحديث:

١- قال الإمام الألكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أهل الحديث: **(ثمَّ كُل مِن اعتقد مذهبًا فإلى صاحب مقالتِهِ التي أحدثها ينتسب، وإلى رأيِهِ يُستند إلا أصحاب الحديث، فإن صاحبَ مقالتهم رسُول الله ﷺ، فهم إليه ينتسبون، وإلى علمِهِ يستندون، وبِهِ يستدلون، وإليه يفزعون، وبرأيه يقتدون، وبذلك يفتخرون، وعلى أعداء سنتِهِ بقربهم منه يصولون، فمن يوازيهم في شرف الذكر، أويباهيهم في ساحة الفخر وعلو الاسم)**[1].

٢- قال هبة الله بن الحسن الشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَلَيْكَ بِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ ... عَلَى مَنْهَجٍ لِلدِّينِ مَا زَالَ مُعْلَمَا
وَمَا النُّورُ إِلَّا فِي الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ ... إِذَا مَا دَجَى اللَّيْلُ الْبَهِيمُ وَأَظْلَمَا
وَأَعْلَى الْبَرَايَا مَنْ إِلَى السُّنَنِ اعْتَزَى ... وَأَغْوَى الْبَرَايَا مَنْ إِلَى الْبِدَعِ انْتَمَى
وَمَنْ تَرَكَ الْآثَارَ ضَلَّلَ سَعْيَهُ ... وَهَلْ يَتْرُكُ الْآثَارَ مَنْ كَانَ مُسْلِمَا[2]

فائدة:

قال محمد بن بشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حُفَّاظُ الدُّنْيَا أَرْبَعَةٌ: أَبُو زُرْعَةَ بِالرَّيِّ، وَمُسْلِمٌ بِنَيْسَابُورَ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِسَمَرْقَنْدَ، وَمُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ بِبُخَارَى)**[3].

---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (١/ ٢٤) ط. دار طيبة.

(٢) "قرة عين المحتاج شرح مقدمة صحيح مسلم ابن الحاج" (٢/ ٥٤٣) ط. ابن الجوزي.

(٣) "سيرا أعلام النبلاء" (١٢/ ٢٢٦).




فائدة أخرى:

وقال ابن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حَفِظَ الْعِلْمَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ سِتَّةُ رِجَالٍ؛ فَلِأَهْلِ مَكَّةَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ابْنُ شِهَابٍ، وَلِأَهْلِ الْكُوفَةِ أَبُو إِسْحَاقَ وَالأَعْمَشُ، وَلِأَهْلِ الْبَصْرَةِ قَتَادَةُ وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ)**[(١)].

فائدة أخرى:

قال ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَدِيثِ عَائِشَةَ ثَلاثَةٌ: الْقَاسِمُ، وعروة، وعمرة)**[(٢)].

الشرح:

قوله: (**الحث على مُلازمة أهل الحديث**).

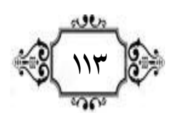
وأهل الحديث إذا ذكرهم العلماء فالمراد بهم: المتمسكون بالحديث، المتحاكمون إليه، المنقادون إليه، وهم أهل القرآن أيضًا فليس بكونهم أهل الحديث أنهم يأخذون بالحديث دون القرآن، فأهل الحديث: هم المتمسكون بالحديث والمتمسكون بالقرآن، المتحاكمون إلىٰ كتاب الله وسنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيتمسكون بهما جميعـًا.



وليس المُراد بأهل الحديث من كان عنده معرفة بعلم الحديث، كأن تكون عنده معرفة بالصحيح والضعيف، وعنده معرفة بأحوال الرجال، وعنده فهم وإدراك لأمور العلل، وعنده معرفة بمصطلح الحديث ليس هذا هو المراد بأهل الحديث، فقد يكون الشخص عالمًا من عُلماء علم الحديث وهو من أهل البدع والأهواء، وهم كُثر في القديم والحديث فموجود من أهل البدع والأهواء من دخل في هذا الباب وصار

(١) "تاريخ الإسلام" (٣/ ٥٦٠) ط. الكتب العلمية.

(٢) "المصدر السابق" (٣/ ٣٢٨).






عنده العلم والمعرفة بهذا الفن، ومن المتأخرين: الكوثري الذي رد عليه المُعلمي في كتابه "التنكيل في بيان ما في تعليم الكوثري من الأباطيل"، والكوثري ألفَّ كتابًا سماه "تأنيب الخطيب" يؤنب الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فعلىٰ كل: صاحب الحديث: هو المتمسك به، وسواءً كان عالمًا من عُلماء الفقه أو كان عالمًا من علماء اللغة، أو كان عالمًا من عُلماء الأصول، في أي علم كان إذا كان متمسكًا بالحديث، مُعظمًا له، مُنقادًا له فهو من أهل الحديث، كما يُقال: أهل القرآن، وهم: المتمسكون بالقرآن العاملون به، المنقادون إليه، المعظمون له، الحافظون لحدوده فهكذا أهل الحديث، هذا هو المراد بهم وليس المراد بذلك: من كان عالمًا بعلم الحديث مع اتباعه لهواه.

وهذا هو المراد بكلام العلماء في قولهم: أهل الحديث هم الفرقة الناجية، أهل الحديث هم كذا وكذا، يُريدون هذا المعنىٰ، فخرج عن أهل الحديث أهل البدع؛ فإن أهل البدع لا يتحاكمون إلىٰ السُنة وإنما يتحاكمون إلىٰ أهوائهم، ولا يُعظمون السُّنة وإنما يُعظمون الرجال، ويعظمون العقائد التي اعتقدوها، والمقالات التي ساروا عليها من علم الكلام والفلسفة، ويُعظمون عُلماء الكلام، ويأخذون بمقالاتهم وكأنها أدلة شرعية ويسمونها: المعقولات ويقدمونها علىٰ أدلة الشرع، فهذا شأن أهل البدع والأهواء، وأمَّا أهل الحديث فيُعظمون الحديث.

والحديث الذي يتنسب إليه أهل الحديث: هو حديث رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهم ينتسبون إلىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



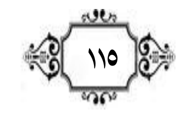



١- قال الإمام الألكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أهل الحديث: **(ثمَّ كُل مِن اعتقد مذهبًا فإلى صاحب مقالتِهِ التي أحدثها ينتسب، وإلى رأيِهِ يُستند إلا أصحاب الحديث، فإن صاحبَ مقالتهم رسُول الله ﷺ، فهم إليه ينتسبون، وإلى علمهِ يستندون، وبهِ يستدلون، وإليه يفزعون، وبرأيه يقتدون، وبذلك يفتخرون، وعلى أعداء سنتهِ بقربهم منه يصولون، فمن يوازيهم في شرف الذكر، أويباهيهم في ساحة الفخر وعلو الاسم).**

قوله: **(ثمَّ كُل مِن اعتقد مذهبًا فإلىٰ صاحب مقالتِهِ التي أحدثها ينتسب)**: فالجهمية ينتسبون إلىٰ الجهم، وهكذا الأشاعرة إلىٰ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيِّ، والْكُلَّابِيَة إلىٰ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كُلَّابٍ، والكَرَّامِيَة إلىٰ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ كَرَّامٍ، والماتُريدية إلىٰ أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، وغير هؤلاء ممن ينتسبون إلىٰ أصحاب المقالات، وقد ينتسبون أيضـًا إلىٰ المقالات نفسها فهم إما ينتسبون إلىٰ المقالات المُحدثة وإما إلىٰ أصحاب المقالات، فالمقالات المُحدثة كما يقال: المُرجئة ينتسبون إلىٰ هذه المقالة وهي الإرجاء، والقدرية: إلىٰ هذه المقالة وهي القدر، وغير ذلك من النِسب، وقد ينتسبون إلىٰ بعض الأحوال كالمعتزلة قيل لهم ذلك بسبب الحال الذي حصل لهم: وهو اعتزال مجلس الحسن البصري، وهكذا الخوارج بسبب الأمر الذي حصل منهم: وهو الخروج علىٰ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأمَّا أهل السُنة فإنما ينتسبون إلىٰ سُنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيقال: أهل السنة نسبة إلىٰ السنة، وأهل الحديث: والحديث هو السنة، فهو انتساب إلىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



وهذه النسبة نسبة شرعية دلت عليه أدلة الشريعة، وليست من التفرق والاختلاف المذموم، بل المتمسك بالسنة هو باقٍ علىٰ أصل الجماعة، ومن خالف هذا الأصل فهو الذي فرق جماعة المسلمين، والمتمسك بسنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو الجماعة وباقٍ علىٰ الأصل الأول، ومن خرج عنهم فهو المُفرق، لكن جُهَّال الناس لقلة



علمهم يرون أن أهل السنة من جملة الفرق التي فرقت الأمة وهذا من جهلهم، وإلا فإن أهل السنة هم باقون علىٰ الأصل فهم الجماعة ينتسبون إلىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإنما تفرقت الفرق عنهم وإلا هم الأصل، فهم سائرون علىٰ ما سار عليه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعلىٰ ما سار عليه الصحابة، وعلىٰ ما سار عليه التابعون للصحابة بإحسان، وتفرق المتفرقين حصل عنهم بمفارقتهم، فخرجت الخوارج، والقدرية، والمعتزلة، والجهمية، والكُلابية، والأشاعرة، والماتريدية، وهكذا في هذه الأزمان ظهرت البدع وتفرقوا عن هذا الأصل وعن هذه الجماعة.

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث حُذيفة بن اليمان المشهور في "الصحيحين" لمَّا ذكر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الفرق في آخر الزمان فقال حُذيفة للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»، فأمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حُذيفة أن يعتزل الفرق، فإذا ما اعتزل شخص الفِرق والآخر اعتزلها فاجتمع مجموعة من الناس اعتزلوا الفِرق، فهل يُقال لهؤلاء الذين اعتزلوا أنهم فرقة فرقت الجماعة، وإلا هم باقون علىٰ الأصل؟! الجواب: هم باقون علىٰ الأصل ولا يُقال لهؤلاء أنهم فرقوا الجماعة؛ لأنهم أخذوا بخبر رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهم الباقون علىٰ الأصل، وهم المتمسكون بالسنة.

وفي حديث العرباض بن سارية: قال النبي ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»، فقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا**»، أي: اعتزل كل تلك الفرق وتمسك بسُنة النبي عليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسُنة الخلفاء الراشدين، لا أنك تعتزل الفرق وتتبع هواك، إن اعتزلت الفرق واتبعت هواك كنت من جملة تلك الفِرق فإنَّها هي فرق أهواء، إذاً قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لحذيفة: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا**»، أي: اعتزل وتمسك

بالسُنة، وأبق علىٰ الأصل كما في حديث العرباض: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**».

فأهل السُنة أخذوا بوصية رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ورأوا الاختلاف والفرقة ورأوا العلاج من سُنة رسول الله ﷺ فاعتزلوا تلك الفِرق كلها كما أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأخذوا بسنته وانتسبوا إليها، كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»، وأخذوا بهدي السلف الصالح؛ لقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**»، فانتسبوا إلىٰ سنته وانتسبوا إلىٰ السلف الصالح فيقال لأحدهم: سَلَفَي؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمر بالتمسك بسُنة الخلفاء الراشدين، وانتسبوا إلىٰ السُنة فيقال: أهل السنة، ويقال: أهل الحديث فهي مسميات لشيء واحد، فمن فعل ذلك فهو باقٍ علىٰ الأصل وآخذ بوصية رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن خالف هذا الأمر فهو الذي فرق دينه وأحدث الفُرقة في أوساط الناس؛ لكن كما قُلنا: إنَّ الناس من جلهم أُتوا فإنَّهم ينظرون إلىٰ السلفيين ويقولون: هؤلاء من جُملة الفِرق والأمة تفرقت ذاك يقول سلفي، وذاك يقول إخواني، وذاك يقول كذا، وذاك يقول كذا فيرَون أن الكُل فرقوا الأمة وهذا من جهلهم، فأهل السُنة هم باقون علىٰ الأصل آخذون بوصية النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن كان كذلك فلا يدخل في الفُرقة وإنما هم أصل الجماعة، ومن خرج عنهم فهو خارج عن أصل الجماعة وواقع في الفُرقة.



٢- قال هبة الله بن الحسن الشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَلَيْكَ بِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ ... عَلَى مَنْهَجٍ لِلدِّينِ مَا زَالَ مُعْلَمَا

وَمَا النُّورُ إِلَّا فِي الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ ... إِذَا مَا دَجَى اللَّيْلُ الْبَهِيمُ وَأَظْلَمَا

وَأَعْلَى الْبَرَايَا مَنْ إِلَى السُّنَنِ اعْتَزَى ... وَأَغْوَى الْبَرَايَا مَنْ إِلَى الْبِدَعِ انْتَمَى

وَمَنْ تَرَكَ الآثَارَ ضَلَّلَ سَعْيَهُ ... وَهَلْ يَتْرُكُ الآثَارَ مَنْ كَانَ مُسْلِمَا.

فمن ترك الآثار وقع في الضلال فإن الهداية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي سُنة رسوله الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فائدة:

قال محمد بن بشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حُفَّاظُ الدُّنْيَا أَرْبَعَةٌ: أَبُو زُرْعَةَ بِالرَّيِّ، وَمُسْلِمٌ بِنَيْسَابُوْرَ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِسَمَرْقَنْدَ، وَمُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ بِبُخَارَى)

قوله: (أَبُو زُرْعَةَ بِالرَّيِّ): وهو أبو زُرْعة الرازي، عُبيدُ الله بن عبد الكريم، وهو قرين أبي حاتم الرازي، وابن أبي حاتم وهو عبد الرحمن في أسئلته يسأل أباه ويسأل أبا زُرْعة غالبًا فيما يتعلق بالجرح والتعديل، وفيما يتعلق بالعلل، يقول: سألت أبي، وسألتُ أبا زُرْعة، ويذكر كلام أبيه في الجرح والتعديل وكلام أبي زُرْعة، وهكذا فيما يتعلق بالعِلل وهذا موجود بكثرة في كتاب "الجرح والتعديل لابن أبي حاتم"، وهكذا في كتاب "العِلل"، وكان من الحُفاظ الكِبار، وخُتمت له الخاتمة الحسنة حين جاءهُ الموت وكان في مجلسه أبو حاتم وابن واره، وهو في سكرات الموت فأصابهم الحياء أن يلقنوا أبا زُرْعة الشهادة فساقوا الحديث بسنده وأُعجِمَ عليهم الإسناد فما استطاعوا أن يأتوا به وأبو زُرْعة في سكرات الموت ومع ذلك ساق الحديث بإسناده ولم يُعجم الحديث عليه، حتىٰ وصل إلىٰ قوله: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فقبل أن يتلفظ بنهاية الحديث بقوله: «دَخَلَ الْجَنَّةَ»، قبض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ روحه حتىٰ



يكون آخر كلامه من الدنيا هذه الكلمة: (لا إله إلا الله)، ولا يزيد عليها شيئًا غيرها، فختمت له الخاتمة الحسنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**وَمُسْلِمٌ بِنَيْسَابُوْرَ**): هو مُسلم بن الحجاج الحافظ المعروف صاحب الصحيح.

قوله: (**وَعَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِسَمَرْقَنْدَ**): وهو الدارمي أبو محمد.

قوله: (**وَمُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ بِبُخَارَىٰ**): وهو الإمام البخاري المعروف صاحب الصحيح.



فائدة أخرى:

وقال ابن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حَفِظَ الْعِلْمَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ سِتَّةُ رِجَالٍ؛ فَلِأَهْلِ مَكَّةَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ابْنُ شِهَابٍ، وَلِأَهْلِ الْكُوفَةِ أَبُو إِسْحَاقَ وَالأَعْمَشُ، وَلِأَهْلِ الْبَصْرَةِ قَتَادَةُ وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ)

قوله: (**ابْنُ شِهَابٍ**): وهو محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزُهري.

قوله: (**أَبُو إِسْحَاقَ**): وهو السبيعي، عَمرو بن عبد الله بن عُبيد

قوله: (**وَالأَعْمَشُ**): وهو سُليمان الأعمش.

قوله: (**قَتَادَةُ**): وهو ابن دعامة السدوسي.

فائدة أخرى:

قال ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَدِيثِ عَائِشَةَ ثَلاثَةٌ: الْقَاسِمُ، وعروة، وعمرة).

قوله: (**الْقَاسِمُ**): وهو ابن محمد بن أبي بكر الصديق، وهو ابن محمد أخي عائشة، يعني أنَّه: ابن أخيها وهو الذي ولِدَ في حجة الوداع.

قوله: (**وعروة**):وهو ابن الزبير.





قوله: (وعمرة): وهي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد الأنصارية.

فهؤلاء أعلم الناس بحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال وفقه الله:

طالب العلم يحذر من كتب المبتدعة:

١- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتكلم على "تفسير الزمخشري": **(وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَكُونُ حَسَنَ الْعِبَارَةِ فَصِيحًا وَيَدُسُّ الْبِدَعَ فِي كَلَامِهِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ كَصَاحِبِ الْكَشَّافِ وَنَحْوِهِ)**[1].

٢- وقال الطرطوشي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(شَحَنَ أَبُو حَامِدٍ (الإِحيَاء) بِالكَذِبِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلاَ أَعْلَمُ كِتَابًا عَلَى بَسِيطِ الأَرْضِ أَكْثَرَ كذبًا مِنْهُ)**[2].

٣- وقال أيضًا عن الإحياء: **(وَهُوَ - لَعَمْرُو الله - أَشْبَهُ بِإِمَاتَةِ عُلُوْمِ الدّين)**[3].

٤- وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كتبُ الزيغ والضَّلال ينبغي لطالب العلم أن يبتعد عنها إلا من كان لديه قُدرةٌ على الرَّد)**[4].

٥- وقال: **(كتبُ الصوفية لا ينبغي أن يُعتمد عليها، وكتب الشيعة لا ينبغي أن يُعتمد عليها)**[5].

٦- وقال أيضًا: **(من الكتب الزائغة كتاب "بدائع الزهور" وأيضًا "تنبيه الغافلين" لأبي الليث السمرقندي، وكتاب "عيون المعجزات" لرافضي أثيم فيه الكفر البواح،**



---

(١) "مقدمة أصول التفسير مع شرح الشيخ يحيى الحجوري" (ص٩٠) ط. مكتبة الفلاح، قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: الفرق بين "تفسير ابن كثير" و"الضلال" كما بين السماء والأرض، "غارة الأشرطة" (٢/ ٤٠٧) ط. صنعاء الأثرية.

(٢) "سير أعلام النبلاء" (١٩/ ٣٣٤) ترجمة أبي حامد، ط. مؤسسة الرسالة.

(٣) "سير أعلام النبلاء" (١٩/ ٤٩٥).

(٤) "قمع المعاند" (ص٥٠٧) ط. صنعاء الأثرية.

(٥) "المرجع السابق" (ص٥٠٥).




و"تفسير الزمخشري" معتزلي لا يُعتمد عليه وهو جاهلٌ في الحديث يُصحح ما يهوى ويُضعف ما لا يوافقه، وأيضًا كتبُ الحزبيين؛ كُونوا على حذرٍ من كُتب الحزبيين)[1].

الشرح:

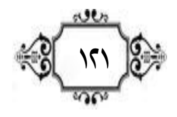
قوله: (طالب العلم يُحذر من كتب المبتدعة).

وذلك لما فيها من الضرر الكبير، فكُتب المبتدعة التي نشروا فيها البدع، وأسسوا فيها البدع والأهواء فإن ضررها عظيم، وهي أشد من الكتب التي فيها الغزل والفسوق، وذلك؛ لأن الكُتب التي فيها تأسيس البدعة ضررها أعظم، ومعلوم أن البدعة أشد من المعصية، فالكتب التي تدعو إلىٰ المعاصي أهون من الكُتب التي تدعو إلىٰ البدع، والكل مما يُجتنب غير أن الذنوب متفاوته، والبدع أشد من سائر المعاصي.



وهذه الكتب التي كما عرفنا أسس فيها أصحابها البدع، أو كَثُرت فيها البدع بعكس الكتب التي هي من كُتب العلم النافع، وإن كان مؤلفوها قد زلوا في بعض مسائل العقيدة فيحذر من زلـلهِ، وأما الكتاب إذا كان من كُتب العلم النافعة فلا يُحذر منه فكتب من مضىٰ من أهل العلم ممن قيل بأنه زلَّ في كذا كمن زلَّ في مذهب الأشاعرة، أو وقع في بعض الأشعريات مثل: الحافظ ابن حجر، ومثل العلامة النووي وهكذا غير هؤلاء وهم كثير جدًا ممن زلَّ في بعض مسائل الأشاعرة، فإن مذهب الأشاعرة في الأزمنة القديمة كان له انتشار كبير، وكان عند كثير من الناس أنه مذهب أهل السنة فلا يعرفون مذهب أهل السنة إلا مذهب الأشاعرة، فدخل فيه من دخل وزلَّ فيه من زلَّ وانتشر انتشارًا واسعًا؛ ولهذا لا يكاد يسلم منه إلا القلة القلية، فتنظر في تراجم كثير من العلماء ممن له الشُهرة والمقام الرفيع والعلم الغزير وإذا به

(١) "المرجع السابق" (ص٥٠٦).



زلَّ في مذهب الأشاعرة، وأما مذهب المعتزلة فهو مذهب منبوذ، وكذلك مذهب الجهمية، ومذهب القدرية، فهذه مذاهب منبوذة؛ لكن مذهب الأشاعرة زلَّ فيه من زلَّ؛ لأن أبا الحسن الأشعري كانت له الشهرة الكبيرة، وفي آخر أمره نصر مذهب الإمام أحمد ورجع عن مذهب الكُلابية كما هو معلوم، كان علىٰ مذهب المعتزلة ثم علىٰ مذهب الكُلابية، ثم انتقل إلىٰ مذهب السلف وكانت له المكانة والشهرة والمقام الرفيع، فمن جاء بعده من أهل العلم لا يكاد يسلم من مذهبه إلا القلة القليلة من العلماء، وإذا قرأ الإنسان في كثير من التراجم يجد العجب العُجاب، فهناك من انتسب إلىٰ مذهبه وهناك من وقع في بعض الأشعريات، ولا يكاد يسلم من ذلك إلا من سلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمثل هؤلاء العلماء لا يُهدر علمهم فلهم من المصنفات النافعة الشيء الكثير والعلوم المُباركة؛ لكن الظن فيهم أنهم أرادوا الحق في تلك المسائل وأخطأوا في الوصول إليه، ومن اجتهد فأصاب الحق فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله الأجر الواحد، فهذا الظن بأولئك العلماء الكِبار الذين علم عنهم نُصرة الإسلام ونصرة السُنة، وظهر منهم نشر العلم والدفاع عن سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فتلك الأشياء قد تخفىٰ عليهم.

والحافظ البيهقي كما عرفنا فيما مضىٰ وقع في شيء من ذلك، والخطيب البغدادي وقع في شيء من ذلك، وابن العربي المالكي وقع في شيء من ذلك، والحافظ ابن حجر، والعلامة النووي، والعلامة القرطبي، وابن الأثير، والقاضي عياض، وأُناس كُثر وكم يُعدِد المُعدد ممن لهم الشُهرة في العلم ونصرة الحق؛ لكن خفيت عليهم بعض الأمور فزلوا في بعض المسائل وتأولوا بعض الصفات، لكن الظن فيهم: أنهم لسيوا أصحاب هوىٰ ولا أرادوا اتباع الهوىٰ حاشاهم رحمهم الله.

فمؤلفات هؤلاء التي كتبوها في الحديث وكتبوها في الفقه وكتبوها في شروح الأحاديث مؤلفات نافعة؛ لكن يتقي الإنسان تلك الزلات التي هي قليلة في بحر علومهم رحمهم الله.

أما الكُتب التي أُلفت في نُصرة البدعة، مثلًا: كالتي أُلفت في نصرة المذهب الأشعري، أو أُلفت في العقيدة ونصر فيها أصحابها مذهب أبي الحسن الأشعري لمَّا كان علىٰ مذهب الكُلابية أو التي ألفت في الاعتزال وما إلىٰ ذلك، فهذه الكتب يُبتعد عنها ويُحذَّر منها وإن كان مؤلف هذه الكتب من الكِبار؛ لما فيها من الضرر.

وهكذا قد يكون الكتاب ليس من كتب العقيدة لكن ملأ فيه المؤلف أو ذكر فيه الأشياء الكثيرة من أمور العقيدة والأمور الباطلة، والأشياء الخطيرة مثل ما فعل الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين"، جمع فيه أشياء متعددة في الوعظ وفي أمور العقيدة وفي غير ذلك وسماه "إحياء علوم الدين" وما زال العلماء يُحذرون منه لما فيه من الأخطاء الكثيرة والعقائد الفاسدة، فحذر العلماء من كتاب الغزالي من أجل ذلك.

١- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم على "تفسير الزمخشري": (وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَكُونُ حَسَنَ الْعِبَارَةِ فَصِيحًا وَيَدُسُّ الْبِدَعَ فِي كَلَامِهِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ كَصَاحِبِ الْكَشَّافِ وَنَحْوِهِ).

فإذا قرأ الإنسان في هذا الكتاب فإنَّه يحتاج إلىٰ أن يكون عنده بصيرة في العقيدة، فهو كتاب من كتب التفسير، ويهتم مؤلفه في المعاني اللغوية، لكن مع هذا أدخل الاعتزال فيه بوجوه من الخفاء والمكر، حتىٰ قال بعضهم: (**أخرجت اعتزاليات من كتاب الكشاف بالمنقاش**)، فالرجل يدسُ البدعة بأسلوب خفي فلهذا يحتاج إلىٰ الحذر البالغ من يقرأ في كتاب "الكشاف" للزمخشري.

وقوله: (وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ كَصَاحِبِ الْكَشَّافِ وَنَحْوِهِ): نعم، لا يقرأ إلا الشخص المتمكن في العقيدة إذا أراد الاستفادة في بعض الأشياء.

٢- وقال الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (شَحَنَ أَبُو حَامِدٍ (الإِحيَاء) بِالكَذِبِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ - ﷺ - فَلاَ أَعْلَمُ كِتَابًا عَلَى بَسِيط الأَرْضِ أَكْثَرَ كذبًا مِنْهُ).

٣- وقال أيضًا عن الإحياء: (وَهُوَ - لَعَمْرُو الله - أَشْبَهُ بِإِمَاتَةِ عُلُوْم الدّين).

قوله: (الطرطوشي): وهذا هو شيخ ابن العربي المالكي.

قوله: (بِإِمَاتَةِ عُلُوْم الدّين): أي: كتاب "إحياء علوم الدين".

٤- وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كتبُ الزيغ والضَّلال ينبغي لطالب العلم أن يبتعد عنها إلا من كان لديه قُدرةٌ على الرَّد).

٥- وقال: (كتبُ الصوفية لا ينبغي أن يُعتمد عليها، وكتب الشيعة لا ينبغي أن يُعتمد عليها).

٦- وقال أيضًا: (من الكتب الزائغة كتاب "بدائع الزهور" وأيضًا "تنبيه الغافلين"[1] لأبي الليث السمرقندي، وكتاب "عيون المعجزات" لرافضي أثيم فيه الكفر البواح، و"تفسير الزمخشري" معتزلي لا يُعتمد عليه وهو جاهلٌ في الحديث يُصحح ما يهوى ويُضعف ما لا يوافقه، وأيضًا كتبُ الحزبيين؛ كُونوا على حذرٍ من كُتب الحزبيين).

وقوله: (كونوا علىٰ حذرٍ من كُتب الحزبيين): هذا صحيح، فإنها مُضرة، كتب الحركيين والحزبيين تدعو إلىٰ الباطل ليس فيها علم، فكتب الحزبيين الموجودة في مثل هذه العصور خالية من العلم وفيها ما فيها من الجهل والدعوة إلىٰ الباطل، وتقرير العقائد الفاسدة فليس فيها علم نافع.

---

(١) كان الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُسميه كتاب: تغفيل الغافلين.

قال وفقه الله:

ضرر كتمان العلم:

١- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾** [البقرة: ١٥٩]، **إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾** [البقرة: ١٦٠])[١].

٢- وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال بعض الحكماء: (**إخفاءُ العملِ نجاةٌ، وإخفاءُ العلم هَلكةٌ**)[٢].

٣- وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ: (**انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ العِلْمِ وَذَهَابَ العُلَمَاءِ، وَلاَ تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلْتُفْشُوا العِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لاَ يَعْلَمُ، فَإِنَّ العِلْمَ لاَ يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا**)[٣].



الشرح:

وفي هذا الحث علىٰ نشر العلم وعدم المبالاة بطعن من طعن وقدح من قدح فإنَّ كتمان العلم الذي يحتاجه الناس مما لا يجوز، وقد توعد الله تعالىٰ بالوعيد الشديد من كتم العلم.

---

(١) "صحيح البخاري" (١١٨).

(٢) "التمهيد" (٨/ ٤٧٩) ط. الكتب العلمية.

(٣) "صحيح البخاري" مع الفتح (١/ ٢٥٦) ط. دار السلام، كتاب العلم باب: كيف يقبضُ العلم.

وما ذكره ابن عبد البر رحمه الله عن بعض الحكماء من الحكم الحسنة فإنَّ إخفاء العمل الذي لا يستحب إظهاره من أسباب الإخلاص، وأما كتمان العلم فهو سبب الهلاك كما تدل عليه الآية السابقة.

وما كتبه عمر بن عبد العزيز لأبي بكر بن حزم من النصائح النفيسة ففيها الحث علىٰ كتابة العلم وتقييده، فإنَّه بذلك يحفظ العلم إذا مات أهله، وقد انتفع الناس بالكتب المدونة انتفاعًا بالغًا فحفظت لنا السنة وحفظت لنا علوم الصحابة وعلوم التابعين ومن جاء بعدهم.

وحث رحمه الله علىٰ جلوس العلماء للناس حتىٰ يتعلم الجاهل وتقام حجة الله تعالىٰ عن المعرض.

قال وفقه الله:

آثار المعاصي على طالب العلم:

١- في ترجمة سليمان بن داود المِنقري الشاذكوني: قال أحمد: **(جالس الشاذكونى حماد بن يزيد، وبشر بن المفضل، ويزيد بن زريع، فما نفعه الله بواحد منهم، وقيل: كان يتعاطى المسكر، ويتماجن)**[١].

٢- قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَنْ تَعَاطَى مَا نُهِيَ عَنْهُ يَصِيرُ مُظْلِمَ الْقَلْبِ)**[٢].

٣- قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وخطر لي الاشتغال بِعِلم الطِّبّ، فاشتريت كتاب "القانون" فِيهِ، وعزمتُ على الاشتغال فِيهِ، فأظلم عليَّ قلبي)**[٣].

---

(١) "ميزان الاعتدال" (٢/ ٢٠٥) ط. دار الفكر.

(٢) "فتح الباري" (١/ ١٦٩) ط. دار السلام.

(٣) "تاريخ الإسلام" (١٤/ ٤٤٩)، قلت: وكتاب "القانون" هو في الطب لابن سيناء؛ لما قرأ فيه أظلم قلبه؛ يعني: صار لا يحفظ ولا يفهم، فكيف بمن قرأ في كتب أهل البدع والضلال؟! نسأل الله السلامة والعافية.




الشرح:

وفي هذا أثر المعاصي علىٰ القلوب وأنَّها تصد الشخص عن الانتفاع بالعلم وبأهل العلم، فإنَّها تظلم القلب، وتقسيه فلا يدخل فيها نور العلم.

وكلما أقبل العبد علىٰ العمل الصالح واتقىٰ ربه أنار الله قلبه وعلمه ما لم يكن يعلم، ومن عمل بعلمه علمه الله ما يجهله وزاده من فضله.

قال وفقه الله:

طالب العلم يهتم بالنحو:

١ - قال بعضهم:

النَّحْوُ زَيْنٌ وَجَمَالٌ يُلْتَمَسْ ... يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ الْعُلُومِ بِالنَّفَسْ

صَاحِبُهُ مُكَرَّمٌ حَيْثُ جَلَسْ ... هَلْ يَسْتَوِي رَبُّ الْحِمَارِ وَالْفَرَسْ؟[(١)]

٢ - وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكَانَ السَّلَفُ يُؤَدِّبُونَ أَوْلَادَهُمْ عَلَىٰ اللَّحْنِ)[(٢)].

٣ - وقال أيضًا: (فالعربية هي لغة الإسلام، ولغة القرآن، ولا يتأتى فهم الكتاب والسنة فهمًا صحيحًا سليمًا إلا بها، فهي من مستلزمات الإسلام وضرورياته، وإهمالها والتساهل بها لا بد أن يضعف من فهم الدين، ويساعد على الجهل به)[(٣)].

٤ - قال علي بن حمزة الكسائي:

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ ... وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعْ

فَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الْفَتَى ... مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَعْ

فَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ ... مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ

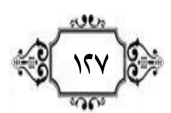
وَإِذَا لَمْ يُبْصِرِ النَّحْوَ الْفَتَى ... هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا فَانْقَطَعْ



(١) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (ص٢٤٧) ط. الكتب العلمية.

(٢) "مجموع الفتاوىٰ" (١٦/ ١٥٨) ط. دار الوفاء.

(٣) "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص٤٣) ط. دار الفضيلة.



فَتَرَاهُ ينصب الرّفع وَمَا ... كَانَ خَفْضٍ وَمِنْ نَصْبٍ رَفَعْ

يَقْرَأُ الْقُرْآن لَا يعرف مَا ... صرف الْإِعْرَاب فِيهِ وصنع

وَالَّذِي يعرفهُ يقرأه ... فَإِذا مَا شكّ فِي حرف رَجَعَ

نَاظرًا فِيهِ وَفِي إعرابه ... فَإِذا مَا عرف النَّحْو صدع

فهما فِيهِ سَوَاء عنْدكُمْ ... لَيست السّنة فِينَا كالبدع

كم وضيع رفع النَّحْو وَكم ... من شريف قد رَأَيْنَاهُ وضع[1]

٥- من اللطائف للأذكياء:

أنشدنا ابن النّجّار لبعضهم:

عاشِرْ من النّاس مَن تبقى مودّته ... فأكثر النّاسِ جمعٌ غير مؤتلِفِ

مِنهم صديقٌ بلا قافٍ ومعرفةٌ بغير ... فاءٍ وإخوانٌ بلا ألفِ[2]

الشرح:

قوله: (طالبُ العلم يهتم بالنحو).

وهكذا يهتم بسائر علوم اللغة، وذلك أن اللغة العربية هي لغة القرآن، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥]، فيحتاج طالب العلم إلىٰ عِلم اللغة عمومًا ومن ذلك: علم النحو؛ وذلك لأنَّ به تقويم اللسان، وهكذا به يستعين علىٰ فهم معاني الكتاب والسُنة.

وعلم النحو إذا لم يكن مصحوبًا بعلم الكتاب والسُنة فليس فيه كبير فائدة؛ وذلك أن علم النحو وعِلم اللغة وسيلة لمعرفة أحكام الشريعة ومعرفة معاني الكتاب والسنة، فإذا تعلم الإنسان علم النحو وسائر علوم العربية مع بُعده عن علم الكتاب



(١) "تاريخ بغداد" (١١/ ٤١٠) ط. الكتب العلمية.

(٢) "تاريخ الإسلام" (١٢/ ٤٨٢).





والسُّنة فإن هذا العلم لا يُسأل عنه العبد يوم القيامة، وهو حينئذ صنعة من الصناعات يصير كالحساب والهندسة وسائر الصناعات كما ذكر ذلك الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "زغل العلم"، فذكر ذلك عند كلامه علىٰ النحويين، وذكر أنَّ هذا العلم لا بأس به ويُحتاج إليه، لكن قال: مع علم الكتاب والسنة، فإن كان فارغًا عن علم الكتاب والسنة فهو بطَّال، وعلمه لا يُسأل عنه يوم القيامة وهو شبيه بسائر الصناعات، هذا إذا سَلِمَ صاحبه من الكِبر وإلا فإن عِلم النحو إذا لم يُهذب الإنسان نفسه بعلوم الشريعة فإنه يورث الكِبر والتعالي علىٰ الناس، فيرىٰ نفسه أنه هو هو؛ فيحصل له الزهو والتعالي علىٰ الناس إن لم يُهذب نفسه بعلوم الشريعة، فالحاجة لهذا العلم مع علم الكتاب السُّنة وهما الأصل وهو وسيلة لا غاية.

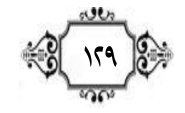
وقد تكلم الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكلام حسن في كتابه "زغل العلم" حول ما يتعلق بهذا العلم وبغيره، وله في ذلك الكتاب النصائح المفيدة النافعة.

١- قال بعضهم:

النَّحْوُ زَيْنٌ وَجَمَالٌ يُلْتَمَسْ	يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ الْعُلُومِ بِالنَّفَسْ
صَاحِبُهُ مُكَرَّمٌ حَيْثُ جَلَسْ	هَلْ يَسْتَوِي رَبُّ الْحِمَارِ وَالْفَرَسْ؟

ومع هذا فإن جماعة من أهل العلم كانوا لا يرون التكلم بالنحو عند عامة الناس، وذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عقيل قال: كان شيخنا أبو القاسم البرهان الأسدي يقول لأصحابه: (**إياكم والنحو بين العامة فإنه كاللحن بين الخاصة**)، فذهب جماعة من أهل العلم إلىٰ أن الناس يُخاطبون بما يفهمون سواءً فيما يتعلق بالنحو أو بعلم العربية عمومًا.

ومن الطُّرف التي ذكرها ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "الحمقىٰ والمغفلين" قوله: (**وقف نحوي علىٰ زجاج فقال: بكم هاتان القنينتان اللتان فيهما نكتتان خضراوتان، فقال الزجاج: مدهامتان، فبأي آلاء ربكما تكذبان**)، فهذا تكلم باللغة العربية عند من



لا يفهما فاستحقر ذلك الجاهل، واللغة العربية لغة شريفة لكن ينبغي أن يُخاطب الناس بما يفهمون.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن رجل أراد أن يشتري حمارًا فجاء إلىٰ نخاس يبيع الحمير فقال له: (**اطلب لي حمارًا لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر، إن أقللت علفه صبر وإن أكثرت علفه شكر، لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم بي السواري، إذا خلا في الطريق تدفق وإذا أكثر الزحام ترفق، فقال له النخاس بعد أن نظر إليه ساعة: دعني، إذا مسخ الله القاضي حمارًا اشتريته لك**)، يعني: هذه الأوصاف منطبقة علىٰ قاضي البلد، ولا يوجد حمار بهذه الصفات.

وهكذا مما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: (**وقع نحوي في كنيف**[1] **فصاح به الكناس: أنت في الحياة،-يُشفق عليه مما حل به- فقال: ابغِ لي سلمًا وثيقًا وامسكه إمساكًا رفيقًا ولا بأس عليَّ، فقال له الكناس: لو كنت تركت الفضول يومًا لتركته الساعة وأنت في الخرا إلىٰ الحلق**)، يعني: قد اشتد عليك الحال إلىٰ هذا الحد، فلو كنت في وقت من الأوقات تترك الفضول لتركته وأنت في هذه الحال وهذه الكربات وقد بلغ الخرا إلىٰ حلقك.

فعلىٰ كل: بعض أهل العلم ذهب إلىٰ ينبغي مخاطبة عامة الناس الذين لا يفقهون اللغة ولا يفقهون النحو بما يفهمون، وكما قال أبو القاسم برهان الأسدي: (**إياكم والنحو بين العامة فإنه كاللحن بين الخاصة**).

---

(١) الكنيف: موضع قضاء الحاجة.




٢- وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكَانَ السَّلَفُ يُؤَدِّبُونَ أَوْلَادَهُمْ عَلَى اللَّحْنِ).

٣- وقال أيضًا: (فالعربية هي لغة الإسلام، ولغة القرآن، ولا يتأتى فهم الكتاب والسنة فهمًا صحيحًا سليمًا إلا بها، فهي من مستلزمات الإسلام وضرورياته، وإهمالها والتساهل بها لا بد أن يُضعِف من فهم الدين، ويساعد على الجهل بهِ).

ومما يُنقل عن ثعلب أنه قال:

إن شِئتَ أَن تُصبِحَ بَينَ الوَرى ... ما بَينَ شَتّامٍ وَمُغتابِ
فَكُن عَبوسًا حينَ تَلقاهُمُ ... وَخاطِبِ الناسَ بِإِعرابِ

يعني: من أراد أن الناس يشتمونه ويغتابونه فليكن عبوسًا في خِطاب الناس حين يلقاهم، ويكلمهم بالإعراب.



٤- قال علي بن حمزة الكسائي:

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ ... وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعْ
فَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الْفَتَى ... مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَعْ
فَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ ... مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ
وَإِذَا لَمْ يُبْصِرِ النَّحْوَ الْفَتَى ... هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا فَانْقَطَعْ
فَتَرَاهُ ينصب الرّفْع وَمَا ... كَانَ خَفْضٍ وَمِنْ نَصْبٍ رَفَعْ
يَقْرَأُ الْقُرْآن لَا يعرف مَا ... صرف الْإِعْرَاب فِيهِ وصنع
وَالَّذِي يعرفهُ يقرأه ... فَإِذا مَا شكّ فِي حرف رَجَعَ
نَاظِرًا فِيهِ وَفِي إعرابه ... فَإِذا مَا عرف النَّحْو صدع
فهما فِيهِ سَوَاء عندكُمْ ... لَيست السّنة فِينَا كالبدع
كم وضيع رفع النَّحْو وَكم ... من شرِيف قد رَأَيْنَاهُ وضع.



٥- من اللطائف للأذكياء:



أنشدنا ابن النّجار لبعضهم:

عاشِرْ من النّاس مَن تبقى مودّته	**فأكثرُ النّاسِ جمعٌ غير مؤتلِفِ**
مِنهم صديقٌ بلا قافٍ ومعرفةٌ	**بغير فاءٍ وإخوانٌ بلا ألفِ.**

قوله: (**ابن النّجار**): وهو يحيىٰ بن طاهر، وكان يُتهم بالكذب.

قوله: (**فأكثرُ النّاسِ جمعٌ غير مؤتلِفِ**): أي: لا يحصل فيهم الائتلاف ولكن يحصل التنافر.

قوله: (**مِنهم صديقٌ بلا قافٍ**): يعني: (**صدي**) الذي هو العطش.

قوله: (**ومعرفةٌ بغير فاءٍ**): يعني: (**مَعرة**) وهي الإثم؛ لقوله: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح:٢٥]، أي: إثم.

قوله: (**وإخوانٌ بلا ألفِ**): يعني: (**خوان**) من الخيانة، كان بعض أهل العلم يقول في الإخوان المسلمين: خوان المسلمين، والأمر كذلك فقد خانوا المسلمين وقلبوا الحق باطلًا والباطل حقًا ولبسوا علىٰ الناس دينهم.

قال وفقه الله:

فائدة في أهمية فهم لغة العرب:

قال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَثِيرًا مَا يُوقِعُ الْجَهْلُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ فِي مَجَازٍ لَا يَرْضَى بِهَا عَاقِلٌ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنَ الْجَهْلِ وَالْعَمَلِ بِهِ بِفَضْلِهِ**).

الشرح:

صدق رحمه الله، فلا تُفهم نصوص الكتاب والسُنة إلا بلغة العرب، وإذا أراد الإنسان أن يفهم نصوص الشرع باللغة العامية وبما عرفه من لغة بلده فيقع في مخازي مضحكة، وفي أمور مُنكرة، فيحتاج الشخص أن يعرف وينظر إلىٰ كلام العرب وأن يُفسر ويفهم نصوص الشرع باللغة العربية فهي لغة القرآن ولغة السنة.




قال وفقه الله:

طالب العلم يُميِّزُ بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة:

١- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1].

٢- وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَالْوَاجِبُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَالْحَدِيثِ الْكَذِبِ فَإِنَّ السُّنَّةَ هِيَ الْحَقُّ دُونَ الْبَاطِلِ؛ وَهِيَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ دُونَ الْمَوْضُوعَةِ: فَهَذَا " أَصْلٌ عَظِيمٌ " لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ عُمُومًا وَلِمَنْ يَدَّعِي السُّنَّةَ خُصُوصًا**)[2].

٣- وقال أيضًا: (**وَالْإِسْنَادُ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ هُوَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ خَصَائِصِ أَهْلِ السُّنَّةِ**)[3].

٤- وقال أبو نصر أحمد بن سلام الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ عَلَى أَهْلِ الْإِلْحَادِ وَلَا أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنْ سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَرِوَايَتِهِ بِإِسْنَادٍ**)[4].

فائدة:

قال إسحاق بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم نظير في البدعة: جهم بْن صفوان وعمر بْن صُبيح ومقاتل بْن سُلَيْمَان**)[5].



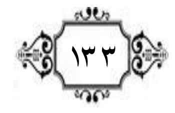
(١) "مسند أحمد" (١٦٥٠٦) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) "مجموع الفتاوىٰ" (١/ ٣٢٢) ط. مكتبة الرشيد.

(٣) "منهاج السُنة" (٤/ ٨٤) ط. دار الفضيلة.

(٤) "معرفة علوم الحديث" للحاكم (١/ ٤) ط. الكتب العلمية.

(٥) "تاريخ بغداد" (١٣/ ٦٥) تنبيه: تصحف: (صبح) في الأصل إلىٰ (صُبيح)، والصواب: ما أثبتناه كما في "تاريخ الإسلام" (٩/ ٣٥٨) و "الميزان" برقم (٦١٥٣).



فائدة أخرى:

قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شُعيب النسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة: إبراهيم بن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، وَمُحَمَّد بن سَعِيد، ويعرف بالمصلوب بالشام**)[(١)].

فائدة:

سلسة الكذب:

السُّدِّيُّ الصغير: محمد بن مروان، عن الكلبي عن أبي صالح.

قال شيخ الإسلام: هذه سلسلةُ الكذبِ، لا سلسةُ الذهب[(٢)].

الشرح:

١- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».



يحتاج طالب العلم إلىٰ أن يميز بين الحديث الصحيح والضعيف والمكذوب حتىٰ يعرف الحق والصواب فيتبعه ويعرف الباطل والخطأ فيتقيه، والذي لا تمييز له يخبط خبط عشواء ويعيش في عماء، وتعارض عنده الأدلة فيحتار فيها ولو علم أنَّ الحديث المعارض مكذوب لما أحتار ولاهتدىٰ للصواب.

وكم من حديث ضعيف بنىٰ عليه الفقهاء حكماً وهم لا يشعرون، بل هنالك من يبني أحكاماً علىٰ حديث لا أصل له.

(١) "تاريخ بغداد" (١٣/ ١٦٩).

(٢) "تدريب الراوي" للسيوطي (ص١٤٢) ط. دار الحديث القاهرة.

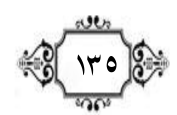



وليحذر المسلم من الكذب علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فإنَّه ليس ككذب علىٰ أحد، حتىٰ ذهب بعض العلماء إلىٰ كفر متعمد الكذب علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما جاء في الصحيحين عَنِ المُغِيرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَىٰ أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»:، وذلك أنَّ الكذب علىٰ الناس فسق والكذب عليه إذا كان فسقًا لاستوىٰ الكذب عليه وعلىٰ غيره، فلهذا قالوا الكذب عليه يعد كفراً.

ولأنَّ أن من كذب علىٰ رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد استهزأ به وسخر منه، فإن من كذب علىٰ شخص فهذا يدل علىٰ أنه مستهزئ به ومستهتر به ومحتقر له، فلا يكذب علىٰ شخص وهو يُعظمه ويُجله ويحترمه، ففي الكذب نوع سخرية واستهزاء بالنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



فعلىٰ كلٍ: هذه المسألة من المسائل الخطيرة: وهي ما يتعلق بالكذب علىٰ رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والواجب: هو تحري الأحاديث الصحيحة، وأعظم الناس تحريًا للأحاديث الصحيحة هم أهل السُنة، فإنَّهم يتحرون الأحاديث الصحيحة ويهتمون بهذا الباب اهتمامًا بالغًا، فلا يعتمدون علىٰ الموضوعات والمكذوبات، ولا علىٰ الأحاديث الضعيفة إلا ما كان فيه نزاع بين العلماء فالأمر في ذلك سهل، فالأحاديث التي اختلف فيها العلماء فهناك من أثبتها، وهناك من ضعفها الأمر فيها واسع، فأما الاعتماد علىٰ المكذوبات والموضوعات والأحاديث الواهية شديدة الضعف فأهل السُنة أبعد الناس عن هذه الأحاديث.



٢- وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَالْوَاجِبُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَالْحَدِيثِ الْكَذِبِ فَإِنَّ السُّنَّةَ هِيَ الْحَقُّ دُونَ الْبَاطِلِ؛ وَهِيَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ دُونَ الْمَوْضُوعَةِ: فَهَذَا " أَصْلٌ عَظِيمٌ " لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ عُمُومًا وَلِمَنْ يَدَّعِي السُّنَّةَ خُصُوصًا).

هذا مما يجب أن يُتحرىٰ فيه، فلا يُلقىٰ علىٰ الناس المكذوبات والموضوعات، وعامة الناس مذهبهم كما قيل: ما قيل في المحراب فهو صواب، فهذا مذهب عامة الناس، فإذا تكلم المتكلم في المحراب ووعض الناس فإنَّهم يأخذون كل ما يقوله المتكلم من الحق والباطل، ومن الأحاديث الصحيحة والموضوعة، بل ويأخذون حتىٰ الخرافات.

٣- وقال أيضًا: (وَالْإِسْنَادُ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ هُوَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ خَصَائِصِ أَهْلِ السُّنَّةِ).

قوله: (**وَالْإِسْنَادُ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ**)، فالأمم السابقة ليس عندهم إسناد، بل أخبارهم من قبيل المراسيل والمُعضلات فليس عندهم أخبار مُسندة، فالإسناد من خصائص هذه الأمة ومن شرف هذه الأمة.

قوله: (**وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِسْلَامِ**): وقد اشتهر عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول: (**الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء**)، فلا بد من مراعاة الأسانيد في الأحاديث النبوية وحتىٰ في أخبار الناس، كيف يعرف الشخص الخبر الصادق من الخبر الكاذب؟ بالأسانيد، بتسمية الرجال ومعرفة من حدثَّ بذلك الخبر، فإذا ما تتبع الإنسان الإسناد عَلِمَ صحة الخبر من ضعفه حتىٰ في أخبار الناس.

قوله: (**ثُمَّ هُوَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ خَصَائِصِ أَهْلِ السُّنَّةِ**): فأهل السُنة يهتمون بالأسانيد ولا يقبلون من الأخبار إلا المُسندة، ولا يعتمدون علىٰ المراسيل، ولا المنقطعات، ولا المُعضلات، فيعتمدون علىٰ الأخبار المُسندة، بعكس أهل البدع والأهواء ليس عندهم اهتمام بما يتعلق بالأسانيد، بل ليس عندهم اهتمام بالحديث عمومًا،

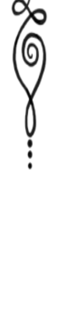



فيهتمون بكلام الفلاسفة وأهل المنطق وما إلىٰ ذلك ويعتمدون عليها كاعتمادهم علىٰ الكتاب والسُنة أو أشد، ولا يهتمون بمعرفة الصحيح والضعيف ومعرفة الأسانيد.

وهناك كُتب لبعض أهل البدع والأهواء مبنية علىٰ الهيام ليس لها زمام، ودينهم متعلق بها فأخذوا دينهم من كُتب ليس عليها أسانيد، وأحاديث ليس عليها أسانيد صحيحة إلىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٤- وقال أبو نصر أحمد بن سلام الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ عَلَى أَهْلِ الْإِلْحَادِ وَلَا أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنْ سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَرِوَايَتِهِ بِإِسْنَادٍ).

لأنه من أعظم ما يقطع باطل المُلحدين، فما استطاع المُلحدون أن يدسوا شيئًا في الإسلام، كلما حاولوا أن يدسوا شيئًا في الإسلام إذا بعلماء الحديث يفضحونهم بالأسانيد ومعرفة الرجال، فينظرون إلىٰ تلك الأسانيد ويعرفون أنها من قبيل المكذوب وأنها أخبار مكذوبة، فما استطاع المُلحدون أن يدخلوا شيئًا فيروج ويدخل في مُسمىٰ الإسلام ولا يُكشف، وكل من أدخل شيئًا في سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا به يُكشف بعلم الحديث وعلم الجرح والتعديل، وعلم العلل، فميزوا بين الصحيح والضعيف وفضحوا المُلحدين وكشفوا أمرهم.



فائدة:

قال إسحاق بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لَهُم في الدنيا نظيرٌ -يعني فِي البدعة والكذب-: جهم بْن صفوان وعمر بْن صُبح ومقاتل بْن سُلَيْمَان).

قوله: (**جهم بن صفوان**): وهذا رأس في البدعة، وهو رأس الجهمية.

قوله: (**عمر بن صُبح**): من الكذابين.

قوله: (**ومقاتل بْن سُلَيْمَان**): كذلك من جُملة الكذابين.

فائدة أخرى:

قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شُعيب النسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة: إبراهيم بن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، وَمُحَمَّد بن سَعِيد، ويعرف بالمصلوب بالشام).

قوله: (**إبراهيم بن أبي يحيىٰ**): هو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيىٰ، قال فيه الإمام أحمد: (قدري، معتزلي، جهمي كل بلاء فيه)، وهو أحد الكذابين، جمع الكذب وجمع البدع.

قوله: (**والواقدي ببغداد**): وهو محمد بن عمر بن واقد.

قوله: (**ومقاتل بن سليمان بخراسان، وَمُحَمَّد بن سَعِيد**): وهؤلاء هم الكذابون الذين وضعوا جمُلة من الأحاديث المكذوبة علىٰ رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فائدة:

سلسة الكذب:

السُّدِّيُّ الصغير: محمد بن مروان، عن الكلبي عن أبي صالح.

قال شيخ الإسلام: هذه سلسلةُ الكذبِ، لا سلسةُ الذهب.

وقوله: (**محمد بن مروان**): هو الصغير، أما السديّ الكبير فهو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة وهو صدوق حسن الحديث، أخرج له الإمام مسلم في صحيحه، وإنما الكلام في السُديِّ الصغير: محمد بن مروان.

قوله: (**الكلبي**): وهو محمد بن السائب.

قوله: (**أبي صالح**): باذام بالميم ويُقال بالنون: باذان، وهو ضعيف الحديث.

قوله: (**هذه سلسلةُ الكذبِ، لا سلسةُ الذهب**): وسلسلة الذهب هي: مالك، عن نافع، عن ابن عمر، ومنهم من يُضيف الشافعي، ومنهم من يُضيف أحمد، يعني: أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر.




قال وفقه الله:

تحصيل العلم يكون بالملازمة والحفظ:

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ الوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: لِأَبِي هُرَيْرَةَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْتَ كُنْتَ أَلْزَمَنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحْفَظَنَا لِحَدِيثِهِ**».

قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قال الشيخ مُقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو صحيح على شرط مسلم"[1].

لقد كان السلف رضوان الله عليهم يهتمون بحفظ العلم غاية الاهتمام، وكانوا أوعية العلم وحفاظَهُ، وبهم حَفِظَ اللهُ دينهُ، وسُنَّة نبيه من تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين، وتأويل الجاهلين، وإليك أمثلة لذلك:

قال عبد الله قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: (**أَبُوكَ يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفِ حَدِيْثٍ. فَقِيْلَ لَهُ: وَمَا يُدرِيك؟ قَالَ: ذَاكَرْتُهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الأَبْوَابَ**).

قال الذهبي: (**فَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيْحَةٌ فِي سَعَةِ عِلمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَكَانُوا يَعُدُّوْنَ فِي ذَلِكَ المُكَرَّرَ، وَالأَثَرَ، وَفَتْوَى التَّابِعِيِّ، وَمَا فُسِّرَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَإِلاَّ فَالمُتُوْنَ المَرفُوعَةُ القَوِيَّةُ لاَ تَبلُغُ عُشْرَ مِعشَارِ ذَلِكَ**)[2].

قال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**..وأحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلبي، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة. فقيل له: ما معنى حفظ المزورة؟ قال: إذا مر بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فليته منها فليًا**)[3].



(١) "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" رقم (٧١٦) (١/ ٥٧٧) ط. دار الآثار.

(٢) "سير أعلام النُبلاء" (١١/ ١٨٧) ط. مؤسسة الرسالة.

(٣) "تاريخ بغداد" (٦/ ٣٤٩) ط. دار الكتب العلمية.



﴿ وقال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أحفظُ مائة ألف حديثٍ صحيح، وأحفظُ مائتي حديث ألف حديثٍ غير صحيح)**[١].

﴿ قال أبو زُرعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد، وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث)**[٢].

﴿ حَدَّثَنِي أبو القاسم الأزهري- من حفظه- قَالَ: سمعت أَحْمَد بْنُ إِبْرَاهِيمَ بن شاذان يَقُول- في المذاكرة- خرج أبو بكر بن أبي داود إلى سجستان في أيام عمرو بن الليث، فاجتمع إليه أصحاب الحديث وسألوه أن يحدثهم فأَبَى، وقَالَ: ليس معي كتاب، فقَالُوا له: ابن أبي داود وكتاب؟ قَالَ أبو بكر فأثاروني، فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي)[٣].

﴿ قال إسرائيل بن يونس: **(كنت أحفظ حديث أبي إسحاق كما أحفظ السورة من القرآن)**[٤].

فائدة:

قال يحيى بن مندة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قيل أحفظ الأمة أبو هريرة، ثم أبو زرعة الرازي. وقيل: ما ولدت حواء قط أحفظ من أبي زرعة)**[٥].

الشرح:

---

(١) "تاريخ بغداد" (٢/ ٢٥).

(٢) "تاريخ بغداد" (١٠/ ٣٣٣).

(٣) "تاريخ بغداد" (٩/ ٤٧٢).

(٤) "تهذيب الكمال" (١/ ٢٠٨) ط. مؤسسة الرسالة.

(٥) "شرح علل الترمذي" (١/ ٢٢٣) ط. دار البيروتي.

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ الوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: لِأَبِي هُرَيْرَةَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْتَ كُنْتَ أَلْزَمَنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحْفَظَنَا لِحَدِيثِهِ**».

قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قال الشيخ مُقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو صحيح على شرط مسلم

فبيَّنَ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مُلازمة أبي هريرة لرسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكثره حفظه لحديث رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فينال العبد العلم بملازمة العلماء وبحفظه، وكلما طالت مُلازمته لأهل العلم فإنه ينال الخير الكثير، وكلما حفِظَ العلم ازداد خيرًا.



لقد كان السلف رضوان الله عليهم يهتمون بحفظ العلم غاية الاهتمام، وكانوا أوعية العلم وحفاظَهُ، وبهم حَفِظَ اللهُ دينهُ، وسُنَّة نبيه من تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين، وتأويل الجاهلين، وإليك أمثله لذلك:

قال عبد الله قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: (أَبُوكَ يَحْفَظُ أَلفَ أَلفِ حَدِيْثٍ. فَقِيْلَ لَهُ: وَمَا يُدرِيكَ؟ قَالَ: ذَاكَرْتُهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الأَبْوَابَ).

قوله: (**أَلْفَ أَلْفِ حَدِيْثٍ**): بالاصطلاح المعاصر للأعداد: يعني: مليون حديث، وقديمًا كانوا يُعبرون بهذا التعبير ليس عنهم مليون ولا مليار، والألف إذا كُرر ألف مرة بلغ المقدار هذا المقدار.

قال الذهبي: (فَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيْحَةٌ فِي سَعَةِ عِلمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَكَانُوا يَعُدُّوْنَ فِي ذَلِكَ المُكَرَّرَ، وَالأَثَرَ، وَفَتْوَى التَّابِعِيِّ، وَمَا فُسِّرَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَإِلاَّ فَالمُتُوْنَ المَرفُوعَةُ القَوِيَّةُ لاَ تَبلُغُ عُشْرَ مِعشَارِ ذَلِكَ).

والأمر كما قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فليس المراد بذلك المتون المرفوعة من غير تكرار، فالمتون المرفوعة من غير تكرار لا تبلغ هذا المقدار ولا تكاد، بل ذكر ابن الجوزي في كتابه "صيد الخاطر": أن الأحاديث الصحيحة والموضوعة والمُحالة لا تبلغ خمسين ألفًا.

وذكر ابن الجوزي في "صيد الخاطر": أن المُراد بذلك الأسانيد، فالحديث إذا رُوِيَّ من مائة طريق يُعدَّ عندهم مائة حديث، فالأسانيد المُكررة تدخل في حِساب العدد عندهم، وهنا ذكر الذهبي ما هو أوسع من ذلك وأنهم يضمون إلىٰ ذلك الآثار التي جاءت عن الصحابة الكِرام، ويضمون إلىٰ ذلك فتاوىٰ التابعين، وليس المُراد بذلك المتون المرفوعة إلىٰ رسول الله ﷺ فإنها لا تبلغ هذا المقدار.

إذًا: هذا هو المُراد بمثل هذه العبارات: (**أَبُوكَ يَحْفَظُ أَلفَ أَلفِ حَدِيْثٍ**)، ليس المراد بذلك المتون المرفوعة من غير تكرار، فإنها لا تكاد تبلغ هذا المقدار.

قال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (..وأحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلبي، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة. فقيل له: ما معنى حفظ المزورة؟ قال: إذا مر بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فليته منها فليًا).

قوله: (**إسحاق بن إبراهيم الحنظلي**): وهو ابن راهويه.

قوله: (**وأحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلبي**): وهذا من سعة حفظه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة**): أي: مكذوبة وحفظها من أجل أن يُميِّز بين الصحيح والضعيف، فيحفظ الضعيف لا للعمل به؛ لكن من أجل أن يُميِّز بينه

وبين الصحيح فيعرف ما صحَّ عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما لم يصح، فكانوا يحفظون الصحيح ويحفظون أيضًا الضعيف.

ﮋ وقال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أحفظُ مائة ألف حديثٍ صحيح، وأحفظُ مائتي حديث ألف حديثٍ غير صحيح).

فما حَفِظه من الضعيف أكثر مما حفظه من الصحيح؛ وهذا يدلُ علىٰ كثرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والأمر كذلك فالأحاديث الضعيفة والموضوعة كثيرة جدًا.



ﮋ قال أبو زُرعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد، وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث).

وهذا يدل علىٰ سعة إتقانه، لكن علقَّ الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السيَّر" علىٰ هذا الكلام المنقول عن أبي زُرْعة وقال: هذه حكاية مُرسلة، وحكاية صالح جزرة أصح، وحكايته: (أنه قال لأبي زُرعة: يقال أنك تحفظ مائة ألف حديث، فهل تستطيع أن تملي عليَّ من حفظك ألف حديث؟ قال: لا، ولكن إن عُرضت عليَّ عرفتها)، أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومعنىٰ ذلك: أنه يعرف تلك الأحاديث التي حفظها وأنها من حديثه، وإذا ما ذُكرت له ميَّزها أنها من حديثه أو من حديث غيره، فأما أن يُملي تلك الأحاديث إملاءً من حفظه فلا يستطيع أن يُملي ألف حديث، فهذه رواية صالح جزرة التي ذكرها الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنها أصح من هذه الرواية.

ﷻ حَدَّثَنِي أبو القاسم الأزهري- من حفظه- قَالَ: سمعت أَحْمَد بْنُ إِبْرَاهِيمَ بن شاذان يَقُول- في المذاكرة- خرج أبو بكر بن أبي داود إلى سجستان في أيام عمرو بن الليث، فاجتمع إليه أصحاب الحديث وسألوه أن يحدثهم فأَبَى، وقَالَ: ليس معي كتاب، فقَالُوا له: ابن أبي داود وكتاب؟ قَالَ أبو بكر فأثاروني، فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي).

قوله: (**أبو بكر بن أبي داود**): وهذا هو ابن صاحب السُنن، وهو صاحب كتاب "المصاحف".

قوله: (**ليس معي كتاب**): فكانوا يتورعون في التحديث ويتحرون مع سعة حفظهم، وكثير من هؤلاء الحُفاظ الكِبار إذا عقد أحدهم مجلساً للإملاء قرأ من كتاب؛ وذلك من أجل الضبط التام للحديث وحتىٰ لا يحصل له فيه شيء من الوهم، ولا شيء من الزيادة، ولا شيء من النقصان فهكذا كانوا يفعلون مع سعة حفظهم، فكان الواحد منهم يُحدث من كتابه في مجلس الإملاء من أجل مزيد الضبط والاتقان، لا لعدم الحفظ، فإنَّهم كانوا هم حُفاظ الدنيا رحمهم الله.



قوله: (**ابن أبي داود وكتاب؟**): يعني: لا يُحدث إلا من كتاب؟!.

قوله: (**قَالَ أبو بكر فأثاروني، فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي**): وهذا أيضًا مما يدل علىٰ سعة حفظه.

ﷻ قال إسرائيل بن يونس: (كنت أحفظ حديث أبي إسحاق كما أحفظ السورة من القرآن).

قوله: (**كنت أحفظ حديث أبي إسحاق**): يعني: حديث جده.




قوله: (**كما أحفظ السورة من القرآن**): فأولئك قوم مَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم بالحفظ وحَفِظَ الله عَزَّوَجَلَّ بهم السُّنة، ولمَّا حُفِظت السُّنة ودونت بالكتب كاد الحفظ أن يضيع.

فائدة:

قال يحيى بن مندة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قيل أحفظ الأمة أبو هريرة، ثم أبو زُرعة الرازي. وقيل: ما ولدت حواء قط أحفظ من أبي زرعة).

قوله: (**ثم أبو زُرعة الرازي**): وأبو زُرعة مضروب به المثل في الحفظ، وتلك الحكاية التي صححها الذهبي حكاية صالح جزرة لعلها من تواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو من تورعه، لا يُريد أن يُحدث إلا بما أتقنه غاية الاتقان.



والحفظ نعمة من النِعم، وينبغي أن يستغل الحِفظ في مبدأ العُمر فإنه موطن الحِفظ، وقد ذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صيد الخاطر": أن الحفظ يكون من سن الخامسة إلىٰ سن البلوغ، وأن هذا هو موطن الحفظ وما بعد ذلك فإن الذهن يتشتت، فالحرص علىٰ الحفظ من هذا الوقت فإنه موطن الحفظ، فيهتم الشخص بالحفظ ويبدأ بحفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ويُتقنه، وما تيسير من المحفوظات، وإذا ما كَبُرَ سِنَّ الشخص ثقُلَ عليه الحفظ؛ لأن الذهن يتشتت في أمور متعددة فلا يكاد الذهن يجتمع علىٰ الحفظ، فالعناية بالحفظ من أول الأمر مما ينبغي.

قال وفقه الله:

العلم ما قام عليه الدليل:

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ أَحَالَكَ عَلَى غَيْرِ أَخْبَرَنَا وَحَدَّثنَا فقَدْ أَحَالَكَ: إِمَّا عَلَى خَيَالِ صُوفِيٍّ، أَوْ قِيَاسِ فَلْسَفِيٍّ. أَوْ رَأْيٍ نَفْسِيٍّ. فَلَيْسَ بَعْدَ الْقُرْآنِ وَأَخْبَرَنَا وَحَدَّثَنَا إِلَّا شُبَهَاتُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَآرَاءُ الْمُنْحَرِفِينَ، وَخَيَالَاتُ الْمُتَصَوِّفِينَ، وَقِيَاسُ الْمُتَفَلْسِفِينَ، وَمَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ، ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**)[(١)].

الشرح:

قوله: (**إِمَّا عَلَىٰ خَيَالِ صُوفِيٍّ**): يقولون نحن نقول: حدثني أو قال لي قلبي عن ربي، فهو حي عن حي، وأنتم تحدثون عن الأموات فتقولون: حدثني فلان عن فلان في أناس قد ماتوا، وأمَّا نحن فنحدث عن الحي القيوم مُباشرةً، هذا هو الخيال الصوفي.

قوله: (**وَمَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ، ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**): وهذا كلام في غاية الحُسْن.

---

(١) "مدارج السالكين" (٢/ ١٧٩) ط. مؤسسة المختار.

قال وفقه الله:

من ينهى عن طلب العلم:

١- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَمْ يَنْهَ عَنِ الْعِلْمِ إِلَّا قُطَّاعُ الطَّرِيقِ مِنْهُمْ، وَنُوَّابُ إِبْلِيسَ وَشُرَطُهُ**)[١].

٢- قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأما الذين يُنَفرون الناس عن العلم النافع ويُنفرون من الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأنهم وهابية هو إما شِيوعي أو مَصلحي أو جاهلٌ، فهم يُنفرون عن العلم؛ لأنه به تنكشف الحقائقُ ويظهرُ الحقُ من الباطلِ**)[٢].

الشرح:

١- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَمْ يَنْهَ عَنِ الْعِلْمِ إِلَّا قُطَّاعُ الطَّرِيقِ مِنْهُمْ، وَنُوَّابُ إِبْلِيسَ وَشُرَطُهُ).



فهؤلاء الذين ينهون ويصدون الناس عن العلم الشرعي ويزهدون الناس عن العلم الشرعي، ويُحاربون من أراد طلب العلم هم قطاع الطريق عن الدار الآخرة، وهذا قد يحصل حتىٰ من الآباء الجُهَّال يُحاربون أبناءهم حربًا شديداً، ويمنعون أبناءهم من طلب العلم ويصرفونهم إلىٰ الدنيا وإلىٰ شهواتها وملذاتها، فمن صدَّ عن العلم فهو قاطع طريق، فإن العلم طريق موصول إلىٰ الجنة قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»، فهو طريق موصل إلىٰ الجنة، فمن صدَّ عنه فهو من قُطاع الطُرق، وهو أشد ممن يقطع الطريق لأخذ أموال الناس الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ

(١) "مدارج السالكين" (٢/ ١٧٦) ط. مؤسسة المختار.

(٢) "المُرج من الفتنة" (ص١٥١) ط. صنعاء الأثرية.

خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]، فهؤلاء الذين يقطعون الأسفار إنَّما يقطعون الطريق الموصل إلىٰ بعض مقاصد الدنيا ويأخذون أموال الناس وقد جاء فيهم هذا الوعيد الشديد، فكيف بالذي يقطع طريق الآخرة ويصدُّ الناس عن عظيم الخير وعن السعادة الحقيقة الأبدية؟، فالذين يصدون الناس عن طريق الجنة فهؤلاء هم أعظم قُطاع الطُرق.

وقوله: (وَشُرَطُهُ): أي: جُند إبليس.

٢- قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما الذين يُنَفِرون الناس عن العلم النافع ويُنفرون من الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأنهم وهابية هو إما شِيوعي أو مَصلحي أو جاهلٌ، فهم يُنفرون عن العلم؛ لأنه به تنكشف الحقائقُ ويظهرُ الحقُ من الباطلِ).

هذا كلام صحيح فهم يخافون من الفضيحة فإن العلم ضوء وهم قد ظهرت عوراتُهم، وإذا جاء الضوء انكشفت عوراتُهم لأعين الناس؛ فلهذا يُحاربون العلم والدعوة إليه.

قال وفقه الله:

طالبُ العلم يشكر لمن استفاد منهُ:

قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا الربيعُ بنُ مسلم، عن محمَّد بن زِيَاد عَن أَبِي هريرة، عن النبي -ﷺ- قال: «**لا يَشْكُرُ الله من لا يَشْكُرُ النَّاس**».

قال الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حديث صحيح على شرط مسلم[(١)].

وقال الشاعر:

إذا أفـادكَ إنســانٌ بفائـدةٍ ... مـن العـلـوم فلازمْ شكرهُ أبدَا
وقل فلانٌ جزاه الله صالحةً ... أفادنيها ودعك الكِبرَ والحَسَدا.

---

(١) "الصحيح المسند" رقم (١٣٣٠) (٢/ ٣٥١) ط. دار الآثار.




وقال بعضهم:

إذا أنتَ أكرمتَ الكَريمَ مَلكتَهُ ... وَإن أكرمـتَ اللـئيمَ تَمَــرَّدَا.

الشرح:

قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا الربيعُ بنُ مسلم، عن محمَّد بن زِيَاد عَن أَبي هريرة، عن النبي -ﷺ- قال: «**لا يَشْكُرُ الله من لا يَشْكُرُ النَّاس**».

قال الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

ومن شُكر الله عَزَّوَجَلَّ: أن يشكر الطالب لشيخه الذي علمه؛ فإن العلم هو أعظم المنافع وأعظم الهبات والهدايا.

وقال الشاعر:

إذا أفـادكَ إنســانٌ بفائـدةٍ ... مـن العـلوم فلازمْ شكرهُ أبَدا

وقل فلانٌ جزاه الله صالحةً ... أفادنيها ودعك الكِبرَ والحَسَدا.

وقال بعضهم:

إذا أنتَ أكرمتَ الكَريمَ مَلكتَهُ ... وَإن أكرمـتَ اللـئيمَ تَمَــرَّدَا.



ومما يُذكر في هذا الباب عن شُعبة بن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: (من كتبتُ عنه حرفًا فأنا له عبد)، رواه ابن الجعد في مسنده، وغير واحد بإسناد صحيح عن شعبة بن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صار له عبداً بهذه الفائدة الواحدة، وليس المُراد بذلك العبودية التي لا تكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ، فإن العبودية قد يُراد بها عبودية العبادة، وقد يُراد بها عبودية الرِق، وهو يُريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا التمثيل بعبودية الرِق، أي: يصير خادمًا له، مُنقادًا له، شاكرًا لمعروفه شبيه بعبودية الرِق لا حقيقة عبودية الرِق، وهو أراد بذلك ضرب المثل، بأن يصير شبيهًا بالعبد لهذا الذي أحسن إليه، فإن المعروف إحسان ومن أحسن إلىٰ شخص ملكه، وكما قيل:



- أحسن إلىٰ من شئت تكن أميرهُ.
- واحتج إلىٰ من شئت تكن أسيرهُ.
- واستغنِ عمن شئت تكن نظيرهُ.



آثار في فضل الإسلام والتوحيد

قال وفقه الله:

فضلُ الإسلام والسُّنة:

١- قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ**)، رواه الحاكم(١).

٢- وقال أبو برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ عَلَى الْحَالِ الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْقِلَّةِ وَالضَّلَالَةِ، وَإِنَّ اللهَ أَنْقَذَكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ - ﷺ - حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ**)(٢).

٣- وقال ابن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْبَرَنَا هِشَامٌ أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: (**مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَفْضَلُ عَلَيَّ. أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلامِ. أَوْ لَمْ يَجْعَلْنِي حَرُورِيًّا**)(٣).

فائدة:

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

قال ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَدْ دَارَتْ أَقْوَالُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ هِيَ الْإِسْلَامُ وَالسُّنَّةُ**)(٤).



(١) "صحيح الترغيب والترهيب" (٣/ ١٠٠-١٠١) ط. مكتبة المعارف.
(٢) "صحيح البخاري" (٧١١٢) كتاب الفتن.
(٣) "الطبقات" (٧/ ٨١) ط. الكتب العلمية، و"حلية الأولياء" رقم (٢١٠٩)، والبيهقي في "الشُّعَبْ" برقم (٤١٩٠).
(٤) "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية" (١/ ٥).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ السُّنَّةَ حِصْنُ اللَّهِ الْحَصِينُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْآمِنِينَ. وَبَابُهُ الْأَعْظَمُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَاصِلِينَ)[1].

فائدة أخرى:

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(اعلموا أن الإسلام هو السُّنة والسُّنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر)**[2].

الشرح:

١- قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ)**، رواه الحاكم

وهذه المقولة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صارت من جُملة الحِكم المتداولة في أوساط الناس.



وقالها عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين ذهابِهِ إلىٰ الشام بعد أن فُتحت، قال الراوي: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ الشَّامِ، وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَأَتَوْا عَلَىٰ مَخَاضَةٍ وَعُمَرُ عَلَىٰ نَاقَةٍ لَهُ، فَنَزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَىٰ عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ، فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا؟، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَىٰ عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: **" أَوَّهْ، لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ، جَعَلْتُهُ نَكَالًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ** ﷺ)، ثم قال هذه المقولة الشهيرة: **(إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ، فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ بِهِ، أَذَلَّنَا اللهُ)**، وهذا كلام حق، كلام صحيح وهو من جُملة الحِكم التي تكلم بها عُمر الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) "المصدر السابق" (١/ ٧).

(٢) "شرح السُّنة" فقرة (١).

وقوله: (إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ): أي: في الجاهلية، فكانوا يأكلون الميتة، وكانوا يقطعون الأرحام، وكان القوي يبطش بالضعيف، وكانوا يَأِدُونَ البنات، وقد يفعلون هذا أيضًا بالأبناء خوف الفقر، وبالبنات خوف العار، وفيهم ما فيهم من الظلم والجهل، ويعبدون ما يصنعون، فيصنعون الأصنام من الأحجار ويعبدونها، وربما صنعوها من التمر فإذا جاعوا أكلوا ما يعبدون، فكان فيهم ما فيهم من الجهالة.

قوله: (فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ): حصلت لهم العزة والرِفعة والشرف والمكانة في الدنيا والآخرة بالإسلام، بعد أن بُعِثَ نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ودعا الناس إلىٰ الإسلام فدخلوا في الإسلام فأعزهم الله في الدنيا والآخرة.

قوله: (فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ بِهِ، أَذَلَّنَا اللهُ): فمن طلب العز والرِفعة بغير الإسلام فإن الله عَزَّوَجَلَّ يُذلهُ، فمن يطلب العزة بالكافرين يُذله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن يطلب العزة بالكِبر علىٰ الخلق فإن الله عَزَّوَجَلَّ يُذله، من يتكبر علىٰ الناس هو يُريد بذلك العزة والرِفعة؛ لكنه مُهان حقير في الدنيا وفي الآخرة فإن المتكبرين يُحشرون كهيئة الذر في صور الرجال يطؤهم الناس بأقدامهم، فالمتكبر ذليل في الدنيا والآخرة.



فما فعله عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ليس فيه شيء من الذِلة، فعل ما يفعله البشر مرَّ بمخاض ماء فاحتاج أن يقطع ذلك الماء ففعل ما يفعله غيره من الناس لم ينظر إلىٰ مكانته، وأنه أمير المؤمنين وأنه كذا وكذا، فالناس إذا وصلوا إلىٰ هذه الحال فعلوا مثلما فعل، فنزل من علىٰ بعيره وأخذ بخطام البعير وخلع خُفيه حتىٰ لا تبتل بالماء فتتلف، ووضع خُفيه علىٰ عاتقه، ففعل ما يفعله آحاد الناس ولم يأنف من هذا الفعل ولم ينظر إلىٰ نفسه بأنه هو هو، وأنه الخليفة، وأنه كذا وكذا، وبيَّن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن العزة إنما هي بالإسلام، فالعزة بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ وبطاعة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليست بهذه

الأمور، فالذلة لا تكون بهذه الأمور والعزة لا تكون بخلافها، وإنما تكون الذلة بمعصية الله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّـٰهَا﴾ [الشمس:١٠]، دسَّ نفسه بمعصية الله.

وكان نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو خير الخلق يَركَبُ الخيل ويركبُ الإبل، ويَركبُ الحمار وهي أدنىٰ المركوبات في تلك الأزمان ولم يأنف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك.

وجاء في "المُسند" من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: سُئِلْتُ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «**كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ**»، وقولها: (**يَفْلِي ثَوْبَهُ**) أي: يُزيل ما فيه من الأذىٰ.

وفي لفظ في المسند بإسناد صحيح قالت: (**كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، قَالَتْ: وَكَانَ يَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ**)، فهذا شأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو إمام الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أشرف الخلق وأعلىٰ الخلق منزلة ومع هذا كان هذا حاله فكان يفعل ما يفعله البشر، كان يفتل ثوبه، ويُزيل ما يؤذيه من ثوبه بنفسه، ويحلب شاته بنفسه، ويخدم نفسه إذا احتاج إلىٰ أي شيء لا يجعل نفسه أميرًا ومَلِكًا: افعلوا كذا، وافعلوا كذا، واصنعوا كذا، يخدم نفسه في حاجته لا يحتاج إلىٰ أحد، وأيضًا يخصفُ نعله إذا حصل شيء من الخرق في النعل فإنه يجعل طبقة علىٰ طبقة لسد تلك الثقوب التي في النعل فيخصف نعله بنفسه، ويفعل ما يفعله الرجال في بيوتهم، هكذا تقول عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، لم يكن يأنف من الأشياء التي ليس فيها حُرمة مما يفعله آحاد الناس.

وانتقد المشركون النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما لا مطعن فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٧]، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠]، هذا حال سائر الأنبياء والرُسل، هم من جملة البشر وإن كان الله عَزَّوَجَلَّ أكرمهم بالرسالة والنبوة؛ لكن في أمورهم الدنيوية هم من جملة البشر: يأكلون

الطعام، ويشمون في الأسواق، فلا عيب علىٰ الإنسان أن يمشي في الأسواق لقضاء حاجته، ويخدم نفسه، ويخصف نعله، ويخيط ثوبه، فليس هذا من العيب.

وفي قضية أكل الطعام فقد بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّ الرسول ليس ملكًا من الملائكة لا يحتاج إلىٰ طعام بل هو من جملة البشر، وهكذا سائر الرُسل ما كانوا ملائكة لا يحتاجون إلىٰ الطعام.

فعلىٰ كلٍ: الإنسان يطلب العزة لنفسه بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، لا يطلب العزة لنفسه بالترفع عن الناس، والتعالي علىٰ الخلق، والأنفة، والكِبر فهذه هي المذلة، وفي الحقيقة أنه يُذل نفسه بذلك، وهو حقير في أنظار الناس فإن من تعالىٰ علىٰ الناس احتقروه، هذه أشياء مفطورة في النفوس: أن من تعالىٰ علىٰ الناس احتقروه، ومن كان سهلًا لينًا رفعوه فارتفع في نفوسهم، وأما المتعالي المتكبر الذي عنده الأنفة فإنه حقير في أنظر الناس، فالعزة إنما هي بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ بالإسلام، والذِلة بمعصية الله، هذا هو الميزان الشرعي وهذا هو الميزان الصحيح.



٢- وقال أبو برزة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ عَلَى الْحَالِ الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنْ الذِّلَّةِ وَالْقِلَّةِ وَالضَّلَالَةِ، وَإِنَّ اللهَ أَنْقَذَكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ - ﷺ - حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ).

قوله: (**أبو بُرزة**): وهو عبد الله بن عُبيد الأسلمي.

قوله: (**حَتَّىٰ بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ**): أي: من العزة، ومن الرفعة، ومن علو المكانة فأعزهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالإسلام.

٣- وقال ابن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْبَرَنَا هِشَامٌ أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: (**مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَفْضَلُ عَلَيَّ. أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلامِ، أَوْ لَمْ يَجْعَلَنِي حَرُورِيًّا**).

قوله: (**عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ**): وهو رُفيع بن عمران الرياحي.

قوله: (**مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَفْضَلُ عَلَيَّ. أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلامِ، أَوْ لَمْ يَجْعَلَنِي حَرُورِيًّا**): والمعنىٰ أنهما نعمتان عظيمتان، وليس المعنىٰ أنه أشكل عليه أي النعمتين أفضل، فإنَّه لا شك أن نعمة الإسلام هي الأفضل، لكن مثل هذه العبارة يستعملها العلماء؛ لبيان عظيم الأمرين وأنهما من الأمور العظيمة والكبيرة، ومن الأمور الشريفة وإن كانوا لا يجهلون أن أحدهما أفضل من الآخرة فإن نعمة الإسلام هي أفضل النِعم.

وكون الله عَزَّوَجَلَّ نجىٰ العبد من البِدع فهي نعمة لكنَّها دون نعمة الإسلام وأفضل النِعم هي نعمة الإسلام قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣]، فنعمة الإسلام نعمة يجب أن تُشكر، وكذلك نُعمة السُّنة، وكم من أناس ولدوا في بُلدان الكفار من أبوين كافرين، فلم يهتدوا إلىٰ الإسلام، وأنت مَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليك أن ولدت في بلاد المسلمين، ومن أبوين مسلمين، وهذا الأمر ليس بحولك ولا بقوتك بل هذا شيء أراده الله عَزَّوَجَلَّ، ولو شاء الله عَزَّوَجَلَّ جعلك في بلاد الكفار ومن أبوين كافرين، ولكنت من أولئك القوم، لكن منَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليك بمنة عظيمة من فضله وكرمه وجوده، فإذا تأمل الإنسان في هذا الأمر عَلِمَ فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه وإلا فكم من أُناس ولدوا في بُلدان الكفار ومن أبوين كافرين، وصاروا علىٰ دين آبائهم ومآلهم إلىٰ الخلود في نار جهنم والعياذ بالله، وأنت مَنَّ الله عليك بهذه المِنة: جعلك الله عَزَّوَجَلَّ في بلاد المسلمين ومن أبوين

مسلَمين، وهداك الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ الإسلام لا بحولك ولا بقوتك، فالواجب: شُكرَ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ هذه النِعمة التي هي أعظم النِعم، وإن مَنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليك بعد ذلك بالسُنة وأبعدك عن أهل البِدع والأهواء فهي نعمة إلىٰ نعمة، وكم من أُناس من أهل الإسلام ضلوا في البدع والأهواء، وتلاطمت بهم الأهواء، وضلوا ضلالًا بعيدًا، فإذا مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليك بالإسلام ثم مَنَّ عليك بالسُنة فأي كرامة أنت فيها؟ إنها من أعظم الكرامات، ومن أشرف الكرامات.

فالواجب: أن تُشكر هذه النِعم فإن النِعم إذا ما شُكِرتْ قرت، وإذا ما كُفِرتْ فرت.

وليعلم الإنسان فضل الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وأنه ليس بحوله ولا بقوته فإن من اعتقد أن ذلك بحوله وقوته ضلَّ وهلك، وإنما هي نعمة وفضل من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والله عَزَّوَجَلَّ هو ملقب القلوب فلا تدري هل تثبت علىٰ ما أنت عليه أو يُزيل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عنك هذه النِعمة، فإن شكرت نعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليك قرت وإلا فرت.



فائدة:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

قال ابن القيم الجوزية رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَقَدْ دَارَتْ أَقْوَالُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ هِيَ الْإِسْلَامُ وَالسُّنَّةُ).

أقوال السلف تدل علىٰ هذا المعنىٰ، فهذا هو فضل الله عَزَّوَجَلَّ وهذه هي رحمته: الإسلام، والسُنة، وهذا أحسن ما يُقال في معنىٰ هذه الآية: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ [يونس:٥٨]، أي: بالإسلام والسُّنة: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس:٥٨]، هذا هو الفرح المحمود، وأما الفرح بالدنيا وبشهواتها أو بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ فهو فرح مذموم: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]، هذا مثل الفرح بالدنيا

وشهواتها وملذاتها، وهكذا الفرح بمعصية الله: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد:٢٦]، فهذا فرح مذموم.

وهكذا الفرح بمعصية الله: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٨١]، هذا فرح مذموم؛ لأنه فرح بمعصية الله، إلىٰ غير ذلك.

وهكذا الفرح بالعلوم الفاسدة، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر:٨٣]، العلم الذي عندهم عارضوا به ما جاءت به الرُسل وتمكسوا به وأخذوا به، واستغنوا به عما جاءت به الرُسل من الحق ومن العلم النافع.

فالفرح بفضل الله ورحمته والفرح بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا من الفرح المحمود، وأعظم ما يفرحُ به الإنسان: الإسلام والسُّنة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

وذكر عن بعضهم فيمن مضىٰ: أنه كان سمين الجسم، فَسُئِلَ عن ذلك فقال: من فرحي بالسُّنة.

فعلىٰ كل: الإسلام والسُنة أعظم ما يُفرح بهما.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ السُّنَّةَ حِصْنُ اللَّهِ الْحَصِينُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْآمِنِينَ. وَبَابُهُ الْأَعْظَمُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَاصِلِينَ).

قوله: (**فَإِنَّ السُّنَّةَ حِصْنُ اللهِ الْحَصِينُ**): وهو كما قال: فالسُنة حصن حصين من البدع والأهواء، ومن معصية الله عَزَّوَجَلَّ عمومًا.

قوله: (**وَبَابُهُ الْأَعْظَمُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَاصِلِينَ**): فهو طريق موصل إلىٰ رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس هنالك طريق إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إلا ما جاء به رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو طريق سُنته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فائدة أخرى:

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلموا أن الإسلام هو السُّنة والسُّنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر).

قوله: (**اعلموا أن الإسلام هو السُّنة والسُّنة هي الإسلام**): وهذا الكلام من الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرَّ معنا في شرح السُّنة للإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بيَّنَ فيه: أن الإسلام هو السُّنة والسُّنة هي الإسلام، والأمر كما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وليس المُراد بالسُّنة السُّنة الاصطلاحية التي تُقابل المستحب، وإنما السُّنة طريق رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والطريق الذي نهجه وسار عليه رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو الإسلام، والإسلام هو السُّنة وهو الطريق الذي نهجهُ، فالإسلام هو السُّنة والسُّنة هي الإسلام.



قوله: (**ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر**): فمن أراد إسلام من غير سُنة فإنما يُريد الكُفر، لا يجود إسلام من غير سُنة، ومن يُريد السُنة بغير إسلام إنما يُريد الكُفر، ليس هناك سنة من غير إسلام، فلا إسلام إلا بالسُّنة ولا سُّنة إلا بالإسلام؛ ولهذا كان مُنكِر السُّنة هو في الحقيقة مُنكر للإسلام، وراد للإسلام بالكُلية، ومن أنكر السُّنة فهو من الكافرين.

قال وفقه الله:

صحة المعتقد:

١- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأهل السُّنة إن قعدت بِهم أعمالهمُ قَامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إذا قامت بهم أعمالهم قعدت بِهم عقائِدُهم)[1].

٢- قال الإمام أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَمْ يَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْخَوَارِجَ قَوْمُ سُوءٍ عُصَاةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْ صَلَّوْا وَصَامُوا، وَاجْتَهَدُوا فِي الْعِبَادَةِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ، نَعَمْ، وَيُظْهِرُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ)[2].

الشرح:

١- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأهل السُّنة إن قعدت بِهم أعمالهمُ قَامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إذا قامت بهم أعمالهم قعدت بِهم عقائِدُهم).



ما أحسن هذا الكلام من العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ففيه: بيان لِعظم التمسك بالسُّنة، فالأعمال القليلة مع السُّنة فيها الأجر العظيم، والأعمال الكثيرة مع البدعة لا يحصل بها نفع لصاحبه؛ ولهذا أخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الخوارج: «تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»، فهم يُكثرون من قراءة القرآن، ويُكثرون من الصلاة ويكثرون من الصيام، حتىٰ أن أثر السجود قد بان علىٰ جباههم كركبة البعير من كثرة سجودهم وكثرة صلاتهم، فالصحابة مع ما هم فيه من الخير والإقبال علىٰ العمل الصالح

[1] "إعلام الموقعين" (٥/ ٥٩٥) ط. ابن الجوزي.
[2] "الشريعة" (١/ ١٩٠) ط. دار الفضيلة.

والمُسارعة لرضوان الله يحقرون أعمالهم مع أعمال الخوارج، وهل انتفع الخوارج بأعمالهم؟ لم ينتفعوا فقد أخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنهم كلاب أهل النار.

فعمل قليل مع السُّنة والاعتقاد الصحيح خير من عمل كثير مع البدعة، فأهل السُّنة كما ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إن قعدت بِهم أعمالهمُ قَامت بهم عقائدهم**)، ويرفعهم الله عَزَّوَجَلَّ بعقائدهم، وهي العقائد الصحيحة السليمة، فلا يستهن العبد بأمر العقيدة فأمرها عظيم وهي ميزان الأعمال، والعمل اليسير مع العقيدة الصحيحة يَعظُم ويَكبُر عند الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فإن عِظم أعمال الجوارح بما في القلوب، فليست القضية كثرة عمل مع فساد في القلوب، فالعمل اليسير يَعظُم مع ما في القلب من العقيدة الصحيحة والنية الصادقة والإخلاص لرب العالمين سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.



٢- قال الإمام أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَمْ يَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْخَوَارِجَ قَوْمُ سُوءٍ عُصَاةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْ صَلَّوْا وَصَامُوا، وَاجْتَهَدُوا فِي الْعِبَادَةِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ، نَعَمْ، وَيُظْهِرُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ).

الخوارج واقعون في أعظم المُنكر، يُظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمُنكر فيهم، وفيهم من أعظم من المنكرات والشرور، فما نفعتهم أعمالهم مع فساد عقائِدهم، فليحرص المسلم علىٰ العقيدة الصحيحة، العقيدة السلفية التي هي عقيدة رسول الله ﷺ، وعقيدة الخلفاء الراشدين، وعقيدة الصحابة أجمعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وعقيدة التابعين لهم بإحسان إلىٰ أن يقبض الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أرواح المؤمنين.

قال وفقه الله:

فضل العلم والتوحيد والعمل به:

١- قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن فضل: (لا إله إلا الله):

مَـنْ قَـالَهَـا مُعْتَقِدًا مَـعْنَاهَـا ... وَكَـانَ عَـامِلًا بِمُقْتَضَاهَا

فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَاتَ مُؤْمِنًا ... يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِنًا[(١)]

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا أَعْلَمُ النَّاسِ بِالتَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، لَمْ يَطْمَعْ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ كَمَا أَضَلَّ غَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ)[(٢)].

الشرح:

١- قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن فضل: (لا إله إلا الله):

مَـنْ قَـالَهَـا مُعْتَقِدًا مَـعْنَاهَـا ... وَكَـانَ عَـامِلًا بِمُقْتَضَاهَا

فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَاتَ مُـؤْمِنًا ... يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِنًا.



كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، فمن حقق التوحيد فإنه يأتي يوم القيامة آمنًا، ومن وقع في الشرك فإنه على خلاف ذلك ليس له الأمن، فالأمن والهداية لمن حقق التوحيد، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت:٤٠]، يعمل العبد ما شاء وسوف يُلاقي ما عَمِلَ، إن حقق التوحيد جاء آمنًا يوم القيامة، وإن وقع في الشرك جاء خائفًا يوم القيامة، والعبد يعمل ما شاء، وسوف يُجازيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عمله.

(١) "معارج القبول بشرح سلم القبول" (١/ ٣٢) ط. دار ابن القيم.

(٢) "مجموع الفتاوى" (٢٧/ ٣٩١).

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا أَعْلَمُ النَّاسِ بِالتَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، لَمْ يَطْمَعْ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ كَمَا أَضَلَّ غَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ).

والأمر كذلك، فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين كانوا أعلم الناس بالتوحيد والسُنة؛ ولهذا الشيطان لم يطمع فيهم، ولم تظهر في أوساطهم البدع والضلالات ولم يطمع الشيطان في هذا الأمر فضلًا من أن يطمع في حصول الشرك في أوساطهم حاشاهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فلم يطمع بالشرك ولا بالبدع وما استطاع أن يوقعهم في شيء من ذلك؛ لما عندهم من العلم الواسع بالتوحيد وبسُنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإنما طَمِعَ الشيطان فيمن جاء بعدهم، فابتدأت البدع وظهرت من جهة بعض التابعين وإن وجد في ذلك الزمن من وجد من صغار الصحابة لكنَّها لم تحصل منهم، وإنَّما حصلت من بعض التابعين ومن جاء بعهدهم إلىٰ هذه الأزمان، وكلما ابتعد الناس عن عهد النبوة وعن زمن النبوة فإن الجهل يكثر وتكثر البدع والضلالات.






قال وفقه الله:

حقيقة الشرك:

١- قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف الشرك: (**هُوَ صَرفُ العبادةِ كُلها أو بَعضها لغير الله**)[١].

٢- وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [الأنعام:١٥١]: (**وحقيقة الشرك بالله: أن يُعبَدَ المخلوق كما يُعبد الله، أو يُعَظم كما يُعَظمُ الله، أو يُصرف لهُ نَوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحدًا، مخلصًا لله في جميع أحواله، فهذا حق الله على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**)[٢].

٣- وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَبِالْجُمْلَةِ فَأَسَاسُ الشِّرْكِ وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا التَّعَلُّقُ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَلِصَاحِبِهِ الذَّمُّ وَالْخِذْلَانُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، مَذْمُومًا لَا حَامِدَ لَكَ، مَخْذُولًا لَا نَاصِرَ لَكَ**)[٣].

٤- قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

والشرك فاحذره فشرك ظَاهر ذَا قسم لَيْسَ بقابل الغفرانِ

وَهُوَ اتِّخَاذ الند للرحمن أيا	**كَانَ من حجر وَمن إنسانِ**
يَدعُوهُ أَوْ يرجوه ثُمَّ يخافه	**وَيُحِبهُ كمحبة الديَّانِ**[٤]



الشرح:

---

[١] "مادة مسموعة".

[٢] "تفسير السعدي" (ص٢٤٢) ط. مؤسسة الرسالة.

[٣] "مدارج السالكين" (١/ ٤٩٢) ط. الكتب العلمية.

[٤] "نونية ابن القيم مع شرح الهراس" (٢/ ٥١٢) ط. دار الإمام أحمد.



١- قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف الشرك: (هُوَ صَرفُ العبادةِ كُلها أو بَعضها لغير الله).

نعم هذا هو الشرك، والشرك إذا ما أُطلق المراد به: الشرك الأكبر.

٢- وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنعام:١٥١]: (وحقيقة الشرك بالله: أن يُعبَدَ المخلوق كما يُعبد الله، أو يُعظم كما يُعظمُ الله، أو يُصرف لهُ نَوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحدًا، مخلصًا لله في جميع أحواله، فهذا حقُّ اللهِ على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا).



نعم هذا أعظم الحقوق وهذا أوجب الواجبات، ومن أجل أمر التوحيد والنهي عن الشرك أرسل الله عَزَّوَجَلَّ الرُسل وأنزل الكتب، وأول رسول أُرسل هو نوح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأُرسل من أجل النهي عن الشرك، فلمَّا ظهر الشرك في الأرض أرسل الله عَزَّوَجَلَّ الرُسل وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ الكتب، وقبل إرسال الله عَزَّوَجَلَّ لنوح عليه السلام كانت المعاصي موجودة في الأرض، بل الكبائر موجودة كما قصَّ الله عَزَّوَجَلَّ قصة ابنيّ آدم وذكر حصول القتل من أحدهما وهذا أمر عظيم، ومع هذا ما أرسل الله عَزَّوَجَلَّ من أجل ذلك الرُسل ولا أنزل من أجل ذلك الكُتب، فلمَّا ظهر الشرك في الأرض في أولئك القوم الذين بُعِثَ فيهم نوح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرسل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الرُسل ثم تتابعت الرسل؛ لأن الشرك بعد ذلك لم يزل في الأرض، فأرسل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الرُسل وأنزل الكتب؛ وهذا يدل علىٰ خطورة الشرك وعلىٰ أهمية التوحيد.

وأول أمر في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ هو الأمر بالتوحيد والعبادة، وهو في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، وهذا يدل علىٰ عِظم التوحيد.

وأول نهي في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ هو النهي عن الشرك، في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وهذا يدل علىٰ خطورة الشرك.

وقوله: قال تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام:١٥١]: قال بعض أهل العلم في معنىٰ الآية: أتل عليكم ألا تُشركوا، أو وصاكم ألا تُشركوا؛ لأن الآية واردة في شأن الوصايا: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فهي في سياق الوصايا التي أوصىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بها لعباده، فتكون علىٰ معنىٰ: وصاكم ألا تُشركوا، أو أتل عليكم ألا تُشركوا.

ومن أهل العلم من قال: أن "لا" زائدة وأن معنىٰ الآية: (**قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم أن تشركوا**)، فقالوا: أن لا زائدة كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢]، أي: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك، فمن أهل العلم من جعلها زائدة، ومن أهل العلم من أبىٰ الزيادة وأنه ليس في القرآن شيء زائد ليس له فائدة، إلىٰ غير ذلك من الأقوال التي قيلت في معنىٰ الآية.

علىٰ كلٍ: المراد بالآية: تحريم الشرك.

٣- وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَبِالْجُمْلَةِ فَأَسَاسُ الشِّرْكِ وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا التَّعَلُّقُ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَلِصَاحِبِهِ الذَّمُّ وَالْخِذْلَانُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، مَذْمُومًا لَا حَامِدَ لَكَ، مَخْذُولًا لَا نَاصِرَ لَكَ).

نعم، هذا هو شأن المُشرك فهو مذموم عند الله، ومذموم عند ملائكته، وأنبيائه، والمؤمنين، مذموم عند الخلق وعند الخالق، ومخذول ليس هناك من ينصره فإن النصر من الله عَزَّوَجَلَّ.

٤ - قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

والشرك فاحذره فشرك ظَاهر ذَا ... قسم لَيْسَ بقابل الغفرانِ
وَهُوَ اتِّخَاذ الند للـرحمن أيا ... كَانَ من حجر وَمن إنسـانِ.

وهذا هو الشرك الأكبر المُخرج عن ملة الإسلام.

قال وفقه الله:

خطر الشرك:

مما يدل على عِظَمَ الشرك الأكبر وخطره:

أولًا: أنه لا يغفر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨].

والثاني: أنه موجب للخلود في النار، قال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

والثالث: لا ينفع معه عمل، كما قال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلَا يَجْتَمِعُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَسْجِدٌ وَقَبْرٌ، بَلْ أَيُّهُمَا طَرَأَ عَلَى الْآخَرِ مَنَعَ مِنْهُ، وَكَانَ الْحُكْمُ لِلسَّابِقِ)(١).



الشرح:

مما يدل على عِظَمَ الشرك الأكبر وخطره:

أولًا: أنه لا يغفر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨].

الصحيح: أن الآية واردة في شأن الشرك الأكبر، فلا يدخل في ذلك الشرك الأصغر فإنه لا يكاد يسلم من الشرك الأصغر أحد إلا من سلمه الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فالمراد بالشرك في هذا الموضع هو الشرك الأكبر.

---

(١) "زاد المعاد" (٣/ ٥٧٢) ط. مؤسسة الرسالة.

وقد قال بذلك جماعة من أهل العلم وهو الذي يظهر فإنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]، وفي الآية التي بعدها: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء:١١٦]، فالمراد بذلك الشرك الأكبر فهو الضلال البعيد وهو الإثم العظيم، ليس هنالك ما هو أعظم منه ولا أضلَّ منه، فسياق الآية يدل علىٰ أن المراد به الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام، وأما حمله علىٰ الشرك الأصغر ففيه شيء من البُعد إذ لا يكاد يسلم أحد من الشرك الأصغر، لا سيما ما يتعلق بشرك الإرادات والنيات فإنه بحر لا ساحل له، والعبد قد يجتنب الأمر الظاهر من أمور الشرك سواءً كانت من الشرك الأكبر أو من الشرك الأصغر، قد لا يعبد الأصنام وسائر الأوثان، وهكذا لا يذبح لغير الله، ولا ينذر لغير الله، ولا يدعو غير الله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا قد يترك الشرك الأصغر البيِّن مثل: الحلف بغير الله، ومثل ما شاء الله وشاء فلان، وغير ذلك، لكن ما يتعلق بالإرادات والنيات فهو البحر الذي لا ساحل له.

فمن ذا الذي يسلم من الشرك في إرادتهِ وفي نيته؟! فقد يُرائي في بعض الأعمال، وقد يُريد في بعض الأعمال شيئًا من حُطام الدنيا، وقد يحصل في قلبه نوع من الخوف الشركي، وإن لم يكن من قبيل الشرك الأكبر، وقد يُقدم بعض المحبوبات علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وطاعة رسوله وهذا نوع شرك، وقد يحصل في قلبه خوف من بعض الخلق فيترك بعض ما أوجبَّ الله عليه وهذا نوع شرك إلىٰ غير ذلك من الأمور الخفية التي تتعلق بالقلوب من المحبة، والخوف، والرجاء، والإرادة، والنية، وهذا بحر لا ساحل له، ولا يكاد يسلم من هذا أحد إلا من سلمه الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا قيل: أن من لاقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وفيه أي نوع من أنواع الشرك ولو كان من قبيل الشرك الأصغر أن الله لا يغفر له ذلك الشرك فهذا فيه ما فيه من البُعد، علىٰ أن هناك من أهل العلم من يقول هذا القول ويرىٰ في الآخرة حصول المُقاصة، وأن الحسنات إذا كانت راجحة فإنه

يكون من أهل الجنة وإن وقع في بعض أنواع الشرك الأصغر الذي يغفره الله عَزَّوَجَلَّ لكن تحصل له المُقاصة يوم القيامة، فإذا غلبت الحسنات كان من الناجين، وإذا غلبت السيئات كان من الهالكين؛ لكن الذي يظهر هو القول الأول.

وقد نصر القول الأول الذي ذكرناه العلامة سليمان بن سحمان، واستنكر من ذهب إلىٰ دخول الشرك الأصغر في مثل هذه الآيات، وبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا يكاد يسلم أحد من ذلك إلا من سلمه الله، حتىٰ ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يكاد يسلم من ذلك أحد من الأولين، يعني: من الصحابة ومن جاء بعدهم إلا من رحم الله.

والثاني: أنه موجب للخلود في النار، قال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

أيضًا المراد به الشرك الأكبر، وليس المراد به الشرك الأصغر، فمثل هذا الوعيد الشديد محمول علىٰ الشرك الأكبر سواءً في هذه الآية أو في الآية السابقة.



والثالث: لا ينفع معه عمل، كما قال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

كذلك يُقال: إن مثل هذا الوعيد الشديد إنما يكون في الشرك الأكبر، فهذا الذي يظهر لي: أن هذه الآية والتي قبلها محمولة علىٰ الشرك الأكبر.

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلَا يَجْتَمِعُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَسْجِدٌ وَقَبْرٌ، بَلْ أَيُّهُمَا طَرَأَ عَلَى الْآخَرِ مَنَعَ مِنْهُ، وَكَانَ الْحُكْمُ لِلسَّابِقِ).

قوله: (**فَلَا يَجْتَمِعُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَسْجِدٌ وَقَبْرٌ**): فإن المسجد أُسس لعبادة الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، ويدخل في عموم الآية: المساجد المبنية.

والقبر إذا وضع في المسجد كان هذا من أسباب انصراف الناس إلىٰ عبادة المخلوق دون الخالق، وإنما أُسست المساجد من أجل عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا بُنِيَّ المسجد علىٰ القبر أو أُدخل القبر في مسجد فإن هذا من أسباب صرف العبادة لغير الله.

قوله: (بَلْ أَيُّهُمَا طَرَأَ عَلَى الْآخَرِ مَنَعَ مِنْهُ، وَكَانَ الْحُكْمُ لِلسَّابِقِ): فإذا كان المسجد هو المتقدم وأُدخل القبر يُنبش القبر وهذا إذا كان ما زال طريًا، لكن إذا صار الميت تُرابًا فإنه يُسوىٰ القبر، وذلك أنَّ الغرض من ذلك هو: إزالة معالم الشرك، فيسوىٰ القبر بالأرض بحيث لا يبقىٰ له معلم، وإن كان ما زال للميت بقية فإنَّه تؤخذ تلك البقايا من العظام ونحو ذلك وتُخرج من المسجد، وتدفن في المقابر.

وإذا كان القبر هو الأسبق كأن يُبنىٰ مسجد علىٰ قبر والقبر هو المتقدم والسابق، وهكذا إذا بُنِيَّ مسجد في مقبرة؛ فإن المسجد يُهدم كما يُهدم مسجد الضِرار.



قال وفقه الله:

صفة القلب السليم:

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٩]، نقلًا عن أهل التفسير: (**الْقَلْبُ السَّلِيمُ: هُوَ السَّلِيمُ مِنَ الشِّرْكِ، الْخَالِي عَنِ الْبِدْعَةِ، الْمُطْمَئِنُّ إِلَى السُّنَّةِ**)[(١)].

الشرح:

قوله: (السَّلِيمُ مِنَ الشِّرْكِ):وهذا كما هو معلوم هو أصل السلامة: أن يسلم العبد من الشرك، وفي المرتبة الثانية: السلامة من البدع والأهواء.

---

(١) "فتح القدير" (٤/ ١٤١) ط. دار الوفاء.

قوله: (الْخَالِي عَنِ الْبِدْعَةِ، الْمُطْمَئِنُّ إِلَىٰ السُّنَةِ): وذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "إغاثة اللهفان" عند كلامه علىٰ القلب السليم، وذكر اختلاف عبارات الناس في معنىٰ القلب السليم، ثم ذكر أن الأمر الجامع لذلك كله: (**أنه الذىٰ قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره**)، فهذا هو القلب السليم ويقول: إن هذا هو الكلام الجامع لعبارات الناس في معنىٰ القلب السليم، فإذا سَلِمَ القلب من الشهوات والشُبهات فهو القلب السليم، فإنَّ مرض القلب وهلاكه إما عن طريق الشهوات المُحرمة، وإما عن طريق الشبهات المُضلة، ففساد القلب من هذين البابين.



قال وفقه الله:

عقوبة من أعرض عن السُّنة:

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: (**فالمُعرِض عن التوحيد مُشرك، شاء أم أبى، والمُعرِض عن السُّنة مُبتدع ضال، شاءَ أم أبى**)[1].

الشرح:

نعم، لا يوجد طريق وسط، فإما توحيد وإما شرك، وإما سُنة وإما بدعة، لا يوجد شيء متوسط لا هو موحد ولا هو مُشرك، فإما أن يكون من أهل التوحيد، وإما أن يكون من أهل الشرك، أو يكون من أهل السُنة أو يكون من أهل البدعة.

(١) "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٤٢) ط. الكتب العلمية.

قال وفقه الله:

فائدة في إثبات الاسم الأعظم لله عَزَّوَجَلَّ:

قال الإمام أحمد في "مُسندهِ": حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[(١)].

الشرح:



وهذا الحديث فيه إثبات الاسم الأعظم لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يرد علىٰ من أبىٰ ذلك وقال: لا يصح مثل هذا الإطلاق أن يُقال في اسم أنه أعظم، وما جاء في الأدلة فهو محمول علىٰ معنىٰ عظيم، وهذا كلام فاسد لا يستقيم، وقد أبىٰ هذا الإطلاق أبو الحسن الأشعري، وابن حبان البُستي صاحب الصحيح، وهكذا الباقلاني، ويُنقل أيضًا عن أبي جعفر الطبري صاحب التفسير، استنكار مثل هذا الإطلاق هو أن يُقال في اسم من الأسماء: أنه اسم الله الأعظم وما جاء في الأدلة تتأول علىٰ معنىٰ عظيم، وهذا الكلام كما عرفنا خلاف الأدلة، وصرف للغة عن ظاهرها من غير حُجة شرعية.

وشبيه بهذه المسألة: مسألة التفاضل بين سور القرآن وآياته، فهناك من قال: إن القرآن لا يتفاضل، وخالفوا الأدلة الصحيحة الصريحة التي تدل علىٰ تفاضل القرآن، وتفاضل القرآن كما هو معلوم باعتبار المعنىٰ، ليس باعتبار إضافة الكلام إلىٰ المُتكلم وهو الله عَزَّوَجَلَّ، فباعتبار المتكلم فالمتكلم واحد وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، لكن التفاضل باعتبار مدلول الكلام.

---

(١) "المسند" برقم (٢٣٠٤١) وإسناده صحيح.

وهل مدلول آية الدين كمدلول آية الكرسي؟ الجواب: لا، ليس نفس المدلول، فآية الكرسي: واردة فيما يتعلق برب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وآية الدين: فيما يتعلق بمعاملات الخلق.

وهكذا: هل سورة المسد كسورة الإخلاص من حيث الدلالة؟ الجواب: لا، فالتفاضل موجود بين دلالة السورتين، وهكذا المسد مع سورة الفاتحة، فالتفاضل إذاً باعتبار مدلول الكلام ليس باعتبار المتكلم.

وهكذا في الأسماء كون اسم من الأسماء هو أعظم الأسماء هذا باعتبار الاسم وما تضمنه من الصفات وليس باعتبار المُسمىٰ فالمُسمىٰ واحد وهو ربُ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



فعلىٰ كلٍ: الأدلة قد صحت وجاءت بإثبات الاسم الأعظم، وإن كان العلماء اختلفوا اختلافًا كثيرًا في الاسم الأعظم وفي تعيينه، وذكر الحافظ ابن حجر أربعة عشر قولًا في كتابه "فتح الباري"، وألف في ذلك السيوطي رسالته المشهورة "الدُر المنظم في الاسم الأعظم"، وذكر الأقوال التي ذكرها الحافظ ابن حجر وأضاف غيرها وأوصلها إلىٰ عشرين قولًا في رسالة مستقلة مطبوعة.

وذكر ابن دقيق العيد في "شرح الأربعين": أن أكثر العلماء أجمعوا علىٰ أن لفظ الجلالة هو الاسم الأعظم، ليس المُراد بذلك إجماع العلماء مطلقًا وإنَّما إجماع أكثر العلماء، وإلا فإنَّ المسألة فيها نزاع شهير بين العلماء في تعيين الاسم الأعظم، وما ذكره ابن دقيق العيد يدل علىٰ أن هذا قول أكثر العلماء وذلك باعتبار أنه أشهر الأسماء، وأن سائر الأسماء تابعة للفظ الجلالة، وأن لفظ الجلالة يشمل جميع الأسماء الحُسنىٰ والصفات العُلىٰ، فإن الله هو الإله المعبود، ولا يكون كذلك إلا من كان متصفًا بصفات الكمال ومتسميًا بالأسماء الحُسنىٰ، فإن من كان ناقصًا في أسمائه وصفاته لا يستحق أن يعبد، فلا يستحق أن يُعبد إلا من كان كاملًا في أسمائه وصفاته.

علىٰ كل الأدلة جاءت كثيرة في بيان الاسم الأعظم كهذا الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»، هذا حديث بُريدة.

وجاء في حديث أنس عند ابن ماجه:: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»، فذلك الرجل دعا الله عَزَّوَجَلَّ وأثنىٰ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بكلمات أخرىٰ، ومع هذا يقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ».

وفي حديث أبي أُمامة عند ابن ماجه وعند غيره: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي سُوَرٍ ثَلَاثٍ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطه»، والموجود في هذه السور الثلاث: (**الحي القيوم**)، ولفظ الجلالة موجود في هذه السور، لماذا قيل: المراد بذلك (**الحي القيوم**) مع أن هناك أسماء كثيرة مشتركة في هذه السور الثلاث؟

الجواب: أن النبي عليه الصلاة لمَّا خصَّ هذه السور الثلاث دلَّ علىٰ أن هذا الاسم ليس موجوداً في غيرها، والاسم الموجود في هذه الثلاث دون غيرها هو (**الحي القيوم**)، وأمَّا سائر الأسماء فهي موجود في كثير من السور.

وهذا الاسم موجود في سورة البقرة في آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ..﴾ [البقرة:٢٥٥]. وفي آل عمران في أول السورة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران:٢]. وفي سورة طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه:١١١].




و(**الحي القيوم**) هذا الاسم المُركب يدل علىٰ جميع الصفات الذاتية والصفات الفعلية، فإن (**الحي**): هو الكامل في حياته، وكمال الحياة يستلزم كمال الصفات الذاتية فإن من نَقُصَ في صفاته نَقص في حياته، فعندنا حي يُبصر وحي أعمىٰ أيها أكمل في الحياة؟ المُبصر، فمن كَمُلَ في حياته كَمُلَ في صفاته الذاتية، والحي هو الموصوف بالحياة الكاملة، وكمال الحياة يستلزم كمال الصفات الذاتية، و(**القيوم**): هو القائم بنفسه الذي يقوم به غيره، فهو قيوم السماوات والأرض، وهل يكون الله عَزَّوَجَلَّ قيومًا إلا بكمال الفعل، فالذي ليس موصوفًا بالفعل هل يُمكن أن يقوم بغيره؟ مثلًا: لو افترضنا أن شخصًا لا يتحرك فهو عديم الحرمة مشلول، هل يُمكن أن يقوم بأسرته ويقوم بشؤون غيره من الناس؟ لا يُمكن، فهذا الاسم (**القيوم**) يدل علىٰ كمال أفعاله وعلىٰ اتصافه بأفعال الكمال.



فالحي القيوم شَمِلَ الصفات الذاتية والصفات الفعلية، فناسبَّ أن يكون من الاسم الأعظم الذي إذا سُئل به أعطىٰ وإذا دُعيَّ به أجاب.

والمتأمل في الأدلة الواردة في الباب يُشكل عليه الأمر، كيف أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يذكر أن ذاك الرجل الذي دعا بذلك الدعاء وأثنىٰ بذلك الثناء أنه سأل الله باسمه الأعظم، والآخر دعا بشيء آخر، وقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ**»؟ وذكر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الاسم الأعظم في ثلاث سورة من القرآن فربما يحصل اللبس من هذا الاختلاف الوارد في مثل هذه الأدلة.

والصحيح: أنه لا اختلاف في ذلك فإن الاسم الأعظم ليس المُراد به اسم مُعين وإنما اسم جنس يدخل في ذلك جميع ما ذكره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وليس اسمًا معينًا يُقال أنه هو الاسم الأعظم لا يوجد غيره، وإنما اسم جنس، فكل ما ذُكِرَ مما فيه ثناء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بإثبات الصفات الذاتية والصفات الفعلية فهو داخل في الاسم الأعظم.



هذا الذي حرره العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "مجموع الفوائد واقتناص الأوابد"، فحرر هذا القول رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو الأظهر؛ لأننا إذا جعلنا الحي القويم هو الاسم الأعظم فقط فإنَّه تُشكل علينا سائر الأدلة التي ليس فيها ذكر الحي القيوم، فالحديث الذي ذكره المؤلف ليس فيه ذكر الحي القيوم: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»، لم يذكر اسم (**الحي القيوم**).

فهذا أحسن ما يُقال: أنه اسم جنس كما حرره العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال وفقه الله:

المسلم يتميزَّ عن الكفار والمشركين في عقيدته ولباسه الشرعي:

١- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيحه": حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ الْأَحْوَلُ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ: «**يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أُمِّكَ، فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ..**»[١].

٢- وَقَالَ عَلِيّ بن الْجَعْد ثَنَا شُعْبَة قَالَ أَخْبرنِي قَتَادَة قَالَ سَمِعت أَبَا عُثْمَان النَّهْدِيّ قَالَ: أَتَانَا كتاب من عمر بن الْخطاب وَنحن بِأَذربيجَان مَعَ عتبَة بن فرقد: (**أما بعد فَاتَّزِرُوا وَارْتَدوا وَانْتَعِلُوا وألقوا الْخفاف وألقوا السراويلات وَعَلَيْكُم بِثِيَاب أبيكم**



---

(١) "صحيح مسلم مع شرح النووي" (٥٣٧٨) ط. دار المعرفة، وفي هذا الأثر الحث علىٰ التميز عن الكفر والعناية باللباس الشرعي وأن النصر علىٰ الأعداء لا يتحقق إلا بالاستقامة علىٰ التوحيد والسُّنة، فنحن مأمورون بالاستقامة والنصر من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.




إِسْمَاعِيل وَإِيَّاكُم والتنعم وزي الْعَجم وَعَلَيْكُم بالشمس فَإِنَّهَا حمام الْعَرَب وَتَمَعْدَدُوا[1] وَاخْشَوْشنُوا[2] وَاخْلَوْلقُوا واقطعوا الركب وانزوا على الْخَيل نَزْوًا)[3].

٣- وقال حسان بن ثابت رَحِمَهُ ٱللَّهُ –شاعر النبي ﷺ:

فَلا تَجْعَلوا لله نِدًّا وأَسْلِمُوا وَلا تلبَسوا زِيًّا كزِيّ الأعَاجِمِ[4]

٤- وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**تَكْمِيشُ الْإِزَارِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ كَانَتِ الْعَرَبُ تَمْدَحُ فَاعِلَهُ ثُمَّ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَسَنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ**)[5].

٥- وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(**وَالْحَاصِلُ أَنَّ لِلرِّجَالِ حَالَيْنِ حَالُ اسْتِحْبَابٍ وَهُوَ أَنْ يَقْتَصِرَ بِالْإِزَارِ عَلَى نِصْفِ السَّاقِ وَحَالُ جَوَازٍ وَهُوَ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**)[6].

٦- عاد شابٌ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو في سكرات الموتِ فلمَ رآهُ يجر إزارهُ قال له: (**يَا ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَنْقَى لِثَوْبِكَ، أَتْقَى لِرَبِّكَ.**

قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: فَوَاللَّهِ مَا مَنَعَهُ مَا كَانَ فِيهِ أَنْ نَصَحَهُ)[7].



الشرح:

قوله: (**المسلم يتميزَّ عن الكفار والمشركين في عقيدته ولباسه الشرعي**).

(١) أي: الزموا المعدِّيَة: وهي عادةُ معَدَ بن عدنان في أخلاقه وزيِّهِ وفُروسيتِهِ وأفعاله. اهـ

(٢)قال ابن القيم: أَي تعاطوا مَا يُوجب الخشونة ويصلب الْجِسْم ويصبره علىٰ الْحر وَالْبرد والتعب والمشاق فَإِن الرجل قد يحْتَاج إِلَىٰ نَفسه فيجد عِنْده خشونة وَقُوَّة وصبرا مَا لَا يجدهَا صَاحب التنعم والترفه، "الفروسة" (ص١٢٣).

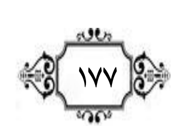
(٣) نقلًا من كتاب "الفروسة" لابن القيم، وسنده صحيح.

(٤) "ديوان حسان بن ثابت " رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (١١٠).

(٥) "التمهيد" (٨/ ٣٠٠) ط. الكتب العلمية.

(٦) "الفتح" (١٠/ ٣١٠) ط. دار السلام.

(٧) "الشريعة" للآجري برقم (١٣٩٦) بسند صحيح.



وأما التميزُ في العقيدة فهذا هو أصل الدين: فالمسلم يتميز في عقيدته عن المشركين هذا أمر معلوم فالمسلم عقيدته هي التوحيد.

والتميزُ باللباس الشرعي وغير ذلك من الأمور أيضًا مما ينبغي أن يكون عليه المسلم، فيتميز عن الكافرين بلباسه وغير ذلك من أموره؛ فإن هذا من الاعتزاز بالدين، وهو مما يدل أيضًا علىٰ شدة بُغض الكافرين ومعاداتهم، فإن التشبه بالكفار إما أن يكون دليلًا لوجود المحبة في القلب، أو أنه وسيلة إلىٰ ذلك فإن من تشبه بشخص جذبه هذا التشبه إلىٰ محبته والميل إليه.

١- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيحه": حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ الْأَحْوَلُ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ: **(يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أُمِّكَ، فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ..)**.

هكذا كتَبَ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ عُتبة بن فرقد وكان هو الأمير.

قوله: **(إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ)**: ليس من تعبك، ومن جُهدك ومن كسبك أي: المال الذي عندك ما أخذته بكسب وتعب وجهد؛ إنما هو مال المسلمين وأنت من أفراد المسلمين شأنك كشأن غيرك من أفراد المسلمين.

قوله: **(وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أُمِّكَ)**: لم يكتسبه أيضًا أبوك ولم يتعب في تحصيله فورثه الولد منه، فلم يكن من كسب الوالد ووصل إلىٰ الولد عن طريق الميراث، وهكذا لم يصل إليه عن طريق الميراث من أمه فلم يكم من تعبها وجهدها.

قوله: **(فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ)**: أي: أنت وهم سواء، لا تُفضل نفسك بشيء من المال في مطعمك أو في مشربك، أو في ملبسك، أو

في مركبك، شأنك في هذا المال كشأن غيرك، أنت وسائر الناس سواء وهو وإن كان أميرًا؛ فالإمرة لا تعني أنه يتسلط علىٰ المال بغير حق بل شأنه كشأن غيره.

وقوله: (فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ): أي: لا تحوج المسلمين أن يأتوا إليك، وأن يُطالبوا بشيء من حقوقهم، أرسل إليهم ما يحتاجون إليه وهم في رحالهم وأماكنهم، فأرسل الطعام والشراب إلىٰ مواضعهم من غير أن يأتوا إليك ويتذللون بين يديك، فالمال مال الله عَزَّوَجَلَّ، وهو مِنَّة من الله عَزَّوَجَلَّ للمسلمين عمومًا.

فهكذا كان أمير المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فيه هذه الصرامة في الحق، وكان متصفًا بالعدل ولا يُحابي أحدًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.



وأمور المسلمين عومًا يُنظر فيها بهذا المنظار الذي ذكره عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهذا هو الأصل وإن كان يحصل ما يحصل من خلاف ذلك، وكلٌ مسؤول عن رعيته، والله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يسأل الراعي والرعية.

قوله: (وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ): وهذا موضع الشاهد، فزجره عن زيِّ أهل الشرك، والمراد بذلك: من لم يكن من مُشركي العرب كالمجوس وغيرهم؛ وذلك أن زيَّ العرب واحد، يستوي فيه المسلمون والكافرون، فكانوا جميعًا يلبسون العمائم ويلبسون الأُزر، ويلبسون الأردية فهكذا كان لباس العرب من كان مسلمًا أو كافراً؛ فلهذا حُمِلَ هذا الحديث علىٰ غير لباس العرب، وإلا معلوم أن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لم يأمر المسلمين أن يخالفوا ألبسة العرب باعتبار مخالفة المشركين، وإنما كان يلبس ما يلبسه العرب، فلباس العرب يشترك فيه أهل الإسلام وأهل الكُفر؛ لكن الألبسة المُخالفة لألبسة العرب كألبسة المجوس مثلًا وكألبسة غيرهم فهذه التي تُتقىٰ، وهو المراد بقول عمر: (وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ).

٢- وَقَالَ عَلِيّ بن الْجَعْد ثَنَا شُعْبَة قَالَ أَخْبرنِي قَتَادَة قَالَ سَمِعت أَبَا عُثْمَان النَّهْدِيّ قَالَ: أَتَانَا كتاب من عمر بن الْخطاب وَنحن بِأَذربيجَان مَعَ عتبَة بن فرقد: (**أما بعد: فَاتَّزِرُوا وَارْتَدوا وَانْتَعِلُوا وألقوا الْخفاف وألقوا السراويلات وَعَلَيْكُم بِثِيَاب أبيكم إِسْمَاعِيل وَإِيَّاكُم والتنعم وزي الْعَجم وَعَلَيْكُم بالشمس فَإِنَّهَا حمام الْعَرَب وَتَمَعْدَدُوا**[١] **وَاخْشَوْشنُوا**[٢] **وَاخْلَوْلقُوا واقطعوا الركب وانزوا على الْخَيل نَزْوًا**).

وهذا كالشرح لأثر عمر السابق الذي رواه مُسلم، فبيَّن له ألبسة العرب ونهاه عن ألبسة غير العرب.



قوله: (**فَاتَّزِرُوا وَارْتَدوا وَانْتَعِلُوا**): وهذه هي ألبسة العرب: الأُزر، والأردية، والنعال.

قوله: (**وألقوا الْخفاف**): والخفاف مشهورة عند أهل الكتاب، ولُبس الخِفاف مشروع قد لبسه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتواترت الأدلة عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أنه مسح علىٰ الخُفين، والمسح علىٰ الخُفين سُنة من السُنن النبوية، ولا يكون المسح علىٰ الخُفين إلا لمن لبِسَ الخُفين، فهو من الألبسة المُباحة المشروعة، لكن إذا كان الشخص يُجاهد اليهود والنصارىٰ وكان في مواجهتهم وقتالهم فينبغي له أن يلبس النعال والأُزر والرداء ويتميز عنهم فيلبس لباس العرب في ذلك الموضع، وأما إذا كان المسلمون في بُلدانهم لهم أن يلبسوا الخِفاف، كما عرفنا أنه قلد لبسه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولبسه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين في زمنه.

---

(١) أي: الزموا المعدِّيَة: وهي عادةُ معَدَ بن عدنان في أخلاقه وزيِّهِ وفُروسيتهِ وأفعاله. اهـ

(٢) قال ابن القيم: أَي تعاطوا مَا يُوجب الخشونة ويصلب الْجِسْم ويصبره علىٰ الْحر وَالْبرد والتعب والمشاق فَإِن الرجل قد يحْتَاج إِلَىٰ نَفسه فيجد عِنْده خشونة وَقُوَّة وصبرا مَا لَا يجدهَا صَاحب التنعم والترفه، "الفروسة" (ص١٢٣).



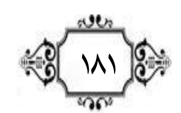

إذًا: ينبغي أن يتميز المسلمون عن غيرهم بهذه الأمور في موطن الجهاد؛ لأنه يحصل اختلاط بين المسلمين والكافرين في أرض المعركة، فالمناسب أن يتميز المسلمون بألبستهم عن أهل الكتاب وعن غيرهم من المشركين.

قوله: (**وألقوا السراويلات**): أيضًا هو علىٰ هذا المعنىٰ، ولُبس السراويل كان معروفًا عند أهل الكتاب كما في حديث أبي أُمامة، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرْوَلَونَ وَلَا يَأْتَزِرُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَسَرْوَلُوا وَائْتَزِرُوا، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَخَفَّفُونَ وَلَا يَنْتَعِلُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَخَفَّفُوا وَانْتَعِلُوا، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**»، فلبسُ السراويلات كان معروفًا عند أهل الكتاب، فإذا ما لَبِسَ المسلمون هذا اللباس وهم في المعركة بينهم وبين اليهود لم يتميزوا عنهم والذي ينبغي للمسلمين أن يتميزوا بلباسهم المخالف للباس الكافرين في ذلك الموضع، وأمَّا غير ذلك الموضع فقد جاء في "صحيح البخاري" عن عُمر أنه قال: (**إِذَا أَوْسَعَ اللهُ عَلَيْكُمْ، فَأَوْسِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، جَمَعَ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ**)، صلىٰ رجل في إزار ورداء، في إزار وقميص، في إزار وقباء، في سراويل ورداء.



الشاهد: أنه قال: (في سراويل ورداء)، أي: علىٰ كتفه، فهذا في غير ذاك الموضع علىٰ الضوابط الشرعية التي سبقَّ أن تكلمنا حولها فيما يتعلق بهذه القضية، ومرت معنا هذه المسألة في "شرح السُّنة للبربهاري" رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (**وَعَلَيْكُم بالشمس فَإِنَّهَا حمام الْعَرَب**): فالعرب لم تكن من عاداتهم الاستحمام في حمامات التي يُقال لها حمامات السُخنة، وإنما كانوا يستحمون في الشمس يخرجون إلىٰ الشمس وتقع الشمس علىٰ أبدانهم ويعرقون ويحصل لهم المقصود من إزالة ما في أبدانهم فلا يحتاجون إلىٰ حرارة حمامات السُخنة.



قوله: (وَتَمَعْدَدُوا): أي: إلزموا عادة العرب من حيث اللباس والفروسية، وقال بعض العلماء في معنىٰ هذه الكلمة: المراد بذلك الغِلظ، فإن من لم يعود نفسه علىٰ الغلاظة والشدة ضَعُفَ، فإنه إذا واجه الأعداء ربما حصل له شيء من الضعف.

قوله: (وَاخْشَوْشِنُوا): وذلك أنَّ كثرة الترفه تُضر الشخص عند المشاق والشدائد، فمن كان متنعمًا فإنه يتضرر في تلك المواطن، ومن لم يكن كذلك فإنه يحصل له القوة والصبر في مواطن الشدة كمواطن الجهاد في سبيل الله.

قوله: (وَاخْلَوْلقُوا): أي: كونوا خُلقاء به جديرين بفعله فيما يتعلق بأمور القوة وأمور الفروسية، بمعنىٰ: تهيؤوا واستعدوا لما يُراد منكم، لا كمن أضاع أركان وأسباب الفروسية، وأضاع قوته فعند الحاجة إلىٰ ذلك لم يجدها، والمعنىٰ: أن الإنسان يتهيأ قبل مُلاقاة العدو ويكون مستعدًا خليقًا جديرًا بما سوف يلقاه، مستعدًا متجهزًا بأمور القوة وأمور الفروسية، فلا تأتي إليه أمور الشدائد وهو غير مستعد، بل يكون مستعدًا في جميع الأوقات لمواجهة الأعداء.

وقد ذكر ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "الفروسية"، ويُقال: اخلولق السحاب أي: بعد تفرقه اجتمع وتهيأ للمطر، والمعنىٰ: أن الإنسان يتهيأ للأعداء قبل مواجهتهم بتعلم الفروسية، والرمي، وبالقوة، والشدة وما إلىٰ ذلك من الأمور.

قوله: (واقطعوا الرُكب): وهو: ما يُصنع للراكب عند قدمه إذا راد أن يصعد علىٰ الفرس، فهذا يُقال له: الرُكب، يستعين به علىٰ ركوب الفرس وهو يوضع في جانبي الفرس، فيضع الراكب رجله علىٰ ذلك الشيء ويصعد علىٰ الفرس فيستقر علىٰ الفرس، فيستعين به علىٰ صعوده، ويستعين به أيضًا علىٰ استقراره علىٰ الفرس، وعلىٰ الصعود عليها، والاستعانة بالرُكُب يدل علىٰ شيء من الضعف، وهو يُريد منهم القوة والشدة والخشونة، فقال: (واقطعوا الرُكب).

قوله: (وانزوا علىٰ الْخَيل نَزْوًا): أي: ثبوا وثبًا لا تحتاجوا إلىٰ هذه الأمور ولا تتعودوا علىٰ الضعف وإنما أنزوا نزوًا أي: وثبًا، إذا أردتم الصعود علىٰ الخيل، فتعلموا القوة، فأراد رضي الله عنه منهم القوة وألا يعتادوا علىٰ شيء من الضعف.

٣- وقال حسان بن ثابت رَحِمَهُ ٱللَّهُ –شاعر النبي ﷺ:

فَلا تَجْعَلوا لله نِدًّا وأسْلِمُوا وَلا تلبَسوا زِيًّا كزيّ الأعَاجِمِ

مرَّ معنا بعض ما يتعلق بهذا الأمر، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، والتشبه في الأمور الظاهرة يورث الموافقة والمحبة الباطنة وهذا شيء ملموس، وكما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "اقتضاء الصراط المستقيم": أن الصبيان إذا ما أُلبسوا لباس الأطباء عَمِلوا أعمالهم، وهكذا إذا ألبسوا لباس الجُند، فالزي الظاهر يدعو إلىٰ الموافقة، ويدعو إلىٰ المحبة، والمتشبه بالكافرين في لباسه فإن هذا يدعوه إلىٰ محبتهم، ومحبة الكافرين مما لا يجوز في شريعة الإسلام فإن الواجب إظهار البُغض والعداوة للكافرين: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].



٤- وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تَكْمِيشُ الْإِزَارِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ كَانَتِ الْعَرَبُ تَمْدَحُ فَاعِلَهُ ثُمَّ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَسَنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ).

فبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا الأمر من أمور العرب قبل الإسلام، ولمَّا جاء الإسلام حثَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ هذا الأمر.

٥- وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(وَالْحَاصِلُ أَنَّ لِلرِّجَالِ حَالَيْنِ حَالُ اسْتِحْبَابٍ وَهُوَ أَنْ يَقْتَصِرَ بِالْإِزَارِ عَلَى نِصْفِ السَّاقِ وَحَالُ جَوَازٍ وَهُوَ إِلَى الْكَعْبَيْنِ).

وإذا تجاوز في لُبسه الكعبين فقد وقع في الإسبال وهو المحذور الذي جاء النهي عنه، فالاستحباب في الإزار أن يكون إلىٰ نصف الساق، كما في حديث أبي سعيد عند

أبي داود وعند غيره، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أُزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ**»، وفي لفظ: «**أُزْرَةُ المُسلِمِ**»، ولا حرج فيما بين ذلك وبين الكعبين، وما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار.

٦- عاد شابٌ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في سكرات الموتِ فلمَ رآهُ يجر إزارهُ قال له: (يَا ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَنْقَى لِثَوْبِكَ، أَتْقَى لِرَبِّكَ.
قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: فَوَاللَّهِ مَا مَنَعَهُ مَا كَانَ فِيهِ أَنْ نَصَحَهُ).

تنبيه: قصة عمر مع الغلام عزاها المصنف في الحاشية للآجري، وأصل القصة في البخاري دون قول عمرو بن ميمون، فهي زيادة خارج الصحيح.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سكرات الموت بعد أن طعنه ذلك المجوسي أبو لؤلؤة وهو في صلاة الفجر، فكان يُعاني من شدة الموت ومع هذا رأىٰ هذا المُنكر فأنكره: (**يَا ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَنْقَىٰ لِثَوْبِكَ، أَتْقَىٰ لِرَبِّكَ**).

فإسبال الإزار مع ما فيه من هيئة الكِبر فإنه عُرضة للأوساخ فهو خلاف الفِطرة التي تُجبل عليه النفوس السليمة، فإذا أطال الثوب إلىٰ الأرض صار عُرضة للأوساخ مع ما فيه من معصية ربِّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والناس تبع للموضات وتبع للتشبه بأعداء الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا حصل تقصير الثياب من جهة الكافرين قصروا ورفعوا، وإذا كانت الموضة هي الإسبال أسبلوا فهذا حال كثير من الناس إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ، لا ينقادون إلىٰ الشرع وإنما ينقادون إلىٰ أعداء الله عَزَّوَجَلَّ، فظهرت موضة بالتشمير وإذا بكثير من الناس يُشمرون، وقبل ذلك لا تستطيع أن تُقنعه ولو تلوت عليه آلاف الأدلة، والكافر يفعل ذلك الفعل من غير أمر ولا ترغيب، فينظر إليه ذلك المسلم ضعيف الإيمان ويُتابعه بهذا الأمر بمجرد النظر من غير ترغيب ولا ترهيب من جهة الكافرين، وإذا جئته بالأدلة المتكاثرة من سُنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التي فيها

الترغيب والترهيب لم يُلقِ لذلك بالًا، فهذه حالة مُزرية وقع فيها كثير من الناس إلا من رحمَّ الله عَزَّوَجَلَّ.

قال وفقه الله:

فائدة في أهمية لُبس العمامة:

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَا يَنْبَغِي أَنْ تُتْرَكَ الْعَمَائِمُ، وَلَقَدِ اعْتَمَمْتُ وَمَا فِي وَجْهِي شَعْرَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَجْلِسِ رَبِيعَةَ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا مُعْتَمًّا**)[1].

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن العمامة: (**إنَّها شِعارٌ لِلْمُسْلِمِ تميزُهُ عن الكافِرِ**)[2].

الشرح:

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا يَنْبَغِي أَنْ تُتْرَكَ الْعَمَائِمُ، وَلَقَدِ اعْتَمَمْتُ وَمَا فِي وَجْهِي شَعْرَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَجْلِسِ رَبِيعَةَ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا مُعْتَمًّا).



فكان أهل العلم يحرصون علىٰ لِبس العمائم غاية الحرص، وهي من لباس العرب، ولبسها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولبسها الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وقيل في العمائم: (أنها تيجان العرب)، وإن كان الحديث لا يثبت في ذلك عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لكن هذا مما يُقال في العمائم، وفي العمائم الجمال وحُسن المنظر.

---

(١) "الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع" برقم (٩٠١) ط. الكتب العلمية.

(٢) مقتبسًا من كتاب "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة" (١/ ٢٥٤) ط. مكتبة المعارف.

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن العمامة: (إنَّها شِعارٌ لِلْمُسْلمِ تميزُهُ عن الكَافِر).

ترك الكثير من الناس العمائم واتجهوا إلىٰ القُبعات -الكوافي- وليس المقصود بها القلنسوة فهي حسنة ولا بأس بلبسها، فاتجهوا إلىٰ التشبه بأعداء الله عَزَّوَجَلَّ وتركوا لباس العرب، ولباس المسلمين، ولباس الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.

وإذا ما لَبِسَ الناس العمائم انزجروا عن كثير من الشرور المتعلقة بِالشَعْر، فمن أين جاءت هذه الموضات في الشَعر أليس حين ترك الناس العمام؟ الجواب بلىٰ.

وفي زمن ماضي اشتهر عند الناس ما يسمونه بالتخنفس فكانوا يُكبرون شعورهم ويُعظمونه ويُربونه، ثم زالت هذه الموضة وجاءت موضة الحلاقات العجيبة الغريبة للشعر، وهو حلق من أماكن في الرأس، وإعفاء من أماكن أخرىٰ، أو مُبالغة في التقصير في أماكن ففعلوا العجب في شَعْرِهم.



وأُخبرت أن هناك من يحلق في الشعر كهيئة النقش علىٰ رأسه وهذا في بعض البُلدان، ثم عادت مرة أخرىٰ موضة تكبير الشعر، فكبر الناس شُعورهم، وإذا قيل لأحدهم في ذلك قال: سُنة، فالنبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كان كثير الشعر وهو لا يُريد سُنة النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ولا يُريد هديَّ النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ إنما يُريد هديَّ الكافرين، لكن هكذا من باب المُجادلة، فهو يُربي شَعره ولا يلبس العمامة، النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كان كثير الشعر ويلبس العمامة، وكان النبي ﷺ مُعفي للحيته، فأما أن يحلق الشخص لحيته ويُربي شعره ولا يلبس العمامة ويقول: هذه سُنة النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فهذا تلبيس ومجادلة بالباطل، فهو لا يُريد سُنة النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بل يُريد سُنة الكافرين فهو في الحقيقة يقتدي بأعداء الله عَزَّوَجَلَّ.

وتربية الشعر هل هو من السُنة أو ليس من السُنة؟ الكلام كثير لأهل العلم حول هذه المسألة.

قال وفقه الله:

التحذير من الكتب التي تدعو إلى الشرك:

قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (صاحب كتاب "كشف الارتياب عن أتباع محمد بن عبد الوهاب": هو مُحسن أمين العاملي رافضي خبيث، يدعو إلى الشرك وهو عدو لدود لأهل السُّنة ولدعاة السُنة، يُصَححُ حديث عطية العوفي ويُضعف حديث سفيان الثوري ووكيع بن الجراح)[1].

الشرح:

أمره عجيب! يُضعف أحاديث الأئمة الثقات الحُفاظ ويحتج بأحاديث الضعفاء.

فعلىٰ كلٍ: تحريم الكُتب التي تدعو إلىٰ الشرك والخرافة من الأمور الواجبة، وهو داخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر.



قال وفقه الله:

المنع عن القراءة في التوراة:

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لاَ يُشْرَعُ لأَحَدٍ بَعْدَ نُزُوْلِ القُرْآنِ أَنْ يَقْرَأَ التَّوْرَاةَ، وَلاَ أَنْ يَحْفَظَهَا، لِكَوْنِهَا مُبَدَّلَةً، مُحَرَّفَةً، مَنْسُوْخَةَ العَمَلِ، قَدِ اخْتَلَطَ فِيْهَا الحَقُّ بِالبَاطِلِ، فَلْتُجْتَنَبْ**)[2].

الشرح:

قد أنكر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ عُمر بن الخطاب حين جاء إلىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بكتاب أصابه من بعض أهل لكتاب، فقرأهُ علىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

---

(١) "فتاوىٰ العقيدة" (ص٣٦).

(٢) "سير أعلام النُبلاء" (٣/ ٨٦) ط. مؤسسة الرسالة.

فأنكر عليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذلك وقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»، والحديث جاء في "المُسند" من حديث جابر بن عبد الله، وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشواهده، فلا يُشرع للشخص أن يقرأ في التوراة ولا في الإنجيل من قبيل الاستفادة والانتفاع، إلا إذا كان من قبيل الرد ومُحاججة اليهود والنصارىٰ، كما فعل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "الجواب الصحيح فيمن بدل دين المسيح"، والعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ "هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ" فذلك مما يشرع، فالعالم قد ينقل أشياء من التوراة أو الإنجيل من باب محاججة اليهود والنصارىٰ وهذا لا بأس به وهو من الجهاد بالحجة والبيان، وأما أن يقرأ الإنسان التوراة والإنجيل من أجل الانتفاع فهذا غير صحيح، أو يحفظ التوراة والإنجيل هذا أيضـًا غير صحيح، والذي ينبغي للمسلم أن يحفظ القرآن.

وقوله: (**لِكَوْنِهَا مُبَدَّلَةً، مُحَرَّفَةً**): أي: دخل فيها التبديل والتحريف، وليس المعنىٰ: أن جميع التوراة قد بُدلت، وجميع الإنجيل قد بُدل؛ ولهذا قال: (**مَنْسُوْخَةَ العَمَلِ، قَدِ اخْتَلَطَ فِيْهَا الحَقُّ بِالبَاطِلِ، فَلْتُجْتَنَبْ**)، يعني: الحق موجود لكنه قد اختلط وإلا التوراة لم تُحرف بالكلية أي: ليس جميع صُحف التوراة مُغيرة أو أن جميع صُحف الإنجيل مُغيرة، وإنما دخل فيها التغيير والتبديل.



وهذا الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٣]، فهذا خطاب من الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه في زمن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفي ذلك الزمان قد حصل التبديل والتحريف في الكتابين ومع هذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٣]، فبهذا يحتج شيخ الإسلام

ابن تيمية على أنه لا يُقال أن جميع صُحف التوراة قد غُيرت وبدلت، بل موجود في الصحف ما لم يُغير ولم يُبدل.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ أيضًا بعد ذلك بآيات فيما يتعلق بالإنجيل: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾ [المائدة:٤٧] وهذه الآية أيضـًا تدل على أنَّ الإنجيل فيه مما أنزل الله وليس كله محرف.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختلاف العلماء في التوراة والإنجيل، وأن بعضهم قال: إنهما قد بُدلا وغُيّرا، ومنهم من قال غير ذلك، واختار هذا القول: وهو أنَّ هُنالك في صُحف التوراة ما لم يُبدل ولم يُغير وليس الكل قد بُدل وغُيّر احتجاجـًا بهذه الأدلة التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم.



قال وفقه الله:

منع الإقامة بين من يمنع المسلم من إظهار دينه:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَجُوزُ الْمُقَامُ بَيْنَ نَصَارَى أَوْ رَوَافِضَ يَمْنَعُونَ الْمُسْلِمَ عَنْ إظْهَارِ دِينِهِ)[(١)].

الشرح:

قوله: (منع الإقامة بين من يمنع المسلم من إظهار دينه).

فإذا كان المُسلم في أوساط الكافرين مثلًا ولا يستطيع أن يُظهر دينه فإن الهجرة عليه واجبة: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (١٤/ ٣٤) كتاب الزيارة، ط. دار الوفاء.

﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

فمن كان مستضعفًا لا يستطيع الهجرة فهذا إذا عَلِمَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من قلبه الصدق فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعفو عنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وأما من لم يكن مستضعفًا بل يستطيع الهجرة من البلد الذي لا يستطيع أن يُقيم فيه شعائر الدين فإن الهجرة في حقه واجبة، وليس المُراد بشعائر الدين مُجرد إظهار الصلوات الخمس وإقامة الجُمعة والجماعة، فإن هذا بعض شعائر الدين وهو من جملة شعائر الدين العِظام، وأعظم من ذلك إظهار التوحيد ومُحاربة الشرك والكفر فإن هذا هو أصل الدين، وإظهار هذا الأمر هو إظهارٌ لأصل الدين فهذا من أوجب الواجبات، ومن الأمور المتحتمات، وإظهار التوحيد أوجب من إظهار الجُمَع والجماعات، فإذا كان يستطيع أن يُظهر التوحيد ويُجاهر به ويُحذر من الشرك ومن أهل الشرك كما قال الله تعالىٰ عن إبراهيم ومن آمن معه أنَّهم قالوا لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]، فهذا قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومن معه من المؤمنين فيما ذكره الله عنهم في كتابه الكريم، فأظهروا التوحيد وجاهروا به، وأظهروا البراءة من المشركين، وأظهروا البراءة من الكافرين، وأظهروا العداوة لهم فهذا من إظهار الدين، وما أُوذِيَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مكة وما أُوذِيَّ الرُسل إلا من أجل هذا الأمر؛ لأنهم أظهروا التوحيد وأظهروا مُحاربة الشرك، وأظهروا البراءة من المُشركين ومن الشرك، فلأجل هذا أُوذِيَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأُوذِيَّ الرُسل، وقد كان هنالك أناس في الجاهلية يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ ويبتعدون عن شرك المشركين ولم يحصل لهم من الأذىٰ ما حصل لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما حصل للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين لأنَّهم لم يجاهروهم بالعداوة والبراءة منهم ومما يعبدون، لكن

النبي صلىٰ الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة أُوذوا لمَّا سفهوا أحلامهم وسبوا آباءهم، فحين بينوا أن ما كان عليه الآباء والأجداد هو الضلال، وهو الكفر، وهو الشرك، وهو الذي يُبغضه الله عَزَّوَجَلَّ، وأنهم ماتوا علىٰ الشرك والكفر، وأن مآلهم السعير، فلمَّا أظهروا لهم التوحيد وحذروهم من الشرك وسفهوا أحلامهم وضللوا آبائهم هنا حصلت المعاداة الشديدة، لو كان للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سعة من ربه ألا يفعل هذه الأشياء، وأن يبقىٰ يعبد الله عَزَّوَجَلَّ لما عرَّض نفسه للشدة وعرَّض أصحابه لأنواع الشدائد والمِحن والأذىٰ، فهذا مما يدل علىٰ أن إظهار هذه الأمور من إظهار الدين: فعلىٰ المسلم أن يُصرح بالتوحيد ويُحذر من الشرك ويُبين ضلال الكافرين وضلال المشركين وما هم فيه من السفه والجهل، وأن دينهم دين باطل لا يُحبه الله ولا يرضاه.



فإظهار الدين من حيث الأصل هو إظهار هذه الأمور؛ كما قرر ذلك وبيَّنه غير واحد من أهل العلم من أئمة التوحيد، فبينوا أن هذا هو الأصل الأصيل في إظهار الدين ومن أجله أُوذيَّ الرسل وأُوذيَّ أتباع الرُسل عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فشعائر الدين تشمل هذا الأمر وتشمل غيره من أمور الدين.

وهكذا من إظهار الدين: ألا يتحاكم الإنسان لقوانين الكافرين، فيُظهر الاستقلال بدينه، وأنه متمسك بدينه، لا يتحاكم إلىٰ قوانينهم الوضعية فإن كان إظهار مثل هذه الأمور مما يستطيعه فله البقاء في بلاد الكافرين فإنَّ الشخص الذي هذه حاله له المكانة والقوة والظهور في أوساط الكافرين، وإن لم يكن كذلك فهو بخلاف ذلك، ما استطاع أن يُقيم دينه فعليه أن يهاجر من بلاد الكافرين، وبعض الناس يظن أن إقامة الدين هي: الصلاة في المساجد، وإعلان الأذان، وأن الجُمعة تُقام؛ وهذا بعض إظهار الدين، وإظهار الدين أوسع من هذا الأمر.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَجُوزُ الْمُقَامُ بَيْنَ نَصَارَى أَوْ رَوَافِضَ يَمْنَعُونَ الْمُسْلِمَ عَنْ إِظْهَارِ دِينِهِ).

علىٰ التفصيل الذي سبق ذكره وبيانه فيما مضىٰ.






آثار عن السلف في لزوم السُّنة

قال وفقه الله:

أولَّ من قرأ هذه النِسبة (أهل السُّنة) من السلف:

هو ابن عباس رضي الله عنهما، كما في "شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة"، وفيه قوله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (**الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَدْعُو إِلَى السُّنَّةِ، وَيَنْهَى عَنِ الْبِدْعَةِ**)[1].

وابن سيرين من التابعين وقد تقدم كلامه في (العلم)، وأنه لا يؤخذ إلا من أهل السُّنة.

الشرح:



الانتساب إلىٰ سُنة النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ نسبةٌ شرعية، والنبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ حين ذكر الاختلاف في حديث العرباض بن سارية قال: « **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»، فالمُتمسك بالسُنة يُنسب إليها، كما أن المتمسك بالبدعة يُنسب إليها، ومن تمسك بهدي الخلفاء الراشدين وسائر أئمة السلف فإنه يُنسب إليهم فيقال في حقه: (سلفي)، لتمسكه بهدي السلف، ويقال في حقه: (من أهل السُنة)؛ لتمسكه بالسُنة، والتمسك بالسُنة وبهدي السلف تمسكٌ شرعي لقول النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ:

« **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ [البقرة:١٣٧]، فهذا تمسك شرعي، وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء:١١٥]، فلا بد من اتباع النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ والسير علىٰ هدي السلف ومن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين ومن تبعهم بإحسان.

---

(١) " شرح أصول اعتقاد أهل السُنة والجماعة " رقم الأثر: (١١).



فهذا مما دلت عليه الأدلة، وهذه النسبة نسبة شرعية، وهكذا الانتساب إلىٰ السلف.

وقد اشتهر قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَا عَيْبَ عَلَىٰ مَنْ أَظْهَرَ مَذْهَبَ السَّلَفِ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ وَاعْتَزَىٰ إِلَيْهِ بَلْ يَجِبُ قَبُولُ ذَلِكَ مِنْهُ بِالِاتِّفَاقِ. فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ لَا يَكُونُ إِلَّا حَقًّا**)[1]، فنقل اتفاق العلماء علىٰ مشروعية الانتساب إلىٰ مذهب السلف؛ وذلك أن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا، فالانتساب إلىٰ السُنة والانتساب إلىٰ مذهب السلف من النسب الشرعية.

والأثر الذي أورده المؤلف في هذا الموضع، هو: (**النَّظَرُ إِلَىٰ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَدْعُو إِلَىٰ السُّنَّةِ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْبِدْعَةِ، عِبَادَةٌ**)، فحذف المؤلف: أو الأثر قوله: (**النَّظَرُ إِلَىٰ**)، وحذف آخر الأثر: (**عِبَادَةٌ**)، فهذا الأثر بهذا التمام رواه الألكائي في "شرح أصول أهل السُنة والجماعة".

وهو أثر ضعيف لا يثبت عن عبد الله بن عباس فهو من طريق الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف من الضعفاء.

وفيه أيضًا: أبو الصهباء الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات، وتفرد بذكره في الثقات ولم يوثقه غيره، فلا يثبت مثل هذا الأثر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

أما أثر ابن سيرين فهو مشهور، وهو في مقدمة صحيح الإمام مسلم كما هو معلوم.

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٤/ ١٤٩) ط. مجمع الملك فهد.

قال وفقه الله:

فضلُ التسمك بالسُّنة والتميزُ عن أهل البدع:

١- قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةِ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ**)[١].

٢- قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: (**الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ**)[٢].

٣- وقال ابن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الطبقات": أَخْبَرَنَا هِشَامٌ أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: (**مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَفْضَلُ عَلَيَّ: أَنْ هَدَانِيَ لِلإِسْلامِ، أَوْ لَمْ يَجْعَلْنِي حَرُورِيًّا**)[٣].

٤- وقال أبو عُبيد القاسمُ بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**المتبع للسُّنة كالقابضِ على الجمر وهو اليومَ عندي أفضلُ مِن ضَربِ السيفِ في سبيل اللهِ**)[٤].

٥- وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا في زمنه فكيف في زمننا؟)[٥].



---

(١) "شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز (ص٥٨٦) ط. مكتبة ابن تيمية- دماج.

(٢) "مقدمة سُنن الدارمي" برقم (٩٧) وإسناده صحيح، ط. دار الآثار.

(٣) "الطبقات" (٧/ ٨١) ط. الكتب العلمية، و"حلية الأولياء" رقم (٢١٠٩)، والبيهقي في "الشُعَبْ" برقم (٤١٩٠).

(٤) "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" (ص٧٣) رقم الأثر (٩٣) ط. دار الإمام أحمد.

(٥) "...." (...) ط. الكتب العلمية.

٦- وقال الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "جامعه": حدثنا محمد بن رافع النيسابوري، أخبرنا يحيى بن آدم عن: أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: **(صاحب السُّنة إذا مات أحيا الله ذكره والمبتدع لا يذكر)**[١].

٧- عن مُبَشِّرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحُبُلِيُّ، قَالَ: قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: أَنَا أُجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَأُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدَعِ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، قَالَ أبو عبد الله بن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صَدَقَ الْأَوْزَاعِيُّ، أَقُولُ: إِنَّ هَذَا رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ)[٢].

٨- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِذَا رَأَيْت الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَأَرْجِهْ وَإِذَا رَأَيْته مَعَ أَصْحَابِ الْبِدَعِ فَايْئَسْ مِنْهُ فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ نُشُوئِهِ)**[٣].

٩- وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا تقوم السُنة ولا تقوم ولا تقوم لها قائمةٌ إلا إذا حصَل تميزٌ، وتميز أهلُ السُّنة من أهل البدعة)**[٤].

١٠- وقال أيضًا: **(لن تُقام سُنةُ رسول الله ﷺ إلا بالتميُّز)**[٥].

١١- وقال أيضًا: **(وننصح أهلُ السُنة أن يتميزوا، وأن يبنوا لهم مساجد ولو من اللِبن أو من سعف النخل؛ فإنهم لن يستطيعوا أن ينشروا سُنة رسول الله ﷺ إلا بالتميز، وإلا فالمبتدعة لن يتركوهم ينشروهم السُنة)**[٦].



---

(١) إسناده صحيح في "الجامع" (١٠/ ٤٣٨) التحفة، ط. إحياء التراث، تحفة الأشراف بشرح جامع الترمذي (ج١٠/ ص٤٣٨).

(٢) "الإبانة" (٢/ ٤٥٦) رقم الأثر (٤٣٠) ط. دار الراية.

(٣) "الآداب الشرعية" (٣/ ٥٥٠) ط. صنعاء الأثرية.

(٤) "غارة الأشرطة" (٢/ ١٠٧) ط. صنعاء الأثرية.

(٥)"تحفة المجيب" (ص٨٥) ط. دار الآثار.

(٦) "تحفة المجيب" (ص٢٠٨).

١٢- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَدْ أُمِيتَتْ، فَاصْبِرُوا يَا أَصْحَابَ السُّنَنِ رَحِمَكُمُ اللهُ فَإِنَّكُمْ أَقَلُّ النَّاسِ)[1].

الشرح:

قوله: (فضلُ التمسك بالسُّنة والتميزُ عن أهل البدع).

فهذا أمر من الأمور التي لا بد منها، فإن السُنة لا تقوىٰ إلا بالتميز، وإذا لم يحصل تميز عن أهل البدع والأهواء فإن السُنة تضعف، وهكذا إذا لم يحصل التميز عن الكافرين وعن المنافقين فإنَّه يحصل الضعف للمسلمين: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣]، فإذا لم يحصل التميز عن الكافرين بحيث لم يوالي المُسلم أخاه المسلم ويُعادىٰ الكافرين، بل اختلط المسلمون بالكافرين فإن الفتنة تحصل في الأرض ويحصل الفساد الكبير؛ فينتشر الكفر في أوساط المسلمين، وينتشر الفسق والفجور، وتنتشر أنواع المعاصي في أوساط المسلمين فإذا لم يحصل التميز بين المسلمين وبين الكافرين، وتظهر المعاداة للكافرين والموالاة للمسلمين.



وهكذا إذا لم يحصل تميز لأهل السُنة عن أهل البدعة فإن البدع تنتشر في أوساط أهل السُنة فإذا صار أهل السُنة يُجالسون أهل البدع والأهواء، يؤاكلوهم، ويُشاربوهم، ويُصاحبوهم، ويزاوروهم، فما هي النتيجة؟ الجواب: أن البدع تنتشر في أوساط أهل السُنة والجماعة وتضعف السُنة بل تكاد أن تموت؛ لعدم التميز عن أهل البدع والأهواء، فقوة السُنة بالتميز عن أهل البدع كما أن قوة الإسلام بالتميز عن الكافرين المنافقين، يقول الله سبحانه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ

[1] "الجامع" للخطيب، رقم الأثر (٩).

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [آل عمران:١٧٩]، والمنافقون داخلون في هذه الآية دخولًا أوليًا، وهكذا أهلُ البدع يدخلون في معنىٰ الآية، فلا بد من تميز الخبيث من الطيب.

الخبيث إذا صار مع الطيب فمؤدىٰ ذلك فساد الطيب، وحتىٰ في مطعومات الناس إن فسد شيء من الطعام ووضع الفاسد مع الصحيح فإنَّه يفسد الطعام الصحيح بمخالطته للطعام الفاسد، فأهل الإسلام إن خالطوا الكُفار حصل فيهم الفساد، وأهل السُنة إن خالطوا أهل البدع والأهواء حصل لهم الفساد، فلا صلاح للمسلمين إلا بالتميزُ عن الكافرين، ولا صلاح لِخُلَصَّ أهل الإسلام وهم أهل السُنة إلا بالتميز عن أهل البدع والأهواء: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يس:٥٩]، ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال:٣٧]، فهذا مما يُهتم به.

وقد اهتم بهذا أئمة السلف وأظهروا العداء الشديد لأهل البدع والأهواء، والذي يقرأ في كُتب السلف يجد العجب من ذلك، وإذا تأمل المتأمل في أحوالهم ونظر إلىٰ حاله وجد أنه في ضعف شديد، والله يرحمنا برحمته، فالسلف الصالح حرصوا علىٰ التميز الشديد البالغ عن أهل البدع والأهواء في كل شيء، وأظهروا المُعاداة العظيمة لأهل البدع والأهواء؛ لأن بهذا تقوىٰ السُنة وتظهر وتنتشر، ويحصل الصفاء والنقاء للناس، وإذا ما اختلط أهل السُنة بأهل البدعة حصل الشر وحصلت الفتنة، وانتشرت البدع في أوساطهم.



١- قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةِ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ).

وهذا أيضًا منقول عن غيره نقله الألكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي حاتم وعن أبي زُرْعة الزاري كما في "شرح أصول أهل السنة والجماعة".



٢- قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: (**الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ**).

ما أحسن هذا الكلام الذي نقله الإمام الزُهري عن أهل العلم في زمنه، وهو من التابعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ**): نجاة من البدع والأهواء، ونجاة من جميع الشرور من الفتن الظاهرة والباطنة، وما وقع الناس فيما وقعوا فيه من أنواع الفتن التي دمرت لهم الدنيا وأضعفت الدين إلا بسبب عدم الاعتصام بالسُنة، لو اعتصموا بالسُنة لحصل لهم النجاة، وكم صاح عُلماء السُنة وحذروا من الفتن والشرور وخطبوا وكتبوا ونصحوا، وكثير من الناس لم يُلقِ بالًا لنصائحهم المعتمدة علىٰ كتاب الله وعلىٰ سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهاج الناس في الفتن والشرور، واشتعلت فيهم نيران الفتنة، واحترق الأخضر واليابس، ولم تصلح لهم دنيا ولا استقام لهم دين، ولو اعتصموا بالسُنة لحصل لهم النجاة من الفتن والشرور في الدنيا، ونجاة أيضًا من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة.



قوله: (**وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا**): نعم، يذهب العلم ذهابًا سريعًا، وذهاب العلم بموت العلماء، فإذا مات العلماء فإن العلم يذهب.

قوله: (**فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا**): والأمر كذلك، صلاح الدنيا والدين بالعلم، والذي يرىٰ أن الدنيا لا تقوم بالدين هذا فاسد الرأي؛ فإن الدين به تقوم الدنيا فصلاح الدنيا بالدين، والإسلام جاء شاملًا لكل شيء مما فيه مصالح الناس،




فالمتمسك بالإسلام يصلح له الدين وتصلح له الدنيا، فالعلم بكتاب الله وسُنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيه صلاح الدين والدنيا.

والمعاملات الدنيوية مضبوطة بالشرع وأدلة الشرع فيها كثيرة، فيما يتعلق بأنواع العقود من البيع والشراء، والأنكحة، والإيجارات، وفيما يتعلق بتعامل المسلم مع أخيه المُسلم كتعامل الجار مع جاره، وهكذا تعامل المسلمين فيما بينهم، فالعلم الذي هو العلم بكتاب الله وسُنة النبي ﷺ فيهما صلاح الدين والدنيا.

قوله: (وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ): إذا ذهب العلم فسد الدين وفسدت الدنيا؛ فإن الدين إذا ما فسد فإن الدنيا تفسد: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]، فإذا لم يوجد علم يزجر الناس عن المعاصي والسيئات غَرِقوا في المعاصي والسيئات وحصل الفساد العظيم في الأرض.



٣- وقال ابن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الطبقات": أَخْبَرَنَا هِشَامٌ أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: **(مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَفْضَلُ عَلَيَّ: أَنْ هَدَانِيَ لِلإِسْلامِ، أَوْ لَمْ يَجْعَلْنِي حَرُورِيًّا)**.

وهذا مما يدل علىٰ فضل النعمتين، وقد مَرَّت معنا هذه العبارة، وعرفنا: أنه لم يشك في أعظم النعمتين، وإنما هذا الكلام محمول علىٰ بيان مدىٰ نعمة السُنة، وأن السُنة من النعم العظيمة، وإلا كما هو معلوم فإن الهداية إلىٰ الإسلام هي الأصل وهي أعظم النِعم، وإن هُديَّ العبد بعد الإسلام إلىٰ السُنة فإنه ازداد خيرًا عظيمًا، فالهداية للإسلام هي أعظم النِعم والهداية إلىٰ السُنة أيضًا نعمة عظيمة لكنها بعد الهداية إلىٰ الإسلام، علىٰ أن الهداية إلىٰ الإسلام الكامل يشمل الهداية إلىٰ السُنة فإن السُنة هي الإسلام، لكن المُراد بذلك: أن الإنسان قد يدخل في الإسلام ويكون

من المسلمين وإن كان فيه قصور في إسلامه فيقع في شيء من البدع، وآخر يهديه الله إلىٰ الإسلام ثم يهديه إلىٰ السُنة فهذا جمع الله عَزَّوَجَلَّ له بين نعمتين، وإلا فإن هنالك من الناس من يدخل في الإسلام أي: يأتي بالشهادتين ولا يقع في نواقض من نواقض الإسلام وإن لم يكتمل له الإسلام من جميع وجوهه لكنَّه يقع في شيء من البدع، وهناك من يهديه الله إلىٰ الإسلام ويوفقه مع ذلك للابتعاد عن أهل البدع والأهواء، ويوفقه وللتمسك بالسُنة فهذا في نعمة عظيمة.

٤- وقال أبو عُبيد القاسمُ بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المتبع للسُّنة كالقباضِ على الجمر وهو اليومَ عندي أفضلُ مِن ضَربِ السيفِ في سبيل اللهِ).

٥- وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هذا في زمنه فكيف في زمننا؟**).



والأمر كما قال، فإذا تأمل الإنسان في زمن القاسم وفي أزماننا تبيَّن له أن زمن القاسم زمن عافية بالنسبة إلىٰ أزماننا، ومع هذا يقول: (**المتبع للسُّنة كالقباضِ علىٰ الجمر**)، وهذا يدل علىٰ أن الإنسان إذا تمسك بالسُنة يجد الشدة، فربما يُحاربه أقرب الناس إليه كأبيه وأمه، وربما يُحارب أشد المحاربة من جهة أبيه وأمه إما بالضرب، وإما بالطرد، وإما بالسب واللعن، وهكذا يجد شدة من جيرانه بالهمز واللمز والضحك والسخرية، ويجد شدة أيضًا مع من كان صديقًا أو رفيقًا له قبل أن يتمسك بالسُنة فيتنكروا له وكأنهم لا يعرفونه، ويجد شدة من المعادين والمُخالفين من أهل البدع والأهواء فإنهم يكيدون له المكائد في ليله وفي نهاره فهو في شدة عظيمة، ولولا ما يجعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قلوب أهل السُنة من الطمأنينة وانشراح الصدر بكتاب الله وسُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما صبروا علىٰ هذه الشدائد؛ لكن العون من الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يُصبر، المتمسك بالسُنة فيصبر وصدره مُنشرح؛ لما يرجوه من ثواب الله عَزَّوَجَلَّ ولما يرجوه من الأجر العظيم من رب العالمين، فيجد الأذية من كل مكان وقلبه منشرح وصدره مطمأن راضٍ بقضاء الله وقدره وينظر إلىٰ

حال الأنبياء والرُسل وما حصل لهم من الأذية من أجل الله وكيف أن الله رفعهم فيتأسىٰ بهم ويرجو ما عند الله: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤]، وأصحاب الشر والحسد وإن حصل لهم أذية لأهل السُنة والجماعة فهم مع ذلك يتألمون من النِعمة التي فيها أهل السُنة والجماعة والخير الذي هم فيه، ويأكلون أنفسهم حنقًا وحسداً.

وهكذا فيما يتعلق بقتال الكافرين فإنَّه إن أصيب المسلم بجراحات في بدنه فالكفار يُصابون أيضًا بجراحات في أبدانهم؛ لكن هنالك فرق واضح بين الفريقين: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤].

٦- وقال الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "جامعه": حدثنا محمد بن رافع النيسابوري، حدثنا يحيى بن آدم عن: أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: (**صاحب السُّنة إذا مات أحيا اللهُ ذِكرَهُ والمبتدع لا يذكر**).

المبتدع لا يُذكر بالخير لكن يُذكر بالذم والمقت والعيب، وأما صاحبُ السُنة فإذا ذُكِرَ ذُكِرَ بالرحمة فيُترَحم عليه ويذكر بالثناء الحسن، والله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح:٤]، فرفع الله عَزَّوَجَلَّ للنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ الذِكر، وكل من تمسك بسُنة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فله من رفع الذِكر علىٰ قدر تمسكه بسُنة رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ حيًا وميتًا، والذِكر الحسن الذي جعله الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه هو في حياته وبعد موته وهكذا جعل الله عَزَّوَجَلَّ ذلك أيضًا لسائر الأنبياء والرُسل فإذا ذُكروا ذُكروا بالخير، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٩]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:١٠٩]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات:١٢٠]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠]، أي: ترك الله عَزَّوَجَلَّ لهم في الأمم المتأخرة التي جاءت بعدهم الثناء




الحسن وهو السلام، فإذا ذُكِرَ الرُسل والأنبياء ذُكِروا بالسلام وبالثناء الحسن، فهذا مما تركه الله عَزَّوَجَلَّ للأنبياء والرُسل بعد موتهم، فلهم الذكر الحسن.

ولنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ النصيب الأوفر من الذِكر الحسن في حياته وبعد موته، ومن تمسك بسُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فله أيضًا من الثناء الحسن علىٰ قدر تمسكه بسُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتأملوا فيمن مضىٰ من أئمة السلف كيف يُذكرون بالجميل ويُثنىٰ عليهم ويُترضىٰ عنهم ويترحم عليهم، وهذا من شرف التمسك بسُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



٧- عن مُبَشِّرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحُلَبِيُّ، قَالَ: قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: أَنَا أُجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَأُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدَعِ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، قَالَ أبو عبد الله بن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صَدَقَ الْأَوْزَاعِيُّ، أَقُولُ: إِنَّ هَذَا رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ).

في هذا الأثر عن الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التحذير من مجالسة أهل البدع والأهواء، وأن الذي يُجالس أهل البدع والأهواء ويجالس أهل السُنة فإنَّه يُريد أن يسوي بين الحق والباطل، فأهل السُنة هم أهل الحق، وأهل البدعة هم الباطل، وكون الشخص يُجالس هؤلاء وهؤلاء؛ كأنه يقول: الكل سواء، الخير موجود هنا وهنا، والعلم موجود هنا وهنا، والدين موجود هنا وهنا، فيريد أن يسوي بين الحق والباطل.

وهذا الأثر قد أورده ابن بطة في "الإبانة" قال: (**صَدَقَ الْأَوْزَاعِيُّ**)،.... وابن بطة يقول: (**إِنَّ هَذَا رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ**)، التبس عليه الأمر، صار يُجالس هؤلاء ويُجالس هؤلاء، من يجالس أهل السُنة ويجالس أهل البدعة فإن الأمر ملتبس عليه ولم يهتدِ فيه للصواب، فلم يُميز بين أهل الحق وبين أهل الباطل، ولم يُميَّز بين الحق والباطل، بل التبس عليه الأمر.



ومجالسة أهل البدع والأهواء فيها ما فيها من المضرات الشديدة، وهي من أسباب الانحراف عن السُنة: فلا يتساهل المرء في هذا الأمر بحيث يجالس أهل السُنة ويجالس أهل البدعة، فإنَّ هذا من أسباب الوقوع في البدعة، فالشبهات خطافة والقلوب ضعيفة.

وهذا الذي يجالس أهل السُنة ويجالس أهل البدعة هو كما ذكر الأوزاعي: يُريد أن يسوي بين الحق والباطل، وهو كما قال ابن بطة: أنه لم يعرف الحق والباطل، وكما قال ابن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع**)؛ فالذي يُجالس أهل السُنة ويجالس أهل البدعة يُخشىٰ عليه من أهل البدع وضرره علىٰ أهل السنة كبير، فإن أهل البدع قد عُلِمَ منهجهم فإذا حذر منهم علماء السُنة حَذِرَهُمُ الناس ونجوا من بدعهم وحصلت لهم السلامة، فلم تصل بعد ذلك إلىٰ أهل السُنة شبهات أهل البدعة؛ لابتعادهم عنهم؛ لكن الشخص الذي يجالس أهل السُنة ويجالس أهل البدعة فإنَّه يوصل شبهات أهل البدع والأهواء إلىٰ أهل السُنة، فهذا الذي يجالس أهل البدع والأهواء هو ناقل للأمراض وحامل للأمراض والأوبئة، فيأخذ المرض من مجالس أهل البدع ويبثُ هذا المرض في صفوف أهل السُنة، فتحصل الأمور الكبيرة لأهل السُنة من هذا الصنف، فالذي يجالس أهل السُنة ويجالس أهل البدع ويتظاهر بالولاء لأهل السُنة ويتظاهر بمحبة أهل السُنة فهو في الحقيقة أشد علىٰ أهل السُنة من أهل البدع، فإن أهل البدع قد عُلِمَ حالهم وافتضح أمرهم عند أهل السُنة.

قال: (..... **لا يدخلون عندهم، ولا يدخلون مجالسهم، ولا يرتبطون بهم.... وانحرفوا عن الصراط المستقيم**)، يعني: أهل السُنة في عافية، وسلامة من ذلك المرض الذي في قلوب أهل البدع والأهواء، فإذا جاء ذلك الشخص وجالس أهل السُنة وجالس أهل البدع فإذًا به ينقل تلك الأمراض ويجعل البدع في أوساط أهل

السُنة فيتشكك من يتشكك بالحق بعد ظهوره وبيانه، وبعد أن اطمأن قلبه إلىٰ الحق، وإذا به يتشكك شيئًا فشيئًا، وقد ضلَّ بسبب المخالطة من ضلَّ ممن هو موصوف بالعلم والذكاء والفطنة، فكيف بعوام الناس؟! فهم أسرع تأثراً بالشبهات!.

فهذا الصنف هم أخطر الأصناف علىٰ أهل السنة: **(الذي يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع)** فلا يستهن الشخص بهذا المرض، وهؤلاء ينبغي أن يُنصحوا فإن لم ينتصحوا فيُزجروا حتىٰ لا يحصل بهم الضرر علىٰ أهل السُنة.

٨- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِذَا رَأَيْت الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَأَرْجِهْ وَإِذَا رَأَيْته مَعَ أَصْحَابِ الْبِدَعِ فَايئَسْ مِنْهُ فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ نُشُوئِهِ).



وهذا باعتبار الغالب، وإلا فإن الهداية بيد الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من الأسباب الغالبة، فالشاب إذا نشأ مع أهل السُنة فهذا يُرجىٰ له الخير في الدنيا والآخرة؛ لأنه نشأ علىٰ السلامة، ومن نشأ علىٰ السلامة فيرجىٰ له السلامة، ويُرجىٰ له النجاة في الدنيا والآخرة، ومن نشأ في أول أمره مع أهل البدع والأهواء فهذا يُخاف عليه، فإن الشاب كما قال: **(عَلَىٰ أَوَّلِ نُشُوئِهِ)**، والسنة أو البدعة إذا تمكنت في القلب منذُ الصِغر لا تكاد تزول منه؛ لأنها تُنقش في القلب نقشًا، فلهذا يحذر الناس من مُجالسة أهل البدع والأهواء من أول الأمر، فإن الشاب سريع التلقي بعكس من كَبُر سِنه، فمن كان في أول شبابه فكل ما يسمعه فإنَّه ينتقش في قلبه نقشًا فيصُعب إزالته بعد ذلك.

فمن هداهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للسُنة من أول الأمر فيحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العافية وعلىٰ السلامة من أهل البِدع والأهواء.

٩- وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلا تقوم السُنة ولا تقوم ولا تقوم لها قائمةٌ إلا إذا حصَل تميزٌ، وتميز أهلُ السُّنة من أهل البدعة).

١٠- وقال أيضًا: (لن تُقام سُنةُ رسول الله ﷺ إلا بالتميُّز).

الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان كثيرًا في دروسه ومواعظه يدعو إلىٰ التميَّز: بأن يتميز أهلُ السُنة عن أهل البدعة، ويبيِّن أن السُنة لا تظهر ولا تقوىٰ إلا بالتميّز، وهذا الأمر هو الذي سار عليه السلف، وإذا لم يحصل التميز فإن السُنة تضعف وينتشر ويقوىٰ الباطل، فلا تقوىٰ السُنة إلا بالتميز عن أهل البدع، والسنة قويت في هذه البلاد اليمنية بالتميز، وضعفت في كثير من البلاد بسبب عدم التميز، وبعض الناس في كثير من البلدان يقول: ما عرفت أهل البدع والأهواء إلا لمَّا أتيت إلىٰ اليمن، فعاش في بلاده سنوات ويعرف أُناسًا ويظنهم من أهل الخير ومن أهل السُنة، وما عرف أنهم من أهل البدع والأهواء إلا لما جاء إلىٰ اليمن، وذلك لشدة الالتباس في تلك البلدان ولعدم التميز فيها، وإذا لم يحصل التميز التبس الأمر علىٰ عامة الناس، فربما يُجالس الشخص أهل البدع والأهواء ويظن أنهم من عُلماء السُنة أو من أهل السُنة، وقد يكونون من الإخوان المسلمين، وقد يكونون من الصوفية، وقد يكونون من التراثيين، وغيرهم من أهل البدع والأهواء وهو لا يدري بسبب ضعف التميز الموجود في كثير من البُلدان، فالسُنة تظهر بالتميز وتضعف بعدم التميز، وتنتشر البدع إذا لم يحصل تميز أهل السُنة عن أهل البدع والأهواء.




١١- وقال أيضًا: (وننصح أهلَ السُنة أن يتميزوا، وأن يبنوا لهم مساجد ولو من اللِبن أو من سعف النخل؛ فإنهم لن يستطيعوا أن ينشروا سُنة رسول الله ﷺ إلا بالتميز، وإلا فالمبتدعة لن يتركوهم ينشروهم السُنة).

قوله: (**وننصح أهلَ السُنة أن يتميزوا، وأن يبنوا لهم مساجد**): حتىٰ المساجد، يتميزوا بمساجدهم عن مساجد أهل البدع والأهواء.

قوله: (**فإنهم لن يستطيعوا أن ينشروا سُنة رسول الله ﷺ إلا بالتميز**): وذلك أنَّ أهل البدع لا يسمحون لأهل السُنة أن ينشروا السُنة في مساجدهم، بل يُحاربونهم أشد المُحاربة فلا يحصل نشرُ السُنة بغير التميز، فالتميز بالمساجد وبجميع الأمور ولو كانت من المسائل الصغيره هو الذي ينبغي، فإنَّه يحصل بذلك البركة ويحصل بذلك الخير، ويحصل بذلك التميز والصفاء.



فأهل السنة لن يستطيعوا أن ينشروا سُنة رسول الله ﷺ إلا بالتميز، فرحم الله الشيخ مقبلاً الوادعي فقد كان يهتم بهذا الأمر كثيرًا واستفاد من نصحه كثير من أهل السُنة فساروا علىٰ هذا السير فحصل الخير والبركة في الدعوة السلفية.

١٢- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَدْ أُمِيتَتْ، فَاصْبِرُوا يَا أَصْحَابَ السُّنَنِ رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَإِنَّكُمْ أَقَلُّ النَّاسِ).

قوله: (**أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَدْ أُمِيتَتْ**): وذلك أن من أحيا سُنة من سُنن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فله أجر كل من عَمِلَ بتلك السُنة إلىٰ يوم القيامة، وهذا شيء عظيم فينال العبد من الأجور الشيء الكثير، وإذا أُميتت سُنة من السُنن ولم تكد تُعرف في أوساط الناس فقام بإحيائها شخص إما بقوله، وإما بفعله، وإما بقوله وفعله فانتشرت تلك السُنة في أوساط الناس وتناقلوها جيلًا بعد جيل فكم لمن أحياها من الأجور العظيمة؟! وكم له من الحسنات الكثيرة؟! وهذا

إذا أحيا سُنة من السُنن فكيف إذا أحيا أكثر من ذلك؟! وأهل السُنة هم الذين يحييون السُنن في أوساط الناس ويُحاربون البدع والأهواء فكم لهم من الحسنات العظِام؟!

فإذا فعل ذلك العبد مُخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ فهو من خير الناس ومن أفضل الناس.

قوله: (فَاصْبِرُوا يَا أَصْحَابَ السُّنَنِ رَحِمَكُمُ اللهُ فَإِنَّكُمْ أَقَلُّ النَّاسِ): أهل السُنة غرباء وهم قِلة باعتبار أهل البدع والأهواء، ومع قلتهم فلهم الظهور بالحُجة والبيان، ولهم الرِفعة في الدنيا والآخرة.

قال وفقه الله:

من صفات أهل السُنة:

١- قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**نَدورُ مَعَ السُّنَةِ حَيثُ دَارت**)[١].

٢- وقال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**استوصوا بأهلِ السُّنة خيرًا فإنهم غُرباء**)[٢].

٣- وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ: قَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: (**إِنَّ الَّذِي تُعْرَضُ عَلَيْهِ السُّنَّةُ فَيَقْبَلُهَا لَغَرِيبٌ وَأَغْرَبُ مِنْهُ صَاحِبُهَا**)[٣].

٤- وقال الإمام ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثنا أَبُو يعلى، حدثنَا عبد الصَّمد بن يزِيد، قَالَ سَمِعت الفضيل يَقُول: (**من زوج ابْنَته من مُبْتَدع فقد قطع رَحمهَا**)[٤].

٥- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم على صفات أهل السُّنة: (**إنهم إلى محض سنته متسبون، يدينون دين الحق أنى توجَّهت ركائبُه ويستقرون معه حيث استقرت مضاربه، لا تستفزّهم بَدَوات آراء المختلفين، ولا تُزَلزلهم شُبُهات المبطلين، فهم الحُكَّام على**



(١) "المصدر السابق" برقم (٤٧).

(٢)"المصدر السابق" برقم (٤٩).

(٣) "الشريعة" (٢/ ٦٧٢) برقم (٢٠٥٩) ط. دار الفضيلة.

(٤) "الثقات" برقم (٥٦٤) (ج٨/ ٤١٥).

أربابِ المقالات، والمميزون لما فيها من الحق والشبهات، يردُّون على كل مُبطل، ويتكلمون على من خالفهم بالعدل والإنصاف)[١].

٦- وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَنْبَأَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو السِّكِّينِ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ، وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنِ السُّنِّيُّ؟ فَقَالَ: (**السُّنِّيُّ الَّذِي إِذَا ذُكِرَتِ الْأَهْوَاءُ لَمْ يَغْضَبْ لِشَيْءٍ مِنْهَا**)[٢].

٧- وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، قال: (**وَأَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُمَيِّزُونَهَا مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ فَهُمْ غُرَبَاءُ، وَالدَّاعُونَ إِلَيْهَا الصَّابِرُونَ عَلَى أَذَى الْمُخَالِفِينَ هُمْ أَشَدُّ هَؤُلَاءِ غُرْبَةً**... — ثم ذكر بعض صفاتهم فقال:-

أ- التَّمَسُّكُ بِالسُّنَّةِ، إِذَا رَغِبَ عَنْهَا النَّاسُ.

ب- تَرْكُ مَا أَحْدَثُوهُ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ.

ج- تَجْرِيدُهم التَّوْحِيدِ، وَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَكْثَرُ النَّاسِ.

ح- أنهم لا ينتسبون إلى غيرِ السُّنة وإلى غير السلف)[٣].

٨- وعن أبي الزناد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (**وَكَانَ الرَّجُلُ لَا يُعَدُّ رَجُلًا حَتَّى يَعْرِفَ السُّنَّةَ**)[٤].

٩- وكان أبو معمر القطيعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لشدة تمسكه بالسنة وحبِهِ لها يقول: (**لو تكلَمتْ بَغْلَتي لقالت: إنها سنية**)[٥].



---

(١) من "بدائع الفوائد" (٤٩٤-٤٩٥) ط. ابن حزم.

(٢) "الشريعة" (٢/ ٦٧٢) برقم (٢٠٥٩)ط. دار الفضيلة، والأثر صحيح على رغم أنوف المناصرين لأهل البدع.

(٣) "مدارج السالكين" (٣/ ٢٠٥) ط. الكتب العلمية.

(٤) "الحلية" لأبي نعيم برقم (١٩٦٨)، تهذيب الكمال (٨/ ٣٠١).

(٥) "تهذيب الكمال" (١/ ٤٣٧).




١٠- وعن أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ذَا كَانَ الرَّجُلُ صَاحِبَ سُنَّةٍ وَجَمَاعَةٍ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَيِّ حَالٍ كَانَ فِيهِ)[١].

١١- وعن الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يُحْيِي بِهِمُ الْبِلَادَ، وَهُمْ أَصْحَابُ السُّنَّةِ)[٢].

١٢- وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَقَدْ أَلَّفْتُ هَذِهِ الْكُتُبَ وَلَمْ آلُ فِيهَا، وَلا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِيهَا الْخَطَأُ، لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ الآيَةَ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِي كُتُبِي هَذِهِ مِمَّا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَقَدْ رَجَعْتُ عَنْهُ)[٣].

١٣- وقال الإمام يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (آلة الحديث الصدقُ والشهرة في طلبِه، وتركُ البدع واجتنابُ الكبائر)[٤].

١٤- وقال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي اللهِ، ثُمَّ أَحْدَثَ حَدَثًا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُبْغِضْهُ عَلَيْهِ فَلَمْ يُحِبَّهُ فِي اللهِ)[٥].

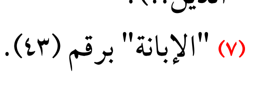
١٥- وقال الإمام أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وشعار أهل السّنة اتباعهم السّلف الصَّالح وتركهم كل مَا هُوَ مُبْتَدع مُحدث)[٦].

١٦- عن ابن شوذب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الشَّابِّ إِذَا تَنَسَّكَ أَنْ يُوَاخِيَ صَاحِبَ سُنَّةٍ يَحْمِلُهُ عَلَيْهَا)[٧].



---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السُنة" برقم (٣٣).
(٢)"المصدر السابق" برقم (٥١).
(٣) "المقاصد الحسنة" للسخاوي (ص٣٤) ط. الكتب العلمية.
(٤) "ذم الكلام" للهروي برقم (١٤٠٣).
(٥) "شعب الإيمان" برقم (٩٠٧٣).
(٦)"الانتصار لأصحاب الحديث" (فضل ما روي عنهم من ذم الجدال والخصومات في الدين..)؟
(٧) "الإبانة" برقم (٤٣).



قال ابن بطة بعد أن أورد هذا الأثر: فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مَنْ تَصْحَبُونَ، وَإِلَى مَنْ تَجْلِسُونَ، وَاعْرَفُوا كُلَّ إِنْسَانٍ بِخِدْنِهِ، وَكُلَّ أَحَدٍ بِصَاحِبِهِ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ صُحْبَةِ الْمَفْتُونِينَ.

الشرح:

١- قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نَدورُ مَعَ السُّنَةِ حَيثُ دَارت).

فهذه صفة من صفات أهل السُنة: أنهم يدورون مع السُنة حيث دارت، فما أثبتته السُنة أثبتوه وعملوا به، وما حذرت منه السُنة حذروا منه، وما لم يرد فيه دليل من السُنة وكان من العبادات ابتعدوا عنه، فهم يدورون مع السُنة في إثبات العمل وفي تركهم له، ولهذا قيل لهم: أهل سُنة؛ لشدة ملازمتهم لسُنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



فكما أن أهل السُنة يدورون مع السنة حيث دارت بهم، فأهل البدع يدورون مع أهوائهم وبدعهم حيثُ دارت بهم بدعهم وأهوائهم.

٢- وقال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (استوصوا بأهلِ السُّنة خيرًا فإنهم غُرباء).

فهذا سفيان الثوري يقول هذه المقولة في زمنه وهو من كبار أتابع التابعين، فإذا كان أهل السُنة غُرباء في زمن أتباع التابعين وهو من كبارهم، فكيف بأزماننا؟ فإن الغربة شديدة علىٰ أهل السُنة في مثل هذه الأزمان.

٣- وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ: قَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: (**إِنَّ الَّذِي تُعْرَضُ عَلَيْهِ السُّنَّةُ فَيَقْبَلُهَا لَغَرِيبٌ وَأَغْرَبُ مِنْهُ صَاحِبُهَا**).

الذي تُعرض عليه السُّنة فيأخذ بها ويتمسك بها هذا غريب في الناس في زمنه، وصاحب السُنة المتمسك بها أغرب من هذا الذي تُعرض عليه السُنة فيقبلها، هذا كلام يونس بن عُبيد وهو من صغار التابعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فانظر كيف يتكلم بهذا الكلام في عصر التابعين، فالغُربة في أهل السُنة مُنذ ذاك الزمن القديم، مع أنَّ تلك الأزمان أزمنة عافية بالنسبة لأزماننا فكيف بأزماننا فإن الغربة شديدة.

والمتأمل في أحوال الناس يجد الواقع خير شاهد بذلك، فالناس في ابتعاد شديد عن العلم وعن التمسك بالسُنة إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ، تتجارىٰ الأهواء بكثير منهم وتتجارىٰ الدنيا بآخرين، قد شغلوا أنفسهم بالتكاثر: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر:١-٤]، فتراهم علىٰ هذه الحالة يلتهون بالتكاثر في الأموال والأولاد، ومن رأووه حريصًا علىٰ العلم فإنهم يزدرونه ويرون أنه ضيع نفسه، وفي الحقيقة: أنهم هم الذين ضيعوا أنفسهم، فليس الخاسر من خسر الدنيا، ولكنَّ الخاسر من خَسر الآخرة، والعلم هو الطريق الموصل إلىٰ الآخرة: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»، فطريق الجنة طريق العلم.

والدنيا لا توصل إلىٰ الآخرة فهي ضُرة الآخرة من عَمِلَ لها ترك العمل للآخرة، ومن انشغل بها ترك العمل لآخرته، فلا بد أن يضر بأحدهما، إذا كان يعمل للآخرة أضر بدنياه، وإن عَمِلَ للدنيا أضر بآخرته، والعاقل هو الذي يُدخل الضرر علىٰ الفانية لتبقىٰ له الباقية، والخاسر هو الذي خسر الآخرة وما عمل لها، ومن حرص علىٰ آخرته وتفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ من أجل الله عَزَّوَجَلَّ لينال مرضات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا

هو المُفلح، لكن هكذا حال كثير من الناس إلا من رحم الله بعد الدنيا في ليلهم ونهارهم عَزَّوَجَلَّ، فأهل السُنة في غُربة شديدة في أوساط المجتمعات، بل عند أقرب الأقربين منه فيجد الإنسان في نفسه الغُربة، وإذا تمسك الإنسان بالسُنة عن اشتداد الغُربة فله الأجر العظيم من الله عَزَّوَجَلَّ.

٤- وقال الإمام ابن حبان رَحِمَهُٱللَّهُ: حَدَّثنا أَبُو يعلى، حدثَنَا عبد الصَّمد بن يزِيد، قَالَ سَمِعت الفضيل يَقُول: **(من زوج ابْنَته من مُبْتَدع فقد قطع رَحمهَا)**.

هذا كلام صحيح؛ وذلك لأنه أدخل عليها أعظم الضرر، حيث زوجها من مبتدع، ومعروف أن الزوجة أسيرة كالأمة عند زوجها، فهُنَّ عوان أي أسيرات عند أزواجهن، والمرأة تتأثر بزوجها فإنَّ وزوجها معها في الليل وفي النهار، فإذا كان زوجها من أهل البدع والأهواء فإنه يُدخل عليها البدع والأهواء فيحصل ما يحصل لها من الضرر، والسبب في ضررها: هو الولي الذي زوج ابنته أو أخته من ذلك المبتدع، فهذا من أعظم قطيعة الرحم.



وكون الإنسان يقطع رحمه بعدم إيصال شيء من الدنيا إليهم فهذا أهون من أن يتسبب في فساد دين بعض أرحامه، فهذا أشد قطيعة فإن الدنيا هينة، مع أنَّه يجب علىٰ الإنسان أن يصل رحمه بالدنيا فينفق علىٰ الفقير من أرحامه ويواسي المحتاج منهم، وذلك إن كان عنده سعة من المال، فهذه من صلة الرحم وهي صلة واجبة.

٥- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم على صفات أهل السُّنة: (إنهم إلى محض سنته منتسبون، يدينون دين الحق أنى توجَّهت ركائبُه ويستقرون معه حيث استقرت مضاربه، لا تستفزّهم بَدَوات آراء المختلفين، ولا تُزَلزلهم شُبُهات المبطلين، فهم الحُكَّام على أربابِ المقالات، والمميزون لما فيها من الحق والشبهات، يردُّون على كل مُبطل، ويتكلمون على من خالفهم بالعدل والإنصاف).

قوله: (**إنهم إلىٰ محض سنته منتسبون**): فأهل السُنة كما سبق معنا ينتسبون إلىٰ سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأهل الأهواء ينتسبون إلىٰ أهوائهم، ولا ينتسبون إلىٰ سُنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذه المسألة قد تكلمنا فيها: وذكرنا أن هناك من ينتسب إلىٰ المقالات المُحدثة كالمرجئة، والقدرية، وهناك من ينتسب إلىٰ أهل المقالات: كالجهمية، والكُلابية، والكَّرامية، فأهل البدع ينتسبون إلىٰ غير السُنة، وأهل السُنة ينتسبون إلىٰ سُنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قوله: (**فهم الحُكَّام علىٰ أربابِ المقالات**): لأن عندهم الحُجة، والحجة في كتاب الله وفي سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأصحاب المقالات يصوبون ما عندهم من المقالات بالكتاب والسُنة وإلا فإنها مقالات باطلة.

قوله: (**يردُّون علىٰ كل مُبطل**): وهذه من صفات أهل السُنة: أنهم لا يسكتون عن أهل الباطل ولو كان من أقرب الناس، يردون علىٰ كل مُبطل كان عظيمًا أو لم يكن، أو كان كبيرًا أو صغيرًا، أو عالمًا أو جاهلًا أو لم يكن؛ لأنهم يذبون عن دين الإسلام فيردون علىٰ كل مُبطل.

قوله: (**ويتكلمون علىٰ من خالفهم بالعدل والإنصاف**): فإن من خالفهم فهو مُخالف للكتاب والسُنة، والواجب أن يكون الكلام مع المخالف بالعدل والإنصاف: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾




[المائدة:٨]، ولو كان الشخص من المخالفين، ولو كان من أهل الأهواء، بل ولو كان من الكافرين لا يجوز أن يتكلم الإنسان في كافر بغير حق، فإن تكلم في كافر واتهمه بالزنا مثلًا فلا يجوز مع أن الكفر والشرك الذي هو فيه أشد من الزنا، مع هذا فلا يجوز أن يقذف بالزنا من غير حجة، ولو كان من الكافرين أو المنافقين، فالعدل مأمور به، وبه قامت السماوات والأرض، والعدل لا بد منه مع العدو ومع الولي.

فهذا الذي يتحلىٰ به أهل السُنة، ومن خالف في هذا ولم يتكلم بالعدل والإنصاف وحصل منه تجاوزات وظُلم فإنما يضر نفسه.

٦- وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَنْبَأَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو السِّكِّينِ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ، وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنِ السُّنِّيُّ؟ فَقَالَ: (**السُّنِّيُّ الَّذِي إِذَا ذُكِرَتِ الْأَهْوَاءُ لَمْ يَتَعَصَّبْ لِشَيْءٍ مِنْهَا**).



نعم، هذا هو السُني إذا ذُكرت عنده الأهواء لم يتعصب لشيء منها؛ لأنه منتسب إلىٰ السُنة، فولاؤه للسُنة، وكذلك براءته ممن خالف السُنة، فمن تمسك بالسُنة أحبه ووالاه، ومن نابذ السُنة أبغضه وعاداه هذا هو السُني، فلا يتعصب لشيء من الأهواء ولا يُدافع عن شيء من الأهواء، ولا يغضب إذا ما ذُمت البدع الأهواء، ولا يغضب إذا ما تُكلِمَ علىٰ أهل البدع والأهواء، فالذي يغضب إذا ما ذُكِرت البدع والأهواء وحُذِرَ منها فهذا دليل علىٰ أنه من أهلها، فالسُني يغضب إذا ما طعن طاعن في السُنة، وإذا ما ظهرت البدعة فيغضب من أجل هذه الأمور.

٧- وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» قال: (وَأَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُمَيِّزُونَهَا مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ فَهُمْ غُرَبَاءُ، وَالدَّاعُونَ إِلَيْهَا الصَّابِرُونَ عَلَى أَذَى الْمُخَالِفِينَ هُمْ أَشَدُّ هَؤُلَاءِ غُرْبَةً... – ثم ذكر بعض صفاتهم فقال:-

أ- التَّمَسُّكُ بِالسُّنَّةِ، إِذَا رَغِبَ عَنْهَا النَّاسُ.

ب- تَرْكُ مَا أَحْدَثُوهُ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ.

ج- تَجْرِيدُهم التَّوْحِيدِ، وَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَكْثَرُ النَّاسِ.

ح- أنهم لا ينتسبون إلى غيرِ السُّنة وإلى غير السلف.

قوله: (**وَأَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُمَيِّزُونَهَا مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ فَهُمْ غُرَبَاءُ**): صحيح، أهل السُنة الذين يميزون بين السُنة وبين البدعة، ويُحذرون من أهل البدع والأهواء هم غُرباء في المجتمعات، وإذا كان صاحب السُنة الذي ليس عنده كبير تمييز يجد نفسهُ في غُربة فكيف من كان مميزًا لأهل البدع والأهواء، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، مُحذرًا من البدع والأهواء ومن أهلها فإنه من أشد الناس غُربة.

قوله: (**ب- تَرْكُ مَا أَحْدَثُوهُ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ**): أي عند الناس، فإن البدعة قد تكون هي المعروفة عند الناس، وهناك من الناس من يُماشي الناس علىٰ ما يعرفون ولو كان من البدع أو من الشرك وهذا خطأ كبير.

قوله: (**ج- تَجْرِيدُهم التَّوْحِيدِ، وَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَكْثَرُ النَّاسِ**): فأعظم الناس اهتمامًا بالتوحيد هم أهل السُنة، لا يوجد أحد يهتم بالتوحيد مثل أهل السُنة فهم الذين يهتمون بالتوحيد تدريسًا، ودعوةً؛ لأنه هو أصل الدين.

قوله: (**ح- أنهم لا ينتسبون إلىٰ غيرِ السُّنة وإلىٰ غير السلف**): فنسبتهم إلىٰ السُنة فيقال: أهل السُنة، ونسبتهم إلىٰ السلف فيقال للمنتسب إلىٰ السلف بأنه سلفي.

٨- وعن أبي الزناد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (وَكَانَ الرَّجُلُ لَا يُعَدُّ رَجُلًا حَتَّى يَعْرِفَ السُّنَّةَ).

فهذا هو الرجل في الحقيقة من عرف السُنة معرفة تستلزم التمسك والانقياد، وليس المُراد بذلك معرفة السُنة مع الإعراض عنها وعدم التمسك بها، فإن هذه المعرفة لا تنفع، بل المُراد بذلك: المعرفة المستلزمة للاتباع، والعبد يحتاج أن يعرف السُنة وأن يعرف أيضًا البدعة، (عرفت الشر لا للشر؛ لكن لتوقيه)، قال حُذيفة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي**)، فيحتاج الإنسان أن يعرف السُنة وأن يعرف أيضًا البدعة حتىٰ يتقي البدع.

وكان بعض من مضىٰ من أهل العلم كما مَرَّ معنا يحفظون الأحاديث الصحيحة والأحاديث الضعيفة والموضوعة من أجل التمييز، بين ما ثبت وما لم يثبت، وهكذا الشخص يحتاج أن يعرف السُنة وأن يعرف البدعة حتىٰ يتقي البدع، والإنسان قد يتفقه في السُنة ويقرأ في كتب العقيدة ولا يكون عنده تمييز بين أهل السُنة وبين أهل البدعة، وهذا حال كثير من الناس ولا سيما في كثير من البُلدان، يُلقب أحدهم بالدكتور وقد يكون دكتوراً في علم العقيدة وإذا به مُنحرف في البدع والأهواء، فهو أستاذ ودكتور في العقيدة وإذا به من الإخوان المسلمين، أو من السروريين، أو من القطبيين، أو ممن يرىٰ أن الكل من أهل السُنة، وهو أستاذ ودكتور أخذ الدرسات العليا في علم العقدية ويرىٰ أن الكل من أهل السُنة: من الإخوان المسلمين، والسروريين وغيرهم كل هؤلاء من أهل السُنة، فيحتاج الشخص أن يتعلم السُنة وأن يتعلم العقيدة الصحيحة، وأن يعرف أيضًا البدع والأهواء، فيعرف الخير ويعرف الشر حتىٰ لا يقع في الشر.



وليس في ذلك مضيعة للأوقات إلا عند الجاهلين؛ فكون الإنسان يُميز بين الأمرين بهذا يقي نفسه من تخطفات أهل البدع والأهواء، وأهل البدع والأهواء عندهم الحرص الشديد علىٰ أهل السُنة ولا سيما من رأوه بارزًا وقد علا صيته في أوساط الناس وانتشر خيره فإنهم يحرصون عليه بكل ما يستطيعون، وإذا كان الشخص ما عنده التمييز فسرعان ما ينجذب إليهم وينخرط في أهواءهم والعياذ بالله، ومن انخرط في أهل البدع والأهواء فإنه يذوب كما يذوب الملح في الماء، فيذوب علمه ويقل علمه وخيره والاستفادة منه، وهذا الشيء مُلاحظ في كثير ممن انخرط في

أهل البدع والأهواء، كيف كان لهم قبل ذلك السِيط والمكانة والرفعة، وكلامهم مسموع، وكتاباتهم مقبولة ومنتشرة، وسرعان ما تنجر بهم الأهواء إلىٰ بعض المخالفات وإذا بهم يذوبون ويجرون وراء الدنيا وحطامها بعد الجد والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله.

فعلىٰ كلٍ: هذا من أسباب الثبات علىٰ السُنة وإلا الأمر بيد الله، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء، فالثبات ليس بكثرة العلم وإنما ذلك سبب من الأسباب، وإلا فالثبات من الله عَزَّوَجَلَّ يثبت من يشاء، فيهدي من يشاء ويُضلُ من يشاء.

٩- وكان أبو معمر القطيعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لشدة تمسكه بالسنة وحبهِ لها يقول: **(لو تَكلَمتْ بَغْلَتي لقالت: إنها سُنية)**.

قال هذا؛ لشدة تمسكه بالسُنة وحبه لها، وقد ابتليَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بفتنة خلق القرآن، وأجاب في الفتنة كما أجاب كثير من أهل العلم لا عن اعتقاد، لكن من باب أنهم أرادوا أن يدفعوا الشر عن أنفسهم وتأولوا في ذلك رحمة الله عليهم.

وثبت في الفتنة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثباتًا عظيمًا، وأجاب من أجاب من أهل العلم وهم كُثر لا عن اعتقاد لكن تأولوا الإكراه في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]، والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما عذرهم، وذهب إلىٰ عدم الرواية عنهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من باب الزجر لهم، لكن كما قُلنا هم تأولوا وما أرادوا حقيقة المُخالفة، ورأوا أن لهم العُذر عند الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]، والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يرَ هذا عُذرًا؛ لكنهم اجتهدوا رحمهم الله، وإن كان مذهب الإمام أحمد أصوب؛ باعتبار أن العلماء إذا استجابوا لذلك حصل الشر العظيم لعامة الناس، وحصلت الفتنة العظيمة، وكون




الإنسان يصبر وإن قُتِل فإن مصلحة ثباته أعظم من مفسدة قتله، فصبر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وثبت الله عَزَّوَجَلَّ السُّنة به رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠- وعن أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ذَا كَانَ الرَّجُلُ صَاحِبَ سُنَّةٍ وَجَمَاعَةٍ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَيِّ حَالٍ كَانَ فِيهِ).

أي: أنه على خير وإن تقلبت به الأحوال ما دام على السُّنة فهو على خير وعافية، فلا تسأل عن أي حال كان فيه فإنه في أحسن الأحوال، فكونه من أهل السُّنة وصاحب سُنة فهذا مهو من خيرة الناس، فإنه أخذ بأحسن الأحوال، وأصفاها، وأنقاها.

١١- وعن الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يُحْيِي بِهِمُ الْبِلَادَ، وَهُمْ أَصْحَابُ السُّنَّةِ).



قوله: (يُحْيِي بِهِمُ الْبِلَادَ): هي حياة القلوب والأرواح وحياة الأبدان تبع لذلك؛ لأنهم أقاموا الدين الصحيح، وأزالوا عن الدين الشوائب التي أدخلها أهل البدع والأهواء فيحيي بهم البلاد حياة معنوية وحياة حسية، فإن الناس إذا صَلحوا بالسُّنة أخرج الله عَزَّوَجَلَّ لهم البركات من السماء والأرض، فتحيا البلاد بهم الحياة المعنوية والحياة الحسية.

١٢- وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَقَدْ أَلَّفْتُ هَذِهِ الْكُتُبَ وَلَمْ آلُ فِيهَا، وَلا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِيهَا الْخَطَأُ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ الآيَةَ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِي كُتُبِي هَذِهِ مِمَّا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَقَدْ رَجَعْتُ عَنْهُ).

وهذا من إنصافه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن شدة اتباعه للحق، وهنا يقول: **(وَلا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِيهَا الْخَطَأُ)**، ليس الخطأ مُحتمل، بل هو جازم بوجوده، فلا بد أن يوجد فيها الخطأ؛ لأن الذي لا خطأ فيه هو الوحي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالوحي صواب ليس فيه خطأ، وما سوى ذلك مما يكتبه الناس ففيه الصواب وفيه الخطأ ولا

بد من وجود الخطأ في سائر الكُتب غير الكتب المنزلة من عند الله عَزَّوَجَلَّ، لكن الخطأ يقل في كتب ويكثر في كتب أخرىٰ علىٰ حسب سعة علم العالم وتحريه للحق، وكلما كان العالم أشد علمًا واتباعًا للحق فإن الخطأ في حقه قليل، وهذا إذا جمع هذين الوصفين: سعة العلم، والاتباع، فإن العالم قد يكون عنده العلم الواسع لكن ما عنده الاتباع، بل عنده تقصير في جانب الاتباع، قد يكون عنده التقليد مع سعة علمه، لا يُريد أن يخرج عن المذهب الفلاني، فينصر المذهب الفلاني بحق أو بباطل، ويتكلف الاحتجاج للمذهب الذي نشأ عليه، فهذا لم ينتفع بسعة علمه لأنَّه ليس عنده الاتباع والانقياد للحق ولأدلة الكتاب والسُنة، فإذا جمع العالم بين سعة العلم والاتباع كثُرَ صوابه وقلَّ خطؤه.

وقوله: (فَمَا وَجَدْتُمْ فِي كُتُبِي هَذِهِ مِمَّا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَقَدْ رَجَعْتُ عَنْهُ): وعلىٰ هذا سار جماعة من علماء الشافعية فإذا وجدوا أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خالف سُنة صحيحة صريحة في مسألة من المسائل يقولون: مذهب الشافعي هو ما يوافق هذا الحديث، ويحتجون بكلام الإمام الشافعي في ذلك كهذه العبارة وهي قوله: (**ما وافق الحديث فهو مذهبي**)؛ لأن هذا هو الذي أراده؛ لكنه قد يحصل له شيء من الخطأ والزلل، فقد لا يبلغه الحديث فيفتي بخلافه، وقد يبلغ الحديث من وجه ضعيف فلا يعمل به وقد بلغ غيره من العلماء من وجه صحيح فعملوا به.

١٣- وقال الإمام يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (آلة الحديث الصدقُ والشهرة في طلبهِ، وتركُ البدع واجتنابُ الكبائر).

قوله: (آلة الحديث الصدقُ): فلا بد من الصدق، وصاحب الحديث إذا كان كاذبًا فإنه لا يُقبل حديثه ولا ينتفع الناس بما جمعه من الحديث إذا كان موصوفًا بالكذب أو الفسق، ويكون ممن أجهد نفسه وأتعب نفسه في تحصيل العلم، وربما رحل في الأقطار لكنه موصوف بالكذب فيفسد علمه ويفسد ما جمع، فالكذب هو المُفسد

لآلة الحديث، فالكذاب أفسد منطقه كالأعمىٰ الذي لا يُبصر فإن المنفعة في الحديث بالصدق، والإنسان ينتفع بالحديث إذا ما صدق وينتفع الناس به، وإذا كان من الكاذبين فقد أفسد هذه الآلة إفسادًا معنويًا.

قوله: (والشهرة في طلبِهِ): والشهرة كافية عن التعديل كما هو معلوم عند أهل العلم، أن من اشتهر وصار مشهورًا بطلب الحديث ومعروفًا بذلك فيغني ذلك عن تعديله.

١٤- وقال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي اللهِ، ثُمَّ أَحْدَثَ حَدَثًا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُبْغِضْهُ عَلَيْهِ فَلَمْ يُحِبَّهُ فِي اللهِ).

وهذا كلام حق، فإن من أحبَّ شخصًا في الله عَزَّوَجَلَّ ينبغي أن يُبغضه إذا ما حصلت منه المخالفة لدين الله عز جل، فإذا كان الشخص علىٰ السُنة فأحبهُ الشخص لله عَزَّوَجَلَّ ثم انتقل إلىٰ البدعة وما زالت المحبة له في قلبه فهذا دليل علىٰ أن هذه المحبة ليست من أجل الله عَزَّوَجَلَّ وإنما أحبهُ لشيء آخر ليس من أجل الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وإلا لو كانت المحبة من أجل الله فإنه يُبغضه إذا ما خالف السُنة كما أحبه حين كان متمسكًا بالسُنة وهذا أوثق عُرىٰ الإيمان.



١٥- وقال الإمام أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وشعار أهل السّنة اتباعهم السّلف الصَّالح وتركهم كل مَا هُوَ مُبْتَدع مُحدث).

نعم هذا هو شعار أهل السنة اتباع السلف الصالح، وذلك أنَّ كثيراً من أهل البدع تظاهروا بالتمسك بالسنة لكنهم أرادوا أن يفهموها علىٰ فهمهم القاصر فتأولوا نصوص السنة بما يوافق أهوائهم فضلوا ضلالاً بعيداً.

وهكذا من شعار أهل السنة ترك المحدثات وذلك أنَّ المحدثات هي نقيض السنن فكيف يدعي الشخص أنَّه علىٰ السنة ثم يقع في نقيضها فهذا لا يستقيم.

١٦- عن ابن شوذب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الشَّابِّ إِذَا تَنَسَّكَ أَنْ يُوَاخِيَ صَاحِبَ سُنَّةٍ يَحْمِلُهُ عَلَيْهَا).

قال ابن بطة بعد أن أورد هذا الأثر: فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مَنْ تَصْحَبُونَ، وَإِلَى مَنْ تَجْلِسُونَ، وَاعْرَفُوا كُلَّ إِنْسَانٍ بِخِدْنِهِ، وَكُلَّ أَحَدٍ بِصَاحِبِهِ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ صُحْبَةِ الْمَفْتُونِينَ.

هذه نعمة عظيمة من الله تعالىٰ علىٰ من اتجه قلبه للعبادة والخير أن يوفقه الله إلىٰ صاحب سنة يحمله عليها ويبعده عن الأهواء، وذلك أنَّ الشاب إذا تنسك اتجه إليه أهل البدع وحرصوا عليه كل الحرص فلا ينجو من شباكهم إلَّا من أراد الله له الخير



قال وفقه الله:

شدة تمسك السلف بالسُّنة:

١- قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ)**[(١)].

٢- وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(لَا نَدَعُ شَيْئًا كُنَّا نَفْعَلُهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)**[(٢)].

٣- وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(مَا كُنْتُ لِأَدَعَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ)**[(٣)].

٤- وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَكِنَّ السُّنَّةَ إِذَا ثَبَتَتْ لَا يُبَالِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا بِمُخَالَفَةِ مَنْ خَالَفَهَا)**[(٤)].

٥- وعن موسى بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ حَرْبٍ يَقُولُ: **(مَنْ زَالَ عَنِ السُّنَّةِ بِشَعْرَةٍ فَلَا تَعْتَدَّنَّ بِهِ)**[(١)].

---

(١) "صحيح البخاري" (٣٠٩٣) قلت: وبهذا يتبين أن ترك بعض السُّنة سبب للزيغ خلافًا لمن يقرر أن السني لا يكون مبتدعًا إذا تساهل في بعض السُّنة، والله المستعان.

(٢) أخرجه أبو داود، وقال شيخنا: حسن "الصحيح المسُند مما ليس في الصحيحين" (٩٩٢).

(٣) "صحيح البخاري" (١٥٦٣).

(٤) "الفتح" (٢/ ٣٠١) ط. دار السلام.




٦- وقال أحمد بن أبي الحواري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من عَمِلَ بِلا اتباعِ سُنة، فباطلٌ عَمله)**[٢].

٧- وقال القاسم بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَلَيْكَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ وَجَدْتَهَا)**[٣].

٨- وقال سالم بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَقُّ أَنْ تُتَّبَعَ)**[٤].

٩- وقال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَحُكَّ رَأْسَهُ إِلَّا بِأَثَرٍ)**[٥].

١٠- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَانَ السّلف يعدون كل من خرج عَن الشَّرِيعَة فِي شيء من الدّين من أهل الْأَهْوَاء)**[٦].

١١- وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِن أهل الْبدع لم ينكروا جَمِيع السّنة وَلَا عَادوا كتبهَا الْمَوْضُوعَة لجمعها بل حق عَلَيْهِم اسْم الْبِدْعَة عِنْد سَائِر الْمُسلمين بمخالفة بعض مسَائِل الشَّرْع)**[٧].

الشرح:

١- قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ).



وهذا مما يدل على شدة تمسك الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بهدي رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والصديق وقد قال هذه المقولة لفاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَ حين جاءت تُطالب

---

(١) "ذم الكلام" للهروي برقم (٤٨٥).

(٢) "تهذيب الكمال" (٨/ ٣٠١).

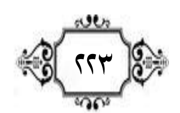
(٣) "جامع بيان العلم" برقم (١٧١٦).

(٤) "المصدر السابق" برقم (١٧٢٢).

(٥) "ذم الكلام" برقم (٣٢٩).

(٦) "الاستقامة" (ص١٩٢).

(٧) "أدب الطلب" (ص١٢٤).



بميراثها من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فبيَّن لها رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ»، ثم ذكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الكلام هذا الكلام.

وفيه: أن مُخالفة السُنة من أسباب الزيغ، ومن أسباب الانحراف عن الحق، والانحراف عن الحق يبدأ شيئًا فشيئًا، فيبدأ العبد في أول أمره يُقصر في الأمور المندوبة والمستحبة ولا يُبالي بالمستحبات، ثم ينتقل بعد ذلك إلىٰ التفريط في شيء من الواجبات، وهكذا يأتي الشر والزيغ بالتدرج، والسُنن هي التي تُحافظ علىٰ الفرائض وتُكمل ما نقصَّ من الفرض فهي تحافظ علىٰ الفرائض، فإن من تمسك بالسُنة المستحبة فمن باب أولىٰ أن يتمسك بالفرض الواجب، فالسُنن والمستحبات كالجدار الذي يُحمىٰ به الفرض، أو كالقشر للثمرة، فينبغي المحافظة علىٰ السُنن ولو كانت من قبيل المستحبات، فإن الشر يأتي علىٰ العبد شيئًا فشيئًا، والشيطان يتدرج وله خطوات في إبعاد الناس عن الحق، وقد نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عباده عن تتبع خطوات الشيطان وهذه من خطوات الشيطان، فيثقل العبد عن النوافل والمستحبات ثم يقوم بتثقيله عن الفرائض والواجبات، وإن وجد من العبد همة قوية ورأىٰ منه اتجاهًا كبيرًا هيج في قلبه نار الغلو، فإذا عَلِمَ أنه لا يستطيع أن يثبطه عن الخير؛ لما في قلبه من الهمة العالية فإنه يتجه له إلىٰ باب الغلو فيتجاوز به من المشروع إلىٰ غير المشروع وينقله إلىٰ البدع والأهواء والعياذ بالله، وإذا عَلِمَ أن العبد متحصن بالسُنة ولم يستطع أن ينقله إلىٰ البدع والأهواء فإنه يشغله بالمفضول عن الفاضل، فيُزين له الأعمال المفضولة حتىٰ يترك ما هو أعظم في الأجر والثواب، وكم للشيطان من خطوات ومكائد بالعبد إلىٰ أن يأتي الموت، فلا يزال العبد شاهرًا سلاحه في محاربة الشيطان إلىٰ أن يأتيه الموت فيستريح، فالحرب مع الشيطان لا تنتهي إلا بالموت.

وقوله: (فَإِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ): فهكذا كان أولئك الصحابة الكِرام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين في قلوبهم التعظيم للسنة، ليس كحالنا.

٢- وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (لَا نَدَعُ شَيْئًا كُنَّا نَفْعَلُهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

وهذا فيما يتعلق في الرَّمَلان والكشف عن المناكب فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمر به في أول ما شُرع من أجل إظهار القوة والجلادة والنشاط عند الكافرين، وهذه من عبادة المُراغمة وهي عبادة عظيمة، مراغمة الأعداء من الجن ومن الإنس، فهذه يسيمها أهل العلم بعبادة المُراغمة كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي من الأعمال الصالحة.

وبعد ذلك قويَّ الإسلام وما زال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يفعل هذا الفعل، فرمل وكشف عن منكبه، فعل ذلك النبي ﷺ في حجة الوداع وقال: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»، فقال عُمر تلك المقولة: (**فيم الرَّمَلان اليوم، والكشفُ عن المناكب؟ وقد أطَّأ الله الإسلامَ، ونفىٰ الكفرَ وأهلَه، مع ذلك لا نَدَعُ شيئًا كنا نفعلُه علىٰ عهدِ رسولِ الله – ﷺ**).



٣- وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (مَا كُنْتُ لِأَدَعَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ).

وهذا قاله في شأن مُتعة الحج، حين كان ينهىٰ عنها عُثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبلغ الخبر إلىٰ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: (**مَا كُنْتُ لِأَدَعَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ**)، فهذه متعة الحج وليست متعة النساء، فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمر أصحابه بها من لم يسق الهدي، فانتقل الصحابة إلىٰ التمتع بأمر رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا من ساق الهدي، وكان هناك من الخُلفاء من ينهىٰ عن التمتع ولم يكن المقصود من ذلك النهي عن السُنة حاشاهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فجاء ذلك عن عُمر وجاء عن عثمان وما قصدوا هذا المقصد وهو النهي عن سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكن أرادوا أن ينقلوا المسلمين إلىٰ ما هو أحسن وأكمل؛ وذلك أن الناس كادوا أن يهجروا البيت في طوال العام ويقول قائلهم: أعتمر مع الحج عُمرة تمتع بدل ما أجعل سفرة للعمرة في أي شهر من أشهر السنة ثم





أسافر السفرة الأخرىٰ للحج، أختصر الأمر وأجمع بين الحج والعُمرة مرة واحدة، فخشىٰ عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يُهجر البيت من جهة الناس فيترك الناس العُمرة طوال العام وينقلوا العُمرة إلىٰ الحج، فأراد أن يدرأ هذه المفسدة، وأن يحث الناس علىٰ ما هو أكمل فإن الفصل بين الحج والعُمرة بسفرتين أكمل في قول جماهير السلف، يعني: لو أن شخصًا ذهب في وقت الحج وأحرم بالعمرة مع الحج، أحرم متمتعًا، وآخر جاء بالعمرة في شهر آخر كأن يأتي بالعمرة في شهر ربيع ثم حجَّ في أشهر الحج مُفردًا، فأفرد العُمرة بسفرة وأفرد الحج بسفرة، هذا أكمل ممن جمع بين الحج والعمرة في سفرة واحدة في قول جماهير السلف؛ لكن لو أن شخصًا أفرد العُمرة بسفرة، ثم حجَّ متمتعًا هذا لا شك أنه أكمل؛ لأنه جاء بعمرتين في عام، فهذا كَثُرَ علمه، لكن الكلام في رجل أحرم بحج وعمرة في موسم الحج متمتعًا، وآخر فصل بينهم فجعل سفرة للعمرة وسفرة للحج هذا أكمل ممن جمع بين الحج والعمرة في قول جماهير السلف.



فأراد عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهكذا عُثمان أن يحثا الناس علىٰ ما هو أكمل وتحصل مصلحة أخرىٰ وهي: ألا يُهجر البيت طوال العام، فحصل اجتهاد من الخليفتين الراشدين من عُمر وعُثمان رضي الله عنهما في هذه المسألة، فأرادا الخير وأرادا أن يدلا الناس علىٰ ما هو الأكمل والأحسن، وأرادا إعمار البيت طوال العام.

وكان بعض الصحابة يُخالف في ذلك كعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكغيره كما في هذا الأثر، قال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (**مَا كُنْتُ لِأَدَعَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ**).

٤- وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَكِنَّ السُّنَّةَ إِذَا ثَبَتَتْ لَا يُبَالِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا بِمُخَالَفَةِ مَنْ خَالَفَهَا).

وهذا كلام صحيح، فإن المتمسك بالسُّنة هو صاحب الحق، وهو العزيز عند ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو القوي بتمسكه بالسُّنة فلا يُبالي بمن خالف السُّنة ولو كان عظيمًا أو عالمًا كبيرًا، بل ولو كان من أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولم تبلغه تلك السُّنة، فالواجب عليك أن تتمسك بالسُّنة وإن خالفها من خالفها من الكِبار ومن العلماء.

٥- وعن موسى بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ حَرْبٍ يَقُولُ: (**مَنْ زَالَ عَنِ السُّنَّةِ بِشَعْرَةٍ فَلَا تَعْتَدَّنَّ بِهِ**).



وذلك كما عرفنا: أن الانحراف عن السُّنة يأتي شيئًا يسيرًا في أول الأمر، فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خط خطًا مستقيمًا وخطَّ خطوطًا بجانبي ذلك الخط المستقيم وقال: «**هَذِهِ سُبُلٌ وعَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، ومعلوم أن الخط المعوج عن الخط المستقيم في أوله يكون قريبًا من الخط المستقيم، وهكذا المخالفة والابتعاد عن السُّنة في أول الأمر فإن من زلَّ عن السُّنة في أول الأمر يكون عنده قُرب من السُّنة في بدء أمره، ثم إذا استمر علىٰ المخالفة فإنه يبتعد عن السُّنة ويبتعد ويبتعد حتىٰ يصير هو و الصراط المستقيم كما بين المشرق والمغرب.

٦- وقال أحمد بن أبي الحواري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من عَمِلَ بِلا اتباعِ سُنة، فَباطِلٌ عَملهُ).

وذلك أن من شروط قبول العمل: الإخلاص والمتابعة، كما هو معلوم.

٧- وقال القاسم بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَلَيْكَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ وَجَدْتَهَا).

نعم، الواجب أن يتمسك الإنسان بالسُّنة حيثُ وجدت تلك السُّنة وفي أي موطن، وهذا إذا كانت سُنة صحيحة فإنه يتمسك بها ويأخذ بها.

٨- وقال سالم بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَقُّ أَنْ تُتَّبَعَ).

والمعنىٰ أنَّها أحق أن تتبع من فتوىٰ عُمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يرىٰ أن المتحلل إذا تحلل التحلل الأول حَلَّ له كل شيء إلا النساء والطيب، وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أخبرت سالم بن عبد الله بأنها طيبت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن تحلل التحلل الأول قبل أن يطوف بالبيت، فقال سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَقُّ أَنْ تُتَّبَعَ**)، أي: من فتوىٰ عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع منزلة عُمر وعلمه، لكن سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحقُّ أن تتبع.

٩- وقال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَحُكَّ رَأْسَهُ إِلَّا بِأَثَرٍ).

وهذا من باب المُبالغة في الاتباع، أي: أنك لا تفعل شيئًا إلا بأثر، وليس المُراد حقيقة حك الشعر: وهو أنَّ الإنسان لا يحك رأسه إلا بأثر، لكن هذه العبارة يُراد بها المبالغة في الاتباع وتحري الآثار والتمسك بالسُنة.



١٠- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَانَ السّلف يعدون كل من خرج عَن الشَّرِيعَة فِي شيء من الدّين من أهل الْأَهْوَاء).

وتمام العبارة قال: (**ويجعلون أهل الْبدع هم أهل الْأَهْوَاء**)، فمراد شيخ الإسلام هؤلاء: الذين خرجوا عن الشريعة وأحدثوا البدع، وليس المعنىٰ: أن الإنسان إذا ترك واجبًا أو ترك مستحبًا أو وقع في معصية من المعاصي أنه يُعد من أهل البدع والأهواء ويُحكم عليه بأنه من أهل الأهواء، فإنَّه قد بيَّن مراده بقوله: (**ويجعلون أهل الْبدع هم أهل الْأَهْوَاء**)، فالخروج عن الشريعة إلىٰ غير الشريعة من الأمور المحدثة هذا الذي يُعد به الشخص من أهل البدع والأهواء.

١١- وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِن أهل الْبدع لم ينكروا جَمِيع السّنة وَلَا عَادوا كتبهَا الْمَوْضُوعَة لجمعها بل حق عَلَيْهِم اسْم الْبِدْعَة عِنْد سَائِر الْمُسلمين بمخالفة بعض مسَائِل الشَّرْع).

قوله: (**فَإِن أهل الْبدع لم ينكروا جَمِيع السّنة**): وذلك أنَّهم لو أنكروا جميع السُنة فإنَّهم يكونون من أهل الكفر والردة.

قوله: (**وَلَا عَادوا كتبهَا الْمَوْضُوعَة لجمعها**): ولهذا بعض الناس من الجُهَّال حين أن يُحذره العلماء من شخص ويقال له: فلان من أهل البدع والأهواء، فيقول: هو يُدرس في صحيح البخاري، ويُدرس في صحيح الإمام مسلم، يقرأ في تفسير ابن كثير، فيقرأ الكتب التي تقرؤونها، ويتكلم بالأحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم، وهذا الجاهل يظن أنه إذا قيل في شخص أنه مبتدع لا بد أن يقرأ من التوراة والإنجيل، فهذا جهل من كثير من الناس، فأهل البدع لم يخرجوا من الإسلام إلا من وقع منهم في بدعة كُفرية، فهم يقرؤون في صحيح البخاري وفي صحيح الإمام مسلم، ويقرؤون في كثير من كُتب السُنة، فلا يُشترط في المبتدع ألا يقرأ في شيء من كُتب السُنة، وإذا الشخص وقع في بدعة من البدع الظاهرة البينة فإنه يُحكم عليه بالبدعة، وهكذا إذا كانت خفية وعاند فيها فيُحكم عليه بالبدعة أيضـًا، وهذا إذا توفرت فيه الشروط وانتفت الموانع فوُحكم عليه بالبدعة وإن كانت واحدة ولا يشترط التعدد والكثرة.



قوله: (**بل حق عَلَيْهِم اسْم الْبِدْعَة عِنْد سَائِر الْمُسلمين بمخالفة بعض مسَائِل الشَّرْع**): كمخالفة القدرية في مسألة القدر، والخوارج فيما يتعلق بالإيمان في شأن الفاسق، وغير هؤلاء ممن حصلت لهم المخالفة لأدلة الشرع في بعض الأمور، وهكذا الأشاعرة خالفوا جُملة من أحكام وأدلة الشريعة فيما يتعلق بمسائل الإيمان، وفيما يتعلق بمسائل الأسماء والصفات وغيرها فَحُكِمَ عليهم بالبدعة.

قال وفقه الله:

عقوبة الانحراف عن السُنة:

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَا نرى أحدًا مَال إِلَى هوى، أَو بِدعَة إِلَّا وجدتهُ متحيرًا ميت الْقلب مَمْنُوعًا من النُّطْق بِالْحَقِّ**).

الشرح:

وأبو القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينقل هذا الكلام عن أهل السُنة، عمومًا وهذا شيء قد أدركه وعَلِمهُ وخبره أهل السُنة من أحوال أصحاب البدع والأهواء، فتكلموا عن شيء وجدوه ولمسوه ممن انحرف عن السُنة إلىٰ البدعة.

قوله: (**لَا نرىٰ أحدًا مَال إِلَىٰ هوىٰ، أَو بِدعَة إِلَّا وجدتهُ متحيرًا**): وذلك أن الحق وبرد اليقين في اتباع الكتاب والسُنة والسير علىٰ منهج السلف، فهذا هو الحق وهو برد اليقين، وما بعد الحق إنما هو الضلال والحيرة: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢]، فإن الشخص إن ابتعد عن المنهج الصحيح واتجه إلىٰ غيره تواجهه الأمور المتناقضة: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، فيجد الأمور المتناقضة، فيُقرر شيئًا بهواه أو بهوىٰ غيره ممن صار تابعًا له، ويبقىٰ علىٰ ذلك الشيء فترة من الزمن وإذا به يجد ما ينقض ذلك الشيء، وأن ذلك الشيء يُعترض عليه بكذا وكذا، وينقضه كذا وكذا فإذا به ينتقل إلىٰ غيره ويقول: هذا هو الكلام الحق الذي ما عليه شيء من الاعتراض، وما عليه شيء من النقض، ويبقىٰ فترة من الزمن وتأتي عليه واردات في ذلك الشيء فينتقض عليه ذلك الشيء ويبقىٰ متحيرًا، وهذا موجود وجودًا ظاهرًا في أهل الكلام، فإن أمرهم من أعجب الأمور، وربما يحصل التناقض للمؤلف الواحد منهم في الكتاب الواحد: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وهكذا غير علماء الكلام من سائر أهل البدع والأهواء علىٰ سائر أصنافاهم فلا يثبتون علىٰ شيء، بل يتناقضون في أمورهم وتحصل لهم الحيرة ولا يجدون برد اليقين في القلوب، فإن برد اليقين إنما هو في الطريق الحق في اتباع الكتاب والسُّنة والسير علىٰ ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

قوله: (**ميت الْقلب**): فإن البدع تُميت القلوب شيئًا فشيئًا.

قوله: (**مَمْنُوعًا من النُّطْق بِالْحَقِّ**): فهو مخذول وبعيد عن الهداية؛ لأنه ما سلك طريقها، والهداية: هي سلوك الطريق المستقيم، طريق الكتاب والسُّنة وما عليه سلف الأُمة، قال: (**مَمْنُوعًا من النُّطْق بِالْحَقِّ**): يتكلم بأنواع الباطل؛ بسبب أنه ابتعد عن الحق وعن الصراط المستقيم.



ولو لم تكن هناك عقوبة لأهل البدع والأهواء إلا هذه العقوبة لكانت كافية: (**لَا نرىٰ أحدًا مَال إِلَىٰ هوىٰ، أَو بِدعَة إِلَّا وجدتهُ متحيرًا ميت الْقلب مَمْنُوعًا من النُّطْق بِالْحَقِّ**)، وإذا تأمل الإنسان في كثير من أهل البدع والأهواء ممن عاصرهم وعرف أخبارهم يجد مثل هذه الأمور موجودة فيهم.

قال وفقه الله:

خطر الإعراض عن السُّنة:

١- قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَقَدْ ضَلَّ مَنْ تَرَكَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَوْلِ مَنْ بَعْدَهُ**)[(١)].

٢- وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَكِنَّ النَّاشِئَ عَلَى مَذْهَبٍ يَرَى غَيْرَهُ خَارِجًا عَنِ الشَّرْعِ وَلَا يَنْظُرُ فِي أَدِلَّتِهِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ هُمَا الْمِعْيَارُ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَتَبَيَّنُ بِهِ الصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ**)[(٢)].

وقد أحسن من قال:

دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ عِنْدَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ ... فَمَا آمِنٌ فِي دِينِهِ كَمُخَاطِرِ

الشرح:

١- قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَقَدْ ضَلَّ مَنْ تَرَكَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَوْلِ مَنْ بَعْدَهُ).

ويا ليت المُقلدة من الشافعية أخذوا بمثل هذه النصائح من هذا الإمام، أعني بهم الذين قلدوا الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإن خالف الحديث، وهو القائل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي**).

وأمور هؤلاء المقلدة عجيبة، جلست مع بعض المقلدة من الشافعيين وكان يحفظ الزُبد عن ظهر قلب، وحصل الكلام معه علىٰ بعض المسائل وكنت أحاججهُ بشيء من السُنة ويُحاججني بالزُبد، ولا يُمكن أن تقنعه بحديث رسول الله

(١) "الفقيه والمتفقه" للخطيب (ص٢٩٩) ط. ابن الجوزي.

(٢) "فتح القدير" (١/ ٤٦٦) ط. دار الوفاء، عند قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنَّ القول عنده ما قاله صاحبُ الزُبد، وهذا الرجل علىٰ مذهب الإمام الشافعي، وكان يقول: نحن لا نفهم الحديث، الإمام الشافعي هو الذي يفهم الحديث، لو كان هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة - أو كلاماً هذا معناه- لما خالفه الإمام الشافعي، وكأن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد عصمه الله عَزَّوَجَلَّ عن الخطأ.

فبهذا ضلَّ المُقلدة وابتعدوا عن أدلة الشرع وعن طريق الهداية وتمسكوا بالتقليد الأعمىٰ، ولو كانوا في زمن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنكل بهم أشد التنكيل ولتبرأ منهم، فليسوا في الحقيقة علىٰ مذهبه، من خالف الإمام الشافعي وتمسك بالحديث هو علىٰ مذهب الشافعي، ومن وافق قول الشافعي وخالف الحديث هو علىٰ خلاف مذهب الشافعي، فإن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (**إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي**)، هذا هو مذهب الإمام الشافعي، وهو مذهب غيره من أئمة السُنة رحمة الله عليهم أجمعين.



٢- وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَكِنَّ النَّاشِئَ عَلَى مَذْهَبٍ يَرَى غَيْرَهُ خَارِجًا عَنِ الشَّرْعِ وَلَا يَنْظُرُ فِي أَدِلَّتِهِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ هُمَا الْمِعْيَارُ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَتَبَيَّنُ بِهِ الصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ)[١].

وقد أحسن من قال:

دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ عِنْدَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ ... فَمَا آمِـنٌ فِي دِينِهِ كَمُخَاطِرِ

قوله: (**وَلَكِنَّ النَّاشِئَ عَلَىٰ مَذْهَبٍ يَرَىٰ غَيْرَهُ خَارِجًا عَنِ الشَّرْعِ**): وهذا هو الخطأ بعينه، فبعض الناس ينشأ علىٰ أمر مُعين ويظن أن هذا هو الدين، وأن هذا هو الذي دلَّ عليه الكتاب والسُنة والإجماع، وإذا وجد من يُخالف ذلك الأمر ظنَّ أنه قد خالف الكتاب والسُنة والإجماع، ولا سيما الذين درسوا المذاهب دراسة من غير

---

(١) "فتح القدير" (١/ ٤٦٦) ط. دار الوفاء، عند قوله سبحانه: ﴿**اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة:٢٥٥].

نظر في الأدلة، وإنما قراءة مُجردة من غير أن ينظر الشخص في أدلة المذهب مثلًا، يقرأ في بعض المتون التي هي عبارة عن كلام مُجرد ويحفظ ذلك الأمر حفظًا وهو لا يعلم حُجة ذلك الإمام ولما قال ذلك القول؟ فيظن أن كل ما كُتِبَ في ذلك الكتاب موافق للكتاب والسُنة والإجماع، وأن هذا هو دين الله عَزَّوَجَلَّ، والعكس من ذلك من يدرس بعض الكتب في المذاهب ويعرف الأدلة، أنه احتج بكذا، وحجته في كذا وكذا، ويعرف أن المسألة فيها شيء من النزاع والخلاف فهذا له شأن آخر، لكن هناك من يأخذ الأمر بهذا المأخذ، كالذي يفتح عينهُ علىٰ الزُبد ولم يأخذ إلا الزُبد، وحفظ الزُبد وأخذ الزُبد والزُبد هي الدين وهي الشرع عنده! وهي الموافقة للكتاب والسُنة وما سوىٰ ذلك فهو خلاف الشرع.

قوله: (وَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ هُمَا الْمِعْيَارُ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَتَبَيَّنُ بِهِ الصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ): والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣]، فلا يجوز للإنسان أن يترك الدليل من الكتاب والسُنة ويتمسك بقول عالم من العلماء بحجة: أن ذلك العالم قد وقف علىٰ تلك الأدلة، ولو كانت تلك الأدلة تدل علىٰ ذلك المعنىٰ لما أفتىٰ بخلافها، وهذا كلام فيه ما فيه من الجهل، فإن العالم من علماء السُنة إذا خالف الدليل له الأعذار الكثيرة في مخالفة الدليل، من جملة هذه الأعذار: أنَّه قد يكون الدليل وصل إليه من وجه ضعيف فلم ثبت عنه، فأفتىٰ بخلافه، وهو قد ثبت عند غيره من وجه صحيح فقال به، فكيف تأخذ بقول ذلك الإمام الذي خالف الحديث الصحيح وهو معذور وأنت غير معذور، فهو معذور؛ لأنه ما جاءه من وجه صحيح أو تعارض عنده حديثان، وظنَّ ثبوت الحديثين فقام ورجح أحد الحديثين علىٰ الآخر ببعض المرجحات التي يذكرها العلماء وفي الواقع: أنَّ الحديث الذي اختاره فيه علة لم ينتبه لها، والقول الصحيح مع ما دلَّ عليه الحديث الآخر وهو الحديث الصحيح،




والذي أخذه هو الحديث الذي فيه علة من العلل الخفية الذي لم ينتبه لها، أو غير ذلك من الأعذار الكثيرة التي تحصل للعلماء، فيتركون العمل بالحديث لعذر من الأعذار.

فهم معذورون، ومن وقف علىٰ الحديث الصحيح وتركه واتجه إلىٰ التقليد الأعمىٰ فلا عُذر له عند ربه.

قوله: (ولقد أحسن من قال:

دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ عِنْدَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ فَمَا آمـنٌ فِـي دِينِـهِ كَمُخَـاطِرِ

فمن أخذ بكلام النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو الناجي، ومن ترك كلام النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأخذ بكلام غيره المخالف لحديث رسول الله ﷺ فهو علىٰ خطر.

وكونه يقول: قد يكون الإمام الشافعي وقفَّ علىٰ ذلك الحديث وتبيَّن له أنه لا يثبت، ونحن تبيَّن لنا ثبوت الحديث لعدم معرفتنا بالعلة التي علمها الإمام الشافعي وما علمناها، فنقول: هذا احتمال وارد، وهناك احتمال آخر: وهو أن يكون الإمام الشافعي لم يطلع علىٰ ذلك الحديث ونحن أخذنا به، فأيهما أسلم، من أخذ بالحديث وإلا من أخذ بكلام الإمام الشافعي، ومن هو الأعذر عند ربه؟ لا شك أنَّ الأعذر عند ربه والأسلم من أخذ بحديث رسول الله فهذا له العُذر عند ربه حتىٰ ولو كان في الحديث عِلة خفية لم تظهر لنا، لكان لنا العُذر عند الله عَزَّوَجَلَّ أننا تمسكنا بما ظنناه صحيحًا عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقدمنا ما ظنناه أنه هو قول رسول الله ﷺ علىٰ قول غيره، ففعلنا ما أُمرنا به فنحن أعذر من ذلك المُقلد الذي قلد ذلك الإمام تقليدًا أعمىٰ، فالسلامة: أن يأخذ الشخص بما صحَّ عنده من حديث رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن أخذ بغيره فإنما يُخاطر بدينه.



والشيء بالشيء يُذكر: فهنالك بعض العلماء قال في مجادلته مع اليهود والنصارىٰ: نحن نؤمن بموسىٰ وعيسىٰ، فلو فرضنا علىٰ أن الدين الحق هو الإيمان بموسىٰ وعيسىٰ دون محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فنحن من الناجين، فنحن نؤمن برسالة



موسىٰ وعيسىٰ، وإن كان ما أنتم فيه من الكُفر بمحمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو الباطل فنحن قد آمنا برسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فنحن من الناجين علىٰ كل حال، ونحن السالكون لسبل السلامة علىٰ كل حال، فإن كان نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نبي من عند الله فقد آمنا به وأنتم كفرتم به فأنتم علىٰ خطر، أما نحن فنحن نؤمن برسالة موسىٰ وأنه رسول من عند الله ونؤمن بعيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبأنه رسول من عند الله، فمن هو المُخاطر بدينه: المسلمون أو اليهود والنصارىٰ؟ لا شك أنَّ اليهود والنصارىٰ هم الذين خاطروا بدينهم، وأما المسلمون فهم ناجون علىٰ كل حال؛ لأنهم آمنوا بمحمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وآمنوا بجميع الرُسل، وأما اليهود والنصارىٰ فالنصارىٰ كفروا بمحمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكفروا بموسىٰ، واليهود كفروا بمحمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكفروا بعيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالمسلمون هم الناجون حتىٰ علىٰ مذهب سائر الفرق، وأما اليهود فقد خاطروا بأنفسهم: (فَمَا آمـن فِي دِينِهِ كَمُخَـاطِرِ).

قال وفقه الله:

وجوب الرجوع إلى السُّنة:

١- قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْحُجَّةَ عِنْدَ التَّنَازُعِ سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ فَيَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهَا**)[(١)].

٢- وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إذا جَاءت السُّنَّةَ بِتَقْرِيرِ حُكْمٍ كَانَ أَصْلًا بِرَأْسِهِ لَا يَضُرُّهُ مُخَالَفَةُ أَصْلِ آخَرَ**)[(٢)].

٣- وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكلُّ مَن خَالفَ السُّنة فَمحجُوج بِها والحقُ فِي اتباعِها وَالضلالُ فيما خَالفَها**)[(٣)].

الشرح:

---

(١) "الفتح" (١٢/ ١٧) ط. دار السلام.

(٢) "الفتح" (٤/ ٤٣٢) ط. دار السلام.

(٣) "التمهيد" (٥/ ٢٠٧) ط. الكتب العلمية.

١- قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْحُجَّةَ عِنْدَ التَّنَازُعِ سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ فَيَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهَا**).

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، وبعد موته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التحاكم إلىٰ سنته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٢- وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إذا جاءت السُّنَّةَ بِتَقْرِيرِ حُكْمٍ كَانَ أَصْلًا بِرَأْسِهِ لَا يَضُرُّهُ مُخَالَفَةُ أَصْلٍ آخَرَ**).



وهذا خلاف ما عليه أصحاب الرأي، فهم يعترضون علىٰ السُنة بمخالفتها للأصول، ويزعمون أن الحديث الفلاني قد خالف الأصول في كذا وكذا، كما قالوا في حديث المُصَّراة بأنه مُخالف للأصول، والصحيح أنَّه أصل بنفسه، فالسُنة كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إذا جاءت السُّنَّةَ بِتَقْرِيرِ حُكْمٍ كَانَ أَصْلًا بِرَأْسِهِ لَا يَضُرُّهُ مُخَالَفَةُ أَصْلٍ آخَرَ**)، مع أنه لا توجد مخالفة بين الحق، وإنما الاختلاف يكون بين الحق والباطل.

٣- وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكلُّ مَن خَالفَ السُّنة فَمحجُوج بِها والحقُ فِي اتباعِها وَالضلالُ فيما خَالفَهَا**).

فهذا هو المنهج الصحيح هو اتباع السنة ومن خالفة لا يلتفت لقوله فإنَّه محاجج بها، والحق في اتباعها والضلال في مخالفتها، وقد روىٰ أحمد والترمذي وابن ماجة والنسائي في "الكبرىٰ" عَنْ هُزَيْلٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ، وَسَلْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ فَسَأَلَهُمَا عَنِ ابْنَةٍ، وَابْنَةِ ابْنٍ، وَأُخْتٍ، فَقَالَا: لِلْابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَائْتِ عَبْدَ اللهِ، فَإِنَّهُ سَيُتَابِعُنَا فَأَتَىٰ عَبْدَ اللهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، لَأَقْضِيَنَّ فِيهَا بِقَضَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ قَالَ: قَضَاءَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَذَا قَالَ سُفْيَانُ -: «لِلْابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ الِابْنِ السُّدُسُ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ».

وأصله في البخاري وهذا يدل علىٰ أنَّ مخالفة السنة ضلال وخلاف الهداية.

قال وفقه الله:

أهل الحديث من أشد الناس اتباعًا للسُنة:

قال في "عون المعبود" وهو يتكلم على حرص أهل الحديث على اتباعِ السُنة: (**فَإِنهُمْ يَقْنُتُونَ حَيثُ قَنَتَ رَسُولُ الله صلى الله عليه و سلم وَيَتركُونهُ حَيثُ تَركهُ فَيقتدُونَ بِهِ فِي فِعلهِ وَتَركِهِ**)[1].

الشرح:



فهؤلاء هم أهل الحديث وهم العاملون به المحتكمون إليه وسواءٌ كانوا من عُلماء الفقه أو كانوا من عُلماء التفسير، أو كانوا من علماء الجرح والتعديل ومعرفة العلل فهذا هو منهجهم: أنهم يقتدون برسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويدورون مع السُنة حيث دارت، فيقنتون حيثُ قَنتَ رسول الله ﷺ.

والموضع الذي قنتَ فيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو قنوت النوازل، فهذا الذي فعله النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكان يقنت في النازلة، قنت شهرًا ثم ترك ذلك كما هو معلوم من سُنته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يُداوم علىٰ قنوت الفجر، وإنما قنت في الفجر قنوت نازلة، هذا شيء معلوم من سنته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأكثر قنوت النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان في الفجر والمغرب.

فعلىٰ كلٍ: أهل الحديث يتمسكون بهدي رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذه المسألة وفي غيرها، وحديث أنس معروف: (**مَا زَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ**

---

(١) "عون المعبود" (٤/ ٢٢٣) ط. الكتب العلمية، باب: القنوت في الصلاة.

حَتَّىٰ فَارَقَ الدُّنْيَا)، فهو حديث لا يثبت، وعلىٰ فرض ثبوته فالمُراد بذلك: طول القيام في صلاة الفجر، وقد سُئل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن أفضل الصلاة؟ فقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «طُولُ الْقُنُوتِ»، أي: طول القيام، وكان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الفجر يُطيل أكثر من غيره في الصلوات، فيقرأ بالستين إلىٰ المائة.

فهذا القنوت الذي داوم عليه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الفجر علىٰ فرض ثبوت الحديث: هو طول القيام: (مَا زَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ حَتَّىٰ فَارَقَ الدُّنْيَا)، أي: يُطيل القيام فيها، فإن أفضل الصلاة طول القنوت أي: طول القيام.

قال وفقه الله:



الامتحان بالسُنة:

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ الْعَنْبَرِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يُونُسَ يَقُولُ: (رَأَيْتُ زُهَيْرَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَاءَ إِلَى زَائِدَةَ بْنِ قُدَامَةَ فَكَلَّمَهُ فِي رَجُلٍ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ؟. فَقَالَ: مَا أَعْرِفُهُ بِبِدْعَةٍ، فقَالَ زَائِدَةُ: هَيْهَاتَ أَمِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ؟. فَقَالَ زُهَيْرٌ: مَتَى كَانَ النَّاسُ هَكَذَا؟. فَقَالَ زَائِدَةُ: وَمَتَى كَانَ النَّاسُ يَشْتُمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما)"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْمُؤْمِنُ مُحْتَاجٌ إِلَى امْتِحَانِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُصَاحِبَهُ وَيُقَارِنَهُ بِنِكَاحٍ وَغَيْرِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ الْآيَةَ"[2].

الشرح:

(١) "الشريعة" (٢/ ٦٧٢) رقم الأثر (٢٠٦٠)ط. دار الفضيلة.

(٢) "مجموع الفتاوىٰ" (١٥/ ٣٢٨).

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ الْعَنْبَرِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يُونُسَ يَقُولُ: (رَأَيْتُ زُهَيْرَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَاءَ إِلَى زَائِدَةَ بْنِ قُدَامَةَ فَكَلَّمَهُ فِي رَجُلٍ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ؟. فَقَالَ: مَا أَعْرِفُهُ بِبِدْعَةٍ، فَقَالَ زَائِدَةُ: هَيْهَاتَ أَمِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ؟. فَقَالَ زُهَيْرٌ: مَتَى كَانَ النَّاسُ هَكَذَا؟. فَقَالَ زَائِدَةُ: وَمَتَى كَانَ النَّاسُ يَشْتُمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما).

أقول: لمَّا اشتهرت البدع والأهواء احتاج العلماء إلىٰ مثل هذا السؤال وإلىٰ هذا التحري وإلىٰ امتحان الناس، حتىٰ يعلم صاحب السنة فيحدث بالعلم، فالعلم ينشر في أوساط أهل السُنة فهم الذين ينتفعون به، ومن كان من أهل البدع والأهواء فإنهم يبعدون عنه فإنَّهم إذا تعلموا العلم لم ينتفعوا به وربما اتخذوا علمهم في إضلال الخلق.

فزهيرٌ يأتي إلىٰ زائدة ويُكلمه في رجل يُريده أن يُحدث ذلك الرجل يشفع عند زائدة، ابن قُدامة رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: (**مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ؟ فَقَالَ: مَا أَعْرِفُهُ بِبِدْعَةٍ**)، وهذه حيدة عن الجواب، يعني: أمره مجهول عنده، وهو يُريد أن يعرف هل هو من أهل السُنة أو ليس كذلك، فهذا فحادَ عن الجواب إلىٰ أمر لا يحصل به المقصود، فقال: (**مَا أَعْرِفُهُ بِبِدْعَةٍ**)، وهذا لا يكفي فالمقصود أن يعرفه هل هو من أهل السُنة أو لا، فالجواب يدل علىٰ أن حاله مجهولة عند زهير.

فقال له زائدة: (**هَيْهَاتَ أَمِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ؟. فَقَالَ زُهَيْرٌ: مَتَىٰ كَانَ النَّاسُ هَكَذَا؟**)، أي: لا يُحدثون إلا من يعرفون أنه من أهل السُنة، فقال زائدة: (**وَمَتَىٰ كَانَ النَّاسُ يَشْتُمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ** رضي الله عنهما)، يعني: كان الناس قبل ذلك لا يسألون ولا يمتحنون حين أن كان الناس في عافية، ولم توجد الأهواء فيهم ولم تنتشر في أوساطهم فلم يحتاجوا إلىٰ الامتحان وإلىٰ التحري، لكن لمَّا ظهرت الأهواء وكثرت صار العلماء يتحرون في ذلك، ويقول قائلهم: سموا لنا رجالكم، فمن كان من أهل

السُنة أُخِذَ حديثه، ومن كان من أهل البدعة رُدَّ حديثه، فكانوا لا يسألون عن الإسناد كما قال ابن سيرين، هذا في أول الأمر حتىٰ وقعت الفتنة.

في أول الأمر كانوا لا يسألون عن الإسناد فلما انتشر الشر احتاجوا إلىٰ التحري، وهذا الذي ينبغي عليه أن يكون الإنسان لا سيما في هذه الأزمان التي كثرت فيها الأهواء، فلا يسارع الإنسان إلىٰ الانبساط إلىٰ أُناس لا يعرفهم، لا أعني أن الإنسان يهجر من لا يعرفه؛ لا، من لا يعرفه فإنه لا يهجره من حيث السلام وما إلىٰ ذلك، لكن لا يسعىٰ في مُجالسه من لا يعرف، وفي مُصاحبه من لا يعرف، فإنه إن عرف بعد ذلك أنه من أهل الأهواء عَسُرَ عليه الابتعاد عنه بعد الائتلاف، لكن في أول الأمر قبل أن تحصل الألفة والصحبة وزيادة الانبساط فإنَّه يُمكنه أن يتقيه، ويستطيع أن يبتعد عنه إذا عَلِمَ أنه من أهل البدع والأهواء؛ فلهذا الإنسان لا ينبسط ولا يُجالس ولا يُصاحب إلا بعد التحري، وربما الإنسان يذهب إلىٰ موضع غريب لا يعرفه فيجد أُناسًا فيهم مظهر الخير والصلاح فربما اتخذهم جُلساء وبقىٰ معهم ينبسط إليهم ويتكلم معهم ويذهب ويرجع معهم قبل أن يتحرىٰ في شأنهم، ثم بعد ذلك يأتيه الخبر: أن هؤلاء من أهل البدع والأهواء شأنهم كذا وكذا، فإذا أراد أن يبتعد عَسُرَ عليه وصَعُبَ عليه أن يبتعد عنهم بعد هذه الأُلفة؛ فلهذا يحتاج الشخص إلىٰ أن يتحرىٰ في أول الأمر فيمن يُجالس وفيمن يُصاحب قبل أن ينجذب إليهم، فإن عَلِمَ أنهم من أهل السُنة صاحبهم ورافقهم، وإن علم أنهم من أهل البدعة فما زال في عافية فيبتعد عنهم، أما المُسارعة في الانفلات إلىٰ المجاهيل هذا خطأ.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْمُؤْمِنُ مُحْتَاجٌ إِلَى امْتِحَانِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُصَاحِبَهُ وَيُقَارِنَهُ بِنِكَاحٍ وَغَيْرِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ الْآيَةُ.

هذه الآية أصلٌ في الامتحان، فكلام شيخ الإسلام كلام حسن جميل: (**وَالْمُؤْمِنُ مُحْتَاجٌ إِلَى امْتِحَانِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُصَاحِبَهُ وَيُقَارِنَهُ**)، لا ينجذب كما عرفنا إليهم قبل النظر والتحري، بل يقوم بامتحانه حتىٰ يعرف حاله ويسأل عنه ويتحرىٰ في شأنه، فإن وجده من أهل السُّنة والخير والصلاح اقترب منه وصاحبه وإلا ابتعد عنه، سواءً فيما يتعلق بالصبحة أو بالنكاح، والنكاح أشد فإن المُصاحبة بالنكاح أشد من غيرها.

قال وفقه الله:

ومن السُّنة البُعد عن المتحزبة:

١- قال العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ابتليَّ المسلمونَ اليومَ بالحزبيةِ التي مسختْ كثيرًا من الشباب وفرقتْ شملَ المسلمينَ، وَرَبُّ العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]، ويقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات:١١]، والحزبيونَ منْ لم يكن معهُم تنكروا لهُ ونفرُوا عنهُ، ولا إله إلا الله كم من شاب قد مَسَخُوهُ بسببِ الحزبيةِ!! يكونُ حَافِظًا للقرآن مُبرزًا في العلوم الدينيةِ فإذا التحقَ بِهِم شَغَلُوهُ بالترهاتِ والأباطيل حتى تَذهبَ مَعْلُوماتُهُ والنَّاسُ يَنقسمونَ إلى حزبين؛ حزبِ الرحمن، وحزبِ الشيطان كما اخبر اللهُ تعالى في كتابه[1].

٢- وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا وإني أنصحُ العلماءَ والدعاةَ إلى اللهِ مِنْ أهل السُنةِ أن يجدوا ويجتهدوا في التحذير من الحزبية المشؤومة الت فرقتْ شَمْلَ المسلمينَ، ويكونُ

(١) "الجامع الصحيح في القدر" (ص٢٨٨) ط. دار الآثار.




التحذيرُ على الاستمرارِ؛ لأن عَمَل النبي ﷺ كان دِيمةً، أسألُ الله أن يوفقهُم لذلك، إنَّهُ على كلِّ شيء قدير)[1].

٣- وقال الشيخ العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونحنُ صراحةً نُحارب الحزبيات؛ لأن التَّحزُباتِ هذه يَنْطَبِقُ عليها قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون:٥٣]، لا حزبية في الإسلام، هُناك حزبٌ واحدٌ بنص القرآن: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، وحزبُ اللهِ جماعةُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ وليكون المرء على منهجِ الصحابة، لهذا يتطلبُ العلم بالكتابِ السُّنة)[2].

فائدة:

قال بعْضُهم عن الدعوةِ الحزبية: (بناؤُهم هَدْمٌ، وَسَعتُها ضيقٌ، وجَمعُها تفريقٌ، وَغايتها إلى فتنةٍ في الدُّنيا والدِّين).



الشرح:

قوله: (من السُّنة البُعد عن المتحزبة).

من السُّنة البُعد عن أهل البدع والأهواء، وأهل التحزب: هم أهل البدع والأهواء.

١- قال العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ابتليَّ المسلمونَ اليومَ بالحزبيةِ التي مسختْ كثيرًا من الشباب وفرقتْ شملَ المسلمينَ، وَرَبُّ العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ويقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات:١١]، والحزبيونَ منْ لم يكن معهُم تنكروا لهُ ونفرُوا عنهُ، ولا إله إلا الله كم من شاب قد مَسَخُوهُ بسببِ

---

(١) "مقتل الشيخ جميل الرحمن الأفغاني" (ص٥).

(٢) "المسائل العلمية والفتاوىٰ الشرعية" فتاوىٰ العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني في المدينة والإمارات، جمع وترتيب: عمرو بن عبد المُنعم، ص (٣٠).



الحزبية!! يكونُ حَافِظًا للقرآن مُبرزًا في العلوم الدينيةِ فإذا التحقَ بِهم شَغَلُوهُ بالترهاتِ والأباطيل حتى تَذهبَ مَعْلُوماتُهُ، والنَّاسُ يَنقسمونَ إلى حزبين؛ حزبِ الرحمن، وحزبِ الشيطان كما اخبر اللهُ تعالى في كتابه.

والآيات الدالة علىٰ ذم الحزبية كثيرة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، تبرأ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ممن تفرق وتحزب.

وقال بعض المتحزبين: (الحزبية ظاهرها صحية)، هذا كلام قبيح وكلام سيء، هي ظاهرها مَرَضية وليست ظاهرة صحية، فمن أين جاءت الصحة للمجتمعات بعد أن ظهرت الفرقة والتحزب، لم يعش الناس إلا في مرض، وفي فتن، وفي شرور، يُعادي بعضهم بعضًا، ويكيد بعضهم علىٰ بعض، فالأحزاب بينهم من المكايدات ما بينهم، وبينهم من الشحناء والبغضاء الشيء الكبير، ويستحل بعضهم دماء بعض، وإذا هاجت فتنة استحلوا الدماء، فيتقاتلون فيما بينهم وتُسفك الدماء وهذا يقول: (ظاهرة صحية!).



٢- وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا وإني أنصحُ العلماءَ والدعاةَ إلى اللهِ مِنْ أهل السُنةِ أن يجدوا ويجتهدوا في التحذير من الحزبية المشؤومة التي فَرقتْ شَمْلَ المسلمينَ، ويكونُ التحذيرُ على الاستمرارِ؛ لأن عَمَلَ النبي ﷺ كان دِيمةً، أسألُ الله أن يوفقهُم لذلك، إنَّهُ على كلِّ شيءٍ قدير).

نعم؛ لأن الشَّر مُستمر فلا يحل قطع الخير، فالأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر هو من أصول الخير، فالشر إذا كان مُستمرًا لا بد أن يكون الخير أيضًا مُستمرًا، والمنكر إذا استمر فيستمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- وقال الشيخ العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونحنُ صراحةً نُحارب الحزبيات؛ لأن التَّحزُباتِ هذه يَنْطبِقُ عليها قولهُ تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون:٥٣]، لا حزبية في الإسلام، هُناك حزبٌ واحدٌ بنص القرآن: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، وحزبُ اللهِ جماعةُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ وليكون المرء على منهجِ الصحابة، لهذا يتطلبُ العلم بالكتابِ السُنة.

إذًا: من أراد أن يكون عمله علىٰ نهج الصحابة لا بد أن يتعلم العلم؛ حتىٰ يعرف منهاج الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.



فائدة:

قال بعْضُهم عن الدعوةِ الحزبية: (بناؤُهم هَدْمٌ، وَسَعتُها ضيقٌ، وجَمعُها تفريقٌ، وَغايتهُا إلى فتنةٍ في الدُّنيا والدِّين).

فكثير من الشرور الحاصلة في المجتمعات هي بسبب الحزبيات: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦]، أي: قوتكم، والحزبيات فيها ما فيها من التنازع فهي طريق الفشل؛ ولهذا لا تقوم دنيا ولا يقوم دين مع وجود هذه الحزبيات، الكل يُريد أن يتسلط علىٰ الدنيا ويحصل ما يحصل بسبب ذلك من الفتن والشرور علىٰ دنيا الناس، والكل يدعي أنه صاحب عدل، وخير، واستقامة، وإصلاح للبلاد وهم مُفسدون للدنيا ومفسدون للدين، فلا يحصل من الحزبيات إلا الفشل والضعف للمسلمين وتكثر بسببهم الفتن والقلاقل في أوساط الناس كما هو الواقع، والواقع خير شاهد علىٰ مثل هذه الأمور.

قال وفقه الله:

أهلُ السُّنة هم أهل الحق:

١- قال العلامة ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأهل السّنة الَّذين نذكرهم أهلُ الْحق وَمن عَدَاهم فَأهل الْبِدْعَة فَإِنَّهُم الصَّحَابَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وكل من سلك نهجهم من خِيَار التَّابِعين رَحْمَة الله عَلَيْهِم ثمَّ أَصْحَاب الحَدِيث وَمن اتبعهم من الْفُقَهَاء جيلًا فجيلًا إِلَى يَوْمنا هَذَا أَو من اقْتدى بهم من الْعَوام فِي شَرق الأَرْض وغربها رَحْمَة الله عَلَيْهِم)[1].

٢- قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السُّني: هو الذي يُحبُ أهل السُّنة ويحرص على العمل بالسُّنةِ)[2].

الشرح:

١- قال العلامة ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأهل السّنة الَّذين نذكرهم أهل الْحق وَمن عداهم فَأهل الْبِدْعَة فَإِنَّهُم الصَّحَابَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكل من سلك نهجهم من خِيَار التَّابِعين رَحْمَة الله عَلَيْهِم ثمَّ أَصْحَاب الحَدِيث وَمن اتبعهم من الْفُقَهَاء جيلًا فجيلًا إِلَى يَوْمنا هَذَا أَو من اقْتدى بهم من الْعَوام فِي شَرق الأَرْض وغربها رَحْمَة الله عَلَيْهِم).

فهؤلاء هم أهل السُنة: الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعون، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسواءً كان من العلماء أو من طُلاب العلم، أو من عوام أهل السُنة، فكل من كان مقتديًا بالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين فهو من أهل السُنة عالمًا كان أو طالب علم أو من عامة المسلمين، فهؤلاء هم أهل السُنة هم أهلُ الحق.

---

(١) "الفصل في الملل والأهواء والنحل" (١/ ٣٧١).

(٢) "مادة مسموعة" فضلُ أهل الحديث.

٢- قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السُّني: هو الذي يُحبُ أهل السُّنة ويحرص على العمل بالسُنةِ).

قوله: (**السُّني: هو الذي يُحبُ أهل السُّنة**): فهذا هو السُني: الذي يُحب أهل السُنة، أما من كان مُبغضًا لأهل السُنة فكيف يكون منهم؟! وهو قد عاداهم.

قوله: (**ويحرص علىٰ العمل بالسُنةِ**): لا يعمل بالبدع والأهواء، وإنما يعمل بسُنة رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال وفقه الله:



فائدة في أن ظهور الحق لا يكون إلا بأهل السُنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة:٣٣]: (**وَلَمْ يَظْهَرْ دِينُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ - قَطُّ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَدْيَانِ إِلَّا بِأَهْلِ السُّنَّةِ**)[1].

الشرح:

وذلك أنهم هم أصحاب الحق، فلا يكون ظهور الحقَّ إلا بهم، فإن الحق يظهر بأهله، فأهل الحق هم أهل السُنة: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ»، فهم أهلُ السُنة، ولا يظهر الحق من أهل الباطل وإنما يظهر الحق من أهل الحق وهم أهل السُنة.

(١) "منهاج السُنة النبوية" (٢/ ٥٩٤).

قال وفقه الله:

من السنة حبُّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ:

١- قال الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ: (ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رَسُول اللَّهِ - ﷺ - كلهم أجمعين والكف عَنْ ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم فمن سب أصحاب رَسُول اللَّهِ - ﷺ - أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرضَّ بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضيٌ خبيثٌ مخالفٌ لا يقبل اللَّه منه صرفًا ولا عدلًا بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة)[١].

٢- وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ عند قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠]: (فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمَخْذُولَةَ مِنَ الرَّافِضَةِ يُعَادُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عِياذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُولَهُمْ مَعْكُوسَةٌ، وَقُلُوبَهُمْ مَنْكُوسَةٌ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ يسبُّون مَنْ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ؟

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَرَضَّونَ عَمَّنْ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وَيَسُبُّونَ مَنْ سَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُوَالُونَ مَنْ يُوَالِي اللَّهَ، وَيُعَادُونَ مَنْ يُعَادِي اللَّهَ، وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَا مُبْتَدِعُونَ، وَيَقْتَدُونَ وَلَا يَبْتَدُونَ وَلِهَذَا هُمْ حِزْبُ اللَّهِ الْمُفْلِحُونَ وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ)[٢].

٣- قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُٱللَّهُ وهو يتكلم عن عدالة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ: (وأما عدالتهم- رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ- فمُسَلمَةٌ عِند جَميع أهلِ السُّنة الذينَّ رَأينا كَلامَهُم، وَلا نَعلَمُ أحدًا مِنَ الصَحابة طُعِنَ فِيه مِن قِبلَ عَدالتهِ، وأما الرافضة، والخوارج، وأهل البدع فلا



[١] "طبقات الحنابلة" ترجمة أحمد بن جعفر بن يعقوب.

[٢] "تفسير ابن كثير" (٧/ ٢٧٠-٢٧١) ط. عالم الكتب.

عِبرة بِكلامهم، ولا يُعَدُ خِلافهم خلافًا، وإنما هو شذوذ وَميل عن الصراطِ المستقيم)[(١)].

٤- وقال أبو بكر الخلَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هَارُونَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَنَّ أَبَا الْحَارِثِ حَدَّثَهُمْ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: قَالَ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»، فَلَا يُقَاسُ بِأَصْحَابِهِ أَحَدٌ مِنَ التَّابِعِينَ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: (**مَنْ تَنَقَّصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَنْطَوِي إِلَّا عَلَى بَلِيَّةٍ، وَلَهُ خَبِيئَةُ سَوْءٍ، إِذَا قَصَدَ إِلَى خَيْرِ النَّاسِ، وَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) حَسْبُكَ[(٢)].

٥- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: (**لَا نَقُولُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا الْحُسْنَى**)[(٣)].

٦- وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ مَنْ سَبَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّهُ خَالَفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَحِقَتْهُ اللَّعْنَةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَمِنْ رَسُولِهِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا لَا فَرِيضَةً وَلَا تَطَوُّعًا، وَهُوَ ذَلِيلٌ فِي الدُّنْيَا، وَضِيعُ الْقَدْرِ، كَثَّرَ اللَّهُ بِهِمُ الْقُبُورَ، وَأَخْلَى مِنْهُمُ الدُّورَ**)[(٤)].



٧- قال أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصحابة كلّهم من أهل الجنة قطعًا، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم

---

(١) "الفتح الرباني" (١/ ١٥٤) ط. مكتبة الجيل الجديد.

(٢) "السُنة" (ص٤٧٧) رقم الأثر (٧٥٨).

(٣) "السُنة" (ص٥١١) رقم الأثر (٨٢٤).

(٤) "الشريعة" (٢/ ٦٤٨) ط. الفضيلة.

مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، فثبت أن الجميع من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحدٌ مِنهمُ النَّار؛ لأنهم المخاطبون بالآية السابقة)[١].

٨- وعن الربيع بن نافع رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: (**معاوية بْن أَبِي سفيان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **سِترُ أصحابِ رسول الله** ﷺ **فإذا كَشَفَ الرجلُ السِتر اجترأ عَلَى مَا وَرَاءَهُ**)[٢].

٩- وفي "تاريخ بغداد": أن رجلًا سأل الْمُعَافَى بْنَ عِمْرَانَ، فَقَالَ: (يَا أَبَا مَسْعُودٍ أَيْنَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ؟ فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: لا يُقَاسُ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ، مُعَاوِيَةُ صَاحِبُهُ وَصِهْرُهُ وَكَاتِبُهُ وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ)[٣].

١٠- وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأمَّا مُعاوية** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **فهو من العدول الفضلاءِ والصحابة النُجبَاء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ)[٤].

١١- قال ابن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أبو بكر، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عن سُفْيَانُ، عَنْ نُسَيْرِ بْنِ ذُعْلُوقٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: (**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ**)[٥].

١٢- وقال مغيرة بن مُقسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرج حنظلة الكاتب وجرير بن عبد الله وعدي بن حاتم من الكوفة فنزلوا قرقيسيا وقالوا: (**لا نُقيمُ بِبَلَدٍ يُشتَمُ فِيهِ عُثمان**)[٦].

---

(١) "الإصابة" لابن حجر (١/ ١٦٣) و"فتح المغيث" (٤/ ٩٧).

(٢) "تاريخ بغداد" (١/ ٢٢٣) ط. الكتب العلمية.

(٣) "المصدر السابق" (١/ ٢٢٤).

(٤) "شرح مسلم" للنووي، كتاب: فضائل الصحابة (٨/ ١٤٥).

(٥) "السُنة" برقم (١٠٠٦) بسند صحيح، وأخرجه أحمد في "فضال الصحابة" برقم (١٥) بسند صحيح أيضًا.

(٦) "تهذيب تهذيب الكمال" للذهبي (٣/ ٥٣) ط. الفاروق.

١٣- وقال الإمام يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكُل مَن شَتَم عُثمان أو طَلحة أو أحدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ دَجال لا يُكتبُ عَنْهُ، وَعَليهِ لَعنةُ اللهِ وَالملائكةِ وَالنَّاس أجمعين)[1].

الشرح:

قوله: (من السُّنة حُبُّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ).

أي: من السُّنة الواجبة، فإن هذه من الأمور الواجبة، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فإنما ينغاظ من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين من كان كافرًا كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ذلك، فالذي يبغضُ الصحابة ويُعادي الصحابة لا يكون في قلبه إيمان صادق، وإنما في قلبه شيء من النفاق والعياذ بالله، فإن آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بُغض الأنصار فكيف بمن يُبغض عامة الصحابة؟ فهذا أظهر في النفاق والعياذ بالله.



١- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - كلهم أجمعين والكف عَنْ ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم فمن سب أصحاب رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرَّض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضيٌ خبيثٌ مخالفٌ لا يقبل اللَّه منه صرفًا ولا عدلًا، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة).

قوله: (...ذكر محاسن أصحاب رَسُولِ اللهِ - ﷺ - كلهم أجمعين والكف عَنْ ذكر مساويهم والخلاف الذي شجر بينهم): وهذا أمر قد أخذناه فيما مضىٰ في أصول

(١) "تاريخ بغداد" (٧/ ١٤٥).

السُنة، وبيَّنا هنالك أنَّ هذا مما يجب في جانب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فالواجب هو ذِكر محاسنهم والكف عن مساوئهم.

قوله: (**فمن سب أصحاب رَسُول اللهِ - ﷺ - أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرضَّ بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضيٌ خبيثٌ مخالفٌ**): وهذه من المسائل التي يخرج بها الإنسان عن السُنة ويقع في البدعة، وهي أن يتنقصَّ أو يطعنَّ أو يعيب أحدًا من أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله: (**لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا**): وأكثر من مضىٰ يُفسر: **الصرف**: بالفريضة، **والعدل**: النافلة، والحسن البصري عكس ذلك، فسر **الصرف**: بالنافلة، **والعدل**: بالفريضة، ومنهم من فسَّر الصرف: بالتوبة، والعدل: بالفدية؛ ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة:٩٥]، فسمىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الصيام عدلًا عن الإطعام.

والفدية يدفعها الإنسان بدلًا عن بدنه حتىٰ ينجو من العذاب، والله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل ذلك منه؛ ولهذا قال من قال من أهل العلم: المُراد بالعدل: الفدية، وظاهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه يرىٰ أن المراد بالعدل الفدية.

٢- وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند قول الله تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]: (فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمَخْذُولَةَ مِنَ الرَّافِضَةِ يُعَادُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عِياذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُولَهُمْ مَعْكُوسَةٌ، وَقُلُوبَهُمْ مَنْكُوسَةٌ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ يسبُّون مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟!.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَرَضَّونَ عَمَّنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَسُبُّونَ مَنْ سَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُوَالُونَ مَنْ يُوَالِي اللَّهَ، وَيُعَادُونَ مَنْ يُعَادِي اللَّهَ، وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَا مُبْتَدِعُونَ، وَيَقْتَدُونَ وَلَا يَبْتَدُونَ وَلِهَذَا هُمْ حِزْبُ اللَّهِ الْمُفْلِحُونَ وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ).

٣- قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن عدالة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: (وأما عدالتهم- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- فمُسَلمَةٌ عِند جَميع أهلِ السُّنة الذينَّ رَأينا كَلامَهُم، وَلا نَعلَمُ أحدًا مِنَ الصَحابة طُعِنَ فِيه مِن قِبلَ عَدالتهِ، وأما الرافضة، والخوارج، وأهل البدع فَلا عِبرة بِكلامهم، ولا يُعَدُ خِلافهم خلافًا، وإنما هو شذوذ وَميل عن الصراطِ المستقيم).

فالصحابة كلهم عدول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

٤- وقال أبو بكر الخلَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هَارُونَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَنَّ أَبَا الْحَارِثِ حَدَّثَهُمْ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: قَالَ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»، فَلَا يُقَاسُ بِأَصْحَابِهِ أَحَدٌ مِنَ التَّابِعِينَ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: (**مَنْ تَنَقَّصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَنْطَوِي إِلَّا عَلَى بَلِيَّةٍ، وَلَهُ خَبِيئَةُ سَوْءٍ، إِذَا قَصَدَ إِلَى خَيْرِ النَّاسِ، وَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) حَسْبُكَ.

٥- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: (**لَا نَقُولُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا الْحُسْنَى**).



٦- وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ مَنْ سَبَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّهُ خَالَفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَحِقَتْهُ اللَّعْنَةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَمِنْ رَسُولِهِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا لَا فَرِيضَةً وَلَا تَطَوُّعًا، وَهُوَ ذَلِيلٌ فِي الدُّنْيَا، وَضِيعُ الْقَدْرِ، كَثَّرَ اللَّهُ بِهِمُ الْقُبُورَ، وَأَخْلَى مِنْهُمُ الدُّورَ).

فالآجري سار على ما سار عليه أكثر العلماء، قال: (**وَلَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا لَا فَرِيضَةً وَلَا تَطَوُّعًا**).

٧- قال أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصحابة كلّهم من أهل الجنة قطعًا، قال اللَّه تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، فثبت أن الجميع من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحدٌ مِنهمُ النَّار؛ لأنهم المخاطبون بالآية السابقة).

فمن الصحابة من كان متقدمًا، ومنهم من كان متأخرًا، وهكذا منهم من أنفق قبل الفتح وقاتل، ومنهم من أنفق بعد الفتح وقاتل، وقد وعد الله عَزَّوَجَلَّ الجميع بالحُسنىٰ وهي الجنَّة: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

فبيَّن الله عَزَّوَجَلَّ في الآية الأولىٰ: أن الصحابة لهم الحُسنىٰ، وفي الآية الأخرىٰ بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ أن من له الحُسنىٰ فهو مُبعد عن نار جهنم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

هذا كلام ابن حزم وقد اشتهر هذا الكلام بين أهل العلم.



مسألة: إذا قال قائل في حديث عمرو بن العاصي الذي جاء في "المُسند" وفي غيره: أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «قَاتِلُ عَمَّارٍ وسَالِبُهُ فِي النَّارِ»، والذي قتله هو أبو الغادية، وأبو الغادية صحابي، فكيف يقول النبي ﷺ في هذا الحديث: «قَاتِلُ عَمَّارٍ وسَالِبُهُ فِي النَّارِ»، وهذا حكم من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ شخص معين من الصحابة بالنار وهو قاتل عمار، وقد ثبت أن أبو الغادية هو قاتل عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن الصحابة أجمعين؟ ومما يزيد المسألة إشكالًا: أن ابن حزم في كتابه "الفصل في الملل والنحل" ذكر: أن أبا الغادية من أصحاب بيعة الرضوان، ونقله عنه أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "منهاج السُنة النبوية" ولم يعترض عليه، وأهل بيعة الرضوان لا يدخل أحد منهم النار، لقوله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ

الشَّجَرَةِ»، فأصحاب بيعة الرضوان لا يدخلون النار، وأبو الغادية ممن ذُكِر أنه من أصحاب بيعة الرضوان؟

والجواب عن ذلك: أن هذه اللفظة لا تثبت في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وأن الثابت في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص هو قوله: «**تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**»، هذا هو الثابت في الحديث، وأما تلك اللفظة: «**قَاتِلُ عَمَّارٍ وسَالِبُهُ في النَّارِ**»، الذي يظهر أن هذا لا يثبت في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، فيزول حينئذ الإشكال، فشأن أبي الغادية كشأن غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وهم فيما وقعوا فيه متأولون مجتهدون، ولهم من الفضائل والحسنات ما يغفرُ الله عَزَّ وَجَلَّ لهم تلك الزلات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اجمعين.

٨- وعن الربيع بن نافع أنه قال: (معاوية بْن أَبِي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سِترُ أصحابِ رسول الله فإذا كَشَفَ الرجلُ السِتر اجترأ عَلَى مَا وَرَاءَهُ).



وذلك أنَّ هنالك من يبتدأ به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويُريد بذلك التوصل إلىٰ غيره، فإذا ما قُبِلَ الكلام فيه وساغته الأسماع انتقل إلىٰ غيره، وربما قال الطاعن فيه: لا فرق بين معاوية وبين غيره من الصحابة ممن شارك في الفتنة كمعركة الجمل، أو صفين، فهو ستر أصحاب رسول الله ﷺ.

قوله: (**فإذا كَشَفَ الرجلُ السِتر اجترأ عَلَىٰ مَا وَرَاءَهُ**): فلا يجوز الطعن فيه ولا في غيره من الصحابة الكِرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والواجب: أن يُذكر بالجميل كما يُذكر غيره من الصحابة؛ وذلك لما لهم من الفضائل العظيمة والمناقب الشهيرة، ويكفيهم أنهم صحبوا رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهذه فضيلة لا يُدركها من جاء بعدهم مهما عَظُمَ علمه وكَثُرَ علمه فلا يُدرك أحدٌ هذه الفضيلة بعد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

٩- وفي "تاريخ بغداد": أن رجلًا سأل الْمُعَافَى بْنَ عِمْرَانَ، فَقَالَ: (يَا أَبَا مَسْعُودٍ أَيْنَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ؟ فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: لا يُقَاسُ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ، مُعَاوِيَةُ صَاحِبُهُ وَصِهْرُهُ وَكَاتِبُهُ وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ).

وهذا كلامٌ سديد، فعمر بن عبد العزيز وإن اشتهر بإقامة العدل، وكان سيرته سيرة حسنة حميدة، وكان من أهل العلم والزُهد والتُقىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكم له من المآثر المناقب؛ لكن مع هذا لا يجوز أن يُفضل علىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ولا علىٰ أحد من الصحابة رضي الله عن الصحابة أجمعين.

قوله: (مُعَاوِيَةُ صَاحِبُهُ): والصُحبة ثابتة له رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بيقين.

قوله: (وَصِهْرُهُ): فقد تزوج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأخته أم حبيبة؛ ولهذا يقول كثير من السلف في شأن معاوية: خال المؤمنين، يُطلقون عليه ذلك وإن كان هذا لا يختص به؛ لكن يذكرونه ويخصونه بذلك من باب الرد علىٰ من طعن فيه، وحكم بكفره، أو حكم بنفاقه وهو أشد أنواع الكُفر.

قوله: (وَكَاتِبُهُ وَأَمِينُهُ عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ): فقد استأمنهُ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ كتابة الوحي وهذا يدل علىٰ أمانته عنده؛ والنبي ﷺ استأمنه علىٰ كتابة الوحي حتىٰ مات عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما خونه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بشيء قط حتىٰ مات عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين ما خونوه في هذا الباب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكيف يُخونونه وقد استأمنه رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولو كان منافقًا لأطلع رَبُّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن حاله؛ حتىٰ لا يستأمنه علىٰ الوحي.

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي عُميرة عند الترمذي وعند غيره: قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ»، دعا له النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذا

الدعاء، وفي حديث العرباض بن سارية في "مُسند الإمام أحمد": أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال في معاوية: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ**»، فهذه دعوات مُباركات من رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وكان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ من الملوك الذين أقاموا العدل في الرعية، ولا شك أنه لم يصل في عدله وفضله منزلة الخلفاء الراشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أجمعين، فالصحابة علىٰ مراتب ومنازل، فأقل الصحابة صُحبة أفضل ممن جاء بعدهم، وليس هو بمنزلة من لهم السبق من المهاجرين والأنصار الذين كان لهم السبق في الإسلام ولهم المناقب الكثيرة؛ لكن يكفيه فخرًا وشرفًا: أنه من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عن الصحابة أجمعين، وأن النبي عليه الصلاة ولسلام استأمنه علىٰ الوحي فهو من كتبة الوحي، وأن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دعا له تلك الدعوات المباركات.

١٠- وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأمَّا مُعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ فهو من العدول الفضلاءِ والصحابة النُجبَاء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ).



وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ موصوفًا بالحِلم، فكان حليمًا علىٰ الرعية، وساسَّ الناس في أيام مُلكه سياسة عجيبة، واجتمعت له قلوب الرعية، وكان جوادًا سخيًا حليمًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وكم له من المناقب، فهو خيرُ ملوك الأرض بعد الخلفاء الراشدين، وكان جماعة من السلف يقدمونه علىٰ المهدي الذي سوف يخرج في آخر الزمان الذي بشرَّ به النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والأمر كذلك فإنه صحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ والمهدي يخرج في آخر الزمان، فمنزلته أرفع من منزلة المهدي، ويكفيه كم عرفنا فضل الصُحبة.

١١- قال ابن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أبو بكر، حَدَّثَنا وَكِيعٌ عن سُفيَانُ، عَنْ نُسَيْرِ بْنِ ذُعْلُوقٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: (**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ**).

والأمر كما قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقوله: (**فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً**): أي: مع رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الذب عن الإسلام، والذب عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فساعة واحدة من نهار خير من عمل أحدكم عمره، فلا بد أن نعرف ما للصحابة من الفضل، وما للصحابة من المَكرمة، وما جاءنا الإسلام إلا عن طريقهم، فهم الذين بلغوا الإسلام وجاهدوا في الله حقَّ جهاده: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣]، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فكلُ من عَمِلَ في الإسلام بعدهم عملاً فلهم نصيب من ذلك فهم الذين نقلوا الإسلام لمن جاء بعدهم، فكم لهم من الحسنات ومن الأجور والفضائل، وأعلم الناس وأزهد الناس بعد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين هو حُسنة من حسناتهم، وهل جاءهم العلم إلا من الصحابة الذين نقلوا إليهم الدين، ومن أين حصل لهم الزُهد والتقىٰ والأعمال الصالحة إلا من جهة الصحابة الذين بلغوهم الدين، فلا بد أن نعرف قدر أولئك القوم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ومن عرف فضلهم وعَلِمَ ما هم فيه من المكانة والرفعة، وما حصل هم من الصبر علىٰ الأذىٰ من أجل نشر الإسلام والذب عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنَّه يجد في قلبه المحبة العظيمة لأولئك القوم؛ «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ**»، وكما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾ [الفتح:٢٩].

١٢- وقال مغيرة بن مُقسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرج حنظلة الكاتب وجرير بن عبد الله وعدي بن حاتم من الكوفة فنزلوا قرقيسيا وقالوا: (**لا نُقيمُ بِبَلَدٍ يُشتَمُ فِيهِ عُثمان**).

تأمل إلىٰ أي مبلغ وصلوا إليه، فقد بلغ بهم الأمر إلىٰ بُغض البلد الذي يُشتم فيه عُثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وإذا كانوا لا يقيمون ببلد يشتم فيه عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فكيف ببلد يُشتم فيه غير عثمان ممن هو أرفع من عثمان كأبي بكر وعُمر رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين؟

والعجب أنَّه صار في آخر الزمان من يشتم عُثمان يوصف بأنه داعية إسلامي، ويُذب عن عرضه ويُدافع عنه وتُذكر فضائله ويُرفع في منزلة العلماء الكِبار وهو يشتم عُثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كالسيد قُطب وقد سبق أن ذكرنا في بعض الدروس الماضية شيئًا من كلامه في عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفي غيره من الصحابة.

وهؤلاء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ورحمهم الله جميعًا قالوا: (**لا نُقيمُ بِبَلَدٍ يُشتَمُ فِيهِ عُثمان**)، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.



١٣- وقال الإمام يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكُل مَن شَتَم عُثمان أو طَلحة أو أحدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ دَجال لا يُكتبُ عَنْهُ، وَعَليهِ لَعنةُ اللهِ وَالملائكةِ وَالنَّاس أجمعين).

قوله: (**وَكُل مَن شَتَم عُثمان أو طَلحة**): أمَّا طلحة فتجرأ عليه الخوارج بسبب معركة الجمل، وأمَّا عثمان فقد خرج عليه أناس عابوا عليه أشياء وبغوا عليه وظلموه وهو خليفة راشد بنص حديث رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وخلافته خلافة نبوة بنص حديث رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وكانت الملائكة تستحي منه ويستحي منه رسول الله ﷺ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِمَّنْ يَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»، وأولئك الذين خرجوا عليه ما

استحوا من ربهم ولا استحوا من الملائكة، ولا استحوا ممن تستحي منه الملائكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتلوه ظُلمًا وبغيًا وعدوانًا.

قوله: (**أو أحدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ دَجال لا يُكتبُ عَنْهُ، وَعَليهِ لَعنةُ اللهِ وَالملائكةِ وَالنَّاس أجمعين**): هذا كلام أئمة السلف فيمن يشتم عثمان أو طلحة أو يشتم أحدًا من الصحابة، فهو دجال لا يُكتب عنه فلا يُجعل إمامًا وعالمًا وقائدًا إسلاميًا وغير ذلك من الألقاب.

والفتن التي جرت بين الصحابة هم فيها مجتهدون، من أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، ولا نتكلم فيهم إلا بالجميل، ونذكر محاسنهم ونكف عن مساوئهم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤]، وإنما يُسأل العبد عن عمله، ولا يُسأل العبد عن عمل غيره، ويُحاسب المرء علىٰ أعماله ولا يُحاسب علىٰ أعمال غيره، وأولئك القوم لهم ما لهم من الفضائل الكبار والحسنات العِظام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين.

قال وفقه الله:

من معتقد السلف:

١- قال الإمام علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمَنْ تَنَقَّصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَبْغَضَهُ لِحَدَثٍ كَانَ مِنْهُ أَوْ ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ حَتَّى يَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، فَيَكُونَ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيمًا**)[(١)].

٢- وقال أيضًا: (**وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَبَا هُرَيْرَةَ وَيَدْعُو لَهُ وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ فَارْجُ خَيْرَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْبِدَعِ**)[(٢)].

---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة" (١/ ١٩٠) رقم الأثر: (٣١٨).

(٢) "المصدر السابق" (١/ ١٩١).

الشرح:

١- قال الإمام علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ تَنَقَّصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَبْغَضَهُ لِحَدَثٍ كَانَ مِنْهُ أَوْ ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ حَتَّى يَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، فَيَكُونَ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيمًا).

وهذا مما ينبغي الحذر منه، أعني: ما حذر منه علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه لا يجوز أن يبغض الشخص أحدًا من الصحابة لأمر أو خطأ حصل منه، وهكذا لا يجوز ذكر مساوئ أحد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ومن خالف في ذلك فأبغض واحدًا من الصحابة أو ذكر مساوئ بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين قال: (فَهُوَ مُبْتَدِعٌ)، فالمسألة من المسائل الخطيرة، أعني ما يتعلق بأمر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فلا يستهن الشخص في هذا الأمر وهو ما يتعلق بالصحابة الكِرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فإذا ذكر الصحابة ذكرهم بالجميل والثناء الحسن، وإن وقف علىٰ شيء من زلاتهم فإنه يعتذر لهم بما اعتذر لهم أئمة الإسلام: إما بالاجتهاد، وإما بأن لهم حسنات تنغمر تلك الخطيئة في بحور حسناتهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين وغير ذلك من الأعذار، أما البُغض وذكر المساوئ واللمز السب والطعن فليس هذا بسبيل أهل السُنة والجماعة وإنما من سُبل أهل البدع والأهواء.



٢- وقال أيضًا: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَبَا هُرَيْرَةَ وَيَدْعُو لَهُ وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ فَارْجُ خَيْرَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْبِدَعِ).

وذلك أنَّ أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو راوية الإسلام، وهو حافظ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وهو أكثر الصحابة رواية للحديث، فالزنادقة حين أرادوا أن يطعنوا في السُنة طعنوا في أكثر الصحابة رواية لأحاديث رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فسعوا للطعن في أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وسعوا في تكذيبه، وقالوا: من أين جاء بهذه الأحاديث الكثيرة

وله سنوات قليلة مع رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فمن أين روىٰ تلك الأحاديث الكثيرة في هذه الفترة اليسيرة؟ وكل هذا طعن في غير موضعه، فإن تلك السنين كافية لرواية تلك الأحاديث، والحافظ من حُفاظ الإسلام ربما في أربع سنين أو في خمس سنين يجمع أكثر من هذا، فمن طاف علىٰ العلماء ورحل في طلب الحديث ربما يسمع الشيء الكثير من أحاديث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، خلال هذه الفترة أو أقل من هذه الفترة، علىٰ أن الصحابي قد يتلقىٰ الحديث من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مباشرة، وقد يتلقىٰ الحديث من غيره من الصحابة وهذا شأن كثير من الصحابة، فقد يروي ويأخذ الحديث مباشرة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد يُحدثه بعض الصحابة فيروي ولا يذكر الواسطة فيما بينه وبين رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والصحابة كلهم عدول، وهذا يُسميه العلماء إرسالًا ولا يسمونه تدليسًا من باب الأدب مع الصحابة الكِرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، هكذا سار علماء الحديث وتأدبوا مع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، لم يسموا ذلك تدليسًا، وإن كان في غير الصحابة يسمونه: تدليسًا، أما في مقام الصحابة فلا يُطلقونه، ومن أطلق ذلك ردَّ عليه علماء الحديث وأنكروا عليه ذلك، والصحابة كلهم عدول فإذا ذكر الصحابي الواسطة بينه وبين النبي ﷺ أو حذفهم فإنَّه لا يضر؛ لكن إذا حذف الواسطة في غير الصحابة فإنَّه يضر ذلك، فالمحذور قائم في غير الصحابة، لكن في الصحابة المحذور زائل فالصحابة عدول، وأمَّا غير الصحابة فموجود فيهم العدل وغير العدل، موجود الضابط وغير الضابط.

فعلىٰ كلٍ: لا بد من التأدب مع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وأبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حرصَّ الزنادقة علىٰ الطعن فيه من أجل أن يردوا ما استطاعوا رده من أحاديث رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فطعنوا في أبي هريرة؛ لأنه أكثر الصحابة رواية، وطعنوا أيضًا في الصحيحين وحاولوا التشكيك في أحاديث البخاري ومسلم، وربما ذكروا بعض الروايات التي قد لا يفهمها الجُهَّال، أو يرونها من الأدلة المتناقضة بسبب




جهلهم، وقد يذكرون بعض الأحاديث التي تكلم عليها الحُفاظ وأعلوها مما في الصحيحين وجعلوا ذلك مدخلًا في الطعن في أحاديث البخاري ومُسلم، فهذا فعل الزنادقة عندهم الحرص علىٰ الطعن في الصحيحين والتشكيك فيهما، وكم لهم في هذا الباب من التشكيكات، ولا سيما لمَّا ظهرت هذه الشبكات ومواقع التواصل الاجتماعي فإنهم سعوا في العبث الواسع وشككوا من أصغىٰ لهم، فشككوا في بعض الأحاديث الثابتة في الصحيحين وأرادوا بذلك التشكيك في الصحيحين، وأن يبتعد الناس عن السُّنة ويتمسكوا بالقرآن وهم في الحقيقة لا يريدون لا قرآنًا ولا سُنة لكن يتدرجون في الباطل؛ لإخراج الناس من دينهم والعياذ بالله.



قال وفقه الله:

فرح السُني بزوال البدع وأهلها:

١- قال أبو جعفر الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد زوال دولة المعتزلة:

ذَهَبَتْ دَوْلَةُ أَصْحَابِ الْبِدَعْ ... وَوَهَى حَبْلُهُمْ ثُـمَّ انْقَطَعْ

وَتَدَاعَى بِـانْصِرَافِ جَمْعِهِمْ ... حِزْبُ إِبْلِيسَ الَّذِي كَانَ جَمَعْ

هَلْ لَهُمْ يَا قَوْمِ فِي بِدْعَتِهِمْ ... مِـنْ فَقِيهٍ أَوْ إِمَـامٍ يُتَّـبَعْ

مِثْلِ سُفْيَانَ أَخِي ثَوْرٍ الَّذِي ... عَلَّمَ النَّاسَ دُقَيْقَاتِ الْوَرَعْ

أَوْ سُلَيْمَانَ أَخِي التَّيْمِ الَّذِي ... تَرَكَ النَّوْمَ لِهَـوْلِ الْمُطَّلَـعْ

أَوْ فَتَى الْإِسْلَامِ أَعْنِي أَحْمَدَا ... ذَاكَ لَوْ قَـارَعَهُ الْقُرَّاءُ قَـرَعْ

لَمْ يَخَفْ سَوْطَهُمْ إِذْ خَـوَّفُوا ... لَا وَلَا سَيْفُهُمْ حِـينَ لَمَـعْ [(١)]

---

(١) "شرف أصحاب الحديث" (ص١٣٤).



٢- وعن بشر بن الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: **(جَاء مَوتُ هَذَا الذي يُقالُ لَهُ المريسي وَأنا فِي السُّوق فَلَولَا أَنْ الموضِعَ ليسَ مَوضَع سجُود لسجَدتُ شكرًا، الحمد للهِ الذي أَماته هكذا قولوا)**[(١)].

الشرح:

١- قال أبو جعفر الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد زوال دولة المعتزلة:

ذَهَبَتْ دَوْلَةُ أَصْحَابِ الْبِدَعْ ... وَوَهَى حَبْلُهُمْ ثُـــمَّ انْقَطَـعْ

وَتَدَاعَى بِـانْصِرَافِ جَمْعِهِمْ ... حِزْبُ إِبْلِيسَ الَّذِي كَانَ جَمَعْ

هَلْ لَهُمْ يَا قَوْمِ فِي بِـدْعَتِهِمْ ... مِــنْ فَقِيهٍ أَوْ إِمَـــامٍ يُتَّـبَعْ

مِثْلِ سُفْيَانَ أَخِي ثَوْرٍ الَّذِي ... عَلَّمَ النَّاسَ دُقَيْقَاتِ الْـوَرَعْ

أَوْ سُلَيْمَانَ أَخِي التَّيْمِ الَّذِي ... تَرَكَ النَّوْمَ لِهَــوْلِ الْمُطَّلَــعْ

أَوْ فَتَى الْإِسْلَامِ أَعْنِي أَحْمَدَا ... ذَاكَ لَوْ قَـارَعَهُ الْقُرَّاءُ قَـرَعْ

لَمْ يَخَفْ سَوْطَهُمْ إِذْ خَـوَّفُوا ... لَا وَلَا سَيْفُهُمْ حِــينَ لَمَـعْ

فأهلُ السُنة يفرحون بزوال أهل البدع والأهواء، وبزوال دولة أهل البدع والأهواء وهذا كما فرحوا بزوال دولة المعتزلة، وقد حصل منهم قبل ذلك ما حصل من البلاء الشديد والفتنة العظيمة وهي: (فتنة خلق القرآن)، فلما زالت دولة المعتزلة فَرِحَ أهل السُنة بذلك، ومنهم: صاحب هذه الأبيات: أبو جعفر الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) "تلبيس إبليس" (ص١٦).

٢- وعن بشر بن الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (جَاء مَوتُ هَذَا الذي يُقالُ لَهُ المريسي وَأنا فِي السُّوق فَلَولَا أَنْ الموضِعَ لِيسَ مَوضَع سجُود لسجَدتُ شُكرًا، الحمد للهِ الذي أَماته هكذا قولوا).

قوله: (**بشر بن الحارث**): وهو المُلقب بالحافي وهو من أهل السُنة، أخذ الحديث عن الإمام مالك، وعن عبد الله بن المُبارك، وعن غيرهم من أئمة الإسلام، صاحب الزهد والورع رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**المَرِيسِيُّ**): وهو بِشر بن غياث المريسي المعتزلي، وبشر الحافي يُقال له: (بِشر السُنة)، وبِشر المَرِيسِيُّ يقال له: (بِشر البدعة)، فهما بِشران، وهناك أيضًا أحمدان، أحمد السُنة وهو: أحمد بن حنبل، وأحمد البدعة: هو أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي الجهمي.



قوله: (الحمد للهِ الذي أَماته هكذا قولوا): أي: احمدوا الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ موت أهل البدع والأهواء، فلا يحزن السني إذا مات دعاة أهل البدع والأهواء الذين نشروا الشَّر والباطل، ولا يظهر الترحم، والتوجع، والأسىٰ، والحزن بموتهم، بل كما قال بِشر بن الحارث: (الحمد للهِ الذي أَماته هكذا قولوا)، فإن دعاة أهل البدع إذا ما ماتوا قلَّ الشر بموتهم فكيف لا يفرح العبد بقلة الشر وضعفه؟!، فيفرح السني إذا مات دعاة الباطل والبدع والأهواء ويحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ذلك؛ لما في هذا من قلة الشر وتخفيفه، فإن المبتدع الداعي إلىٰ بدعته إذا طال عمره كثُرَ شره وانتشرت الأهواء في أوساط الناس، وحصل ما يحصل من الضرر علىٰ المسلمين، فإذا ما مات فيحمدُ العبد ربهُ علىٰ هذا الأمر؛ لأن الشر يقلُّ ويضعفُّ بموت دعاة أهل البدع والأهواء، وأما عكس ذلك فليس بسديد وهو أن يُظهر الشخص الأسىٰ والحزن، وأنه متألم ويأتي بعبارات التألم والتوجع لموت ذلك المبتدع الداعي إلىٰ بدعته الذي قد نشر الباطل ونشر الشر في أوساط الناس، وكَثُرَ شره في أوساط الناس فليس هذا بسديد.

قال وفقه الله:

الولاء والبراء عند أهل السُّنة:

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: (وعَلى الْمَرْء محبَّة أهل السّنة أَي مَوضِع كَانُوا رَجَاء محبَّة الله لَهُ كَمَا قَالَ رَسُول الله – ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَجَبت محبتي للمتحابين فِيَّ...»، وَعَلَيهِ بغض أهل الْبدع أَي مَوضِع كَانُوا حَتَّى يكون مِمَّن أحب فِي الله وَأبْغض فِي الله)[1].

الشرح:

قوله: (الولاء والبراء عند أهل السُّنة).

الولاء والبراء من الأمور الواجبة، سواء ما يتعلق بالبراءة من الكُفر والشرك وأهلهما، أو ما يتعلق بالبراءة من أهل البدع والأهواء، فيوالي المسلم من كان مُسلمًا من أهل السُنة، ويُعادي أهل البدعة، فكل هذا من الواجبات ومن الأصول العظيمة، فالولاء والبراء أصل من أصول أهل السُنة، ومن خالف هذا الأصل فوالىٰ أهل البدع وتبرأ من أهل السُنة فإنه من أهل الأهواء.

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: (وعَلى الْمَرْء محبَّة أهل السّنة أَي مَوضِع كَانُوا رَجَاء محبَّة الله لَهُ كَمَا قَالَ رَسُول الله – ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَجَبت محبتي للمتحابين فِيَّ...»، وَعَلَيهِ بغض أهل الْبدع أَي مَوضِع كَانُوا حَتَّى يكون مِمَّن أحب فِي الله وَأبْغض فِي الله).

هذا حديث مُعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء في "الموطأ" وفي "المسند" وعند غيرهما، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَجَبت محبتي للمتحابين فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ،

(١) "الحجة" (٢/ ٥٣٩) ط. دار الراية.

«وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَالْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ»، فهؤلاء أوجبَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محبته لهم، من كان حُبه من أجل الله عَزَّوَجَلَّ، وبرهان ذلك: أن يُحبَّ الشخص لطاعته لرب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا ما حصلت منه المخالفة والمعصية فإنه يُبغضه علىٰ ما فيه من المخالفة والمعصية، فإن وقع في البدعة فإنه أشد من ذلك، وإن وقع في الشرك الأكبر فهو أشد وأشد، فيعاديه ويبغضه، هذه علامة صدق المحبة لله عَزَّوَجَلَّ، ليست محبة من أجل الدنيا وإنما من أجل الله عَزَّوَجَلَّ، فتثبت المحبة بالطاعة وتضعف بالمعصية فإذا ما عصىٰ العبد ربه فإن المحبة تضعف؛ لأنها محبة من أجل الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا كان العبد طائعًا لله عَزَّوَجَلَّ فيُحب علىٰ ما فيه من الطاعة، فإن حصلت منه معصية فيحصل له البغض علىٰ قدر تلك المُخالفات، فهذا حب في الله وبغض في الله.

وأيضًا: « وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ»، أي من أجل الله عَزَّوَجَلَّ ، كالجلوس في مجالس العلم ومجالس الذِكر وغير ذلك من مجالس الخير.

وهكذا التزاور: «وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ»، وهكذا البذل والعطاء من أجل الله عَزَّوَجَلَّ: «وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».



قوله: (وَعَلَيهِ بغض أهل الْبدع أَي مَوضِع كَانُوا حَتَّىٰ يكون مِمَّن أحب فِي الله وَأبْغض فِي الله): وهذا دليل صدق المحبة: فإذا أحبَّ أهل السُنة وأبغضَّ أهل البدعة فهذا مما يدل علىٰ أن حُبه في الله وأن بغضه في الله، فأهل السُنة أحبهم لتمسكهم بالسُنة التي أمر الله بها، وأهلُ البدعة أبغضهم لوقوعهم في البدعة التي نهىٰ الله عنها فهذا حُبٌ في الله وبغضٌ في الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا أصل عظيم من أصول السُنة.

وكثير ممن ينحرف عن السُنة يبتدأ بالتلاعب في هذا الأصل: (أصل الولاء والبراء)، إذا به يوالي أهل البدع ويقترب منهم، ويُعادي أهل السُنة ويكيل عليهم التُهم، ويتكلم فيهم بما لا يليق، ويتنقص بهم، ويُحذر منهم ويلمزهم بالألقاب القبيحة، وفي المقابل تصدر منه كلمات التعظيم والتبجيل والاحترام والتوقير لمن




كان منحرفًا عن السُنة، فهذا أول ما يبدأ به غالبًا من انحرف عن السُنة: فيضعف في هذا الأصل وهو أصل الولاء والبراء.

قال وفقه الله:

من أعظم العلامات التي تميز أهل السُنة عن غيرهم من أهل البدع والأهواء:

١- قال الإمام السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَعْلُومٌ أَنَّ الِاتِّبَاعَ هُوَ الْأَخْذُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي صَحَّتْ عَنْهُ وَالْخُضُوعُ لَهَا وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَجَدْنَا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ بِمَعْزِلٍ عَنْ ذَلِك، فَهَذِهِ عَلَامَةٌ ظَاهِرَةٌ وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ يَشْهَدُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ بِاسْتِحْقَاقِهَا، وَعَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا)[1].

٢- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَعليك هُنا بَأدبين:

أحدهما: أَن يَكون حِرصُك عَلَى التَمسُك بِالسُّنة بَاطنًا وَظاهرًا، فِي خَاصتكِ وَخاصة مَن يُطيعُك، وأعرف المعروف وأَنْكِر المُنكر.

الثاني: أن تدعو النَّاس إلى السُّنة بحسبِ الإمكان)[2].

الشرح:

١- قال الإمام السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَعْلُومٌ أَنَّ الِاتِّبَاعَ هُوَ الْأَخْذُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي صَحَّتْ عَنْهُ وَالْخُضُوعُ لَهَا وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَجَدْنَا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ بِمَعْزِلٍ عَنْ ذَلِك، فَهَذِهِ عَلَامَةٌ ظَاهِرَةٌ وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ يَشْهَدُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ بِاسْتِحْقَاقِهَا، وَعَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا).

نعم فهذه علامة ظاهرة: أن أهل السُنة يتبعون السُنة، ويأخذون بما صحَّ عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فليس هناك من هو متمسك بسُنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

---

(١) "مختصر الصواعق" (٤/ ١٦٠٣) ط. أضواء السلف.

(٢) "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص٤٠٥) ط. دار الفضيلة.



أعظم من أهل السُنة، فأهل البدع والأهواء فيهم ما فيهم من المخالفة لسُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفيهم ما فيهم من الفتور والابتعاد عن السُنة، وسواء كانت هذه السُنة من الواجبات أو كانت من المستحبات، فإنَّ فيهم الانحراف عن كثير من أمور السُنة من الواجبات أو من الأمور المستحبة، فمن وقع في الهوىٰ فإنك تجد ذلك الشخص يتبعد عن كثير من أمور السُنة حتىٰ يكون أشبه ما يكون بعامة الناس بعد أن كان يُشار إليه بالبنان: وأنه وأنه وأنه، فإذا ما دخل في شيء من الأهواء إذا به يتهاون في كثير من أمور السُنة ويبتعد عن كثير من أمور السُنة، فأعظم الناس تمسكًا بالسُنة هم أهل السُنة؛ ولهذا يقول:(**فَهَذِهِ عَلَامَةٌ ظَاهِرَةٌ وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ يَشْهَدُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ بِاسْتِحْقَاقِهَا، وَعَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا**): أي: ليسوا من أهل السُنة.



٢- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَعليك هُنا بَأدبين:

أحدهما: أَن يَكون حِرصُك عَلَى التَمسُك بِالسُّنة بَاطنًا وَظاهرًا، في خَاصتكِ وَخاصة مَن يُطيعُك، وأعرف المعروف وأَنكِر المُنكر.

الثاني: أن تدعو النَّاس إلى السُّنة بحسبِ الإمكان).

فأهلُ السُنة حريصون علىٰ ذلك: علىٰ أن يصلحوا أنفسهم، وأن يصلحوا غيرهم، فعندهم الحرص علىٰ التمسك بالسُنة باطنًا وظاهرًا، وعندهم الحرص علىٰ الناس فيحرصون علىٰ دعوة الناس إلىٰ السُنة بحسب الإمكان، ودروسهم ومحاضراتهم وغير ذلك من أمورهم دليل علىٰ ذلك، وهكذا مؤلفات أهل السُنة فإنها تدل علىٰ شدة حرص أهل السُنة علىٰ الناس: بأن يتمسكوا بسُنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال وفقه الله:

ثبات أهلُ السنة:

قال العلامة المُحقق أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلَا تَجْتَمِعُ الفِرَقُ كلُّها . عَلَى كَثْرَتِها . عَلَى مُخَالَفَةِ السُّنَّة عَادَةً وَسَمْعًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَثْبُتَ جَمَاعَةُ أَهْلِ السُّنَّة حَتَّى يأْتي أَمْرُ اللَّهِ، غَيْرَ أَنَّهم لِكَثْرَةِ مَا تُناوِشُهم الْفِرَقُ الضَّالَّةُ وَتُنَاصِبُهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ اسْتِدْعَاءً إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ، لَا يَزَالُونَ فِي جِهَادٍ وَنِزَاعٍ، وَمُدَافَعَةٍ وَقِرَاعٍ؛ آناءَ اللَّيْلِ والنهارِ وَبِذَلِكَ يُضَاعِفُ اللَّهُ لَهُمُ الْأَجْرَ الْجَزِيلَ وَيُثِيبُهُمْ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ)[1].

الشرح:

قوله: (ثباتُ أهل السُنة).

من تمسك بالسُنة باطنًا وظاهرًا ثبته الله، وإنما يحصل للعبد الزيغ؛ بسبب بعده عن شيء من السُنة، أو إذا كان متظاهرًا بالسُنة وفي قلبه ما فيه من الهوىٰ، فإن هنالك من الناس من يتظاهر بالسُنة وفي قلبه ما فيه من الهوىٰ، فيمهله ربَّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فترة من الزمن ثم يُظهر ما في قلبه للناس، وإلا فإن من كان صادقًا مع ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإن الله يصدقه، من صدق الله صدقه الله، والسُنة من أسباب الثبات في حق من تمسك بها ظاهرًا وباطنًا وكان صادقًا مع ربه عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) "الاعتصام" (١/ ١٢-١٣) ط. الدار الأثرية.

قال العلامة المُحقق أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلَا تَجْتَمِعُ الفِرَقُ كلُّها . عَلَى كَثْرَتِهَا . عَلَى مُخَالَفَةِ السُّنَّة عادَةً وَسَمْعًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَثْبُتَ جَماعَةُ أَهْلِ السُّنَّة حَتَّى يأْتي أَمْرُ اللَّهِ، غَيْرَ أَنَّهم لِكَثْرَةِ مَا تُناوِشُهم الْفِرَقُ الضَّالَّةُ وَتُنَاصِبُهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ اسْتِدْعَاءً إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ، لَا يَزَالُونَ فِي جِهَادٍ وَنِزَاعٍ، وَمُدَافَعَةٍ وَقِرَاعٍ؛ آناءَ اللَّيْلِ والنهار وَبِذَلِكَ يُضَاعِفُ اللَّهُ لَهُمُ الْأَجْرَ الْجَزِيلَ وَيُثِيبُهُمْ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ).

هذا هو حال أهل السُّنة والجماعة: فإنهم حين أن تمسكوا بالسُّنة وجدوا من نصب لهم العداوة: «**لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»، فأهل السُّنة علىٰ الحق، وهم ثابتون علىٰ الحق مع كثرة المنازع والمُخالف لكنهم في ثبات من الله عَزَّوَجَلَّ وفي جهاد مع أهل البدع والأهواء كما قال: (**لَا يَزَالُونَ فِي جِهَادٍ وَنِزَاعٍ، وَمُدَافَعَةٍ وَقِرَاعٍ؛ آناءَ اللَّيْلِ والنهار وَبِذَلِكَ يُضَاعِفُ اللهُ لَهُمُ الْأَجْرَ الْجَزِيلَ وَيُثِيبُهُمْ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ**)، وليس هذا إلا لأهل السُّنة، فأهل السُّنة علىٰ مرِّ التاريخ في حرب ضروس مع أهل البدع والأهواء، وهذا مما لا ينكر، ولا تنتهي الحرب إلا بموتهم في آخر الزمان حين يُرسل الله عَزَّوَجَلَّ الريح الطيبة فتقبض أرواح المؤمنين وإلا فإن الحق والباطل في صراع إلىٰ ذلك الزمن.



وإذا عَلِمَ المُسلم هذا الأمر فإنه لا يتعجب ولا يستغرب ولا تأخذه الدهشة فهذه سُنة الله عَزَّوَجَلَّ في الحق والباطل لا بد من المجاهدة، والمُدافعة، والمنازعة، ولا بد من الجهاد مع أعداء السُّنة، وكل هذا كما قال مما يُضاعف الله عَزَّوَجَلَّ به الأجر لأهل السُّنة ويثيبهم الثواب العظيم.

قال وفقه الله:

فضلُ الموت على السُنة:

١- قال أبو بكر المرُّوذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت أبي عبد الله: من مات على الإسلام والسُنةِ ماتَ على خير؟ فقال لي: (**اسكت! من ماتَ على الإسلام والسُنة فقد مات على الخير كُلِّهِ**)[1].

٢- وعن الفُضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (**طُوبَى لِمَنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ بَكَى عَلَى زَمَانٍ يَأْتِي تَظْهَرُ فِيهِ الْبِدْعَةُ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ**)[2].

٣- عن يحيى بن عون قال: (دَخَلْتُ مَعَ سَحْنُوْنَ عَلَى ابْنِ القَصَّارِ، وَهُوَ مَرِيْضٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا القَلَقُ؟ قَالَ لَهُ: المَوْتُ وَالقُدُوْمُ عَلَى اللهِ. قَالَ لَهُ سَحْنُوْنُ: أَلَسْتَ مُصَدِّقًا بِالرُّسُلِ وَالبَعْثِ وَالحِسَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَالقُرْآنُ كَلاَمُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ، وَأَنَّ اللهَ يُرَى يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَّهُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى، وَلاَ تَخْرُجُ عَلَى الأَئِمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا. قَالَ: إِيْ وَاللهِ. فَقَالَ: مُتْ إِذَا شِئْتَ، مُتْ إِذَا شِئْتَ)[3].



الشرح:

١- قال أبو بكر المرُّوذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت أبي عبد الله: من مات على الإسلام والسُنةِ ماتَ على خير؟ فقال لي: (**اسكت! من ماتَ على الإسلام والسُنة فقد مات على الخير كُلِّهِ**).

قوله: (قلت أبي عبد الله): وهو الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) "الورع" لأبي بكر المروذي (ص١٩٥) ط. ابن رجب.

(٢) "شعب الإيمان" للبيهقي برقم (٩٠٢٩) و"أصول اعتقاد أهل السُنة " برقم (٢٦٨).

(٣) "سير أعلام النبلاء" (١٢/ ٦٧) ترجمة سحنون فقه المغرب.

قوله: (من ماتَ علىٰ الإسلام والسُنة فقد مات علىٰ الخير كُلِّهِ): فهذه أعظم الكرامة للعبد: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُثبت قلبه علىٰ الإسلام والسُنة حتىٰ يأتيه الموت فهذه أعظم الكرامة وأعظم المنن، فإن هنالك من يبقىٰ علىٰ السُنة فترة من الزمن ثم ينقلب، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء، فمن ثبته الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الإسلام والسُنة حتىٰ جاءه الموت فقد حاز الخير.

٢- وعن الفُضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (طُوبَى لِمَنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ بَكَى عَلَى زَمَانٍ يَأْتِي تَظْهَرُ فِيهِ الْبِدْعَةُ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ).



قوله: (ثُمَّ بَكَىٰ): أي: الفضيل بن عياض.

قوله: (فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ): أي: جاء ذلك الزمان.

قوله: (فَلْيُكْثِرْ): أي: صاحب السُنة.

قوله: (مِنْ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ): بمعنىٰ: ما شاء الله كان، يعترف أن الأمر بيد الله عَزَّوَجَلَّ.

جاء هذا الأثر عند ابن عساكر في تاريخ دمشق، وفيه: أن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال بعد ذلك: (وَمَنْ قَالَ مَا شَاءَ اللهُ فَقَدْ سَلَّمَ لِأَمْرِ اللهِ)، والمعنىٰ: أن العبد يعترف أن الأمر بيد الله فيسلم لأمر الله فيثبته الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الحق؛ لأنه فوَّض أمره إلىٰ ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإذا فوَّض أمره لله فإن الله عَزَّوَجَلَّ يوفقه لكل خير: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، أي: كافيه.

٣- عن يحيى بن عون قال: (دَخَلْتُ مَعَ سَحْنُوْنَ عَلَى ابْنِ القَصَّارِ، وَهُوَ مَرِيْضٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا القَلَقُ؟ قَالَ لَهُ: المَوْتُ وَالقُدُوْمُ عَلَى اللهِ. قَالَ لَهُ سَحْنُوْنُ: أَلَسْتَ مُصَدِّقًا بِالرُّسُلِ وَالبَعْثِ وَالحِسَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمُرُ، وَالقُرْآنُ كَلاَمُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ، وَأَنَّ اللهَ يُرَى يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَّهُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى، وَلاَ تَخْرُجُ عَلَى الأَئِمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا. قَالَ: إِيْ وَاللهِ. فَقَالَ: مُتْ إِذَا شِئْتَ، مُتْ إِذَا شِئْتَ).

قوله: (**سَحْنُوْنَ**): وهو من عُلماء المالكية، واسمه: عبد السلام بن حبيب، وهذا لَقبْ لُقِبَ به فإن سحنون كما ذكر الحافظ الذهبي: أنه في الأصل طائر في أرض المغرب يوصف بالذكاء والفطنة، فلقبَّ به هذا الإمام واشتهر به، وبارك الله عَزَّوَجَلَّ له في طُلابه فما من بلد من البُلدان إلا وفيه إمام من طُلابه مع ما فيه من السُنة والزهد، والورع، والتقوىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو صاحب "المدونة" من الكتب المالكية، يروي المدونة عن ابن القاسم، والقاسم يذكر مذهب الإمام مالك: فيقول: سألت الإمام مالكًا عن كذا، وسألته عن كذا، وأصل الكتاب: "سؤالات أسد بن الفرات" لابن القاسم عن مذهب الإمام مالك في أشياء متعددة، أخذ سحنون هذه السؤالات ورحلَّ إلىٰ ابن القاسم وعرضَّ تلك السؤالات عليه وزاد ونقص وهذبَّ واستدلَّ واشتهر كتاب سحنون بـ"المدونة".

علىٰ كلٍ: سحنون من عُلماء السُنة، وسيرته تدل علىٰ فضله وثباته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو القائل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أكلٌ بِالمَسكنة خُيرٌ مِن أكلٍ بِالعلمِ**)، فكون الإنسان يأكل بسؤال الناس خير من أن يأكل أموال الناس تحت مُسمىٰ العلم، نعم فهذه بليه، كما عليه كثير من أهل البدع جمعوا بين الأهواء والشبهات والشهوات، فكثير من أهل البدع والأهواء فُتِنوا في البابين في باب الشبهات فضلوا في الأهواء، وفي باب الشهوات فأكلوا أموال الناس بالباطل تحت تأويلات تافهة والعياذ بالله.





قوله: (مُتْ إِذَا شِئْتَ، مُتْ إِذَا شِئْتَ): يعني: أنت علىٰ خير وعافية إن لقيت ربك علىٰ السُّنة.

قال وفقه الله:

الدعاء لأهل السُّنة:

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ داعيًا لأهل السُّنة:

يا ربِّ واحْمِهِمُ مِن البِدَعِ التي قدْ أُحدِثَتْ في الدِّينِ كلَّ زمانِ

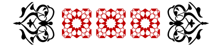
يا ربِّ جَنِّبْهُم طرائقَها التي تُفضِي بسالِكِهَا إلى النِّيرانِ[1]

الشرح:

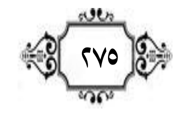
هذه دعوات مباركات تدل علىٰ محبته وشفقته علىٰ أهل السنة، فدعىٰ لهم بأن يرحمهم ربهم من البدع، وهذا يدل علىٰ أنَّ من وقاه الله البدع فهو مرحوم، وذلك أنَّ البدع يبغضها الله تعالىٰ وهي من أسباب العذاب فمن وقيها فهو مرحوم.

وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في أبياته هذه أنَّ البدع أحدثت كل زمان، وصدق رحمه الله فالبدع ما زالت تحدث في الناس وكلما ابتعد الناس عن زمن الرسالة كلما كثرت البدع.





(١) "النونية" (٢/ ٥٠٨) ط. دار الإمام أحمد.



آثارٌ فِي اتباعِ السَّلف

قال وفقه الله:

التعريف بالسلف:

السلف: هم الصحابة والتابعون، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

١- قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إن السلفَّ هم أهلُ القرون المُفضلةِ، فمنْ اقتفى أثرهم وسار على منهجِهم فهو سلفيٌّ، ومن خَالفهم في ذلك فهو من الخَلف)**[١].

٢- وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأهلُ السُنة والجماعة هم السلف معتقدًا حتى المتأخرُ إلى يومِ القيامة إذ كان على طريقة النبي ﷺ وأصحابِهِ فإنه سلفيٌّ)**[٢].

الشرح:

السلف: هم الصحابة والتابعون، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

إذًا: هؤلاء هم السَّلف، فأصل السلف الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ومن تبعهم بعد ذلك بإحسان.

١- قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن السلفَّ هم أهلُ القرون المُفضلةِ، فمنْ اقتفى أثرهم وسار على منهجِهم فهو سلفيٌّ، ومن خَالفهم في ذلك فهو من الخَلف).

وإمام السلف كما هو معلوم: رسول الله ﷺ.

٢- وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأهلُ السُنة والجماعة هم السلف معتقدًا حتى المتأخرُ إلى يومِ القيامة إذ كان على طريقة النبي ﷺ وأصحابِهِ فإنه سلفيٌّ).

إذًا هذا هو السَّلفي: من كان علىٰ طريقة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأصحابه، فهذا أحسن ما يُقال في معنىٰ السَّلف.

---

(١) "حاشية الفتوىٰ الحموية" (٢٠٣).

(٢) "شرح العقيدة الواسطية" (١/ ٦٤).

قال وفقه الله:

الانتساب إلى السَّلف:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَا عَيْبَ عَلَى مَنْ أَظْهَرَ مَذْهَبَ السَّلَفِ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ وَاعْتَزَى إِلَيْهِ بَلْ يَجِبُ قَبُولُ ذَلِكَ مِنْهُ بِالِاتِّفَاقِ، فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ لَا يَكُونُ إِلَّا حَقًّا**)[1].

الشرح:

شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينقل الاتفاق: علىٰ أنه لا عيب علىٰ من أظهر مذهب السَّلف وانتسبَّ إليه، وإذا انتسب الشخص إلىٰ مذهب السَّلف فإنه يقال في حقه: سلفي، فالانتساب إلىٰ مذهب السَّلف انتساب إلىٰ الحق، ويجب قبول ذلك بالاتفاق، فهذه نسبة شرعية باتفاق العلماء، وأما سائر الانتسابات التي تتضمن شيئًا من العقائد فإنها انتسابات مُحدثة كالانتساب إلىٰ الجهمية، أو المعتزلة، أو إلىٰ القدرية، أو إلىٰ الأشاعرة، أو الكُلابية، أو الماتُريدية، أو الكَّرامية، وهكذا هذه الانتسابات العصرية كالانتساب إلىٰ القطبية أو إلىٰ السرورية، أو التراثية، أو الانتساب إلىٰ الإخوان المسلمين، أو التبليغ أو غير ذلك من أنواع الانتسابات كلها من الانتسابات المُحدثة، فالانتساب الصحيح باتفاق العلماء: الانتساب إلىٰ السُّنة وإلىٰ مذهب السلف، هذه النسبة الصحيحة والشرعية.



وشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (**فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ لَا يَكُونُ إِلَّا حَقًّا**): فالحق لا يخرج عن مذهب السَّلف.

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (١/ ١٢٤).

قال وفقه الله:

الأُسس التي قامَّ عليها مذهب السلف:

الأول: العناية بالعقيدة.

الثاني: الحرصُ على اتباع السُنةِ علمًا وعملًا.

الثالث: التحذير من البدعِ.

الرابع: التمسكُ بما كان عليه الصحابةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ في جميعِ أبواب الدين.

الشرح:

الأول: العناية بالعقيدة.

فهذا أول ما يهتم به أئمة السَّلف: التوحيد والعقيدة، وهذا كما عرفنا هو أصل دعوة الرُسل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، فأساس منهج السلف: العناية بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا العناية بمسائل العقيدة.

الثاني: الحرصُ على اتباع السُنةِ علمًا وعملًا.

الثالث: التحذير من البدعِ.

الرابع: التمسكُ بما كان عليه الصحابةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ في جميعِ أبواب الدين.

ما ذكره المؤلف هاهنا هو مما يسير عليه السَّلف.




قال وفقه الله:

الحثُّ على ابتاعِ السَّلف:

١- قال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، ثنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، ثنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، ثنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، قَالَ: قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: **(اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ وَقُلْ بِمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ)**[(١)].

٢- وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوهَا بِالْقَوْلِ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي حِينَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ)**[(٢)].

٣- وقال عبد الله بن داود الخزيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاللَّهِ لَوْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَزِيدُوا فِي الْوُضُوءِ عَلَى غَسْلِ أَظْفَارِهِمْ، لَمَا زِدْنَا عَلَيْهِ)** قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ: يُرِيدُ أَنَّ الدِّينَ الِاتِّبَاعُ[(٣)].

٤- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الِاتِّبَاعُ أَنْ يَتَّبِعَ الرَّجُلُ، مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ هُوَ بَعْدُ فِي التَّابِعِينَ مُخَيَّرٌ)**[(٤)].

٥- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ الْبِدَعِ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ...)**[(٥)].



---

(١) "الحلية" برقم (٨١٣٧) بسند صحيح، و"شرح أصول اعتقاد أهل السُنة" رقم الأثر (٣١٥)، "الإبانة" برقم (١٢١٦) و "تلبيس إبليس" ص(١٠).

(٢) "ذم الكلام" للهروي رقم (٣١٧).

(٣) "الفقيه والمتفقه" (ص٣٠٠) برقم (٤٥٣).

(٤) "الفقيه والمتفقه" (ص٣٤١) برقم (٤٩١).

(٥) "المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد" (٢/ ٤٠٣).

٦- وقال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَجِبُ عَلَى كُلِّ نَاظِرٍ فِي الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ مُرَاعَاةُ مَا فَهِمَهُ الْأَوَّلُونَ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْعَمَلِ بِهِ؛ فَهُوَ أَحْرَى بِالصَّوَابِ، وَأَقْوَمُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ)(١).

٧- وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي هذه الأزمان التي بَعُدَ العهد فيها بعُلوم السلف يتعيَّن ضبطُ ما نُقِلَ عنهم مِنْ ذلك كلِّه، ليتميَّزَ به ما كان من العلم موجودًا في زمانهم، وما حدث من ذلك بعدَهم فيُعْلَم بذلك السُّنةُ من البدعة)(٢).

٨- قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا يجوز إحداثُ تَأويلٍ في آيةٍ أو سُنةٍ لم يَكن عَلى عَهدِ السَّلف ولا عَرفُوه وَلا بيَّنوهُ للأمةِ)(٣).

٩- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلَمْ يَبْقَ مَسْأَلَةٌ فِي الدِّينِ إلَّا وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا السَّلَفُ)(٤).

١٠- وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف:١١]: (وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَيَقُولُونَ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ: هُوَ بِدْعَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لسبقونا إليه؛ لأنهم لَمْ يَتْرُكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا)(٥).

١١- وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَلِ الرُّشْدُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِهِمْ وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ الَّتِي نَقَلُوهَا وَعَمِلُوا بِهَا)(٦).



---

(١) "الموافقات" (٣/ ٧٧).
(٢) "جامع العلوم والحكم" (ص١٣٢).
(٣) "الصارم المنكي" (ص٣١٨) ط. مؤسسة الريان.
(٤) "مجموع الفتاوى" (١٣/ ٢٧).
(٥) "تفسير ابن كثير" (١٣/ ١٢) ط. عالم الكتب.
(٦) "الاستذكار" (٩/ ٥١٠) ط. مؤسسة النداء.

١٢- وقال العلامة أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن اتباع السلف: **(الاقتداءُ بِهم والاتباعُ لطريقتهم هُو طريقُ النجاةِ حَسبما نبه عليه حديث الفرق في قوله: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»)**[١].

١٣- قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُبينًا فضل علمِ السَّلفِ على الخلف: **(فَلا يُوجدُ فِي كَلام مَن بَعدِهم مِنْ حَق إلا وَهُو فِي كلامِهم مَوجود بأوجَز لَفظ وَأخصرِ عبارة)**[٢].

١٤- وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَالسَّعِيدُ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَاجْتَنَبَ مَا أَحْدَثَهُ الْخَلَفُ)**[٣].

١٥- وقال الإمام محمد بن إبراهيم الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والواجبُ هو الاقتداءُ بالسَّلفِ في فهم نُصُوصِ الكتابِ والسُّنةِ، ويَسعُنا ما وسِعهُم؛ لقول النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»)**[٤].



١٦- وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالطريق الصحيحُ للإسلام هي طريقةُ السَّلفِ، الذين يعبدونَ اللهَ على بصيرةٍ، ليسَ فيها جدلُ المعتزلة، ولا غلو الشيعة والصوفية، بل كتابٌ وسُنة، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣])**[٥].

١٧- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّلف يَنبغي أن نفهمَ الكتابَ والسُّنةَ على فِهمِهم)**[٦].

---

(١) "الاعتصام" (٢/ ٤٣٤).

(٢) "فضل علم السلف على الخلف" (ص٤١) ط. دار عمار.

(٣) "الفتح" (١٣/ ٢٥٣) ط. دار السلام.

(٤) "إيثار الحق على الخلق" (١/ ١٨٣).

(٥) "تحفة المجيب" (ص٢١٧) ط. دار الآثار.

(٦) "غارة الأشرطة" (٢/ ١٠).

١٨- وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إذا قُلنا: نحن سَلفِيّون لا بُدَّ أن ندرُسَ سيرةَ السَّلفِ وأن نَقتدي بِسَلفِنا**)(١).

١٩- قال العلامة ابن عثيمين: (**فَلا واللهِ نَعلمُ طَريقًا خيرًا مِنْ طَريقِ السَّلف**)(٢).

الشرح:

١- قال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، ثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، ثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، ثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، قَالَ: قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: (**اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ وَقُلْ بِمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ**).

وهذا كلام حسن جميل من الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول: (**اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ**)، فإن من تمسك بالسُنة لا بد أن يؤذىٰ فصاحب السُنة غريب بين أهل البدع والأهواء، سوف يجد الأذىٰ فيحتاج إلىٰ الصبر، فطريق السُنة فيها ما فيها من الشدائد والمِحن والابتلاءات، وهكذا طريق الجنة فالجنة حُفت بالمكاره، والنار حُفت بالشهوات.

قوله: (**وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ**): وهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فلا تتجاوز ما كان عليه الصحابة، فإنك إن تجاوزت فإنما تتجاوز إلىٰ البدع والأهواء.

قوله: (**وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ**): وهذا هو طريق السلامة.

---

(١) "إجابة السائل" (ص٣٠١).

(٢) "فتاوىٰ العقيدة" (٥/ ٢٥٤).

٢- وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَلَيكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخرَفُوهَا بِالْقَوْلِ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي حِينَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ).

قوله: (عَلَيكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ): بآثار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قوله: (وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوهَا بِالْقَوْلِ): آراء الرجال مليئة بالخطأ والزلل، وإذا تمسك الإنسان بمذهب السَّلف فإنه علىٰ صراط مستقيم، لا يخاف علىٰ نفسه من الضلال، فإنه إن ترك آراء الرجال وتمسك بآثار ومذهب السلف وصدق في تمسكه فإنه علىٰ هداية وعلىٰ خير.



قوله: (فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي حِينَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ): فإذا ما انتقل إلىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وانكشفت الحقائق وتجلت الأمور فإنه يعلم أنه كان علىٰ هدىٰ وعلىٰ خير، وأن الله وفقه؛ للزوم الصراط المستقيم وهو التمسك بما كان عليه السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين وهم كانوا متمسكين بالكتاب والسنة، والعكس من ذلك من اتبع آراء الرجال فإنه علىٰ خطر عظيم.

٣- وقال عبد الله بن داود الخُزيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَاللَّهِ لَوْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَزِيدُوا فِي الْوُضُوءِ عَلَى غَسْلِ أَظْفَارِهِمْ، لَمَا زِدْنَا عَلَيْهِ) قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ: يُرِيدُ أَنَّ الدِّينَ الِاتِّبَاعُ.

قوله: (عبد الله بن داود الخُزيبي): بضم الخاء، ولُقِبَ بذلك؛ لنزوله مَحِلة في البصرة يُقال لها: الخُريبة فنُسبَّ إليها فقيل: الخُريبي، وكان من العلماء الزُهاد ومن أهل السُنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإن كان فيه التعسر في باب الرواية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو القائل: (**ما كذبتُ إلا مرة واحدة، قال لي أبي: هل قرأت علىٰ المُعلم، فقلت: نعم، ولم أكن قرأت عليه**)، هذا الذي حصل له في حياته كلها كذبه واحدة وكانت في حال سفره، فكانوا أهل صدق رحمهم الله.

قوله: (وَاللهِ لَوْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَزِيدُوا فِي الْوُضُوءِ عَلَىٰ غَسْلِ أَظْفَارِهِمْ، لَمَا زِدْنَا عَلَيْهِ): والأمر كذلك، فالواجب هو الاتباع وترك الإحداث والابتداع.

٤- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الِاتِّبَاعُ أَنْ يَتَّبِعَ الرَّجُلُ، مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ هُوَ بَعْدُ فِي التَّابِعِينَ مُخَيَّرٌ).

قال: الاتباع: أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، فإن هذه هي الهداية والخير: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء:١١٥]، وأصلُ المؤمنين هم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أجمعين: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾ [البقرة:١٣٧]، وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ»، فالتمسك بما جاء عن النبي ﷺ وعن الصحابة هذا لا بد منه، فلا يخرج الإنسان عن هدي رسول الله ﷺ وعن هدي الصحابة الكرام، وهدي الصحابة هو هدي رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالصحابة أعظم الناس تمسكًا بهدي رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لكن ما جاء عن التابعين فالأمر في ذلك واسع، فشأن التابعي ليس كشأن الصحابي؛ ولهذا يقول: (ثُمَّ هُوَ بَعْدُ فِي التَّابِعِينَ مُخَيَّرٌ)، الأمر واسع؛ لكن ما جاء عن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا بد للشخص أن يأخذ به، وما كان عليه الصحابة أيضًا لا بد للشخص أن يأخذ به، فلا يخرج الإنسان عن هدي الصحابة ولا يخرج عن هدي رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكن شيء جاء عن التابعين ولم يأتِ عن الصحابة فالأمر في ذلك في سعة، والأخذ بما قاله التابعي ليس من الأمور اللازمة، والتابعي يُحتج بقوله بعد أن ينظر في حجته فيما ذهب إليه فإن وافقه السُنة أُخِذَ وإن خالف رُدَّ، أما الصحابة فلهم شأن أعظم من هذا.

والصحابي إذا قال قولًا أو عَمِل عملًا ولا نعلم شيئًا في السُنة يُخالف ذلك أو يوافقه فإننا نأخذ به ما لم يُخالف من غيره، وأمَّا التابعي فليس له هذه الميزة؛ وذلك

أن الصحابة عاشروا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصحبوه، فما قالوه أو عملوه ولم يُخالفهم فيه أحد من الصحابة فهنالك احتمال كبير أن ذلك الصحابي أخذ هذا عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإن لم يُضفه إلىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والتابعي ليس فيه هذا الاحتمال.

٥- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ الْبِدَعِ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ..).

فهذه من جملة أصول السُّنة: التمسك بما كان عليه الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، والاقتداء بهم، ولا يعتبرُ الشخص سُنيًا ولا سلفيًا إلا إذا تمسك بهذا الأصل.

وهكذا من أصول السُّنة: ترك البدع، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

٦- وقال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَجِبُ عَلَى كُلِّ نَاظِرٍ فِي الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ مُرَاعَاةُ مَا فَهِمَهُ الْأَوَّلُونَ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْعَمَلِ بِهِ؛ فَهُوَ أَحْرَى بِالصَّوَابِ، وَأَقْوَمُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ).



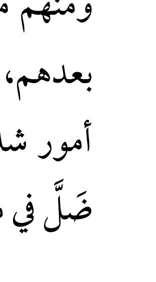
فهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المرء، فلا يتفرد بالفهم، ولا يتفرد بعمل، ولا بحكم من الأحكام، ولا بعقيدة من العقائد، عليه أن يسير بما سار عليه من مضىٰ من السَّلف من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، والانفراد بالفهم طريق من طُرق الضلال، والخوارج وقعوا فيما وقعوا فيه؛ لأنهم أرادوا أن يفهموا القرآن علىٰ عقولهم وانفردوا في فهم القرآن، ولم يأخذوا معناه من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، والصحابة هم أعلم بتنزيله وأعلم بتأويله، فكما أننا قبلنا منهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين التنزيل وصدقناهم فيما نقلوه إلينا من آيات وسورة القرآن الكريم، فهكذا نأخذ عنهم التأويل، ولا ننفرد بأنفسنا.

والخوارج كما هو معلوم جاءوا إلىٰ بعض الآيات وفهموها بعقولهم وما سألوا الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين عن معناها، وكان مؤدىٰ ذلك الفهم أن وقعوا في بدعة ظلماء، وسفكوا الدماء، وكفروا جماعة من الصحابة الفضلاء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.

وهكذا سائر أهل البدع والأهواء تأولوا القرآن علىٰ أفهامهم فضلوا ضلالًا بعيدًا، سواءً كانوا جهمية، أو معتزلة، أو أشاعرة أو غير هؤلاء.

٧- وقال ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ: (وفي هذه الأزمان التي بَعُدَ العهد فيها بعُلوم السلف يتعيَّن ضبطُ ما نُقِلَ عنهم مِنْ ذلك كلِّه، ليتميَّزَ به ما كان من العلم موجودًا في زمانهم، وما حدث من ذلك بعدَهم فيُعْلَم بذلك السُنةُ من البدعة).

الحافظ ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ قال هذا الكلام بعد ذكره لكراهة من كره من السلف كتابة معاني الحديث، ومعاني القرآن، وكتابة الرأي بما يُسمىٰ بكتب الفقه، فذكر عن جماعة من السلف أنهم كانوا يكرهونها، وهكذا نقل عن الإمام أحمد أنه كان يكره كتابة الرأي.



لكنَّه قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وفي هذه الأزمان التي بَعُدَ العهد فيها بعُلوم السلف يتعيَّن ضبطُ ما نُقِلَ عنهم مِنْ ذلك كلِّه**): وهذه المسألة وإن حصل فيها نزاع قليل، لكن ما ذكره ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ هو الصواب في ذلك، فإنَّ ضبط تلك الأمور هي المصلحة للناس.

ومعلوم أن النهي ذلك لم يتفق عليه السلف وإنما تنازعوا فمنهم من أجاز ذلك، ومنهم من كره، ومن أجاز ذلك قوله الصواب؛ لما في ذلك من المصلحة لمن جاء بعدهم، فإذا لم يكتب من مضىٰ من العلماء معاني القرآن لحصل من لمن جاء بعدهم أمور شديدة، فإذا كانت معاني القرآن دونها من دونها من السلف ومع هذا ضل من ضَلَّ في معاني القرآن من أهل البدع والأهواء!، فكيف إذا لم تُدون معاني القرآن؟.

وهكذا إذا لم تُدون معاني الحديث فَيعسُر علىٰ من جاء بعدهم أن يفهموا الأحاديث فهمًا صحيحًا، فربما كَثُرَ الاختلاف وكَثُرَ الخطأ والزلل في معنىٰ كلام رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهكذا فقه من مضىٰ من السلف أعظم من فقه من جاء بعدهم، فإذا لم يدون فقه من مضىٰ من السلف فسوف يحصل ما يحصل من الخطأ والزلل لمن جاء بعدهم، فتلك العلوم لمَّا دونت حصل الخير والبركة لمن جاء بعدهم، ففهم من سبق أعظم من أفهامنا، وعلم من سبق أعظم من علمنا فهم أدرىٰ الناس بمعاني القرآن، وأدرىٰ الناس بمعاني الحديث، وأفقه الناس في أحكام الشريعة، فمن جاء بعدهم فهم في حاجة ماسة إلىٰ تلك العلوم، فإذا لم تُدون تلك العلوم لحصل ما حصل من الخطأ والزلل الكبير.



والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع شدة كراهته لكتُب الرأي فقد نُقِلَ عنه ما لم يُنقل عن غيره، وجمع له أصحابه من الفتاوىٰ والمسائل الشيء الكثير، فجمعت المسائل المتعددة من فقه الإمام أحمد، ففي بعض المسائل مسألة واحدة يكون للإمام أحمد ستة أقوال؛ لكثرة من نقل عنه من المسائل، وجمع الخلَّال الشيء الكثير من مسائل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحصل بذلك ما حصل من الخير والنفع لمن جاء بعده، واستفاد من استفاد من أئمة الإسلام، وانتفع من انتفع من الفقهاء ممن جاء بعد أولئك الأئمة بفقه من مضىٰ من أئمة السلف.

فهذا شيء قدره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفيه المصلحة للناس، وإن كان قد حصل نزاع قديم فيه لكنَّه شيء قدره الله عَزَّوَجَلَّ وأمضاه في الناس، ونُقلت تلك العلوم إلىٰ من جاء بعهدهم فحصل ما حصل من الخير والنفع والبركة.

وابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (**وفي هذه الأزمان**): وهو يتحدث عن زمنه، (**التي بَعُدَ العهد فيها بعُلوم السلف يتعيَّن ضبطُ ما نُقِلَ عنهم مِنْ ذلك كلِّه، ليتميَّزَ به ما كان من**

العلم موجودًا في زمانهم، وما حدث من ذلك بعدَهم فيُعْلَم بذلك السُنةُ من البدعة)، فإن ما كان في زمن السلف هو الخير والسُنة والهداية، وما حدث بعد ذلك فهو كما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه من قبيل البدع والأهواء.

٨- قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا يجوز إحداثُ تَأويلٍ في آيةٍ أو سُنةٍ لم يَكن عَلى عَهدِ السَّلف ولا عَرفُوه وَلا بيَّنوهُ للأمةِ).

نعم، هذا لا يجوز؛ وبهذا يتبين ضلال من أرادوا أن يفسروا القرآن علىٰ حسب نظيرات الكفار أو ما يسمىٰ بالإعجاز العلمي، أو ما يسمونه بالسبق العلمي، فكل هذا من الضلال والانحراف في باب التفسير، فالقرآن لا يُفسر علىٰ النظريات الكافرة.

لو افترضنا: أن الكفار قرروا نظرية، وجاء من جاء ممن يدعي العلم وقال: هذه النظرية قد دلَّ عليها القرآن مُنذ كذا وكذا وأراد أن يُفسر الآية علىٰ تلك النظرية وليس علىٰ تفاسير السلف، وإنما أراد أن يحمل القرآن علىٰ تلك النظرية، فلو تراجع الكُفار وتبيَّن لهم أن تلك النظرية خاطئة، فمؤدىٰ هذا القول هو التشكيك في القرآن، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يقرر في القرآن ما هو خطأ فهذا مما لا يجوز، وإنما يُفسر القرآن بالقرآن، ويُفسر القرآن بالسُنة، ويُفسر القرآن بأقوال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين، وهكذا بأقوال التابعين الذين تلقوا التفسير عن الصحابة وبلغة العرب، ولا يُفسر القرآن بالنظريات.

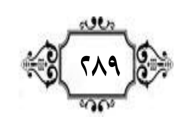
وما كان من تفسير السلف ووافق بعض النظريات هذا ليس فيه إشكال، لكن أن تُحمل الآيات علىٰ النظريات وعلىٰ خلاف ما فسره أئمة السلف هذا كلام فيه ما فيه من الباطل، كمن يأتي إلىٰ قوله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل:٨٨]، فقالوا: المراد بذلك أن الأرض تدور حول الشمس، وفسروا الآية علىٰ حسب نظريات الكُفار، وأن القرآن قد دلَّ علىٰ دوران الأرض، والآية ليست محمولة علىٰ هذا المعنىٰ، وإنما هي محمولة علىٰ يوم القيامة: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي




ﭐلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٧-٨٨]. فالله عَزَّوَجَلَّ ذكر هذه الآية في يوم القيامة حين يُنفخ في الصور كسائر الآيات الواردة في القرآن في تسيير الجبال: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف:٤٧]، ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ [التكوير:٣]، وآيات كثيرة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ يذكر فيها أحوال يوم القيامة وفيها تسيير الجبال، فالجبال يسيرها الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، والناظر إليها عن بُعد في وقت تسييرها يظن أنها جامدة وثابتة، وهذا شبيه بمن يُشاهد الجيش الكثير من مكان بعيد مرتفع أو الحُجاج وهم متجهون من عرفة إلىٰ المزدلفة فيُشاهد الحُجاج واقفين وكأنهم لا يتحركون وهم يتحركون، لكن مع كثرتهم وبُعد من ينظر إليهم يُشاهدهم كأنهم ليس فيهم حركة، وهكذا من نظر إلىٰ الأنهار الكبيرة المتحركة من مكان بعيد يرىٰ أنها كالبحر المستقر، فهكذا شأن الجبال يسيرها الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ومن شاهدها من بعيد يظن أنها مستقرة.



علىٰ كلٍ: الآية واردة في يوم القيامة وليست واردة في الدنيا، وأصحاب الإعجاز العلمي أرادوا أن يفسروا القرآن علىٰ هذه النظرية الكافرة، وليس هذا بتفسير للسلف مع أن القول بأن الأرض متحركة تدور حول الشمس والشمس ثابتة كما هو معلوم قولٌ في غاية البطلان، فأدلة الكتاب والسُنة والإجماع تدل علىٰ أن الشمس هي التي تتحرك: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة:٢٥٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨]، ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس:٤٠]، فالحركة للشمس والقمر وليست للأرض، فالأرض راسية: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾ [النازعات:٣٢]، أي: ثبتها رَبُّ العالمين سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالجبال، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر:٤١]، أي: عن أمكانهما، والأدلة في ذلك



مُتكاثرة، وهكذا النظر يدل علىٰ هذا، فالنظر يدل علىٰ أن الأرض مستقرة، والشمس هي التي تتحرك، فأدلة الكتاب والسُنة والإجماع تدل علىٰ سكون الأرض وحركة الشمس، وهؤلاء أرادوا أن يفسروا القرآن علىٰ ما هو مخالف للنظر ولأدلة الكتاب والسُنة والإجماع؛ من أجل النظرية الكافرة، فهذا مما لا يجوز، فهذا فيه ما فيه من الخطر العظيم.

٩- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلَمْ يَبْقَ مَسْأَلَةٌ فِي الدِّينِ إِلَّا وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا السَّلَفُ).

فكل ما يحتاجه المُسلم مما يتعلق بأمر دينه موجود في كلام من مضىٰ من أئمة السلف من الصحابة، ومن التابعين، ومن جاء بعدهم، فلم يبقَ مسألة في الدين إلا وقد تكلم عنها السلف، فما علىٰ المرء إلا أن ينظر في علوم من مضىٰ، ويقرأ في كُتب الآثار التي جمع مؤلفوها الآثار عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين وعن التابعين، كمصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، وهكذا السُنن الكُبرىٰ للبيهقي، وكتاب الأوسط لابن المُنذر وغير ذلك من الكتب التي اعتنت بجمع الآثار، وهكذا في مُصنفات الأئمة أصحاب المذاهب موجود فيها العلم الكثير.



١٠- وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١]: (وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَيَقُولُونَ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ: هُوَ بِدْعَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لسبقونا إليه؛ لأنهم لَمْ يَتْرُكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا).

وهذا فيما يتعلق بأمور العبادات، فالشيء الذي ليس عليه دليل من كتاب الله ولا من سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولم يؤثر عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين فهو بدعة من

البدع، ولو كان من العبادات والسُّنن لجاءت به الأدلة أو الآثار عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين.

١١- وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ: (بَلِ الرُّشْدُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِهِمْ وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ الَّتِي نَقَلُوهَا وَعَمِلُوا بِهَا).

هذا هو الرُشد وما سوىٰ ذلك فهو الغي والضلال، البدع والأهواء.

١٢- وقال العلامة أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُٱللَّهُ وهو يتكلم عن اتباع السلف: (الاقتداءُ بِهم والاتباعُ لطريقتهم هُو طريقُ النجاةِ حَسبما نبه عليه حديث الفرق في قوله: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»).

وهذا الحديث لا يثبت من حيث الإسناد عن رسول الله عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ لكن من حيث المعنىٰ معناه صحيح، والأدلة تدل علىٰ معناه: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ [البقرة:١٣٧]، يدخل في ذلك النبي ﷺ والصحابة، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء:١١٥]، بمعنىٰ: ما أنا عليه وأصحابي، فأصل سبيل المؤمنين هو سبيل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين.



١٣- قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ مُبينًا فضل علمِ السَّلفِ على الخلف: (فَلا يُوجدُ في كَلام مَن بَعدِهم مِنْ حَق إلا وَهُو فِي كلامِهم مَوجود بأوجَز لَفظ وَأخصرِ عبارة).

فكلام السَّلف رحمة الله عليهم كان قليلًا لكنه كثير البركة، بعكس كلام من جاء بعدهم، وهكذا كلام رسول الله عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كلام وجيز، فقد أُوتيَّ النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ جوامع الكلم فكان يتكلم بالحديث الواحد وربما يُشرح في كتاب، ومنهم من يستخرج منه مائة فائدة، ومنهم من يستخرج أكثر من ذلك، وتؤلف

المؤلفات في حديث واحد من أحاديث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فكلام النبي ﷺ من هذا القبيل، أوتيَّ جوامع الكلم وفيه ما فيه من العلم الغزير.

وهكذا كلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين كما ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه كموجز مختصر وفيه ما فيه من العلم الكثير، فالعلم ليس بكثرة الكلام ولا تنويع العبارات، العلم موافقة الحق، فمن قال قولًا وافق فيه الحق فهو صاحب العلم.

١٤- وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَالسَّعِيدُ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَاجْتَنَبَ مَا أَحْدَثَهُ الْخَلَفُ).

١٥- وقال الإمام محمد بن إبراهيم الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: (والواجبُ هو الاقتداءُ بالسَّلفِ في فهم نُصُوصِ الكتابِ والسُّنةِ، ويَسعُنا ما وسِعهُم؛ لقول النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»).



قوله: (**والواجبُ هو الاقتداءُ بالسَّلفِ**): أي: في فهم نصوص الكتاب والسُنة على ما سبق إيضاحه، والواجب على الإنسان أن لا ينفرد بفهمه فيفهم نصوص الكتاب والسُنة فهمًا يُخالف فهم من مضى من السلف، فالسلف هم أدرى بمعاني كتاب الله ومعاني سُنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وكما قُلنا: لمَّا انفرد الخوارج بأفهامهم ضلوا.

١٦- وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالطريق الصحيحُ للإسلام هي طريقةُ السَّلفِ، الذين يعبدونَ اللهَ على بصيرةٍ، ليسَ فيها جدلُ المعتزلة، ولا غلو الشيعة والصوفية، بل كتابٌ وسُنة، قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

١٧- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّلف يَنبغي أن نفهمَ الكتابَ والسُّنةَ على فِهمِهم).

نعم، وهذا مما يجب، فإننا إذا لم نفهم الكتاب والسُنة علىٰ فهم السلف حرفنا معاني الكتاب والسُنة.



١٨- وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا قُلنا: نحن سَلفِيّون لا بُدَّ أن ندرُسَ سيرةَ السَّلفِ وأن نَقتدي بِسَلفِنا).

نعم، ليس مُجرد انتساب، لا بد من صدق في الانتساب، وليس الانتساب إلىٰ السلفية كالانتساب إلىٰ القبائل والعشائر، أو الانتساب إلىٰ الآباء والأجداد، الانتساب إلىٰ السلفية لا بد فيه من الصدق، بأن يكون الشخص صادقًا في انتسابه إلىٰ السلفية، فلا بد أن يقتدي بسلفه، وهم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وأن يتعلم علم السلف حتىٰ يعبد ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ بصيره.

١٩- قال العلامة ابن عثيمين: (فَلا واللهِ نَعلمُ طَريقًا خيرًا مِنْ طَريقِ السَّلف).

وهو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.




قال وفقه الله:

عناية السلف بتطبيق السُّنة:

١- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ أَهْلُ مَكَّةَ: يَقُولُونَ أَخَذَ ابْنُ جُرَيْجٍ، الصَّلاةَ مِنْ عَطَاءٍ، وَأَخَذَهَا عَطَاءٌ مِنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَخَذَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَأَخَذَهَا أَبُو بَكْرٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَلاةً مِنَ ابْنِ جُرَيْجٍ**»[١].

٢- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا المَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: كُنْتُ آتِي مَعَ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ فَيُصَلِّي عِنْدَ الأُسْطُوَانَةِ الَّتِي عِنْدَ المُصْحَفِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ، أَرَاكَ تَتَحَرَّى الصَّلاةَ عِنْدَ هَذِهِ الأُسْطُوَانَةِ، قَالَ: «**فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى الصَّلاةَ عِنْدَهَا**»[٢].

٣- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ**» قَالَ أَنَسٌ: وَأَنَا أُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ[٣].

٤- قال الخلَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا المَرُّوذِيُّ قَالَ: قَالَ لِي أَحْمَدُ مَا كَتَبْت حَدِيثًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ حَتَّى مَرَّ بِي فِي الْحَدِيثِ: (**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ احْتَجَمَ وَأَعْطَى أَبَا طَيْبَةَ دِينَارًا**)، فَأَعْطَيْت الْحَجَّامَ دِينَارًا حِينَ احْتَجَمْتُ[٤].

٥- قال أبو بكر الجارودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لِرجُل: (**شَعَارُنَا أَنْ نَرفَعَ أيدِينَا فِي الصَّلاةِ، فإن رَفَعت يَديكَ وَإلا فَلا تُصَحِبنَا**)[٥].



الشرح:

(١) "مُسند أحمد" رقم (٧٣) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) "صحيح البخاري" (٥٠٢).

(٣) "المُسند" برقم (١١٩٨٤).

(٤) "الآداب الشرعية" (٢/ ١٤) ط. مؤسسة الرسالة.

(٥) "الأنساب" للسمعاني (٨/ ٢) ط. دار الفكر.



قوله: (عناية السَّلف بتطبيق السُنة).

فالسلف رحمة الله عليهم جمعوا بين العلم والعمل، وعظموا السُنة تعظيمًا بالغًا.

١- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ أَهْلُ مَكَّةَ: يَقُولُونَ أَخَذَ ابْنُ جُرَيْجٍ، الصَّلاةَ مِنْ عَطَاءٍ، وَأَخَذَهَا عَطَاءٌ مِنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَخَذَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَأَخَذَهَا أَبُو بَكْرٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَلاةً مِنَ ابْنِ جُرَيْجٍ**».

لأن صلاته في الحقيقة مأخوذة من صلاة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تلقىٰ صلاته عن عطاء، وعطاء عن ابن الزبير، والزُبير عن أبي بكر، وأبي بكر عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وليس كحال كثير من عوام الناس أخذوا الصلاة عن آبائهم وأجدادهم جاهل عن جاهل، وحصل في الصلاة ما حصل من البدع والأمور المُحدثة؛ بسبب أنهم تلقوا الصلاة من جاهل عن جاهل، والواحد منهم ليس مُستعداً أن يتعلم بين يدي العلماء وطُلاب العلم!، ويأنف أن يتعلم الصلاة وكأنه لا يتعلم الصلاة إلا من كان صغيرًا أول ما يُميِّز، فإذا كَبُرَ سِنُّهُ فيرىٰ أن هذا من العيب في حقه: أن يجلس وأن يتعلم الصلاة ويتعلم أمور الطهارة، كل هذا من الشيطان، العيب: أن يبقىٰ الشخص جاهلًا، أما أن يتعلم أمر دينه فهذه رِفعة له وعزة وكرامة في الدنيا والآخرة.



٢- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنا المَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: كُنْتُ آتِي مَعَ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ فَيُصَلِّي عِنْدَ الأُسْطُوَانَةِ الَّتِي عِنْدَ المُصْحَفِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ، أَرَاكَ تَتَحَرَّى الصَّلاةَ عِنْدَ هَذِهِ الأُسْطُوَانَةِ، قَالَ: «**فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى الصَّلاَةَ عِنْدَهَا**».

عزاه البخاري وهو ثابت في الصحيحين.

قوله: (**الْأُسْطُوَانَةِ الَّتِي عِنْدَ الْمُصْحَفِ**): وهي الأسطوانة التي يقال فيها: اسطوانة المهاجرين، ويُقال لها أيضًا: الأسطوانة المُخلقة، ويقال لها: أسطوانة عائشة، وهي مشهورة: بأسطوانة المهاجرين، وهي في الروضة، وقد سبقَّ الكلام عليها في بعض الدروس الماضية.

وهكذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين يتمسكون بالسُنن المستحبة أعظم من تمسكنا بالواجبات، فلا يُمكن أن يترك السُنة وإن كانت من قبيل المُستحب، ونحن لا نكاد نتمسك بالواجبات إلا من رَحمَّ الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يكن من شأنهم السؤال في أمر رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هل هو من قبيل الأمر الواجب أو المستحب، فما أمر به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ابتدروا لفعله سواءً كان من المستحبات أو الواجبات، فالأمر عندهم سواء، فيتمسكون بالمستحب كما نتمسك بالواجب وأشد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٣- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ**» قَالَ أَنَسٌ: وَأَنَا أُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ.

أي: يقتدي برسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والأمثلة في ذلك من آثار الصحابة في هذا الباب كثيرة جدًا وهي مما تدل علىٰ ما في قلوبهم من تعظيم سُنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

٤- قال الخلّال رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا الْمَرُّوذِيُّ قَالَ: قَالَ لِي أَحْمَدُ مَا كَتَبْت حَدِيثًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ إلَّا وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ حَتَّى مَرَّ بِي فِي الْحَدِيثِ: (**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ احْتَجَمَ وَأَعْطَى أَبَا طَيْبَةَ دِينَارًا**)، فَأَعْطَيْت الْحَجَّامَ دِينَارًا حِينَ احْتَجَمْتُ.

الدينار شيء كبير ونفيس ومع هذا حرص الإمام أحمد علىٰ فعله فأعطى الحجام دينارًا والدينار من الذهب، والحجام أجرته يسيره، ربما تكون أجرته عبارة عن درهم

من الفضة أو أقل، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من جوده وكرمه أعطىٰ الحجام دينارًا، أربعة جرامات من الذهب مع رُبع جرام، ففي هذه الأيام يبلغ سعره نحو مائة وخمسين ألف ريال، فأعطىٰ الحجام مثل هذا المقدار، والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكن من أثرياء الناس لكن أراد أن يقتدي بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتىٰ في هذا الأمر؛ وهذا يدل علىٰ شدة تمسكه بسُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٥- قال أبو بكر الجارودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لِرجُل: (شَعَارُنَا أَن نَرفَع أَيدِينَا فِي الصَّلاةِ، فَإِن رَفَعتَ يَدِيكَ وَإِلا فَلا تُصَحِبنَا).



رفع اليدين في الصلاة من السُنن وليست من الواجبات، لكن هكذا كانوا يتمسكون بالسُنن هذا التمسك الشديد، والأمثلة في ذلك كثيرة جدًا.

قال وفقه الله:

حثُّ السَّلف على لزوم الجماعة:

١- قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره" عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَاسِطِيُّ، ثنا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ (قُطْبَةَ) قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُمَا حَبْلُ اللَّهِ الذي أَمَرَ بِهِ**)[١].

٢- قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا**)[٢].

(١) "تفسير ابن أبي حاتم" رقم الأثر (٣٩١٦) ط. مكتبة نزار مصطفىٰ الباز.

(٢) "شرح العقيدة الطحاوي" لابن أبي العز (ص٩١) ط. دار الراية، وأثر ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد أخرجه أيضًا الخطيب في "الفقيه والمتفقه" برقم (١١٧٦) بسند صحيح.

الشرح:

١- قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره" عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَاسِطِيُّ، ثنا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ قُطْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُمَا حَبْلُ اللَّهِ الذي أَمَرَ بِهِ**).

الجماعة كما هو معلوم ليس المُراد بها الاجتماع علىٰ أي وجه كان، فالاجتماع قد يكون علىٰ حق وقد يكون علىٰ باطل: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ٤٤ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ [القمر:٤٤-٤٥]، فالناس قد يجتمعون علىٰ الحق وقد يجتمعون علىٰ الباطل.

فالجماعة كما قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (**ما وافق الحق وإن كُنتَ وحدك**)، سيأتي هذا الأثر عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.



٢- قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا).

الفُرْقَة هي الزيغ والعذاب، فهي زيغ وانحراف عن الحق؛ لأن الفُرقة: مُفارقة الحق، وهي عذاب من الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [الأنعام:٦٥]، فإذا ما حصلت الفُرْقة حصل العذاب، فهذا من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ: أنه يُلبس الناس شيعًا ويُذيق بعضهم بأس بعض، فإن الناس إذا ما تفرقوا تنازعوا، وتهاجروا، وتباغضوا، وتحاسدوا، وكاد بعضهم علىٰ بعض، وعادىٰ بعضهم بعضًا، وكم تحصل من الشدائد والمِحن بسبب الفُرْقة فهي عذاب من الله عَزَّوَجَلَّ.

قال وفقه الله:

المتمسك بالحقّ هو الجماعة:

١- قال الإمام أبو شامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَحَيْثُ جَاءَ الْأَمر بِلُزُوم الْجَمَاعَة، فَالْمُرَاد بِهِ لُزُوم الْحق واتباعه، وإن كَانَ المتمسك بِالْحَقِّ قَلِيلًا والمخالف كَثِيرًا؛ لِأَن الْحق الَّذِي كَانَت عَلَيْهِ الْجَمَاعَة الأولى من عهدِ رسول الله ﷺ وَأَصْحَابه رضى الله عَنْهُم، وَلَا نَظَرَ إِلَى كَثْرَة أهل الْبَاطِل بعدهمْ**).

ثم نقل عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (**الْجَمَاعَة مَا وَافق الْحقَّ وَأَن كُنت وَحدَّك**)[1].

قال أبو إبراهيم: (**ولا عِبرةَ بكثرةِ القائلينَ أو قِلتِهم، وَإنما العِبرةُ بموافقةِ الحقَّ والسُّنةِ، وَهَذا ما قَرَّرهُ السَّلفُ**).

٢- قال العلامة ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إن حَدَّ الشذُوذِ هُوَ مُخَالفةُ الحقَّ فَكُلُّ مَنْ خَالفَ الصَوابَ فِي مَسألةٍ مَا فَهو فِيها شَاذٌ، وَسَواءٌ كَانوا أَهَلَ الأرضِ كَلَّهَمْ بَأسرِهِم أو بَعضِهِم، وَالجماعةُ والجملةُ هُم أهلُ الحقَّ ولو لم يكنْ فِي الأرضِ مِنْهُم إلا واحدٌ فهو الجماعةُ وهو الجملةُ**)[2].



٣- وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَلِ الحقَّ حَقٌّ وَإن لَمْ يَقلِ بِه أحدٌ، وَالباطل بَاطلٌ وَلوِ اتفقَ عَليهِ جَميعُ أَهْلِ الأرضِ**)[3].

---

(١) "الباعث في إنكار البدع والحوادث" (ص٩١) ط. دار الراية، وأثر ابن مسعود قد أخرجه أيضًا الخطيب في "الفقيه والمتفقه" برقم (١١٧٦) بسند صحيح.

(٢) "الإحكام في أصول الأحكام" (ص٦٩٩) ط. دار الحديث –مصر–.

(٣) "المصدر السابق" (ص٢١٣).

٤- وقال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وسيأتي بيان مَعْنَى الْجَمَاعَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي حَدِيثِ الفِرَق، وأنها الْمُتَّبِعَةُ للسُّنَّة وإِن كَانَتْ رَجُلًا وَاحِدًا فِي الْعَالَمِ)[1].

٥- وقال ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَا النَّاسُ إلا أهلُ الْحَقِّ وَإِن كَانُوا أقلَّهم عَدَدًا)[2].

٦- وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا حجَّة فِي أحد خَالف السُّنة الثَّابِتَة عَن رَسُول الله ﷺ كَائِنًا من كَانَ قَلَّ عَددُهمْ أَو كَثُرَ)[3].

الشرح:

قوله: (المتمسك بالحقِّ هو الجماعة).

بيَّن هنا المُراد بالجماعة، فصاحب الحق هو صاحب الجماعة، وكما عرفنا ليس المُراد بالجماعة مُجرد الاجتماع علىٰ أيِّ أمرٍ كان، وإنما المُراد بذلك: مُلازمة الحقّ، وأن يكون الشخص علىٰ هدي الجماعة الأولىٰ وهي جماعة رسولِ الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومن معه من الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فيكون علىٰ هدي الجماعة الأولىٰ، ولو كان واحداً في زمن من الأزمان فهو صاحبَ الحق وهو الجماعة؛ لأنه علىٰ الحق وهو في الحقيقة مُنظم للجماعة الأولىٰ جماعة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لكن إن نظر الإنسان إليه مُفرداً قال: هذا مُنفرد وكيف يُقال في حقه جماعة وهو مُنفرد؟ لكنَّه في الحق لم ينفرد بما جاء به، فإنه مع الجماعة الأولىٰ وهو وفرد من أفراد الجماعة الأولىٰ، وفي ظِل الجماعة الأولىٰ فلم يُخالف الحق بل سار معه، فالذي يُخالف الحق هو صاحبُ الفُرْقة، والذي يُلازم

(١) "الاعتصام" (١/ ٢٥٦).
(٢) "مفتاح دار السعادة" (١/ ٤٦٠).
(٣) "أدب الطلب" (ص٢٥٦) ط. دار ابن حزم.

الحق فهو مُلازم لجماعة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وجماعة الصحابة الكِرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

١ - قال الإمام أبو شامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَحَيْثُ جاءَ الْأَمر بِلُزُوم الْجَمَاعَة، فَالْمُرَاد بِهِ لُزُوم الْحق واتباعة، وإن كَانَ المتمسك بِالْحَقِّ قَلِيلًا والمخالف كَثِيرًا؛ لِأَن الْحق الَّذِي كَانَت عَلَيْهِ الْجَمَاعَة الأولى من عهدِ رسول الله ﷺ وَأَصْحَابه رضى الله عَنْهُم، وَلَا نَظَرَ إِلى كَثْرَة أهل الْبَاطِل بعدهمْ).

ثم نقل عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (الْجَمَاعَة مَا وَافق الْحَقَّ وَأَن كُنتَ وَحدَّك).

قال أبو إبراهيم: (ولا عِبرةَ بكثرةِ القائلينَ أو قِلتِهِم، وَإِنما العِبرةُ بموافقةِ الحَقَّ والسُّنةِ، وَهَذا ما قَرَّرهُ السَّلفُ).



قوله: (**وإن كَانَ المتمسك بِالْحَقِّ قَلِيلًا والمخالف كَثِيرًا**): لأن هناك من الناس من لا يفهم من قضية الجماعة إلا أن يكون الإنسان مع الأكثرية، فإذا قيل له: الزم الجماعة يظن أنه يُقال له: الزم أكثر الناس وكن مع أكثرهم، وهذا خطأ عظيم فليس هذا هو المُراد بالجماعة، فالجماعة: ما وافق الحق، أي: الزم الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولىٰ.

قوله: (**لِأَن الْحق الَّذِي كَانَت عَلَيْهِ الْجَمَاعَة الأولىٰ من عهدِ رسول الله ﷺ وَأَصْحَابه رضىٰ الله عَنْهُم**): إذًا هذا هو المُراد بلزوم الجماعة: لزوم الجماعة الأولىٰ، وكيف يعلم الشخص أنه قد لازم الجماعة الأولىٰ؟ يعلم ذلك بملازمته للحق واتباعه له، فإذا اتبع الحق فهو قد لَزِمَ الجماعة الأولىٰ.

قوله: (**الْجَمَاعَة مَا وَافق الْحَقَّ وَأَن كُنتَ وَحدَّك**): إذًا هذا هو المُراد بالجماعة في كلام السلف، وهذا هو المُراد بالسواد الأعظم في كلامهم أيضـًا، فإذا قالوا: السواد

الأعظم فإنهم يُريدون بذلك: مُلازمة الحق، ولا يُريدون بذلك أن يبقىٰ الإنسان مع أكثر الناس، فالجماعة هم السواد الأعظم، وهم أهل الحق.

ومن خالف الحق فهو داخلٌ في مُسمىٰ الشذوذ وداخلٌ في مُسمىٰ الفُرْقة وإن كان مع أكثر الناس، فالعبرة بموافقة الحق.

قوله: (**قال أبو إبراهيم**): وهو المؤلف.

٢- قال العلامة ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن حَدَّ الشذُوذِ هُوَ مُخَالفةُ الحَقَّ فكُلُّ مَنْ خَالفَ الصَوابَ في مَسألةٍ مَا فَهو فِيها شَاذٌّ، وَسَواءٌ كَانوا أَهَلَ الأرضِ كَلَّهَمْ بَأسرِهِم أو بَعضِهِم، وَالجماعةُ والجملةُ هُم أهلُ الحقَّ ولو لم يكنْ فِي الأرضِ مِنْهُم إلا واحدٌ فهو الجماعةُ وهو الجملةُ).

٣- وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَلِ الحَقَّ حَقٌّ وَإن لَمْ يَقْلِ بِهِ أحدٌ، وَالباطل بَاطلٌ وَلوِ اتفقَ عَليهِ جَميعُ أهْلِ الأرضِ).

قوله: (**بَلِ الحقَّ حَقٌّ وَإن لَمْ يَقْلِ بِهِ أحدٌ**): هذا من باب المُبالغة في الكلام وإلا هذا لا يكون، فالحق لا بد من قائل به إلىٰ أن يقبض الله عَزَّوَجَلَّ أرواح المؤمنين، قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ**».



قوله: (**وَالباطل بَاطلٌ وَلوِ اتفقَ عَليهِ جَميعُ أهْلِ الأرضِ**): وهذه الأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة كما هو معلوم، لكن من هذا من باب المُبالغة في الكلام.

٤- وقال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وسيأْتي بيان مَعْنَى الْجَمَاعَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي حَدِيثِ الفِرَق، وأَنها الْمُتَّبِعَةُ للسُّنَّة وإِن كَانَتْ رَجُلًا وَاحِدًا فِي الْعَالَمِ).

٥- وقال ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَا النَّاسُ إلا أهلُ الْحَقِّ وَإِن كَانُوا أقلُهم عَدَدًا).

٦- وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا حجَّة فِي أحد خَالف السُّنة الثَّابِتَة عَن رَسُول الله ﷺ كَائِنًا من كَانَ قَلَّ عَددُهمْ أَو كَثُرْ).

فهذا هو المُراد بالجماعة: موافقة الحق، فلا بد من معرفة هذا الأمر، فإن الأدلة الواردة في لزوم الجماعة أدلة كثيرة، وهكذا الآثار عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين وعن التابعين ومن جاء بعهدهم يذكرون هذه الجملة ويحثون علىٰ لزوم الجماعة، والشخص يسمع كلمة جماعة ويظن أنه لا بد أن يكون مع الأكثرية، ولا يُخالف الأكثرية؛ وهذا ليس صحيحًا، الجماعة: ما وافق الحق ولو كُنت وحدك، الجماعة: هي جماعة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومن معه من الصحابة الكِرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، أي: كُن معهم، (الزم الجماعة) أي: الزم الجماعة الأولىٰ، (كُن مع الجماعة) أي: كُن مع الجماعة الأولىٰ، وكيف تكون مع الجماعة الأولىٰ؟ بملازمة الحق، فإن لازمت الحق فأنت مع الجماعة وأنت من الجماعة، وإن خالفت الحق فأنت الشاذ وأنت المُفرق لدينك.



قال وفقه الله:

الحثّ على لزوم الجادة:

قال تعالى: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍۢ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢].

١- قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: ﴿بِقُوَّةٍۢ﴾ أَيْ: بِجِدٍّ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ، ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أَيِ: الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالْجِدَّ وَالْعَزْمَ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْخَيْرِ، وَالْإِكْبَابَ عَلَيْهِ، وَالِاجْتِهَادَ فِيهِ وَهُوَ صَغِيرٌ حَدَثٌ[1].

٢- عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (**لَا يَكُونَنَّ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً، قَالُوا: وَمَا الْإِمَّعَةُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: يَقُولُ: أَنَا مَعَ النَّاسِ**)، إنه لا أسوة في الشرِّ[2].

٣- قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّلَوُّنَ فِي الدِّينِ**)[3].

٤- وعن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (**كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِذَا جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ قَالَ: أَمَا إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَدِينِي، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٍّ، اذْهَبْ إِلَى شَاكٍّ مِثْلِكَ فَخَاصِمْهُ**)[4].

٥- قال الإمام أبو عبد الله ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا لَزِمَ الْحَذَرَ وَاقْتَفَى الْأَثَرَ، وَلَزِمَ الْجَادَّةَ الْوَاضِحَةَ، وَعَدَلَ عَنِ الْبِدْعَةِ الْفَاضِحَةِ**)[5].

٦- وقال أيضًا: (**فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا آثَرَ السَّلَامَةَ، وَلَزِمَ الِاسْتِقَامَةَ، وَسَلَكَ الْجَادَّةَ الْوَاضِحَةَ**)[6].

---

(١) "تفسير ابن كثير" (٩/ ٢٢١) ط. عالم الكتب.

(٢) "الإبانة" لابن بطة برقم (٢٩) و"الحلية" برقم (٤٤٢) و"جامع بيان العلم" لابن عبد البر برقم (١٤٥) والبيهقي في "المدخل" (٣٨٧) وابن حزم في "الإحكام".

(٣) "جامع بيان العلم وفضله" برقم (١٧٧١) و"الإبانة" برقم (٥٧٤).

(٤) "الحلية" برقم (٨٩٠٢).

(٥) "الإبانة" برقم (١/ ٣٦٥).

(٦) "المصدر السابق" (٢/ ٦٠٠).

٧- وقال أبو عبد الله القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَمَنْ سَلَكَ الْجَادَّةَ نَجَا، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تلك الطرق أفضت به إلى النار. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣][1].

٨- وقال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِيَّاكُمْ وَالتَّسَاهُلَ؛ فَإِنَّهُ مَظَنَّةُ الْخُرُوجِ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَى الْبَنِيَّاتِ)[2].

٩- وقال أيضًا: (وَلَقَدْ زَلَّ - بِسَبَبِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الدَّلِيلِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَى الرِّجَالِ - أَقْوَامٌ خَرَجُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ عَنْ جَادَّةِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)[3].

الشرح:

قوله: (الحثُّ على لزوم الجادة).

والجادة: هي طريق الحقّ، و(لزوم الجادة) أي: لزوم الطريق المستقيم الموصل إلىٰ جنات النعيم.

قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم:١٢].



الشاهد: أن الله عَزَّوَجَلَّ قال له: ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ ، فالإنسان يأخذ الحق بقوة؛ لشدة المُنازع، فإن من تمسك بالحق وجد من يُنازعه ويجاذبه الحق الذي معه علىٰ مرِّ الأزمان، فلا بد من مُنازع فيحتاج الإنسان أن يتمسك بالحق بقوة، والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ

(١) "تفسير القرطبي" (٤/ ١٣٤).
(٢) "الاعتصام" (١/ ٢٥٧).
(٣) "المصدر السابق" (٢/ ٤٤٧).

الْأُمُورِ»، فأمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالتمسك بسُنته وسُنة الخلفاء الراشدين فهذا يدل علىٰ حصول مُنازع، فيتمسك الإنسان بها بشدة؛ بل ولا يكتفي بالتمسك بها وبأن يمسك السُنة بيديه بل يعض عليها بالنواجذ وهي أَقْصَىٰ الْأَضْرَاسِ، وبيان ذلك أنَّ مقدم الْفَم الثنايا وهي أربع من أعلىٰ وأسفل ثمَّ يَليهَا الرباعيات وهي أربع كذلك ثمَّ يَليهَا الأنياب وهي أربع كذلك ثمَّ يَليهَا الضواحك وهي أربع كذلك ثمَّ يَليهَا الأرحاء والطواحن وهي اثناعشر ثمَّ النواجذ وهي أربع كذلك، والناجذ سن الحلم الذي ينبت بعد البلوغ واكتمال العقل؛ وهذا يدل علىٰ شدة التمسك بسُنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وسُنة الخلفاء الراشدين؛ ويدل علىٰ شدة المُجاذبة فهناك من يُحاول أن يجذبك من الحق إلىٰ الباطل من أهل الشهوات ومن أهل الشبهات: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧]، فأصحاب الشهوات يجذبون الشخص إلىٰ الشهوات، وأصحاب الأهواء أيضًا يجذبون صاحب الحق إلىٰ أهوائهم، فما دام الإنسان حيًا ويتمسك بالحق فسيجد من يحاول أن يجذبه فإن كان من أصحاب الشهوات حاول أن يجذبه إلىٰ الشهوات، وإن كان من أصحاب الشبهات والأهواء حاول أن يجذبه إلىٰ الأهواء، فيحتاج الشخص أن يكون عنده قوة تمسك بكتاب الله وسُنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

١- قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: ﴿بِقُوَّةٖ﴾ أَيْ: بِجِدٍّ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ أَي: الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالْجِدَّ وَالْعَزْمَ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْخَيْرِ، وَالْإِكْبَابَ عَلَيْهِ، وَالِاجْتِهَادَ فِيهِ وَهُوَ صَغِيرٌ حَدَثٌ.

وهذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، ومن كرمه وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٢- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لَا يَكُونَنَّ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً، قَالُوا: وَمَا الْإِمَّعَةُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: يَقُولُ: أَنَا مَعَ النَّاسِ)، إنه لا أسوة في الشرِّ.

قوله: (**أَنَا مَعَ النَّاسِ**): هذا هو معنىٰ الإمعة، إن ضلَّ الناس ضلَّ، وإن اهتدىٰ الناس اهتدىٰ.

وفي رواية ثابتة من أثر عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (**كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا وَلَا تَكُن إِمَعة**)، فحثَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ خصلتين عظيمتين: إما أن يكون الشخص عالمًا، فإن لم يصل إلىٰ هذه المرتبة فليأخذ العلم وليطلب العلم وليكن متعلمًا، ولا يكون إمعة يُقلد الناس ليس عالمًا ولا متعلمًا وإنما يُقلد الناس.



والإمعة من صفات الكافرين: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢]، وقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان:٢١]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة:١٧٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الصافات:٦٩-٧٠]، فلا يكون الإنسان إمعة، لكن إما أن يكون عالمًا أو يكون طالبًا للعلم، هكذا يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأصل الإمعة في الجاهلية: الذي يذهب إلىٰ الدعوة من غير أن يُدعىٰ، فيكون تبعًا لغيره، فهذا هو أصل الإمعة في الجاهلية فكانوا يُطلقونها علىٰ من كانت هذه حاله، وهو الذي اشتهر بـ(الطفيلي)، فالطفيلي هو الإمعة، المتطفل علىٰ ولائم الناس، قيل له طُفيلي كما قال بعض العلماء: إما نُسبة للطُفيل بن زُلال وهو أول من عُرِفَ عنه التطفل، وإما من الطِفل الذي هو إقبال الليل علىٰ النهار، والمتطفل يدخل علىٰ

الناس والناس عنه في عمىٰ وظُلمة من شأنه لا يدرون ما الذي جاء به، فيأتي مستخفيًا متحيلًا محتالًا علىٰ موائد الناس ويستعمل أنواع الحيل والاختفاء.

فعلىٰ كلٍ: هذا أصل الإمعة في الجاهلية: من يأتي تبعًا مع غيره ولم يُدع، ثم أُطلق الأئمة: علىٰ من كان تبعًا لغيره في الشر، أي: مع الناس، وهذا من الخطأ الكبير فإن هنالك من الناس من يكون إمعة إن استقام فلان علىٰ السُنة استقام معه، وإن انحرف إلىٰ شيء من البدع فهو معه لا يأخذ دينه من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومن سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإنما هو إمعة للغير، إن استقام غيره علىٰ السُنة استقام، وإن انحرف فهو معه، فهو إمعة والعياذ بالله.

فلا يعلق الإنسان نفسه بأحد، يُعلق نفسه بكتاب ربه وبسُنة نبيه الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومذهب السلف، اهتدىٰ من اهتدىٰ وضلَّ من ضلَّ هذا هو الواجب، فالإنسان يبني دينه علىٰ الكتاب وعلىٰ السُنة ويُعظم الكتاب والسُنة، ولا يعلق نفسه بأحد من الناس ولو كان عالمًا.

وبعض الناس في الفتن السابقة كفتنة أبي الحسن كان يقول: لو كفَرَ أبو الحسن لكفرت معه، وقائل هذه العبارة إذا كان يدري ما يقول وليس فيه مانع من موانع الكفر فإنَّه يكفر في الحال، فهذه العبارة من عبارات الكفر، فإن قالها من غير عذر فهو كافر في الحال؛ فإن من علقَّ كُفره بشيء فإنَّه يكفر في الحال، فلو قال شخص: إذا قَدِمَ فلان من السفر فأنا كافر، فهو كافر في الحال وإن لم يقدم فلان من السفر، أو يقول: إذا جاء الليل فأنا كافر فيكفر في الحال وإن لم يأتِ الليل، فالكفر لا يصح أن يُعلق بشيء، ومن علقه بشيء فإنه يكفر في الحال، وهذا الذي يقول: لو كفر فلان لكفرنا من حيث الحُكم الشرعي هو كافر في الحال وإن كان الشخص المعين يحتاج أن يُنظر فيه باعتبار موانع التكفير هل هي موجودة فيه أو لا.

وما زال أهل السُنة يتقلبون في ابتلاءات من رَبِّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن الإسلام الصافي لا بد فيه من الابتلاء وقد ابتلي خير الخلق وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وابتلي خاتم الأنبياء والرُسل، وابتلي الصحابة: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، فأهل الإسلام الصافي يبتليهم الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ يُنقي صفوفهم من المنافقين ومن غيرهم من أهل الشرور، فيبتلي الله عَزَّوَجَلَّ أهل الإسلام الصافي بأنواع الابتلاءات، وأهل السُنة يُبتلون في كل وقت وفي كل زمن، فإذا كان الإنسان إمعة فإنه يهلك مع الهالكين، فيُعلق قلبه بشخص إن اهتدىٰ اهتدىٰ معه وإن ضلَّ ضلَّ معه، فهذا ليس صحيحًا فلا يعلق الإنسان قلبه بغير كتاب ربه وسُنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعليه أن يأخذ الهداية منهما ومن منهج السلف الصالح حتىٰ يُسلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أنواع الفتن والشرور.



قوله: (**إنه لا أسوة في الشرِّ**): نعم، لا يتأسىٰ الإنسان بمن وقع في الشر فيقع كما وقع، وإنما التأسي يكون في الخير، فينظر الإنسان إلىٰ أهل الخير والاستقامة ويتأسىٰ بهم ويكون معهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، يكون الإنسان مع هؤلاء، ولا يكون مع أصحاب الشر، إنما يكون مع الصادقين وهم: رسول الله ﷺ والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

٣- قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّلَوُّنَ فِي الدِّينِ).

فمن مضىٰ من أئمة السلف كانوا يكرهون التلون في الدين، والتلون في الدين نوع من النفاق وصور من صوره.

ومن التلون في الدين الذي هو نوع من أنواع النفاق: أن يظهر لكل فرقة أنه منهم، هذا تلون في الدين كتلون الحرباء، إذا كانت في شجرة تلونت بلونها، وإذا انتقلت إلىٰ أخرىٰ تلونت بلونها فهذا نوع من النفاق.

وقد يكون التلون في الدين بغير هذا: وهو التنقل من لون إلىٰ لون أي: من بدعة إلىٰ بدعة لا يثبت علىٰ الحق وإنما من هوىٰ إلىٰ هوىٰ، فكل هذا من التلون في الدين، وكل هذا مما يُذم.

٤- وعن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِذَا جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ قَالَ: أَمَا إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَدِينِي، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ، اذْهَبْ إِلَى شَاكٍّ مِثْلِكَ فَخَاصِمْهُ).

وهذا الذي ينبغي أن يأخذ به الناس مع أهل البدع والأهواء، لا يفتح سمعه للشبهات ولا يستمع لأهل الأهواء، فإنَّه علىٰ بينه من ربه وعلىٰ برد اليقين، فما الحاجة لمناظرة أهل البدع والأهواء؟ وما الحاجة لما عندهم من الشبهات وأنت علىٰ يقين من دينك، والشبهات تورث الشكوك وأهل الأهواء أهل شك وعندهم ما عندهم من الشبهات التي أدخلت في نفوسهم أنواع الشكوك في أمور متعددة من أمر الدين، فالمبتدع إنما يُريد أن تشك كما شكَّ هو.

٥- قال الإمام أبو عبد الله ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا لَزِمَ الْحَذَرَ وَاقْتَفَى الْأَثَرَ، وَلَزِمَ الْجَادَّةَ الْوَاضِحَةَ، وَعَدَلَ عَنِ الْبِدْعَةِ الْفَاضِحَةِ).

ومن الحذر الابتعاد عن أهل البدع والأهواء، فإن الإنسان لا يملك قلبه، وكما قيل: (الشبه خطافة، والقلوب ضعيفة)، فلا يغتر الإنسان بعلمه فرُبَّ شبهة تدخل إلىٰ القلب وتتمكن فيه، ثم تنمو كما تنمو الحبة وتعظم في القلب وتَكْبُرْ ويكثر فروعها فيه إلىٰ أن يخرج الإنسان من السُنة والعياذ بالله، فلا يستاهل الإنسان بالشبهات ولا يفتح أُذنه للشبهات، وإن جاءته الشبهة مع ابتعاده عنها واستعماله لغاية الحذر يُرجىٰ له العافية وأن يُعافيه الله عَزَّوَجَلَّ منها وهذا إن لم يستشرف للفتن، وإنما وقف علىٰ شُبهة من الشبهات أو انتشرت شبهة في أوساط الناس ووصلت إليه من غير أن يستشرف لها فيُرجىٰ أن يعافيه الله عَزَّوَجَلَّ منها؛ لأنه لم يستشرف لها وإنما دخلت إلىٰ أذنه من

غير استشراف لها ولا بحث عنها مع كراهيته للشبه، وإذا كان الشخص يسعىٰ في رد الشُبه مستعينًا بالله عَزَّوَجَلَّ ويُريد أن يُزيل الشبهة التي وقعت في الناس فهذا يُرجىٰ له العافية وأن يوفقه الله عَزَّوَجَلَّ وأن يُسدده كشأن أئمة الإسلام الذين ابتعدوا عن الشُبه وحذروا منها وابتعدوا عن سماعها، لكن إذا انتشرت في أوساط الناس احتاجوا إلىٰ أن ينظروا فيها من أجل أن يزيلوا شرها عن الناس.

وقد انتشرت شبهات لأهل البدع والأهواء في أوساط الناس مثل: شبهات الجهمية، والمعتزلة وغيرهم فقام لها أئمة السُنة وألفوا المؤلفات وذكروا تلك الشُبه وردوا عليها؛ وكل ذلك من أجل أن يحموا قلوب الناس من البدع والأهواء، وإلا فهم ابتداءً يبتعدون عن الشبه ولا يصغون لأهلها ويخافون علىٰ قلوبهم غاية الخوف لكن كما قلنا إن حصل البلاء وانتشر الشر في الناس فإنهم يستعينون بالله عَزَّوَجَلَّ ويُجاهدون في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ ويُزيلون تلك الشُبه بما آتاهم الله عَزَّوَجَلَّ من العلم ويحمي الله عَزَّوَجَلَّ قلوبهم ويثبتهم الله عَزَّوَجَلَّ بالحجة؛ لأنهم ليسوا في مقام استماع لشبهات أهل البدع والأهواء، وإنما في مقام الذبَّ عن الدين والدفاع عن حياض السُنة فيُسددهم الله عَزَّوَجَلَّ في أقوالهم، وفي تآليفهم، وفي ردودهم كما هو معلوم قديمًا وحديثًا، وأمَّا الذي يفتح أذنه للشبهات من أجل أن يعرف ما عند القوم وما حُجة هؤلاء؟ وما حجُة هؤلاء؟ ويُصغي لهؤلاء وهؤلاء فهذا لا يسلم من دخول الشك في قلبه، فالحذر الحذر من الشبهات ومن أهل الشبهات.



٦- وقال أيضًا: (فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا آثَرَ السَّلَامَةَ، وَلَزِمَ الِاسْتِقَامَةَ، وَسَلَكَ الْجَادَّةَ الْوَاضِحَةَ).

ومن آثر السلامة فعليه أن يبتعد عن أهل البدع والأهواء وعن الاستماع لهم؛ فإنه بذلك يؤثر السلام لنفسه بهذا الفعل، فمن ابتعد عن أهل البدع والأهواء وعن السماع لهم وعن مجالستهم وصحبتهم فإنما يُريد السلامة لنفسه بذلك.

٧- وقال أبو عبد الله القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَمَنْ سَلَكَ الْجَادَّةَ نَجَا، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تلك الطرق أفضت به إلى النار. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٨- وقال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِيَّاكُمْ وَالتَّسَاهُلَ؛ فَإِنَّهُ مَظَنَّةُ الْخُرُوجِ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَى الْبُنَيَّاتِ).

٩- وقال أيضًا: (وَلَقَدْ زَلَّ - بِسَبَبِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الدَّلِيلِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَى الرِّجَالِ - أَقْوَامٌ خَرَجُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ عَنْ جَادَّةِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ).

المراد بالجادة: طريق السنة فمن سلكها نجا من الأهواء في الدنيا ومن النار في الآخرة، والتساهل بالانحراف اليسير عن الجادة مظنة الخروج عن الصراط المستقيم إلىٰ بنيات الطريق وهي سبل أهل البدع والأهواء.

ومن الانحراف عن الجادة: تقليد الرجال وترك الدليل.

قال وفقه الله:

فائدة في خطر المجمجة على الدين:

قال أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**زَنَادقَةُ الإِسْلامِ ثَلاثَةٌ: ابْنُ الرَّاوَنْدِي، وَأَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيْدِيُّ، وَأَبُو العَلاَءِ المَعَرِيُّ، وَأَشدُّهُم عَلَى الإِسْلاَمِ أَبُو حَيَّانَ، لأَنَّهُمَا صرَّحا، وَهُوَ مُجَمْجَمَ ولم يصرِّح**)[1].

الشرح:

أَمَّا ابن الراوندي فهو أحمد بن يحيىٰ بن إسحاق، أبو الحسين الرَّاوَنْدِيُّ.

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (١٧/ ١٢).

قال فيه الحافظ ابن حجر رحمه الله في "لسان الميزان" (١/ ٦٩٥):

كان أولًا من متكلمي المعتزلة ثم تزندق واشتهر بالإلحاد وقيل: إنه كان لا يستقر علىٰ مذهب، وَلا يثبت علىٰ شيء ويقال: كان غاية في الذكاء وقد صنف كتبًا كثيرة يطعن فيها علىٰ الإسلام، وقد أجاد الشيخ في حذف ترجمته من هذا الكتاب وإنما أوردته لألعنه.

توفي ألا لعنة الله في سنة ٢٩٨.

وقال المسعودي في مروج الذهب: إنه مات سنة خمسين ومئتين وله أربعون سنة وإنه صنف مِئَة وأربعة عشر ديوانا.

وقال النديم في الفهرست: قال أبو زيد البلخي في محاسن أهل خراسان: كان أبو الحسين بن الراوندي من أهل مرو الروذ ولم يكن في زمانه في نظرائه أحذق منه بالكلام، وَلا أعرف بدقيقه وجليله منه وكان في أول أمره حسن الأمر جميل المذهب ثم انسلخ من ذلك كله بأسباب عرضت له ولأن علمه كان أكثر من عقله.



قال: وقد حكىٰ جماعة عنه أنه تاب قبل موته مما كان منه وأظهر الندم واعترف بأنه إنما صار إلىٰ ما صار إليه حمية وأنفة من جفاء أصحابه وتنحيتهم إياه من مجالسهم وأكثر كتبه الكفريات صنفها لأبي عيسىٰ اليهودي الأهوازي وفي منزل هذا الرجل مات. وذكر النديم أن الكتب التي ألفها قبل انسلاخه كانت في الاعتزال والرفض ونحو ذلك وهي نحو من أربعين كتابا وكتبه التي ألفها في الطعن علىٰ الشريعة اثنا عشر كتابًا اهـ.

وأمَّا أبو حيان التوحيدي فهو عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْعَبَّاس الصُّوفِيُّ.

قال فيه الحافظ الذهبي رحمه الله في "سير أعلام النبلاء" (١٧/ ١١٩-١٢٣):

الضَّالُ المُلحد، أَبُو حَيَّانَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ العَبَّاسِ البَغْدَادِيُّ، الصُّوفِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ الأَدبيَة وَالفلسفيَة، وَيُقَالُ: كَانَ مِنْ أَعيَان الشَّافِعِيَّة.

قَالَ ابْنُ بَابِي فِي كِتَاب (الخَرِيدَةِ وَالفَرِيدَةِ) :كَانَ أَبُو حَيَّانَ هَذَا كَذَّاباً، قَلِيْلَ الدِّين وَالوَرَعِ عَنِ القَذْفِ وَالمُجَاهرَة بِالبُهْتَان، تَعَرَّض لأُمُورٍ جِسَامٍ مِنَ القَدْحِ فِي الشَّرِيعَةِ وَالقَوْلِ بِالتَّعطيل، وَلَقَدْ وَقَفَ سيدُنَا الوَزِيْرُ الصَّاحبُ كَافِي الكفَاة عَلَىٰ بَعْضِ مَا كَانَ يُدغِلُه وَيُخفيه مِنْ سوء الاعْتِقَادِ، فَطَلَبَهُ لِيَقتُلَهُ، فَهَرَب، وَالتجَأَ إِلَىٰ أَعدَائِه، وَنَفَق عَلَيْهِم تزخرفُهُ وَإِفكه، ثُمَّ عَثَرُوا مِنْهُ عَلَىٰ قَبِيح دِخْلَتِهِ وَسُوءِ عقيدَتِهِ، وَمَا يُبطِنُه مِنَ الإِلْحَاد، وَيرومُهُ فِي الإِسْلاَمِ مِنَ الفسَاد، وَمَا يُلصِقُه بِأَعلاَمِ الصَّحَابَة مِنَ القبَائح، وَيُضِيفُه إِلَىٰ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الفضَائح، فَطَلَبَهُ الوَزِيْرُ المُهَلَّبِيّ، فَاسْتَتَر مِنْهُ، وَمَاتَ فِي الاسْتتَارِ، وَأَرَاح اللهُ، وَلَمْ يُؤْثَر عَنْهُ إِلاَّ مثلبَةٌ أَوْ مُخزيَة .

وَقَالَ أَبُو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيِّ: زَنَادقَةُ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةٌ: ابْنُ الرَّاوَنْدِي، وَأَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيْدِيُّ، وَأَبُو العَلاَءِ المَعَرِيُّ، وَأَشدُّهُم عَلَىٰ الإِسْلاَمِ أَبُو حَيَّانَ، لأَنَّهُمَا صَرَّحَا، وَهُوَ مَجْمَجَ وَلَمْ يُصرِّح.

* **قُلْتُ**: وَكَانَ مِنْ تَلاَمِذَة عَلِيِّ بن عِيْسَىٰ الرُّمَّانِي، وَرَأَيْتُهُ يُبالغ فِي تَعَظِيْم الرُّمَّانِي فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلّفه فِي تَقْرِيظ الجَاحظ، فَانْظُرْ إِلَىٰ المَادحِ وَالممدوحِ! وَأَجودُ الثَّلاَثَةِ الرُّمَّانِيُّ مَعَ اعتِزَالِهِ وَتَشيُّعِهِ.

وأَبُو حَيَّانَ لَهُ مُصنَّفٌ كَبِيْر فِي تَصوُّفِ الحُكَمَاءِ، وَزُهَّاد الفَلاَسِفَة، وَكِتَابٌ سَمَّاهُ (البصَائِرَ وَالذَّخَائِرَ) ، وَكِتَاب (الصَّدِيق وَالصَّدَاقَة) مُجَلَّد، وَكِتَاب (المقَابسَات)، وَكِتَاب (مَثَالب الوَزِيْرين) - يَعْنِي ابْنَ العَمِيْد وَابْنَ عَبَّاد - وَغيرُ ذَلِكَ .

وَهُوَ الَّذِي نسب نَفْسَه إِلَىٰ التَّوحيد، كَمَا سمَّىٰ ابْنُ تُومرت أَتْبَاعَه بِالمُوحِّدينَ، وَكَمَا يُسَمِّي صُوفيَّةُ الفَلاَسِفَة نُفُوسَهُم بِأَهْل الوحدَة وَبالاتحَادِيَّة.

أنبَانِي أَحْمَدُ بنُ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ الطَّرَسُوْسِيّ، عَنِ ابْنِ طَاهِرٍ، سَمِعْتُ أَبَا الفَتْحِ عَبْدَ الوَهَّابِ الشِّيْرَازِيَّ بِالرَّيِّ يَقُوْلُ:

سَمِعْتُ أَبَا حَيَّان التَّوحِيْدِيّ يَقُوْلُ:




أُنَاسٌ مَضَوْا تَحْتَ التَّوهُّمِ، وَظَنُّوا أَنَّ الحَقَّ مَعَهُم، وَكَانَ الحَقُّ وَرَاءهُم.

قُلْتُ: أَنْتَ حَامِلُ لِوَائِهِم.

قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّيْنِ فِي (تَهْذِيبِ الأَسْمَاءِ):أَبُو حَيَّانَ مِنْ أَصْحَابِنَا المُصَنِّفِيْنَ، فَمِنْ غَرَائِبِهِ أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ: لاَ رِبَا فِي الزَّعْفَرَانِ، وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ أَبُو حَامِدٍ المَرُّوْذِيُّ .

وَقَالَ ابْنُ النَّجَّارِ: لَهُ المُصَنَّفَاتُ الحَسَنَةُ (كَالبَصَائِرِ) ، وَغَيْرِهَا.

قَالَ: وَكَانَ فَقِيْراً صَابِراً مُتَدَيِّناً صَحِيْحَ العَقِيْدَةِ، سَمِعَ جَعْفَراً الخُلْدِيّ، وَأَبَا بَكْرٍ الشَّافِعِيّ، وَأَبَا سَعِيْدٍ السِّيْرَافِيّ، وَالقَاضِي أَحْمَدَ بنَ بِشْرٍ العَامِرِيَّ.

رَوَىٰ عَنْهُ: عَلِيُّ بنُ يُوْسُفَ الفَامِي، وَمُحَمَّدُ بنُ مَنْصُوْرِ بنِ جِيْكَانَ، وَعَبْدُ الكَرِيْمِ بنُ مُحَمَّدٍ الدَّاوُوْدِيُّ، وَنَصْرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ الفَارِسِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ بنِ فَارِسٍ الشِّيْرَازِيُّوْنَ، وَقَدْ لَقِيَ الصَّاحِبَ بنَ عَبَّادٍ وَأَمثَالَهُ.



* **قُلْتُ**: قَدْ سَمِعَ مِنْهُ أَبُو سَعْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَمَّجَةَ الأَصْبَهَانِيُّ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ مائَةٍ، وَهُوَ آخِرُ العَهْدِ بِهِ.

وَقَالَ السِّلَفِيُّ: كَانَ نَصْرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ يَنْفَرِدُ عَنْ أَبِي حَيَّانَ بِنُكَتٍ عَجِيْبَةٍ.

وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ السِّجْزِيُّ الحَافِظُ فِيْمَا يَأْثُرُوْهُ عَنْهُ جَعْفَر الحَكَّاك: سَمِعْتُ أَبَا سَعْدٍ المَالِيْنِيَّ يَقُوْلُ: قَرَأْتُ الرِّسَالَةَ - يَعْنِي المَنْسُوْبَةَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَىٰ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - عَلَىٰ أَبِي حَيَّانَ، فَقَالَ: هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَمِلْتُهَا رَدّاً عَلىالرَّافِضَةِ، وَسَبَبُهُ أَنَّهُم كَانُوا يَحْضُرُوْنَ مَجْلِسَ بَعْضِ الوُزَرَاءِ، وَكَانُوا يُغْلُوْنَ فِي حَالِ عَلِيٍّ، فَعَمِلْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ.

* **قُلْتُ**: قَدْ بَاءَ بِالاخْتِلاَفِ عَلَىٰ عَلِيٍّ الصَّفْوَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُهَا، وَسَائِرُهَا كَذِبٌ بَيِّنٌ اهـ.

- وَأما أَبُو العَلاَءِ المَعَرِيُّ فهو أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بن سُلَيْمَانَ.

قال فيه الحافظ الذهبي رحمه الله في [تاريخ الإسلام] (٩/ ٧٢١):

الشاعر المشهور، صاحب التّصانيف المشهورة والزَّندقة المأثورة اهـ.

وقد أطال الحافظ الذهبي في ترجمته في تاريخه وفي السير.

قال وفقه الله:

من أسباب الانحراف عن الجادة:

- الترددُ إلى المفتونين.
- الأنسُ بهم.
- الإصغاء إلى شبهاتهم.

قال ابن القيم عن شيخه أبي العباس ابن تيمية رحمهم الله تعالى أنه قال: (**إذا أُشرِبَتْ قَلْبُكَ كُل شُبْهَةٍ تَمُرُ عَلَيْهَا صَارَ مَقرًا للشُبُهَات**)[١].

الشرح:

مجالسة أهل البدع والاصغاء لشبهاتهم من أعظم أسباب الانحراف عن السنة، ولو تأملت أكثر من انحرف عن السنة لوجدت أنَّ البلاء دخل عليهم من مجالسة أهل البدع والاصغاء لشبهاتهم.

(١) "مفتاح دار السعادة" (١/ ٤٤٢).

قال وفقه الله:

الحق ما شَهِدَ له الدليل:

قال أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَمرهُ تَعَالى بِالردِّ عِندَ التَنازُعِ إِلى القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ بَيانٌ جَلِيٌّ أَن القَولَ الذَي يَشْهَدُ لَهُ النَّصُّ هُوَ الحَقُّ وَهَوُ مِن عِندِ اللهِ تَعَالى وَمَا عَداهُ بَاطِلٌ لَيسَ مِن عِنْدِهِ)[1].

الشرح:

قوله: (الحق ما شَهِدَ له الدليل).

فهذا أمر واضح بيِّن، فمن كان الدليل معه فإن الحق معه، والمُراد بذلك: الدليل الظاهر البيِّن، وليس المُراد الدليل المتأول علىٰ خلاف ظاهره بغير حُجة، وهكذا تحميل الأدلة ما لا تتحمل، فالدليل الظاهر البيِّن إن كان مع شخص فإن الحق معه.



غير أن هنالك من يحتج ببعض الأدلة ويضع الأدلة في غير مواضعها، فإن أهل البدع يحتجون بالأدلة علىٰ بدعهم فالجهمية والمعتزلة يحتجون علىٰ نفي الصفات بقوله سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورىٰ:١١]، ولا يُقال أن الحق معهم؛ لأن الدليل معهم فإنهم تأولوا الدليل تأويلًا باطلًا علىٰ غير المُراد.

وهكذا الخوارج الذين يُكفرون الناس بالمعاصي التي دون الكُفر يحتجون بمثل قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء:١٤]، ولا يُقال: أن الحق معهم؛ لأنهم تأولوا الدليل علىٰ غير المُراد، وهكذا غير هؤلاء من أهل الباطل فإنهم يحتجون علىٰ باطلهم بأدلة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو بأدلة من سُنة رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلا يقال

(١) "الإحكام في أصول الأحكام" (ص٦٩٣) ط. دار الحديث -مصر.

أن الحق معهم، إنما المُراد بذلك: الدليل الصحيح الظاهر، فإما أن يكون الدليل نصًا في المسألة لا يحتمل وجهًا آخر، أو تكون دلالة الدليل ظاهرة، فمن احتج بدليل صحيح دلالته نصية أو ظاهرة علىٰ المسألة فالحق معه، فهذا هو المُراد بهذه المسألة.

قال أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَمرهُ تَعَالى بِالردِّ عِندَ التَنازُعِ إِلى القُرْآنِ وَالسُّنَةِ بَيانٌ جَليٌ أَن القَولَ الذَي يَشْهَدُ لَهُ النَّصُّ هُوَ الحَقُّ وَهوُ مِن عِندِ اللهِ تَعَالى وَمَا عَداهُ بَاطِلٌ لَيسَ مِن عِنْدِهِ).

هذا كلام حق، غير أن ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد يحتج بأدلة ليس فيها حجة ظاهرة فيما يُقرره من المسائل، وقد يرد بعض الأقوال القوية الظاهرة؛ لعدم ورود النص فيها فإنه لا يأخذ بالقياس، ولا ينظر إلىٰ معاني الشريعة فيقول: الحق في كذا وما سوىٰ ذلك فهو باطل، ويكون ما سوىٰ ذلك ليس من قبيل الباطل بل من قبيل الحق، كنهي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن البول في الماء الدائم، يقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا يبولَنَّ أحدُكم في الماءِ الدَّائم**»، النص جاء بهذا، ولم يأتِ النص بالنهي عن البول في إناء ثم يصب ما في الإناء في الماء الدائم، أو يبول في موضع مرتفع بجوار الماء الدائم فيجري البول إلىٰ الماء الدائم فيقول: هذا مما يجوز، فالحرام هو البول في الماء الدائم فبهذا جاء النص، وما لم يأتِ به النص فلا يمنع؛ فمثل هذا الكلام كلام غير صحيح وكلام غير سديد، فالقياس الصحيح من الحُجج الشرعية لا سيما ما يُسمىٰ بقياس الأولىٰ فإنه من الحُجج القوية.

علىٰ كلٍ: هذا كلام صحيح، لكن كُل شخص يتأول هذا الكلام علىٰ ما يُريد وعلىٰ ما يفهم، وكما قلنا: المُراد بذلك الدليل الصحيح الصريح، وهو إما أن يكون من قبيل النص أو من قبيل الظاهر، فمن كان عنده هذا الدليل فالحُجة معه.

ومن جُملة الحجج الشرعية: الإجماع الصحيح المنعقد، وهكذا القياس الصحيح المنضبط فهو مما يُحتج به لا سيما ما يُسمىٰ بقياس الأولىٰ.

قال وفقه الله:

حكم من أحدث فُرقةً بين أهل السُنة:

١- قال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]: (**وَالفُرْقَةُ مِن أَخص أَوْصَافِ الْمُبْتَدِعَةِ**)[١].

٢- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالبِدعةُ مَقرُونَةٌ بِالفُرْقَةِ كَمَا أن السُّنةَ مَقْرُونةٌ بِالجَمَاعَة فَيُقَال: أهلُ السّنة وَالجَمَاعَة كَمَا يُقَال: أهلُ البِدْعَة والفُرْقَة**)[٢].

٣- وقال أيضًا: (**الْبِدْعَةُ لَا تَلتقي مَعَ السُّنَّةِ أَبَدًا، فَإِنَّ الْبِدْعَةَ مَعَ السُّنَّةِ كَالْكُفْرِ مَعَ الْإِيمَانِ**)[٣].



الشرح:

١- قال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]: (**وَالفُرْقَةُ مِن أَخص أَوْصَافِ الْمُبْتَدِعَةِ**).

يُريد: أن من أحدث فُرْقة بين أهل السُنة فهذا يدل علىٰ أنه من أهل الأهواء، والأمر كذلك، فصاحبُ السُنة لا يسعىٰ في التفريق بين أهل السُنة ولا يكيد لأهل السُنة ولا يُحدث فُرقة في أوساطهم إنما هذا من شأن أهل البدع والأهواء فهم الذين يسعون في تفريق أهل السُنة، ويُبغضون الاجتماع ويُحبون الفُرْقة، فالذي يسعىٰ في تفريق أهل السُنة هذا دليل علىٰ أن في قلبه شيئًا من الهوىٰ وأنه مخالف لهم فيما هم فيه؛ فلهذا يسعىٰ في تفريقهم بأنواع من المكر والكيد وإن زعم أنه منهم فهو زعم المكارين.

---

(١) "الاعتصام" (١/ ٢٠٨) ط. الدار الأثرية.
(٢) "الاستقامة" ص(٥٨-٥٩) ط. دار الفضيلة.
(٣) "مختصر منهاج السُنة" (ص١٢٦) ط. دار ابن الجوزي.

وهذا كما حصل في الدعوة السلفية في هذا البلد، مُنذ أن قَدِمَ الشيخ مُقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ هذه الأيام وما من وقت إلا ويخرج خارج ويُحدث فُرْقة في أوساط أهل السُنة والجماعة وإن زعم أنه من أهل السُنة فيتضح الأمر بعد ذلك أنه صاحب هوىٰ وأنه من الماكرين بهذه الدعوة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق:١٥-١٦]، فالذي يسعىٰ في تفريق أهل السُنة هذه علامة ظاهرة أن في قلبه شيئًا من الهوىٰ، فإن صاحبَ السُنة يدعو إلىٰ الائتلاف وإلىٰ اجتماع الكلمة علىٰ الحق، ولا يزرعون الفُرْقة والاختلاف في أوساط أهل السُنة.

٢- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالبِدعةُ مَقرُونَةٌ بِالفُرْقَةِ كَمَا أن السُّنةَ مَقْرُونةٌ بِالْجَمَاعَةِ فَيُقَال: أهلُ السّنة وَالْجَمَاعَة كَمَا يُقَال: أهلُ الْبِدْعَة والفُرْقَة).

الفُرْقة هي قرينة البدعة كما أنَّ الجماعة هي قرينة السُنة، فالذي يدعو إلىٰ الجماعة يدعو إلىٰ السُنة، والذي يدعو إلىٰ الفُرْقة فهذا دليل علىٰ أنه صاحب بِدعة، فإن البدعة هي قرينة الفُرْقة، والسُنة هي قرينة الجماعة.

٣- وقال أيضًا: (الْبِدْعَةُ لَا تَلتقي مَعَ السُّنَّةِ أَبَدًا، فَإِنَّ الْبِدْعَةَ مَعَ السُّنَّةِ كَالْكُفْرِ مَعَ الْإِيمَانِ).

وهذا كلام حسن فيه إبطال لمذهب الموازنات الذي دندن به من دندن من أهل البدع المتأخرين فهي دندنة عصرية، والمُراد بذلك كما عرفنا فيما مضىٰ: المحاماة عن أهل البدع والأهواء، فيجمعون للرجل بين السُنة والبدعة، صاحب سُنة وصاحب بدعة يجمعون له ما لا يجتمع، يقولون: هو صاحب سُنة في كذا وكذا وكذا، وصاحب بدعة في كذا وكذا وكذا، فتجتمع فيه السُنة والبدعة ويُحكم عليه بأنه صاحب سنة في كذا وصاحب بدعة في كذا، فلا يقال صاحب سُنة علىٰ سبيل





الإطلاق، ولا يقال صاحب بدعة علىٰ سبيل الإطلاق، هذا ليس من العدل علىٰ حد زعمهم، كما يقال: صاحب سُنة في مسائل الأسماء والصفات، وصاحب بدعة في مسألة الخروج علىٰ الحُكام فهو صاحب بدعة في هذا، لكن إذا نظرنا في باب الأسماء والصفات ومسائل التوحيد فهو صاحب سُنة، هكذا يُدندن أهل البدع والأهواء بمثل هذه المقولات التي لم تؤثر عن السلف، وكان أئمة السلف يحكمون علىٰ الشخص بالبدعة ويُخرجونه من السُنة ببدعة واحدة.

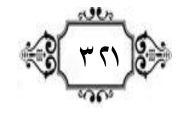
جاء الكرابيسي ببدعة اللفظية فحكم عليه الإمام أحمد وأئمة السُنة بالجهمية وبدعوه بهذه المسألة، ولم تُذكر له مسائل أخرىٰ فيما أعلم، ولا بدعوه في أمور أخرىٰ فيما أعلم وإنما في هذه المسألة مسألة: اللفظية.

وأهل البدع الذين في هذه الأزمان فيهم ما فيهم من البدع الكثيرة، وربما بدعة اللفظية أهون من كثير من البدع الموجودة في هذه الأزمان، ويأتي المتفلسف ويقول: فلان صاحب سُنة في كذا، وصاحب بدعة في كذا ومن الظُلم أن نقول أنه صاحب بدعة مُطلقًا؛ بسبب أنه وقع في بدعة واحدة، هذه بدعة الموازنات العصرية التي أُسست من أجل المحاماة عن أهل البدع والأهواء.



فلا تجتمع البدعة والسُنة كما أنه لا يجتمع الكُفر مع الإيمان، مثلًا: شخص يذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ فهل يُقال أنه مُشرك باعتبار مسألة الذبح لغير الله وهو مُسلم بأنه يُصلي لله، ويحج لله، ويصوم لله، ويعتمر لله، ويقرأ القرآن لله عَزَّوَجَلَّ، ويذكر الله فهو مُسلم باعتبار هذه الأعمال ومُشرك باعتبار الذبح لغير الله، وإلا يُحكم عليه بالشرك مُطلقًا ويُخرج عن الملة؟

الجواب: يُحكم عليه بالشرك مُطلقًا ويُحكم عليه بالكفر مُطلقًا، وهكذا في قضية السُنة والبدعة، من وقع في بدعة ظاهرة بينة أو بدعة خفية وأُقيمت عليه الحُجة وزالت عنه موانع التبديع فإنه يُحكم عليه بالبدعة ولو كانت بدعة واحدة، لكن لا



تعجل في الحكم وعليك مراعاة الضوابط الشرعية التي يذكرها العلماء في قضية التبديع، وفي قضية التفسيق، وفي قضية التكفير فلأهل العلم ضوابط شرعية، والكلام وإن أُطلِقَ في هذا الباب فهو محمول علىٰ ضوابط الشرعية كما هو معلوم.

فعلى كلٍ: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الكلام الحسن الجميل: (**الْبِدْعَةُ لَا تَلتقي مَعَ السُّنَّةِ أَبَدًا، فَإِنَّ الْبِدْعَةَ مَعَ السُّنَّةِ كَالْكُفْرِ مَعَ الْإِيمَانِ**).

قال وفقه الله:

مِن وَصَايا السَّلف:

١- قال أبو عبد الله القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيَرْحَمُ اللَّهُ السَّلَفَ الصَّالِحَ، فَلَقَدْ بَالَغُوا فِي وَصِيَّةِ كُلِّ ذِي عَقْلٍ رَاجِحٍ، فَقَالُوا: مَهْمَا كُنْتَ لَاعِبًا بِشَيْءٍ فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْعَبَ بِدِينِكَ**)[(١)].

٢- قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجلٍ: (**الْزَمِ الطَّرِيقَ وَالسُّنَّةَ**...- وَذَكَرَ أهلَ البِدعِ والذَّهابَ إليهم، فقال:- **مَشْيُكَ إِلَيْهِمْ تَوْقِيرٌ، وَقَدْ جَاءَ فِيمَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَا جَاءَ**)[(٢)].

الشرح:

١- قال أبو عبد الله القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيَرْحَمُ اللَّهُ السَّلَفَ الصَّالِحَ، فَلَقَدْ بَالَغُوا فِي وَصِيَّةِ كُلِّ ذِي عَقْلٍ رَاجِحٍ، فَقَالُوا: مَهْمَا كُنْتَ لَاعِبًا بِشَيْءٍ فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْعَبَ بِدِينِكَ).

فالدين ليس فيه شيء من اللعب، والواجب علىٰ العبد أن يأخذ دينه بالجد، ولا يُشْرع اللعب في أمر الدين، ولا قول ما لا يليق في أمر الدين ولو كان من قبيل اللعب، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ

(١) "تفسير القُرطبي" (٦/ ٢٦) سورة الكهف، ط. دار الحديث.

(٢) "الحلية" لأبي نعيم، برقم (١٢٨٦٧).

﴿وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وكلام القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا في "تفسيره"، وقال ذلك متعقبًا علىٰ الحريري صاحب "المقامات"، فإنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقبَّ في المقامة الصعدية، وذكر قصة من القصص كشأن الحريري في المقامات، يذكر القصص الخيالية الأدبية، وأن هنالك أبًا شكا ولده إلىٰ عند القاضي وكان يأمر ولده بسؤال الناس والولد يمتنع، وكلٌ أدلىٰ بحجته بين يدي القاضي بأسلوب أدبي، واحتج الوالد علىٰ ولده ببعض الأبيات يحثه فيها علىٰ تكفف الناس وسؤالهم، ومما قاله الوالد:

واستَنزِلِ الرّيَّ من دَرّ السّحابِ فإنْ بُلّتْ يَداكَ بهِ فليَهنِكَ الظّفَرُ

ويُريد بذلك سؤال الناس، يعني: اذهب إلىٰ أخيار الناس وأصحاب الجود والكرم ومُد يديك إليهم فإن السحاب مليئة بالمطر.

ثم قال:

وإنْ رُدِدتَ فما في الرّدّ مَنقَصَةٌ عليكَ قد رُدّ موسىٰ قبلُ والخَضِرُ



فهذا الذي استنكره القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الحريري كيف يذكر مثل هذا الكلام في شأن موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وفي شأن الخضر في مقام سؤال الناس والتكفف.

والذي حصل من موسىٰ والخضر سؤال الضيافة: ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف:٧٧]، فإنما سأل الضيافة وهذا حق من الحقوق الواجبة لهما علىٰ أهل القرية فهما إنما طالبا بحق من الحقوق الواجبة لهما وليس ذلك من سؤال الناس وتكففهم، والحريري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإن كان ذكر ذلك في قصة خيالية أدبية لكن مثل هذا الكلام لا يليق بمقام الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فلا يليق ذلك ولو

كان في مقام الخيالات والأدبيات، فموسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كليم الرحمن، والخضر في نبوته نزاع بين العلماء؟.

فلمَّا ذكر هذا البيت الأخير، قال القُرطبي: (**وَيَرْحَمُ اللهُ السَّلَفَ الصَّالِحَ، فَلَقَدْ بَالَغُوا فِي وَصِيَّةِ كُلِّ ذِي عَقْلٍ رَاجِحٍ، فَقَالُوا: مَهْمَا كُنْتَ لَاعِبًا بِشَيْءٍ فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْعَبَ بِدِينِكَ**)، وأراد أن مقام الأنبياء والُرسل مقام رفيع لا يتكلم الإنسان فيهم إلا بكل جميل، ولا يُذكرون إلا بالثناء الحسن، والله عَزَّوَجَلَّ ترك لهم الثناء الحسن، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأن موسىٰ وأخيه هارون: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الصافات:١١٩-١٢٠]، وكذلك في شأن نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات:٧٨-٧٩]، وكذلك إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات:١٠٨-١٠٩]، وأيضًا: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٢٩-١٣٠]، فإنما ترك الله عَزَّوَجَلَّ لهم الثناء الحسن، فالإنسان وإن كان في مقام الأدبيات والخيالات وإن لم يتكلم هذا بلسانه وإنما جعله علىٰ لسان غيره لكن هو مُنشئ تلك الأدبيات فهذا مما لا يليق.

فالواجب علىٰ الإنسان أن يأخذ أمر الدين بالجد فلا يأخذ أمر الدين بشيء من اللعب، وهكذا ما يتعلق بربِّ العالمين، فيكون العبد مع ربه في مقام الجِد وليس في مقام اللهو واللعب، وهكذا في مقام الأنبياء والُرسل، وفي مقام الشرع، فهذه أمور مُعظمة لا يكون فيها شيء من الهزل واللعب ولا السخرية ولا الضحك، فمثل هذه الأمور مواطن الجد والحزم، فالإنسان يضحك مع صاحبه أو صديقه في غير أمر الدين وفيما لا مسيس فيه بربِّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا بالأنبياء والرُسل ولا بدين الله عَزَّوَجَلَّ بما لا يليق سواءً كان جادًا أو كان هازلًا: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾ [التوبة:٦٥]، لم يُكذبهم الله عَزَّوَجَلَّ ولم يقل: (بل كنتم جادين)؛ لكن بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ أن هذا ليس بعذر لهم ولو كانوا في مقام اللهو واللعب: ﴿وَلَئِن





سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فليحذر المرء علىٰ نفسه فإن هناك من الناس من بُليَّ بكثرة المزاح ومزاحه لا ينضبط يُمازح حتىٰ في أمر الدين والشرع، ويتكلم في الكلام الذي فيه استهزاء وإن لم يقصد الاستهزاء وليس هذا له بعذر؛ لأن الله لم يعذر هؤلاء، ولو كان مقام اللعب واللهو من الأعذار لعذر الله هؤلاء، فلا يتكلم الإنسان في أمر الدين ولا بشعائر الدين بما لا يليق.

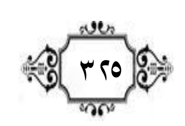


هناك من يتكلم بشعائر الدين بما لا يليق وهو متمسك بها لكنه يتكلم فيها بما لا يليق فهذا لا عُذر له كأن يتكلم علىٰ اللحية وهو صاحب لحية، فمثلًا: يرىٰ في المسجد كثيراً من أصحاب اللحىٰ ويقول: كَثُرت المكانس يُريد يُضحك الناس، وهو صاحب لحية ويرىٰ أن اللحىٰ من الواجبات، فهل هذا يُعذر عند الله عَزَّوَجَلَّ فيما يقول وإلا يُقال له كما قال الله عَزَّوَجَلَّ له: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦]؟

الجواب: لا يُعذر ولو كان متمسكًا باللحية ويراها من الواجبات فلا يجوز أن يستهزئ الشخص في أي أمر من شعائر الدين ولو كان من قبيل المزاح والضحك.

أو يُشاهد النساء المتجلببات يمشين في الشارع ويقول مثلًا: ما هذه الخيام المتحركة، وهذه العبارة يقولها كما هو معلوم أُناس يُبغضون الدين ويبغضون الحجاب فيتلفظون بهذه الألفاظ من باب السُخرية، فهل يجوز للشخص أن يتلفظ بمثل هذه الألفاظ ولو كان ضاحًا أو ما زحًا؟

الجواب: لا يجوز مثل هذه العبارات، إذا أراد الإنسان أن يمزح فليمزح بالحق وفي غير أمر الدين، وإذا مزح يتكلم بالصدق وفي غير أمر الدين، فالدين ليس فيه شيء من الضحك والمزاح وشيء من اللعب، هذا مما يجب الحذر منه فإن هذا يزل



فيه من يزل ممن هو معروف بالخير والصلاح ممن يتوسع في باب المزاح، ممن يُريد أن يُمازح في كل شيء حتىٰ في أمر العبادات والشعائر العِظام من شعائر الإسلام، فهذا مما يجب التنبه له: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

٢- قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجلٍ: (الْزَمِ الطَّرِيقَ وَالسُّنَّةَ...- وَذَكَرَ أهلَ البِدعِ والذَّهابَ إليهم، فقال:- مَشْيُكَ إِلَيْهِمْ تَوْقِيرٌ، وَقَدْ جَاءَ فِيمَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَا جَاءَ).

وقد أُثِرَ عن جماعة من السلف: أن من وقَّرَ صاحب بدعة فقد أعان علىٰ هدم الإسلام؛ فإن البدع تهدم السُنن والسُنة هي الإسلام..

قوله: (مَشْيُكَ إِلَيْهِمْ تَوْقِيرٌ): وإذا ما وقِّرَ صاحب البدعة وعُظِّمَ فإن هذا مدعاة إلىٰ انتشار بدعته وأن يُقبل الناس إليه ويقول الناس: لم يمشِ الناس إليه إلا لأنه وأنه، وهو وهو، وما يذهب إليه فلان إلا وله كذا وكذا من الشأن فيتجهون إليه ويُعظمونه ويذهبون إليه ويقعون في بدعه وأهوائه، فتضعف السُنة وتنتشر البِدعة، ومن عظم صاحب بدعة فقد أعان علىٰ هدم الإسلام.

قوله: (وَقَدْ جَاءَ فِيمَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَا جَاءَ): فالحذر الحذر، لا يستهين الإنسان في مثل هؤلاء، في شأن أهل البدع والأهواء، فالسلف ربوا طُلابهم وربوا المسلمون علىٰ شدة النُفرة عن أهل البدع والأهواء بأبلغ العبارات وأغلظها ؛ لما في ذلك من الخطورة العظيمة التي يعلمها العَالِمون ويجهلها الجاهلون، وإلا فأهل البدع لهم ما لهم من الخطورة والضرر.

وقد سبق أن ذكرنا أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يُحذر في جُلِّ خُطبه أو في كلها من البدع فيقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ

الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»، فلم يكن يُحذر هذا التحذير في سائر الكبائر، وإنما كان يُحذر من البدع والأهواء، فالمسألة في غاية الخطورة.

قال وفقه الله:

من تواضع السَّلف:

قال ابن المُبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (**لَقَدْ رَأَيْتُ بَيْنَ كَتِفَيْ عُمَرَ أَرْبَعَ رِقَاعٍ فِي قَمِيصِهِ**)[1].

الشرح:



أربع رقاع في قميصه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو خليفة، اتسعت خلافته ومُملكته اتساعًا عظيمًا، وجاءت إليه الكنوز من كل مكان وكان هذا حاله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (**لَقَدْ رَأَيْتُ بَيْنَ كَتِفَيْ عُمَرَ أَرْبَعَ رِقَاعٍ فِي قَمِيصِهِ**)، ولم يفعل ذلك تكلفًا وإنما دعته الحاجة إلىٰ مثل ذلك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أما من يفعل ذلك تكلفًا فإن هذا مما أنكره من مضىٰ من أهل العلم فإن هنالك ممن يتظاهر بالزُهد والورع فيأخذ الثياب النفيسة الجديدة ويجري عليها الرقاع وليس فيها شيء من الخروق وإنما يضع الرِقاع علىٰ ثياب جديدة ونفيسة تظاهرًا بالزهد، فالزهد في القلب، والغِنِىٰ غنىٰ النفس، فليس الزُهد بأن يتظاهر الإنسان ويتكلف الإنسان مثل هذه الأمور، فالذي حصل من عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ليس من باب التكلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لكن كما قلنا الحاجة دعت إلىٰ مثل هذا، أما التكلف فهو مذموم والتظاهر بالزهد في هذه الأمور هو داخل في الرياء المذموم.

والزهد أصله في القلب بأن يُقبل المرء علىٰ الآخرة ولا يعلق قلبه بالدنيا، وقد يكون الشخص كثير المال وهو من الزُّهاد، وليس المعنىٰ في الزاهد: أن يكون مُفلسًا لا مال له، فقد يكون كثير المال وهو زاهد لأنَّ الدنيا لم تدخل إلىٰ قلبه، وهو مُقبل

(١) "الزهد" رقم الأثر (٥٤٣) (ص٣٢٦) ط. دار العقيدة، وإسناده صحيح.

علىٰ الآخرة وغيرُ مُلْتَهٍ بالدنيا وهو وإن كَثُرَ ماله، فيصرفه في مرضات الله ويستعين به علىٰ مرضات الله عَزَّوَجَلَّ لا علىٰ اللهو واللعب، فقلبه معلق بالآخرة وغير متجه إلىٰ الدنيا وإن ابتلاه الله عَزَّوَجَلَّ بكثرة المال فالمال لم يدخل إلىٰ قلبه ولم يَلْتَهِ به وإنما يصرفه في مرضات الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد يكون الشخص فقيرًا ليس عنده شيء وليس زاهدًا في الدنيا وهو حريص عليها في قلبه الحرص الشديد علىٰ الدنيا يُريد أن يأكل الدنيا بكل ما يستطيع لكن ابتلاه الله بالفقر، فهذا ليس زاهدًا في الدنيا، فأصل الزهد في القلب وليس بكثرة المال ولا بقلته، فليس المعنىٰ أن الزاهد يتخلص من ماله ويبقىٰ لا شيء معه، فهناك من الزُّهاد العُباد الفُضلاء من كَثُرَ ماله كعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الخلفية الراشد، وكعبد الرحمن بن عوف وجماعة من أغنياء الصاحبة هم من أزهد الناس في الدنيا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع كثرة أموالهم.

ونبي الله سليمان عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ آتاهُ الله عَزَّوَجَلَّ من المال والمُلك الواسع ما لم يؤتِ أحدًا وهو من أزهد الناس في الدنيا عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فالغِنىٰ غنىٰ النفس والزُهد أصله في القلب، وكما قلنا: قد يكون الشخص فقيرًا مُعدمًا وليس عنده زُهد في الدنيا، والآخر كثير المال وهو زاهد فيها مُقبل علىٰ الآخرة يصرف ما معه من الدنيا فيما يُرضي ربه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وما يفعله بعض المتصوفة وأدعياء الزُهد من ورضع الرِّقاع في الملابس الجديدة التي ربما تكون غالية الثمن هذا رياء وزُهدٌ مذموم فهو في الحقيقة تظاهر بالزهد وليس بزهد، أما عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فلم يكن متكلفًا مثل هذه الأمور، لكن دعته الحاجة إلىٰ مثل هذا اللباس.

والنبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ هو إمام الزاهدين وكان يلبس عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ من أجمل الثياب ومن أجمل الحُلل، يُهدىٰ إليه الشيء النفيس والطيب وما كان يترك ذلك

ويقول: أترك ذلك زُهدًا، فلبس أحسن الحُلل وأحسن الثياب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من غير تكلف، وإنما يُهدىٰ له الشيء النفيس فيقبله ويلبسه، ويؤتىٰ له بالطعام الشهي فيأكله ولا يتكلف لا في مطعمه ولا في مشربه ولا في ملبسه ولا يمتنع مما أحلهُ الله له: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف:٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١].

قال وفقه الله:

ما كان عليه السلف من إحسان العمل والخوف من عدم قبوله:

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ[1] قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَ: **(كَانُوا يَعْلَمُونَ مَا عَمِلوا مِنْ أَنواعِ الْبِرِّ وَهُمْ مُشْفِقُونَ أَنْ لَا يُنْجِيَهُمْ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ)[2].



الشرح:

فالسلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين أحسنوا في العمل وخافوا من عدم القبول، وكثير منا يُسيء في العمل وفي قلبه طمأنينة وكأنه مستيقن القبول مع إساءته في العمل.

وجاء في الباب من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا الحديث المشهور: أنها قالت للنبي ﷺ حين ذكرت له هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟، قَالَ: «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ**»، لكن الحديث مُعل لا يثبت وهو

---

(١) أبو الأشهب: جعفر بن حيان ثقة روىٰ له جماعة، "التهذيب" (٨/ ٣٣٥) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) "الزُهد" رقم الأثر (١٥٣) (١/ ٣٩٠) ط. دار الصميعي، وإسناده صحيح.

من طريق عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ولم يُدرك عائشة وهو في أحاديث مُعلة للشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فعلىٰ كلٍ: هؤلاء أثنىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أحسنوا العمل وخافوا من عدم القبول، أما أن يعمل الإنسان العمل ويسيء فيه يصلي صلاة فيها ما فيها من الإساءة، ويعمل أعمال صالحة مع ما فيها من التقصير الكبير وقلبه آمن ليس فيه خوف فليس هذا بصحيح، وهؤلاء أحسنوا العمل وخافوا أن لا يتقبل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ منهم تلك الأعمال التي عملوها، فإن هنالك من الناس من لم يقبل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ منه العمل والعياذ بالله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، وهي في شأن الكافرين، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤]، تعِبوا واجتهدوا وجدوا في أنواع الأعمال ولم يقبل الله عَزَّوَجَلَّ منهم تلك الأعمال ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وهي وإن وردت في شأن الكافرين لكن يُشبهم في ذلك من عَمِلَ كثيرًا من الأعمال لكن لم يتوفر فيها إما شرط الإخلاص وإما شرط المتابعة، فإما في قلبه رياء في تلك الأعمال، أو لم تكن علىٰ السُنة ككثير من أهل البدع والأهواء يجتهدون في البدع والأهواء أشد من اجتهادهم في الواجبات، وربما يكون عندهم تفريط في كثير من الواجبات وتأتي البدعة فيتمسكون بها أعظم من تمسكهم بأركان الإسلام، فيعملون الأعمال الكثيرة علىٰ خلاف السُنة ولا يقبلها رَبُّ العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وأولئك القوم كما في حديث ثوبان يأتون يوم القيامة ولهم أعمال كأمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباءً منثورًا، فكيف لا يخاف الإنسان علىٰ نفسه؟! نعم، يصومون، ويصلون، ويتصدقون، ويقومون الليل ولهم أعمال كثيرة فلا يقبلها رَبُّ العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويجعلها هباءً منثورًا، فالإنسان يخاف علىٰ نفسه، فإن عَمِلَ

العمل خاف عدم القبول فمن كان كذلك فيرجىٰ له أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يؤمنه ويُجازيه بالقبول: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٥-٢٨]، فكانوا مشفقين في الدنيا خائفين وجلين فأمنهم رَبُّ العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فالذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن: هو أن لا يغتر بعمله، ولا يرىٰ أنه عَمِلَ شيئًا عظيمًا، وكلما استصغر العمل فإنه يَعظُمَ عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكلما عَظُمَ العمل في قلبك ورأيت أنك فعلت شيئًا عظيمًا وأدليت بعملك علىٰ ربك هِنت وهانت أعمالك، فالأعمال تَعظم بما في القلوب وتصغر بما في القلوب.



قال وفقه الله:

حرص السلف على تنقية مجالسهم من أهل البدع:

١- في ترجمة أبي عبد الرحمن السُّلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ أَبُو عَبدِ الرَّحمَنِ إِذَا ابْتَدَأَ مَجْلِسَهُ قَالَ: (**لَا يُجَالِسْنَا رَجُلٌ جَالَسَ شَقِيقًا الضَّبِّيَّ، وَلَا يُجَالِسْنَا حَرُورِيٌّ**)[(١)].

٢- قال أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين المعروف بابن دِيزيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَنْ حَضَرَ مَجْلِسِي، فَكَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، سَمِعَ مَا تَقَرُّ بِهِ عَينُهُ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ البِدْعَةِ، يَسْمَعُ مَا يُسَخِّنُ اللهُ بِهِ عَيْنَهُ**)[(٢)].

٣- وفي ترجمة أبي الأحوص سلام بن سليم الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال أحمد بن عبد الله العجلي: كَان ثِقة، صَاحبُ سُنةٍ وَاتباعٍ، وكَانَ إذا مُلِئَتْ دارُهُ مِن أَصحابِ الحديثِ، قَالَ لابنه أَحوَصَ: (**يَا بُنَيَّ! قُمْ فَمَنْ رَأَيتَهُ فِي دَارِي يَشْتمُ أَحدًا مِن الصَّحَابَةِ، فَأَخرِجهُ ما يجيءُ بِكُم إِلَينَا**)[(٣)].

---

(١) "الحلية" لأبي نعيم (٤/ ٢١٤) برقم (٥٢٩٣).

(٢) "سير أعلام النبلاء" (١١/ ١٨٩) ط. مؤسسة الرسالة.

(٣) "تهذيب الكمال" (٤/ ٢٠٥) ط. مؤسسة الرسالة.

٤- وفي ترجمة عكرمة بن عمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ مُعَاذُ بنُ مُعَاذٍ: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ بنَ عَمَّارٍ يَقُوْلُ لِلنَّاسِ: (**أُحَرِّجُ عَلَى رَجُلٍ يَرَى القَدَرَ إِلاَّ قَامَ، فَخَرَجَ عَنِّي، فَإِنِّي لاَ أُحَدِّثُه**)[١].

٥- وفي ترجمة زائدة بن قُدامة رَحِمَهُٱللَّهُ قال أبو داود: (**حَدَّثَنَا زَائدة بْن قُدَامة، وَكَانَ لَا يُحدِثْ قَدَرِيًا وَلَا صَاحِبَ بِدعةٍ يَعرِفهُ**)[٢].

٦- وفي ترجمة أحمد بن صالح الطبري: قَالَ صَالِحُ بنُ مُحَمَّدٍ جَزَرَةُ الحَافِظُ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَحْمَدَ بنِ صَالِحٍ، فَقَالَ: (**حَرَجٌ عَلَى كُلِّ مُبْتَدِعٍ وَمَاجِنٍ أَنْ يَحْضُرَ مَجْلِسِي**)[٣].

٧- وقال العلامة أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُٱللَّهُ: (**البُعد عَنْ مَجَالِسِ أَهْلِ الْبِدَعِ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى السُّنَّةِ**)[٤].

٨- وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ: (**فَلا يُفْرحُ بِمبتَدِعٍ فِي صُفُوفِ أهلِ الحقِّ، بَل رُبَّما يكُونُ نَكْبَةً وعَقَبَةً فِي طَرِيقِ سَيرِهِمْ، فَلا بُدَّ مِنْ العنايَةِ بِالتَّصْفيةِ وَ التَّرْبِيةِ**)[٥].

الشرح:

١- في ترجمة أبي عبد الرحمن السُّلمي رَحِمَهُٱللَّهُ: كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِذَا ابْتَدَأَ مَجْلِسَهُ قَالَ: (**لَا يُجَالِسْنَا رَجُلٌ جَالَسَ شَقِيقًا الضَّبِّيَّ، وَلَا يُجَالِسْنَا حَرُورِيٌّ**).

قوله: (**أبي عبد الرحمن السُّلمي**): وهو عبد الله بن حبيب رَحِمَهُٱللَّهُ.

قوله: (**شَقِيقًا الضَّبِّيَّ**): وهو من قدماء الخوارج.

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (٧/ ١٣٨) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) "تهذيب الكمال" (٣/ ٧) ط. مؤسسة الرسالة.

(٣) "سير أعلام النبلاء" (١٢/ ١٧٣) ط. مؤسسة الرسالة.

(٤) "الاعتصام" (١/ ١٥٢).

(٥) "غارة الأشرطة" (١/ ١٢) ط. صنعاء الأثرية.

قوله: (حَرُورِيٌّ): وهم الخوارج، ولعلهم كثروا وكانت البدعة المنتشرة في بلده فاحتاج أن ينص عليها دون غيرها وإلا لا يوجد فرق بين منه كان خارجيًا، أو كان جهميًا، أو معتزليًا، أو قدريًا فالكل لهم مثل هذا الحُكم.

وتصفية مجالس العلم من أهل البدع والأهواء مما فيه مصلحة، فإن صاحبَ الهوىٰ إذا جلس في مجالس العلم إما أن يضر غيره مما يُلقي من الشبهات في تلك المجالس، أو يستفيد علمًا مع بدعته، وإذا استفاد علمًا مع بدعته فإن ضرره يَعظُم، والمبتدع الجاهل أهون من المبتدع العالم؛ فكون المبتدع يبقىٰ جاهلًا أحسن من أن يصير عالمًا مع بدعته فإنه إذا صار عالمًا مع بدعته عَظُمَ ضرره؛ لكثرة أتباعه علىٰ ذلك الباطل، أما الجاهل فإن كثيرًا من الناس ينفرون منه، فلا خير في بقاء أصحاب الأهواء في مجالس العلم، فإنهم إن خالطوا طُلاب العلم أضروا بهم، وإن استفادوا علمًا تقووا بذلك العلم علىٰ نشر بدعتهم وصاروا فتنة للناس؛ فلهذا كان أئمة السلف يُحذرون من أن يجلس إليهم أحدٌ من أهل الأهواء: (**لَا يُجَالِسْنَا رَجُلٌ جَالَسَ شَقِيقًا الضَّبِّيَّ، وَلَا يُجَالِسْنَا حَرُورِيٌّ**).



٢- قال أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين المعروف بابن دِيزيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَنْ حَضَرَ مَجْلِسِي، فَكَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، سَمِعَ مَا تَقَرُّ بِهِ عَينُهُ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ البِدْعَةِ، يَسْمَعُ مَا يُسَخِّنُ اللهُ بِهِ عَيْنَهُ).

وهذا مما يدلُ علىٰ ما كان عليه السلف في مجالس العلم، من التحذير من أهل البدع والأهواء، فهكذا كانت مجالس من مضىٰ من أئمة السلف يتكلمون بالسُنة فيفرح أهلُ السُنة بكلامهم بالسُنة، ويُحذرون من أهلِ البدع والأهواء فيتأمل من ذلك أهل البدع والأهواء، هكذا كانت مجالسهم مجالس تربية علىٰ السُنة، وتصفية من أهل البدع والأهواء.

ولا يكفي أن الشخص يتعلم العلم وهو يجهل بحال أهل البدع والأهواء فإنه ربما يكون صيدًا سهلًا لهم، فيتعلم العلم ويمكث ما يمكث من السنين الطويلة وهو لا يفرق بين أهل السُنة وأهل البدعة ويظن أن الكل سواء، يظن أن الإخوان المسلمين وأصحاب التراث وغير هؤلاء الكل من أهل السُنة والكل سواء، كحال كثير من الناس ربما يبقىٰ في بعض البُلدان السنوات العديدة وربما يُحضِّر الدكتوراه، ويقال له: الدكتور فلان في علم العقيدة وهو لا يُميز بين أهل السُنة وأهل البدعة، وربما يكون من أهل الأهواء والعياذ بالله، فلا بد من التصفية والتربية.

وهذا موجود في هذه البلاد بحمد الله، وقد سار علىٰ ذلك الشيخ مُقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسار علىٰ ذلك خليفته الشيخ يحيىٰ وفقه الله وغيرهما من عُلماء السُنة فإنهم في مجالسهم يحرصون علىٰ التصفية والتربية؛ ولهذا حصل النقاء في الدعوة السلفية في هذه البلاد مما لا نظير له، وكثير من البُلدان لا يوجد مثل هذا التمييز، فيكون الشخص من كبار علماء السُنة ومجلسه مليء بالحزبيين علىٰ شتىٰ أنواعهم.

فمجالس العلم تحتاج إلىٰ تصفية وتربية وتحذير من أهل البدع والأهواء، فإن العالم إن حذر منهم فروا عنه، لكن إذا كان مُجرد علم فهم يُريدون أن يتقووا بالعلم، وكثير من أهل البدع يكون عند تحضير للدكتوراه أو الماجستير في بعض الجامعات إما في الحديث، وإما في أصول الفقه فيذهب إلىٰ ذلك العالم من علماء السُنة وهو يُريد أن يتقوىٰ فيما هو فيه، فإذا كان عالم السُنة لا يتكلم علىٰ شيء من الأهواء ولا يُحذر من أهل الباطل ومن أهل البدع والضلال فإنَّه يأتي إليه هؤلاء، فذاك يُريد أن يتقوىٰ في عِلم الأصول، وذاك يُريد أن يتقوىٰ في الفقه، وذاك يُريد أن يتقوىٰ في علم الحديث من أجل الدكتوراه وغير ذلك من الشهادات، فيريدون منه هذا الأمر ولا يُبالون به وبسلفيته، فإذا حصلت التصفية في مجالس العلم وذلك بالتحذير من أهل الباطل من أهل البدع والأهواء مع تعليم الناس الخير، فيتعلم الناس التوحيد،

وتعلمون العقيدة الصحيحة، والفقه وسائر العلوم فهنا يحصل الخير، فتبقىٰ المجالس مجالس صافية، يستفيد أهل السُنة ويسمعون ما تُقْرُ أعينهم، وأهل البدع يسمعون ما يُسخنُ الله به أعينهم فينفرون من تلك المجالس وتبقىٰ المجالس صافية نقية، فإن صَبَّر المبتدع نفسه علىٰ الجلوس مع ما في قلبه من الهوىٰ لكنَّه جلس متكتمًا لباطله وبقىٰ يستمع السُنة والتحذير من أهل البدع والأهواء وهو يتكتم ويُريد العلم فإما أن يهديه الله عَزَّوَجَلَّ مع كثرة السماع لحُجج وبينات أهل السُنة علىٰ أهل البدع والأهواء، وإما أن تضيق به نفسه في وقت من الأوقات فلا يصبر ويفر.

وكان الشيخ مُقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (**نعطهم ضربة علىٰ الطريق**)، لا نشتغل بأهل البدع والأهواء ونترك العلم، لكن نضربهم علىٰ الطريق.



٣- وفي ترجمة أبي الأحوص سلام بن سليم الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال أحمد بن عبد الله العجلي: كَان ثِقة، صَاحبُ سُنةٍ وَاتباعٍ، وكَانَ إذا مُلِئتْ دارُهُ مِن أَصحابِ الحديثِ، قَالَ لابنه أَحوَصَ: (**يَا بُنيَّ! قُمْ فَمَنْ رَأيتَهُ فِي دَاري يَشتمُ أَحدًا مِن الصَّحَابَةِ، فَأَخرِجهُ ما يجيءُ بِكُم إلينَا**).

قوله: (**ما يجيءُ بِكُم إلينَا**): أي: وهذا حالكم تتكلمون في أصحاب النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتأتون إلينا! لسنا منكم ولستم منا، فلما تأتون إلينا ولستم علىٰ مذهبنا ونحن لا نحبكم؟!.

وهكذا يُقال لأهل البدع عومًا: ما الذي يأتي بكم إلىٰ مجالسنا! وأنتم علىٰ خلاف مذهب السلف، كلٌ يذهب إلىٰ شاكلته، ولا يجلس في مجالس السُنة إلا من يُريد السُنة والخير والعلم الصافي، فإن كان في قلبه مرض فليذهب إلىٰ مجالس المرضىٰ، فلا يقرب المجالس التي يحصل بها التربية علىٰ السُنة وعلىٰ المنهج الصحيح.

٤- وفي ترجمة عكرمة بن عمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ مُعَاذُ بنُ مُعَاذٍ: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ بنَ عَمَّارٍ يَقُوْلُ لِلنَّاسِ: (**أُحَرِّجُ عَلَى رَجُلٍ يَرَى القَدَرَ إِلاَّ قَامَ، فَخَرَجَ عَنِّي، فَإِنِّي لاَ أُحَدِّثُه**).

هكذا كان أئمة السُنة، وربما الجاهل في مثل هذه الأزمان الذي ما تربىٰ علىٰ منهج السلف يسمع مثل هذه الأقوال ويتعجب، وربما إذا سَمِعَ عالمًا من العلماء يقول مثل هذا القول ربما قال: هذا غلو شديد، ما هذا؟! وهذا إنما أُوتيَّ من جهله فهكذا كان أئمة السلف يُحرجون علىٰ أهل البدع والأهواء ألا يجلسوا في مجالسهم، ويبالغون في ذلك أشد المبالغة.

٥- وفي ترجمة زائدة بن قُدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال أبو داود: (حَدَّثَنَا زَائدة بْن قُدَامة، وَكَانَ لَا يُحدِث قَدَرِيًا وَلَا صَاحِبَ بِدعةٍ يَعرِفهُ).

فكان يحدث علىٰ هذا الشرط، فمن عرفه من أهل لبدع ترك تحديثه، ومن كان لا يعرفه فليس عليه في ذلك حرج.

٦- وفي ترجمة أحمد بن صالح الطبري: قَالَ صَالِحُ بنُ مُحَمَّدٍ جَزَرَةُ الحَافِظُ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَحْمَدَ بنِ صَالِحٍ، فَقَالَ: (**حَرَجٌ عَلَى كُلِّ مُبْتَدِعٍ وَمَاجِنٍ أَنْ يَحْضُرَ مَجْلِسِي**).



قوله: (**وَمَاجِنٍ**): هذه الكلمة تدل علىٰ معنىٰ الصلابة والغِلظة: (مجن مجونًا إذا صَلُبَ وغَلُظَ)، والماجن يُطلق علىٰ من لا يُبالي بقوله ولا بفعله كأنه صلب الوجه ليس عنده حياء مما يقول أو مما يفعل.

فأحمد بن صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجالسه كان يقول هذا الكلام: (**حَرَجٌ عَلَى كُلِّ مُبْتَدِعٍ وَمَاجِنٍ أَنْ يَحْضُرَ مَجْلِسِي**)، فمجالس العلم هي مجالس الخير، ومجالس النقاء، ومجالس الصفاء، ومجالس الآخرة، هي مجالس طيبة يحضرها الطيبون.

وأحمد بن صالح قال هذا من باب الزجر وإلا فصاحب المجون قد يحضر بعض المجالس وينتفع فشأنه أهون من شأن المبتدع، فقد يحضر بعض مجالس العلم

وبعض مجالس الوعظ فيسمع ما ينفعه ويتذكر فيتذكر ويتعظ فأمره قريب، أما المبتدع فلا يكاد يرجع؛ لأنه زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنًا فهذا لا يكاد يرجع، أما صاحب المعصية فقد يسمع موعظة من مجالس العلم أو في مجالس الوعظ فيحصل له التذكير ويرجع، فعله أراد الزجر لهؤلاء وليس المعنىٰ: أن الإنسان يُبعد أهل المجون من مجالس الوعظ ومن مجالس العلم مُطلقًا، فإن مجيء هؤلاء إلىٰ مجالس العلم والوعظ فيه خير لهم، فربما يسمع كما عرفنا موعظة فينزجر بها وهذا خير له من أن يبقىٰ في غفلته مع الغافلين، فيحضر مجالس الذكر والعلم فيسمع آيات من كلام الله وأحاديث من أحاديث رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويسمع الترغيب والترهيب وربما يلين قلبه ويرجع إلىٰ الحق، فالأصل في هؤلاء: أنهم يُرغبون في مجالس العلم ومجالس الخير ويُسحبون من أمكان الشرور ومن شِرار البقاع إلىٰ خير البقاع وخير البلاد، فهذا هو الأصل هنا.



٧- وقال العلامة أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (البُعد عَنْ مَجَالِسِ أَهْلِ الْبِدَعِ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى السُّنَّةِ).

وذلك أن أهل البدع هم قُطاع الطريق جلسوا في طريق السُنة فقطعوا علىٰ الناس سيرهم إلىٰ ربهم سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وحرفوا الناس عن طريق السُنة يمنة ويسرة، فالذي يُجالس أهل البدع والأهواء ينحرف عن السُنة إلىٰ ما هم عليه من البدع والأهواء فإنهم يبغونها عوجها، فإذا جاءهم الجاهل عوجوا له الطريق إلىٰ السُبل، وقالوا له: هذا هو الطريق المستقيم، فهذا هو شأن أهل البدع والأهواء، والنبي ﷺ كما هو معلوم خط خطًا مستقيمًا وقال: «**هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ**»، **وخط** خطوطًا علىٰ جانبي ذلك الخط المستقيم وقال: «**هَذِهِ سُبُلٌ وعَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، فأهل البدع هم قُطاع الطُرق، فإذا أراد الإنسان طريق السُنة فعليه أن يبتعد عن أهل البدع والأهواء.

ولا يعرف الإنسان أهل الحق إلا من أهل الحق، فلا يعرف الحق من أهل الباطل، فالعطشان لا يجد الماء في جوف النار، ومن يُريد الحق لا يصل إليه في مجالس أهل البدع والأهواء.

٨- وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلا يُفْرحُ بِمبتَدِعٍ فِي صُفُوفِ أهلِ الحَقِّ، بَل رُبَّما يكُونُ نَكْبَةً وعَقَبةً في طَريقِ سَيرِهِمْ، فَلا بَدَّ مِنْ العنايَةِ بِالتَّصْفيةِ وَ التَّرْبيَةِ).

ما أحسن هذا الكلام من هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد كان خبيرًا بالسُنة وبأهل البدع والأهواء، قال: (**فَلا يُفْرحُ بِمبتَدِعٍ فِي صُفُوفِ أهلِ الحَقِّ، بَل رُبَّما يكُونُ نَكْبةً وعَقَبةً في طَريقِ سَيرِهِمْ**)، والأمر كذلك، (**فَلا بَدَّ مِنْ العنايَةِ بِالتَّصْفيةِ وَ التَّرْبيَةِ**)، تربية علىٰ السُنة، وتصفية من البدع والأهواء، لا بد من هذه العناية، فلا يفرح الإنسان بمبتدع في صفه، وبأنه يحضر في مجلس فلان وفلان من أهل البدع والأهواء، وأن فلانـًا من الناس عالم معتدل يحضر عنده الجميع، لا ينفر أحدًا فيجتمع في مجالسه الكُل هو عالم أمة وعالم وسطية! هذا جهل الذي يجمع الغث والسمين هذا من الجاهلين، ولا تحصل بركة في دعوته، ولا تنتشر السُنة بمثل هذا المنهج، هذا ليس منهج وسطية، هذا منهج تمييع، فالمذهب الصحيح: هو ما كان عليه السلف، والسلف حرصوا علىٰ التصفية والتربية، لم يكونوا يقبلون في مجالسهم أهل البدع والأهواء ولا يتكثرون بهم، وليس ممدحة للشخص أن يوصف بهذه الصفة: أنه يجتمع في مجلسه من جميع الطوائف والأحزاب، ومن جميع أهل البدع والأهواء، فإن هذا الشخص لو سلك مسلك التصفية والتربية ومسلك السلف الصالح لنفر عنه أكثر الناس لم يبقَ إلا أهل الصفاء والنقاء، وبقاء أهل الصفاء والنقاء دون غيرهم يحصل بذلك الخير وتنتشر بذلك السُنة ويَعُم النفع، وأما مثل هذا الاختلاط فإنه من أسباب ضعف السُنة وانتشار البدعة والعياذ بالله.

قال وفقه الله:

عناية السلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر والرد على المخالف:

١- قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر ركنان وثيقان من أَرْكَان الدّين يجب عَلَى الْمَرْء أَن لَا يهملها**)[١].

٢- وقال الحافظ عبد الرزاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبرنا ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَأُتِيَ بِطَعَامٍ لَهُ، فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: إِنَّهُ صَائِمٌ قَالَ: وَمَا صَوْمُهُ؟ قَالَ: الدَّهْرَ قَالَ: فَجَعَلَ يَقْرَعُ رَأْسَهُ بِقَنَاةٍ مَعَهُ، وَيَقُولُ: (**كُلْ يَا دَهْرُ، كُلْ يَا دَهْرُ**)[٢].

٣- وروى ابن بطة من طريق عبد الرزاق قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: " بَيْنَا طَاوُسٌ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ لَقِيَهُ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَقَالَ لَهُ طَاوُسٌ: أَنْتَ مَعْبَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ طَاوُسٌ، فَقَالَ: (**هَذَا مَعْبَدٌ، فَأَهِينُوهُ**)[٣].

٤- وقال ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَتِيقٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي جِنَازَةٍ فِيهَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فَقَالَ رَجُلٌ: اسْتَغْفِرُوا لَهُ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (**لَا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ**)[٤].



---

(١) "الحجة" (٢/ ٥٤٧) ط. دار الراية.

(٢) "المصنف" (٤/ ٢٩٨) رقم (٧٨٧١) ط. المكتب الإسلامي.

(٣) "الإبانة" كتاب القدر (٢/ ٣٠١) برقم (١٩٦٣) ط. دار الراية.

(٤) "مصنف ابن أبي شيبة" (٢/ ٤٩٤) رقم الأثر (١١١٩٢) ط. الكتب العلمية.

فقه الأثر:

- إنكار السلف للبدع.
- الحث علىٰ لزوم الصمت عند اتباع الجنائز.
- شدة بغض السلف للبدع في الدين.

٥- وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِذَا أَظْهَرَ الرَّجُلُ الْمُنْكَرَاتِ وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ عَلَانِيَةً وَلَمْ يَبْقَ لَهُ غَيْبَةٌ وَوَجَبَ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَانِيَةً بِمَا يُرْدِعُهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ هَجْرٍ وَغَيْرِهِ)[(١)].

الشرح:

١- قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر ركنان وثيقان من أَرْكَان الدّين يجب عَلَى الْمَرْء أَن لَا يهملهما).

ولولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لطغىٰ الشر علىٰ الخير، ولزال الخير بالكلية، وقد حمىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الأمة من أن يجتمعوا علىٰ أمر بمنكر أو نهي عن معروف، وهذا من خصائص هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠]، فلا بد من مُتكلم بالحق، ولا بد من يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر إلىٰ أن يقبض الله عَزَّوَجَلَّ أرواح المؤمنين، بعكس الأمم السابقة كانوا يجتمعون علىٰ الباطل: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩]، فبهذا تحصل التصفية، وبهذا ينتشر الخير ويقل الشر.



٢- وقال الحافظ عبد الرزاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخبرنَا ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَأُتِيَ بِطَعَامٍ لَهُ، فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: إِنَّهُ صَائِمٌ قَالَ: وَمَا صَوْمُهُ؟ قَالَ: الدَّهْرَ قَالَ: فَجَعَلَ يَقْرَعُ رَأْسَهُ بِقَنَاةٍ مَعَهُ، وَيَقُولُ: (كُلْ يَا دَهْرُ، كُلْ يَا دَهْرُ).

قوله: (بِقَنَاةٍ مَعَهُ): والقناه: هي الرُمح، وهذا محمول علىٰ أنه بخشبة الرُمح.

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٢٢/ ٢١٧).

والشاهد: أنه أنكر عليه هذا الصوم الذي جاء النهي عنه؛ فإن النهي قد جاء عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن صوم الدهر وإن كان العلماء تنازعوا هل هو للتحريم أو هو للكراهة؟ لكن علىٰ كلٍ: هو من الصوم الذي يُذم فأنكره عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يضرب علىٰ أيدي المترجبين حتىٰ يضعوا أيديهم في الطعام، -والمترجبون هم الذين يصومون في رجب- ويقول: كلوا هذا شهر كانت تُعظمه الجاهلية.

وكل هذا من إنكار المنكر.

٣- ورى ابن بطة من طريق عبد الرزاق قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: "بَيْنَا طَاوُسٌ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ لَقِيَهُ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَقَالَ لَهُ طَاوُسٌ: أَنْتَ مَعْبَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ طَاوُسٌ، فَقَالَ: **(هَذَا مَعْبَدٌ، فَأَهِينُوهُ)**.



فهذا الذي كان عليه أئمة السلف: وهو إهانة أهل البدع والأهواء، ولم يكن من منهجهم إظهار اللين لهم والاقتراب منهم تحت مُسمىٰ حُسن الخلق، وكل هذا من كيد الشيطان كما بين ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فإن أهل البدع خطرهم عظيم والسلامة في الابتعاد عنهم، وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الشيطان يأتي إلىٰ الشخص من باب حُسن الخُلق، فيوسوس له الشيطان ن يُحسن خُلقه مع هل البدع والأهواء فيتعامل مع أهل البدع والأهواء بطلاقة الوجه والانبساط والكلام الحسن ويقول: هذا حُسن خلق وقد أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بحسن الخلق وحثَّ علىٰ حُسن الخُلق، فيأتيه الشيطان من هذا الباب فيوقعه في الضلال من هذا الباب، فيقترب من أهل البدع والأهواء ويقع فيما يقع من الباطل تحت مُسمىٰ حُسن الخُلق، وهذا مثل الذي يتعامل مع النساء الأجانب بالانبساط ويقول: أمر الشرع بحسن الخُلق، فيُسلم ويبتسم للنساء ويتبشبش ويتجاوز الحدود تحت مُسمىٰ حُسن الخلق؛ وهذه مفسدة عليه وليست بحُسن خُلق بل هذا من سوء الخُلق، فحُسن الخلق: ما جاء في الشرع وأمر به الشرع وحثَّ عليه، أما هذا فإن فيه ما فيه من إدخال الضرر علىٰ النفس.





وفتنة أهل البدع أشر من فتنة النساء، وفتنة النساء وإن كانت فتنة منتشرة، لكن فتنة أهل البدع أضر، فكون الشخص يقع في فاحشة أهون من أن يقع في بدعة بالإجماع، فالبدع أعظم من الفواحش بإجماع العلماء، والتبشبش والانبساط إلىٰ أهل الأهواء تحت مُسمىٰ حُسن الخلق أشد من التبشبش إلىٰ النساء الأجانب تحت حُجة حُسن الخُلق، وكل هذا فيه ما فيه من الضرر.

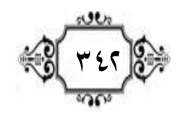
فهنا طاوس طاف بالبيت ولقيه معبد الجُهني رئيس القدرية، فقال له طاوُس: أَنْتَ مَعْبَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ طَاوُسٌ، فَقَالَ: (**هَذَا مَعْبَدٌ، فَأَهِينُوهُ**): وأقل ما يصنعه الإنسان هو اجتناب أهل البدع، وإن لم يتمكن من إهانتهم بسبب الضعف أو درأ لمفسدة من المفاسد الراجحة، فإن لم يتمكن من إهانتهم فأقل شيء أن يقي نفسه منهم ولا يقترب منهم ويبتعد عنهم ويطلب لنفسه السلامة.

٤- وقال ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَتِيقٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي جِنَازَةٍ فِيهَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فَقَالَ رَجُلٌ: اسْتَغْفِرُوا لَهُ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (**لَا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ**).

قوله: (**فَقَالَ رَجُلٌ: اسْتَغْفِرُوا لَهُ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ**): أي: للميت.

قوله: (قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (**لَا غَفَرَ اللهُ لَكَ**): يُخاطب هذا الرجل الذي جاء بهذه المقولة، الجاهل إذا سمع مثل هذا الكلام ربما يُنكر علىٰ سعيد بن جُبير أشد الإنكار، فما هو ذنب هذا الرجل؟! فهو يحث الناس علىٰ أن يستغفروا للميت، وجهال الناس ربما صوبوا ذلك الرجل وعادوا المُنكِر.

فهذا الرجل يسير في جنازة وسعيد بن جبير موجود فقال الرجل: اسْتَغْفِرُوا لَهُ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (**لَا غَفَرَ اللهُ لَكَ**)؛ لأنه جاء بشيء لم يكن عليه من مضىٰ، فكان حال الصحابة في السير مع الجنازة: كأن علىٰ رؤوسهم الطير في صمتٍ تام فلم يكونوا يتحدثون، بل هم في تفكر واعتبار وتذكر للدار الآخرة، فكانوا في وقار



وهدوء فلم يكونوا يتحدثون بشيء، فهذا الرجل في أثناء سيره في الجنازة يُنادي في الناس: استغفروا لأخيكم، ولم يكن هذا من هدي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا من هدي الصحابة، والميت يُستغفر له في غير هذا الموضع، فإذا وضع في قبره يُسأل له التثبيت كما جاء بذلك السُنة، وإذا صُليَّ عليه يُدعىٰ له في أثناء صلاة الجنازة، ويُدعىٰ له فيما سوىٰ ذلك من الأوقات، أما في أثناء السير في الجنازة فهدي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهدي الصحابة هو السكوت، وهذا قال مقولته هذه في أثناء السير بالجنازة، وقد أنكر هذا الأمر غير واحد من أئمة السلف ورأوا أن هذا خلاف السُنة.

٥- وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِذَا أَظْهَرَ الرَّجُلُ الْمُنْكَرَاتِ وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ عَلَانِيَةً وَلَمْ يَبْقَ لَهُ غَيْبَةٌ وَوَجَبَ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَانِيَةً بِمَا يُرْدِعُهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ هَجْرٍ وَغَيْرِهِ).



وهذا كلام حسن جميل من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**إِذَا أَظْهَرَ الرَّجُلُ الْمُنْكَرَاتِ وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ عَلَانِيَةً**): فهنالك فرق بين الخطأ إذا كان سِرًا، وبين الخطأ إذا كان علانية، فإذا كان الخطأ سِرًا يكون الإنكار سرًا، كأن يقف الإنسان علىٰ خطأ من أخيه، وهو خطأ لم ينتشر فلا يأتي بخطبة جمعة ويتكلم في فلان ويذكر خطأه، ويقول: قد رأيت فلانًا يفعل كذا وكذا وقد ستره الله، فهذا في الحقيقة يسعىٰ في فضيحته، فالواجب عليه أن ينصحه سِرًا.

وإذا كان الخطأ علانية، كأن يكون شخص في أوساط الناس يتكلم بما لا يجوز في، فهل تأخذه علىٰ جنب وتنصحه وإلا تُنكر عليه بين الناس؟

الجواب: تُنكر عليه بين الناس؛ لأن خطأه قد انتشر بين الناس، فيكون الإنكار عليه وعلىٰ من سَمِع؛ حتىٰ يعرف الناس أن هذا خطء فلا يُتابعونه عليه.

وهكذا الذي يتكلم بالباطل والأخطاء وتُسجل تلك المخالفات في صوتيات وتنتشر في العالم، فإذا جاء الشخص وردَّ علىٰ ذلك المُخطئ علانية ولم يرسل إليه بنصيحة سرية، فإنَّه وجد الخطأ قد انتشر فردَّ الخطأ علانية، فهذا ليس عليه لوم إلا





عند الجاهلين، فالخطأ إذا كان علانية يُرد علانية، ولا يُشترط أن يذهب إلىٰ المخطئ وينصح له، لأنَّ الخطأ قد انتشر لكن ينبغي للمنكر أن يستعمل الأسلوب المناسب في إنكاره فلكل مقام مقال، حتىٰ ولو كان ذلك المُخطئ من عُلماء السُنة وأخطأ في مسألة يكون الرد عليه بأدب واحترام، ولا يُشترط أن يُرسل له برسالة سرية ينصح له فيها وله أن ينكر الخطأ علانية لكن مع الاحترام واستعمال الكلام الحسن، كأن يقول: قال فلان كذا وكذا غفر الله له، ويذكر شيئًا من فضله، إذا كان أخطأ في أمر من الأمور التي ليست من قبيل البدع والأهواء، فيُردَّ عليه ذلك الخطأ مع الاحترام والتبجيل، وإذا كان صاحب هوىٰ فيحتاج إلىٰ شيء من الغلظة والشدة، فالخطأ إذا كان علانية يُنكر علانية وليس هناك لوم علىٰ من أنكره ولا يقال: يا فلان كيف تُنكر علىٰ فلان وما أرسلت له رسالة سرية وتنصح له فيها؟ فهذا ليس شرطًا، فالخطأ إذا كان علانية فيُنكر علانية، وإذا كان الخطأ من الأخطاء السرية يكون الإنكار سِرًا.

فإذا أنكر الشخص علىٰ المُخطئ علانية؛ لأن المُنكر قد صار علانية فلا يُلام ولا يقال: إن هذا لا يجوز، وإن هذا أسلوب قبيح أو أسلوب سيء، بل هذا فيه خير لذلك الشخص الذي أخطأ وخير للمسلمين، لكن كما قلنا: لكل مقام مقال، فهناك مُخطئ يحتاج إلىٰ أن يُغلظ عليه القول، وهناك مُخطئ لا يكون كذلك، وأما الخطأ إذا انتشر علانية فلا بد أن يُنكر علانية فإن هذا من إنكار المُنكر الذي أمر الله به.

و هنالك من أهل العلم من يستعمل سياسة الرفق مع صاحب الخطأ، فيُرسل إليه رسالة سرية مع أنَّ الخطأ من الأخطاء العلني، فيُرسل إليه برسالة سرية حتىٰ لا تأخذه العزة بالإثم، فربما لو أُنكر عليه الخطأ علانية أخذته العزة بالإثم وتمادىٰ في الباطل، وحصلت منه الشرور والفتن، ولم يتواضع للحق، فهذا الأمر قد يراعىٰ من باب دفع الشر ودرء المفاسد، وإلا فالأصل: أن من أخطأ علانية يُنكر عليه علانية، وقد سار علىٰ هذا أئمة الإسلام في كل زمان فيُنكر بعضهم علىٰ بعض علانية، ويقفون علىٰ





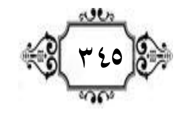

المقالات المُخالفة فيردونها علانية، وينكرونها علانية، فسار علىٰ هذا من مضىٰ من أئمة الإسلام. لكن كما قلنا: اختلفت أحوال كثير من الناس في هذه الأزمان، حتىٰ صار بعض الناس إذا أنكرت خطأه علانية اتخذك عدوًا وأثار الفتن والشرور عليك، فمن استعمل مع هؤلاء شيئًا من السياسة من أجل درء الفتن والشرور، فيُنصح له سِرًا فإن تمادىٰ في غيه بُينت المسألة فلا بأس بذلك، وإلا فإنَّ الأصل هو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا الأمر فيه مصلحة متعدية للناس، ومصلحة أيضًا لصاحب الخطأ، وهذا مما يُحبه العلماء الصادقون، وقد يُنكر علىٰ الشخص إذا حصل منه الإفحاش في الكلام وعدم التأدب مع أهل العلم وأهل الفضل، فقد يُنكر عليه من هذه الحيثية لا لأنه أنكر الخطأ وقرر الحق، فإن إنكار الخطأ وتقرير الحق مما جاءت به الشريعة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠].



وقد يقف الشخص علىٰ زلة وقع فيها عالم من العلماء الكِبار فينتقد الخطأ ولا يكتفي بنقد الخطأ ولكن إذا به يتكلم في ذلك العالم بما لا يليق وهو عالم سُنة وليس من أهل الأهواء، فمثلًا: يأتي إلىٰ العلامة ابن باز رحمه الله وينتقده في مسألة خالف فيها الدليل وإذا به يقول: انظر إلىٰ جهل هذا الرجل الذي يدعي العلم كيف يقع في هذه الزلة التي لا يقع بها حتىٰ صِغار الطُلاب؟!، فهذا الذي يُنكر عليه لا لأنه أنكر الخطأ؛ لكن لأنه أفحش في القول وما تأدب مع أهل العلم وأهل الفضل.

وإذا جاء إلىٰ مقولة للعلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال: قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذا وكذا، وهذا خلاف الدليل، ثبت عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال كذا وكذا، والظن بالشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه إذا وقف علىٰ هذا الحديث لأخذ به ولتراجع عن قوله، فإذا استعمل الإنسان الأدب فإنه لا لوم عليه في نقد الأخطاء حتىٰ ولو وقع فيها الكِبار، لكن يسلك مع أهل العلم والفضل مسلك الأدب.



فإذا كان النقد من هذا القبيل فإن هذا مما لا يُعاب به علىٰ الشخص، وإنما يُعاب أن يتكلم الإنسان بجهل أو يفحش بالقول مع أهل العلم والفضل والخير الذي عُلِموا بملازمة الحق وتعظيم الحق والأخذ بأدلة الشريعة والانقياد لأدلة الكتاب والسُنة، فيتحاشىٰ القول السيء مع هؤلاء وعليه أن يتأدب بنقد الأخطاء التي يقع فيها أهل العلم وأهل الفضل، إلا من عُرف منه العِناد واتباع الهوىٰ فهذا يُغلظ عليه من باب الزجر والردع، وهكذا إذا كان من أصحاب البدع والأهواء فهؤلاء يُغلظ عليهم كما هو سبيل من مضىٰ من أئمة السلف في معاملتهم لأهل البدع والأهواء، لأنَّ قلوبهم قد امتلأت بالباطل وهم أهل عناد.

فهذا هو المقصود بإنكار الخطأ علنا، وليس المُراد أن الإنسان يُقِل أدبه مع أهل العلم والفضل، ويُظهر نفسه بأنه أعلم منهم، وأنه صاحب السداد والتوفيق في المقال، وهم أصحاب الخطأ والزلل، ويتباهىٰ بعلمه وبنقده، وأنه المتبصر بالأمور فهذا رجل مغرور، لكن الكلام كما عرفنا يكون النقد نقداً فيه الأدب إلا في حق من عُرف عنه العناد، فلكل حال ما يُناسبه من الرفق ومن الشدة.

والنبي عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما هو معلوم قد أنكر الخطأ في العلانية في قضايا متعددة، وكان النبي عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقف علىٰ الخطأ مما يحصل من بعض أصحابه ويقوم علىٰ المِنبر ويقول: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ؟، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، كِتَابُ اللهِ أَحَقُّ، وَشَرْطُ اللهِ أَوْثَقُ**»، فقام النبي ﷺ علىٰ المِنبر وأنكر هذا الأمر، وقام النبي عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ المِنبر وقال: «**فَإِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا فَاطِمَةَ بِضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**»، فانتقد النبي عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علياً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في هذه القضية علنًا وقام علىٰ المِنبر

عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبين هذا الأمر وذكر علياً باسمه، وذكر أولئك القوم بأسمائهم إلىٰ غير ذلك من الأمور المتكاثرة الثابتة عن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في صحيح سنته.

وهكذا إنكاره علىٰ ذلك الذي أرسله في جمع الصدقات وقال: هذا أُهدي لي، وهذا لكم، فقام النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ المِنبر وانتقد هذه المقولة بكلام شديد معلوم، والأدلة في ذلك متكاثرة جدًا، فالخطأ قد يُنكر سرًا، وقد يُنكر علانية، وقد يُنكر الخطأ من غير أن يُذكر المُخطئ، وقد يُنكر الخطأ مع ذِكر المُخطئ، وكل هذا استعمله النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



قال وفقه الله:

من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جرح من يستحق الجرح:

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإنهُ مَا زَال سَّلفُ هذهِ الأمة وَخلفها يجرحونَ من يستحقُّ الجرحَ مِن رُواةِ الشريعة، ومنَ الشُّهود على دِماءِ العباد وأموالِهم وَأعراضِهم، ويُعدِّلونَ من يستحقُّ التعديلَ، وَلولا هَذا لتلاعبَ بالسُّنة المطهرةِ الكذابونَ، وَاختلط المعروفُ بِالمنكر، ولم يتبينْ ما هو صحيحٌ مما هُوَ بَاطلٌ، وما هو ثابتٌ مما هو موضوعٌ، وما هو قويٌّ مما هو ضعيفٌ؛ للقطعِ بأنه ما زال الكذابونَ يكذبونَ على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ –)[١].

الشرح:

قوله: (من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جرح من يستحق الجرح).

وهذا من جُملة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، سواءً ما يتعلق برواة الحديث أو بحملة الدين، وكذلك بما يتعلق بأصحاب الشهادات الذي يدلون بشهاداتهم للناس، فالشهود يحتاج فيهم إلىٰ الجرح والتعديل حتىٰ لا تُقبل شهادة الكذابين

(١) "الفتح الرباني" (١١/ ٥٥٨٣) ط. الجيل الجديد.

الذين يدعون الدعاوي الباطلة علىٰ أموال الناس ودمائهم وأعراضهم، ويأخذون الرشوة علىٰ الشهادات الباطلة ويشهدون بالزور، فجرح الشهود وتعديل الشهود فيه من مصالح شرعية.

وهكذا ما يتعلق بالجرح والتعديل لرواه الحديث؛ حتىٰ لا تُقبل الأحاديث المكذوبة علىٰ رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا لا تروج الأحاديث الضعيفة التي لم تثبت عن رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا باب عظيم.

وهكذا ما يتعلق بحمله الدين الذين يدعون العلم ويدعون الناس إلىٰ منهجهم وإلىٰ عقيدتهم، فلا بد من الجرح والتعديل فيهم، فإن الشخص قد يكون من دعاة البدع والضلال وهو يدعي العلم ويتظاهر بمظهر العلم وإفتاء الناس، والناس يجتمعون حوله ويسمعون له وهو يدعوهم إلىٰ النار: «**دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، كما قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حذيفة حُذيفة بن اليمان في "الصحيحين"، وفي حديث السُبل قال: «**وعَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، فأهل البدع والأهواء يدعون إلىٰ بدعهم وإلىٰ أهوائهم، فهؤلاء إذا لم يُجرحوا من قِبل علماء السُنة ويُحذر الناس منهم فيقال: فلان من أهل البدع والأهواء احذروه،وفلان يدعو يدعو إلىٰ البدع والأهواء فاجتنبوه، فإذا لم يُجرح هؤلاء فإن مؤدىٰ هذا الأمر: انتشار البدع في أوساط الناس، ووقوع الناس في أنواع الباطل، فهذا أيضًا من الأمور المُهمة.



فلا يختص الجرح والتعديل برواة الحديث، فمن الخطأ العظيم أن يقال: إن الحرج والتعديل يختص برجال الحديث فهذا خطأ، فرجال الحديث يحتاجون إلىٰ جرح وتعديل، والشهود في أمور الناس أيضًا يحتاجون إلىٰ جرح وتعديل، وهكذا من يدعي العلم أو كان عالمًا لكنه من عُلماء البدع والأهواء، فهؤلاء لا بد أن يُبين حالهم للناس؛ حتىٰ لا يقع الناس في البدع والأهواء الضلالات.

وجرح هؤلاء من الأمور العظيمة؛ لما في ذلك من سلامة الناس من أنواع البدع والأهواء، وما زال العلماء يتكلمون في أهل البدع والأهواء مُنذ الأزمان القديمة وإن لم يكونوا من رواة الحديث، وكُتب العُلماء مليئة بالجرح والتعديل في غير رواة الحديث ممن لم تُعلم له رواية.

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول في رأس الخوارج في ذي الخويصرة حرقوص بن زُهير التميمي: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»، جرحه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعينه، وبيَّن حاله وحال أتباعه، وما زال عُلماء السُنة علىٰ ذلك يتكلمون في الرجال من غير رواة الحديث، وما من زمن من الأزمان إلا وأهل السُنة لهم المقالات الكثيرة في الكلام علىٰ أهل الباطل وأهل البدع والأهواء، وكُتب السُنة مليئة، وإذا أراد الإنسان إن يُحصي كلام العلماء مُنذ عهد رسول الله ﷺ إلىٰ هذا الزمن في هذا الباب لعَسُرَ ذلك عليه.



قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإنهُ مَا زَال سَّلفُ هذهِ الأمة وَخلفها يجرحونَ من يستحقُّ الجرحَ مِن رُواةِ الشريعة، ومنَ الشُّهود على دِماءِ العباد وأموالِهم وَأعراضهِم، ويُعدِّلونَ من يستحقُّ التعديلَ، وَلولا هَذا لتلاعبَ بالسُّنة المطهرةِ الكذابونَ، وَاختلط المعروفُ بِالمنكر، ولَم يتبينْ ما هو صحيحٌ مما هُوَ بَاطلٌ، وما هو ثابتٌ مما هو موضوعٌ، وما هو قويٌ مما هو ضعيفٌ؛ للقطعِ بأنه ما زال الكذابونَ يكذبونَ على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ –**)

وهنا ذكر ما يتعلق بالجرح في رواة الشريعة وفي الشهود علىٰ دماء العباد، فالجرح قد يكون في رواة الشريعة وقد يكون في الشهود علىٰ دماء العباد وأموالهم وأعراضهم، وقد يكون كما عرفنا: الجرح في حملة العلم من أهل الباطل، الذين يدعون الناس إلىٰ البدع والأهواء.

قال وفقه الله:

فائدة مُحاربة أهل البدع:

قال بعض السلف: (**ونحن نرجو أن نُؤْجَرَ عَلَى ذَلِكَ إن شاءَ اللَّهُ**)[١].

الشرح:

بل في ذلك الأجر العظيم والأجر الكبير، وهذا جهاد في سبيل الله؛ لما فيه من حماية الإسلام من دسائس أهل البدع والأهواء فهذا من الجهاد في سبيل الله: فالتحذير من أهل البدع والأهواء من الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وإذا أخلصَّ العبد في ذلك لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان في عمل عظيم، وهذا هو منهج السلف وما زال السلف علىٰ هذا الأمر مُنذ الأزمان القديمة إلىٰ هذه الأزمان وهم يُحذرون من دعاة الباطل ومن دعاة أهل البدع والأهواء.

قال وفقه الله:

عقوبة الوالي لأهل الأهواء:

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(بَابُ عُقُوبَةِ الْإِمَامِ وَالْأَمِيرِ لِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ

يَنْبَغِي لِإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ وَلِأُمَرَائِهِ فِي كُلِّ بَلَدٍ إِذَا صَحَّ عِنْدَهُ مَذْهَبُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ -مِمَّنْ قَدْ أَظْهَرَهُ- أَنْ يُعَاقِبَهُ الْعُقُوبَةَ الشَّدِيدَةَ، فَمَنِ اسْتَحَقَّ مِنْهُمْ أَنْ يَقْتُلَهُ قَتَلَهُ، وَمَنِ اسْتَحَقَّ أَنْ يَضْرِبَهُ وَيَحْبِسَهُ وَيُنَكِّلَ بِهِ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، وَمَنِ اسْتَحَقَّ أَنْ يَنْفِيَهُ نَفَاهُ، وَحَذَّرَ مِنْهُ النَّاسَ)[٢].

(١) "الاعتصام" (١/ ٢٥٩).

(٢) "الشريعة" (٢/ ٦٧٤) ط. دار الفضيلة.

الشرح:

قوله: (يَنْبَغِي لِإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ وَلِأُمَرَائِهِ فِي كُلِّ بَلَدٍ إِذَا صَحَّ عِنْدَهُ مَذْهَبُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ -مِمَّنْ قَدْ أَظْهَرَهُ-): اشترط رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرطين:

الشرط الأول: الصحة، فلا تكون مجرد دعوىٰ ليس لها مستند صحيح.

والشرط الثاني: أن يكون مُظهرًا لتلك البدعة فيخرج من كان كاتمًا متسترًا لبدعته فإنه لا يُعاقب، فمن أظهر المُنكر عُوقِبَ ومن كان متسترًا به فأمره أهون، فلهذا يقول: (مِمَّنْ قَدْ أَظْهَرَهُ)؛ وذلك أن صاحب البدعة إذا أظهر بدعته تعدىٰ الضرر إلىٰ الغير، وإن كتمها فإنما يضر نفسه.



قوله: (فَمَنِ اسْتَحَقَّ مِنْهُمْ أَنْ يَقْتُلَهُ قَتَلَهُ): فقد تكون تلك البدعة بدعة كُفريَّة فيقام عليه حد الرِّدة فيقتله لردته وخروجه عن الإسلام، وقد تكون تلك البدعة بدعة مفسقة لا تُخرج صاحبها من الإسلام وهذا في قتله نزاع بين بين العلماء، هل يجوز أن يُقتل من قبيل التعزير إذا لم ينكف شره وضرره إلا بالقتل؟

في ذلك نزاع بين العلماء فمن أهل العلم من ذهب إلىٰ جواز قتل الداعية إلىٰ البدعة إذا كان شره لا ينتهي إلا بذلك فيقتل تعزيرًا، وذهب إلىٰ ذلك الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبعض علماء الشافعية والحنابلة، فهذا حصل فيه نزاع بين العلماء: وهو قتل المُبتدع تعزيرًا إذا عَظُمَ ضرره وكان شره لا ينقطع إلا بقتله.

ومن أهل العلم من ذهب إلىٰ جواز التعزير بالقتل سواءً فيما يتعلق بالبدع التي هي شر الأمور أو بغير البدع كالذنوب، إذا تحققت المصلحة وكانت المفسدة لا

تنبيه: استدل الآجري علىٰ قوله هذا بفعل الخلفاء الراشدين من قتل علي للخوارج، ومن ضرب عمر لصبيغ بن عسل التميمي ونفيه.

تنتهي إلا بمثل هذا التعزير، كأن لا ينزجر الناس عن ذلك الشر إلا بالقتل، وإذا ما نوعت لهم العقوبات فإنهم لا ينزجرون.

ومن هذا الباب ما وردَّ في قتل شارب الخمر في المرة الرابعة فإن هناك من أهل العلم من يرىٰ أن هذا من قبيل التعزير وليس من قبيل الحد، وهذا إذا كان الناس لا ينزجرون عن شُرب الخمر بالجلد بل يستهينون بهذا الحد ولا يُبالون به، ويتساقطون في هذه القذارة، وصار هذا الحد لا يحصل به المقصود من زجر الناس عن شُرب الخمر فمن أهل العلم من ذهب إلىٰ القتل في الرابعة من باب التعزير؛ حتىٰ ينزجر الناس عن هذه المعصية.

قال وفقه الله:

حبس هارون الرشيد لمن اُتِهمَ بالتشيع:

وفي ترجمة عباد بن العوام الواسطي: (كانَ ثِقَةَ في الحديثِ، وَكان يتشيع، فَأخذهُ هارونُ الرشيدُ فَحبسهُ زماناً ثم خَلاَّ عنهُ، وأقامَ ببغدادَ)[1].

بعض أضرار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يُبين بعض أضرار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر: (**فَيالكَ من بِدع تَظهر، وَمِن مُنكراتٍ تُسْتَعلنْ، وَمِن مَعرُوفَاتٍ تُسْتَخفي، وَمِنْ جَولاتٍ للعُصَاةِ وأهلِ البِدع تَقْوَى وَتَرْتَفِعْ، وَمِن ظُلماتٍ بَعضُهَا فَوقَ بَعْض تَظْهَرُ فِي النَّاسِ، وَمِن هَرْجٍ وَمَرْجٍ فِي العِبَادِ يَبْرُزُ للعَيَانِ، وَتُقَرُّ بِهِ عَيْنُ الشَّيطانِ**)[2].

الشرح:

(١) "تاريخ بغداد" (١١/ ١٠٧) ط. الكتب العلمية.

(٢) "الفتح الرباني" (١١/ ٥٥٧٧) ط. الجيل الجديد.

فإذا ما تُرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنَّه يحصل البلاء العظيم، وينتشر الشر الكبير بسبب إماتة هذه الشعيرة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر فيه حياة للحق وموت للباطل، وإذا ما كَثُرَ الآمرون بالمعروف والناهون عن المُنكر كَثُرَ الخير وقلَّ الشر؛ لكنهم قلة في الناس في مثل هذه الأزمان، وأكثر الناس لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر، ودعاة الضلال لهم الانتشار الواسع في كثير من المجالات سواءً عن طريق الخطابة في المساجد، أو عن طريق القنوات، أو عن طريق الصُحف والمجلات أو غير ذلك، فدعاة الباطل كُثْر؛ لكن جعل الله عَزَّوَجَلَّ الظهور والغلبة للحق: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨]، وإلا فإن دعاة الباطل كُثر، وهم الذين يزينون الباطل ويُنفرون عن المعروف.



قال وفقه الله:

شدة بُغض السَّلف للبدعِ وأهلها:

١- قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السُنة": حَدَّثني أبي، ثنا هُشَيْمٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو هَاشِمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَهُ الْقَدَرِيَّةُ فَقَالَ: (**لَوْ رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَعَضَضْتُ أَنْفَهُ**)[١].

٢- وعن مُجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ذُكر بعض أهل البدع عند ابن عباس فقال: (**لَوْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمْ لَأَخَذْتُ بِشَعَرِهِ**)[٢].

٣- قال طاووس لابن عباس: (يا ابن عباس الذين يقولون في القدرِ، قال: أروني بعضهم، قلنا: صانعٌ ماذا؟ قال: إذًا أضعَ يديَ في رأسِهِ فأدقَّ عنقهُ)[٣].

---

(١) "سنده صحيح، وقد صرح هشيم بالتحديث.

(٢) "الشريعة" للآجري رقم (٤٥٤).

(٣) "الشريعة" للآجري برقم (٤٥٢) بسند صحيح.

٤- وعن الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (إني أحبُّ من أحبَّهُم اللهُ؛ وهم الذين يَسلَمُ منهُم أصحابُ محمدٍ ﷺ، وأُبغِضُ مَن أبغضهُ اللهُ؛ وهُم أصحَابُ الأهواءِ والبدعِ)[1].

٥- قال سلام بن أبي مُطيع: (لأن أَلقَى اللهَ بِصحيفةِ الحجَّاجِ أَحَبُّ إِليَّ مِن أَن أَلقاهُ بِصحِيفةِ عَمْرو بن عُبيدٍ)[2].

الشرح:

١- قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السُنة": حَدَّثني أبي، نا هُشَيْمٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو هَاشِمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَهُ أهلُ الْقَدَرِ فَقَالَ: (لَوْ رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَعَضَضْتُ أَنْفَهُ).

وهذا مما يدل على شدة السلف على أهل البدع والأهواء، يقول: (لَوْ رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ)، أي: من الخائضين في القدر بالباطل، (لَعَضَضْتُ أَنْفَهُ)، أي عقوبة له وزجراً له.

٢- وعن مُجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ذُكر بعض أهل البدع عند ابن عباس فقال: (لَوْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمُ لَأَخَذْتُ بِشَعَرِهِ).

بمعنىٰ: لجررت شعره، المراد بذلك: التنكيل به.

٣- قال طاووس لابن عباس: (يا ابن عباس الذين يقولون في القدرِ، قال: أَرُوني بَعضَهُم، قُلنا: صانعٌ ماذا؟ قال: إذاً أضعَ يديَ في رأسهِ فأدقَّ عنقهُ).

فالسلف كانت عندهم هذه الشدة علىٰ أصحاب البدع والأهواء؛ لعلمهم ما في البدع من الضرر العظيم، والمتساهل معهم إنما أتي من جهله بحقيقة البدع وأضرارها. والجاهل بخطورة الشيء وضرره ومفاسده فإنه يتساهل به، سواءً كان

---

(١) "الحلية" برقم (١١٥٢٧) و "أصول اعتقاد أهل السنة" برقم (٢٦١).

(٢) "ميزان الاعتدال" (٢/١١) ط. دار الفكر.

فيما يتعلق بأمر الدين أو بأمر الدنيا، فبعض الناس يُمنع من شيء مُعين، ويقال له هذا مما تتضرر به لكنَّه لا يدري ما مقدار هذا الضرر وما هي المفاسد المترتبة من ذلك الشيء وإذا به لا يُبالي، فيرتكب ذلك الشيء الذي مُنِعَ منه، ولو عَلِمَ ما له من الأضرار الشديدة البالغة المُهلكة لابتعد منه، فكلما عَلِمَ الإنسان حقيقة الضرر كلما ازداد نفورًا عنه، لكن إذا كان جاهلًا بضرر ذلك الشيء فإنه يتساهل بالاقتراب منه، وهكذا ما يتعلق بالبدع والأهواء وبأهل البدع والأهواء، فكلما كان الإنسان جاهلًا بحقيقة البدعة وبأضرارها ومفاسدها وبشرها اقترب منها، وكلما عَلِمَ ما فيها من الضرر والشر ازداد بُعدًا ونفورًا عنها، وازداد غِلظة علىٰ أهلها.



٤- وعن الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (إني أحبُّ من أحبَّهُم اللهُ؛ وهم الذين يَسلَمُ منهُم أصحابُ محمدٍ ﷺ، وأُبغِضُ مَن أبغضهُ اللهُ؛ وهُم أصحَابُ الأهواءِ والبدع).

٥- قال سلام بن أبي مُطيع: (لأن أَلقىَ اللهَ بِصحيفةِ الحجَّاجِ أَحَبُّ إليَّ مِن أَن أَلقاهُ بِصحيفةِ عَمْرو بِن عُبيدِ).

ما الفرق بين الحجاج وعمرو بن عُبيد؟

عمرو بن عُبيد معتزلي، والحجاج من الفُساق الظلمة، وهو الذي قال فيه عمر بن العزيز: (**لو جاءت كل أمةٍ بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم**)، فالحجاج فيه ما فيه من الشر، وفيه ما فيه من الظُلم، لكن مع هذا يقول سلام بن أبي مُطيع: (**لأن أَلقىَ اللهَ بِصحيفةِ الحجَّاجِ أَحَبُّ إليَّ مِن أَن أَلقاهُ بِصحيفةِ عَمْرو بِن عُبيدِ**)، فكون الشخص يلقىٰ ربه بشيء من الفسوق والعصيان التي دون الكفر والشرك أهون من أن يلقاه بالبدع، وهذا يدل علىٰ أنه لا يرىٰ تكفير الحجاج، وقد تنازع العلماء فيه، لكنَّ سلامًا يرىٰ أن الحجاج من أهل الإسلام لكن فيه ما فيه من الظُلم والفسوق.

وعمرو بن عُبيد كان زاهداً، فكان مشهورًا في الزهد بالدنيا، وفيه قال ذلك أحد الأمراء: (كلهم يمشي رويد، كلهم يطلبُ صيد إلا عمرو بن عُبيد)، أي: أنَّ من يأتي

إليه لنصحه إنما يُريد أن يصطاد شيئًا من مال السُلطان؛ لكن عمرو بن عُبيد يأتي ناصحًا زاهدًا فيما عند السُلطان، لكن عمرو بن عُبيد من أهل البدع والأهواء، والحجاج من أهل الفسق والفجور، فقال: (**لأن أَلقىَ اللهَ بِصحيفةِ الحجَّاجِ أَحَبُّ إليَّ مِن أَن أَلقاهُ بِصحِيفةِ عَمْرِو بنِ عُبيدٍ**).

فهؤلاء القوم عرفوا البدعة وأضرارها فقالوا مثل هذه المقولات.

قال وفقه الله:

من منهج السلف طاعة الولاة في غير معصية:

١- قال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا نَرى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ)[١].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَمَّا لُزُومُ طَاعَتِهِمْ وَإِنْ جَارُوا، فَلِأَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ طَاعَتِهِمْ مِنَ الْمَفَاسِدِ أَضْعَافُ مَا يَحْصُلُ مِنْ جَوْرِهِمْ، بَلْ فِي الصَّبْرِ عَلَى جَوْرِهِمْ تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَمُضَاعَفَةُ الْأُجُورِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا سَلَّطَهُمْ عَلَيْنَا إِلَّا لِفَسَادِ أَعْمَالِنَا، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَعَلَيْنَا الِاجْتِهَادُ فِي الِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ وَإِصْلَاحِ الْعَمَلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشُّورَىٰ: ٣٠])[٢].

٢- قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَيسَ مِنَ السُّنَةِ قِتَالُ السُلطَانِ؛ فَإِنَّ فِيهِ فَسادَ الدِّين وَالدُنيا**)[٣].

---

(١) "العقيدة الطحاوية" (ص٣٧٩) مع شرح الألباني، ط. الكتب الإسلامي.

(٢) "شرح الطحاوية" (١/ ٣٦٨-٣٦٩) ط. ألفا للنشر.

(٣) "شرح السُنة" الفقرة (٣٤).

٣- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَعَلَّهُ لَا يَكَادُ يُعْرِفُ طَائِفَةً خَرَجَتْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ، إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَزَالَتْهُ)[1].

٤- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الخوارج: (فَلَا أَقَامُوا دِينًا وَلَا أَبْقَوْا دُنْيَا)[2].

٥- وقال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ)[3].

٦- وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليسَ مِن مَنهج السَّلفِ التشهيرُ بعيوبِ الولاةِ وذكرُ ذلكَ على المنابر؛ لأنَّ ذلك يُفضي إلى الانقلابات وعَدَم السمع والطاعةِ في المعروفِ، ويُفضي إلى الخروج الذي يَضُرُّ ولا ينفعُ)[4].

٧- وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأعظمُ فتنةٍ ابتُلِيَّ بها المسلونَ الخروجُ على ولاةِ الأمورِ إنهُ أشدُّ عليهم مِن أعدائِهم)[5].

الشرح:

قوله: (من منهج السلف طاعة الولاة في غير معصية).



وهذا ما أمر الله به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]، فأمر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بطاعة أولياء الأمور، وطاعة أولياء الأمور تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولها لم يقل سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: (وأطيعوا أولي الأمر

(١) "منهاج السُنة" (٢/ ٤٦٣٩) ط. دار الفضيلة.
(٢) "المصدر السابق" (٤/ ٥٢٧).
(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السُنة" (١/ ١٨١) ط. طيبة.
(٤) مادة سمعية من شريط "طاعة الولاة".
(٥) "المخرج من الفتنة" (ص١٨٦) ط. صنعاء الأثرية.

منكم)، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩]؛ وذلك أن طاعة أولياء الأمور تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وفي الحديث الذي في "الصحيحين" قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»، وهو وارد في شأن طاعة الأُمراء، في قصة ذلك الأمير الذي أمرَّ الناس الذين خرجوا معه في الغزو بإحراق أنفسهم في القصة المشهورة، فقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»، فأولياء الأمور يُطاعون في غير معصية الله، ويُطاعون حتىٰ في الأمور المُباحة التي فيها شيء من المصالح للمسلمين وإن لم تكن من قبيل الواجبات أو من قبيل ترك المُحرمات فيطاعون في ذلك إلا إذا أمروا بمعصية الله فإنه لا طاعة لهم بمعصية الله، والمعصية تشمل: فعل المُحرم أو ترك الواجب، كل هذا داخل في معصية الله.

١- قال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ).

وهذا هو منهج السلف وهو مُدون في كُتب العقائد التي تسمىٰ كتب السُنة، أو أصول السُنة، أو كُتب الشريعة، أو أصول الاعتقاد، أو التوحيد، أو الإيمان، فالتسميات متنوعة والمؤدىٰ واحد كل هذه كُتب عقيدة دونَّ فيها أئمة السلف هذا الأمر وذكروا ما ذكره أبو جعفر الطحاوي هاهنا: من طاعة أولياء الأمور في غير معصية الله، وأن لا ننزع يدًا من طاعتهم، وأن ندعو لهم بالخير والصلاح، ولا ندعو عليهم.

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَمَّا لُزُومُ طَاعَتِهِمْ وَإِنْ جَارُوا، فَلِأَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ طَاعَتِهِمْ مِنَ الْمَفَاسِدِ أَضْعَافُ مَا يَحْصُلُ مِنْ جَوْرِهِمْ، بَلْ فِي الصَّبْرِ عَلَى جَوْرِهِمْ تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَمُضَاعَفَةُ الْأُجُورِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا سَلَّطَهُمْ عَلَيْنَا إِلَّا لِفَسَادِ أَعْمَالِنَا، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَعَلَيْنَا الِاجْتِهَادُ فِي الِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ وَإِصْلَاحِ الْعَمَلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشُّورَىٰ: ٣٠]).

قوله: (وَأَمَّا لُزُومُ طَاعَتِهِمْ وَإِنْ جَارُوا، فَلِأَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الْخُرُوجِ مِنْ طَاعَتِهِمْ مِنَ الْمَفَاسِدِ أَضْعَافُ مَا يَحْصُلُ مِنْ جَوْرِهِمْ): وهذا كلام أئمة السلف كلام العلماء المتبصرين، أما أصحاب الجهل وأصحاب الفتن فإنهم يزينون الشر للناس، كما حصل في هذه السنين القريبة وأدخلوا الناس في عالم الأحلام، وسوف يكون، وسوف يكون، وسوف يكون، وسنعمل، وسنعمل وهي أكاذيب.



قوله: (فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَا سَلَّطَهُمْ عَلَيْنَا إِلَّا لِفَسَادِ أَعْمَالِنَا): فإذا أردنا صلاح الراعي فلنصلح أنفسنا هذا الطريق الصحيح، وإذا أصلحنا أنفسنا ولىٰ الله علينا صالحًا من أمثالنا، وإذا فسدَّ الناس كان ولاتهم علىٰ نظير أعمالهم.

وللعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام حسن في "مفتاح دار السعادة" بيَّن هذا الأمر، وأن ولاة الأمور كالمرآة بالنسبة للرعية، يعكسون صور الرعية، فإذا حصل ظُلم في الرعية انعكس ذلك علىٰ أولياء الأمور، فإن غشوا غشوا، وإن بغوا بغوا عليهم، وإن استعملوا معهم المكر والخديعة استعمل عليهم الولاة المكر والخديعة، فولاة الأمور كالمرآة للرعية، ما فعله الرعية ينعكس علىٰ ولاة أمورهم، والله يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩]؛ أي بسبب أعمالهم وظُلمهم.

قوله: (فَعَلَيْنَا الِاجْتِهَادُ فِي الِاسْتِغْفَارِ، وَالتَّوْبَةِ، وَإِصْلَاحِ الْعَمَلِ): هذا هو العلاج الصحيح، ليس الثورات والانقلابات والفوضىٰ وإشعال الفتن.

٢- قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَيسَ مِنَ السُّنَةِ قِتَالُ السُلطَان؛ فَإنَ فِيهِ فَسادَ الدِّين وَالدُنيا).

والأمر كما قال، وكما قال غيره من أئمة السلف فهذا الكلام تتابع عليه من مضىٰ من أئمة السلف.

٣- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَعَلَّهُ لَا يَكَادُ يَعْرِفُ طَائِفَةً خَرَجَتْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ، إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَزَالَتْهُ).

وهذا علىٰ مر التاريخ، وهي سُنة مطردة إلىٰ هذه الأزمان.

ومثل هذا الكلام وغير هذا الكلام كان يُلقىٰ علىٰ الناس في مبدأ اشتعال الفتن ولا يُبالي كثير من الناس بذلك، ولا بأدلة الكتاب ولا بأدلة السُنة، ولا بكلام من مضىٰ من أئمة السلف؛ فإن الفتن إذا هاجت عجز العُقلاء عن دفع السفهاء.



وكما قال حُذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (مَا الْخَمْرُ صَرْفًا بِأَذْهَبَ بِعُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ الْفِتْنَةِ)، يعني: الذي يشرب الخمر صرفًا ليس مخففًا بالماء، ليس هذا بأذهب لعقول الناس من الفتن، الفتن تُذهب بالعقول أشد من إذهاب الخمر الصرف لعقول الناس، والأمر كما قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فالناس في وقت الفتن أشبه بالمجانين لا يستمعون لا لأدلة الكتاب ولا للسُنة ولا لأقوال الناصحين، ومن نصح عُوديَّ أشد العداء وربما ضُرِب وربما قُتل والعياذ بالله.

٤- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الخوارج: (فَلَا أَقَامُوا دِينًا وَلَا أَبْقَوْا دُنْيَا).

أي في خروجهم علىٰ أئمة المسلمين وعلىٰ المسلمين عمومًا، ما الذي حصل منهم؟ لا أقاموا دينًا ولا أبقوا دنيا، سواءً الخوارج القدامىٰ أو من سار علىٰ سيرهم من خوارج العصر، أصحاب الفتن والثورات والانقلابات والفوضىٰ.

٥- وقال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ).

إذًا هذه المسألة من المسائل التي يُبدع بها الشخص وهي: الخروج علىٰ أولياء أمور المسلمين إذا حصل منهم شيء من الظُلم ولم يحصل منهم الكفر الأكبر الذي عندنا فيه من الله برهان، فإن الخروج عليهم من البدع.

٦- وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليسَ مِن مَنهجِ السَّلفِ التشهيرُ بعيوبِ الولاةِ وذكرُ ذلكَ على المنابرِ؛ لأنَّ ذلك يُفضي إلى الانقلاباتِ وعَدَمِ السمعِ والطاعةِ في المعروفِ، ويُفضي إلى الخروجِ الذي يَضُرُّ ولا ينفعُ).



وهذا التشهير هو نابتة الخروج، فإن الخروج بالسنان يكون بعد الخروج باللسان، فلا يخرج الناس السيف والسنان إلا بعد أن يحصل منهم التهييج باللسان، فمبدأ الخروج علىٰ أولياء أمور المسلمين إظهار العيوب.

ولمَّا خرج من خرج علىٰ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أشاعوا بعض الأمور الكاذبة علىٰ عُثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وطعنوا فيه ببعض الطعونات، وعابوه ببعض المعايب ثم خرجوا عليه.

ومن طوائف الخوارج القعدية وهم الذين يُهيجون الناس علىٰ الخروج ويقعدون ولا يخرجون معهم.

ويأتي الملبسون إلىٰ قول النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**أَفْضَل الْجِهَاد كَلِمَة حَقٍّ عِنْد سُلْطَان جَائِر**»، فيقولون: من أفضل الجهاد في سبيل الله أنك تتكلم علىٰ السُلطان من

علىٰ المنابر، فيُحرفون الكلم عن مواضعه، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «**عِنْد سُلْطَان جَائِر**»، لم يقل علىٰ المنابر أو في الأسواق، أو في الأندية، وإنما في وجهه وعنده، تُنكر عليه المُنكر في وجهه وتُخاطبه بذلك وتنصح له في وجهه فإن قتلك بعد ذلك فأنت من أفضل الشهداء وهذا الفعل من أفضل الجهاد في سبيل الله.

وفي حديث عياض بن غنم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه ابن أبي عاصم في "السُنة" وغيره قال: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**»، فهكذا هو السبيل الصحيح: فلا يُبده علانية ويُثير الفتن والقلاقل في أوساط الناس، وإنما يأخذ بيده ويخلو به، فإن استجاب للنصح فذاك وإلا يكون قد أدىٰ الذي عليه فهذه الطريقة الصحيحة.

وفي "البخاري" عن شقيق رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قِيلَ لِأُسَامَةَ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَىٰ عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟ وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ**)، وفي بعض ألفاظ الحديث قال: (**سِرًا**)، ثم قال: (**لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ افْتَتَحَهُ**)، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أي باب الفتنة**)، وهو باب الكلام علىٰ أولياء أمور المسلمين فإنه باب الشر والفتنة، فأسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان ينصح لعثمان إذا رأىٰ شيئًا ينكره وذلك فيما بينه وبينه ولا يتحدث عند الناس؛ لأن هذا فتح لباب الفتنة وهو لا يُريد أن يكون هو مفتاحًا لباب الفتنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهكذا هم العقلاء الذين يعرفون الأمور، ويعرفون كيف يُعالجون الأمور، ويعرفون أسباب الفتن فيبتعدون عنها، ويغلقون أبواب الفتن ولا يهيجون الناس علىٰ ما فيه الفساد عليهم في دينهم وفي دنياهم.

٧- وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأَعظمُ فتنةٍ ابتُلِيَّ بهَا المسلمونَ الخروجُ على ولاةِ الأمورِ إِنهُ أشدُّ عليهم مِن أعدائِهم).

والأمر كذلك، فالأعداء ما الذي يصنعونه؟! وهؤلاء يحصل بسببهم للبلاد دمار لا يتمكن منه الأعداء كما هو الواقع في كثير من بُلدان المسلمين، وكل هذا من مكر الأعداء من اليهود والنصارىٰ، فيهيجون الفتن في أوساط الناس، ويفعلون ذلك لأنَّه أهون عليهم من أن يأتوا إلىٰ بلاد المسلمين بالقوة ويخسرون ما يخسرون من الأسلحة والرجال، فيهيجون الفتن في أوساط المسلمين فتحصل بينهم الشرور والفساد والقتل والقتال والدمار بأموالهم وبأسلحتهم، فيدمرون أنفسهم بأنفسهم وأولئك ينظرون فيهم ويضحكون والعياذ بالله.



قال وفقه الله:

فائدة:

من هو العالم حقًا؟.

قال ابن سعد: أَخْبَرَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا زُرَيْكُ بْنُ أَبِي زُرَيْكٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: (**إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ**)[(١)].

الشرح:

وَمُرادَ المؤلف: أن العالم حقًا هو الذي يُدرك الفتن عند إقبالها فيعلم أن هذه فتنة وأن هذا شر، فيبتعد عنها ويُحذر الناس منها، فهذا هو العالم حقًا الذي يعرف الفتن في وقت إقبالها فيتقي الفتنة ويُحذر الناس من شرها، وأما إذا جاءت الفتنة وهاجت في الناس وفُتِنَ فيها من فُتِنْ وضلَّ فيها من ضلَّ ثم أدبرت فإنهُ يعرفها كلُّ جاهل، ويعرفها كل من وقع في شرها ونال من حرها فيعلم أنها فتنة.

(١) "الطبقات" (٧/ ١٢٢) ط. الكتب العلمية، بسند صحيح.

والفتنة في أول أمرها تأتي مُزينة يغتر بها الجاهلون ويعلمها العالِمون، وإذا ولت ولت بأقبح صورها فيعرفها كلُ جاهل.

قال الإمام البخاري رحمه الله في "صحيحه": وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: عَنْ خَلَفِ بْنِ حَوْشَبٍ: كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ عِنْدَ الفِتَنِ، قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ:

الحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً ... تَسْعَىٰ بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ

حَتَّىٰ إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا ... وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ

شَمْطَاءَ يُنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ ... مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

فكلام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام حسن، ويؤيده ما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في فتنة قارون حين خرج علىٰ قومه في زينته: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [القصص:٧٩]، فلما شاهدوا تلك الفتنة فُتِنوا بها واغتروا بِها، وقال لهم العلماء كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص:٨٠]، فالعلماء تبصروا بتلك الفتنة وما اغتروا بها، ولمَّا ولت الفتنة وخسف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقارون الأرض هنا عرف ذلك الجاهلون: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢﴾ [القصص:٨١-٨٢]، فعرفوا تلك الفتنة لمَّا ولت وخسفَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقارون وبداره الأرض.

فهذا شأن العلماء وذلك شأن الجُهَّال، فالعلماء يعرفون الفتن في أول أمرها.

وروىٰ ابن سعد في "الطبقات" في فتنة ابن الأشعث: أن قومًا جاءوا إلىٰ الحسن البصري حين خرج من خرج في فتنة ابن الأشعث في قتال الحجاج، فقالوا له: **(يا أبا**

سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام وترك الصلاة وفعل وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج، قال: فقال الحسن: أرىٰ أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتىٰ يحكم الله وهو خير الحاكمين)، فتكلم معهم بعلم، (قال: فخرجوا من عنده وهم يقول: نطيع هذا العلج! قال: وهم قوم عرب)، والعلج: هو الكافر من العجم، (قال: وخرجوا مع ابن الأشعث، قال: فقتلوا جميعًا)، ما نجىٰ منهم أحد.

وفتنة ابن الأشعث، أدركها الحسن البصري وعَلِمَ ضررها أول ما سَمِع بها، وحذر من ذلك الخروج، وأولئك القوم لم يلتفتوا إلىٰ قوله بل عادوه وشتموه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا تلكم معهم بالحق، فكانت العاقبة أنهم هلكوا، ومن نجا منهم فإنه نَدِم مما حصل منه غاية الندم وذلك لمَّا رأوا ضرر تلك الفتنة وأنه لم تصلح لهم الدنيا بذلك ولا الدين، ولم ينالوا خيرًا، فلما ولت تلك الفتنة ورأوا ضررها وأنَّه ليس فيها خير ولا مصلحة للإسلام ولا للمسلمين ندموا غاية الندم.



ولهذا ينبغي للشخص في الفتن: أن يتجه إلىٰ العلماء، فإذا ما هاجت الفتن لا يكون أول وقودها وإنما يسأل العلماء ويتجه إلىٰ العلماء وينظر فيما يقولون وما ينصحون به؛ فإن العلماء عندهم البصيرة في باب الفتن، فإذا ما التبس الأمر علىٰ الشخص فالله يقول: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ [الأنبياء:٧]، فلا يتجه إلىٰ الفتن فتحُرقهُ كما تُحرق غيره ويطلب لنفسه السلامة بإرجاع الأمر إلىٰ أهله، وسؤال العلماء والأخذ بقولهم ونصحهم.

والخير أن يعرف الإنسان الفتنة في أول أمرها، أما إذا ولت واحترق بشررها فهذا إن نجاه الله عَزَّوَجَلَّ من الهلاك في آخر الأمر لكنه لم يسلم من ضررها ومن شررها.

قال وفقه الله:

محاربة السلف لأهل البدع:

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَانَ أهلُ البدعِ فِي زمنِ الصَّحابةِ والتابعين وَمَن تَبِعهُم بإحسانٍ في خبايا وَزَوَايا لا يَتَّصِلُ بِهِمْ إِلا مَغرورٌ، وَلا يَنْخَدِعُ بِزَخَارفِ أَقْوَالِهِمْ إِلا مَخْدوعٌ، حَتى نَجَمَ نَاجِمُ المِحْنَةِ، وَبَرقَ بَارِقُ الشَّرفِ عَهْدِ المأمُونِ الخليفةِ السَّابع مِنْ بَني العبَّاس فَأَخرجَ أهلُ البِدَعِ رُءُوسَهُمْ ودَعُوا النَّاسَ إلى تِلكَ البدعَةِ العَظيمةِ وَهي القوْلُ بِخلق القرآن، وَنَاضلوا المُخَالفِينَ لها حَتَى اختلَطَ المَعْرُوفُ بِالمُنْكر، وَاشتَبَهَ عَلَى العَامةِ الحقُّ بِالبَاطِلِ، وَالسُّنَّةُ بالبدْعةِ، وَلمَّا كَانَ اللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قَدْ تكفَلَ بِإظهَارِ دِينهِ عَلَى الدِّينِ كُلِهِ، وَبِحفظِهِ عَن التَّحريفِ والتَغْييرِ وَالتَبديلِ، أَوْجَدَ مِنْ عُلماءِ الكِتَابِ والسُّنَةِ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنَ العُصُورِ مَن يبيِّنُ للنَّاسِ دِينَهُمْ، وَيُنْكِرُ عَلى أهلِ البِدَعِ بِدَعَهُمْ، فكانَ لَهُمْ -وللهِ الحمدُ- المَقَامَاتُ المحْمُودَةُ، وَالمَواقِفُ المَشْهُودَةُ فِي نَصرِ الدِّينِ، وَهَتْكِ المبْتَدِعِينَ)[1].

الشرح:

قوله: (كَانَ أهلُ البدعِ فِي زمنِ الصَّحابةِ والتابعين وَمَن تَبِعهُم بإحسانٍ في خبايا وَزَوَايا): هكذا كانوا في زمن الصحابة وزمن التابعين، في زمن قوة السُنة وضعف البدعة، فكان هذا هو حال أهل البدع والأهواء.

قوله: (فَأَخرجَ أهلُ البِدَعِ رُءُوسَهُمْ): وهم المعتزلة في ذاك الزمن، أخرجوا وأظهروا مذهب الجهمية في مسألة خلق القرآن.

---

[1] ملخصًا بتصرف من "الفتح الرباني من فتاوىٰ الإمام الشوكاني" (١/ ٢٥٨-٢٥٩) ط. الجيل الجديد.

قوله: (**أَوْجَدَ مِنْ عُلماءِ الكِتَابِ والسُّنَةِ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنَ العُصُورِ مَن يبيِّنُ للنَّاسِ دِينَهُمْ**): ومن هؤلاء الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فنصر الله عَزَّوَجَلَّ به السُنة في تلك المِحنة، وأظهر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحق علىٰ لسانه حيث تكلم به ولم يتكلم بالباطل وصبر علىٰ الأذىٰ، فانتهت دولة أهل البدع وزال شرهم، وانتشرت السُنة بعد ذلك وقُمِعت البدعة والعاقبة للمتقين كما أخبرنا بذلك رَبُنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولا بد من الابتلاء والامتحان في أول الأمر، فيُبتلىٰ المؤمن ويُمتحن ويُبتلىٰ علىٰ قدر دينه، وذلك البلاء الذي حصل في ذاك الزمن من البلاء الشديد العظيم، ومحنة من المِحن الكُبرىٰ فصبرَ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ صبرًا عظيمًا، فنصر الله عَزَّوَجَلَّ به السُنة وقمعَ الله عَزَّوَجَلَّ به البدعة، ولو تكلم بالباطل في ذاك الوقت وتأول كما تأول غيره بالإكراه لانتشرت هذه المقولة الكُفرية في العالم، ولانتحلها كثير من عامة الناس فإن عامة الناس يُعظمون العلماء لا سيما في ذاك الزمن ويأخذون دينهم من أهل العلم، والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانت له المكانة الرفيعة في الناس لو قال تلك المقولة لفُتِنَ أكثر الناس، ولوقعوا في هذه البدعة الكفرية العظيمة وهي: القول بخلق القرآن، فصبرَ من أجل الله عَزَّوَجَلَّ صبرًا عظيمًا ورفع الله عَزَّوَجَلَّ مكانته في أوساط الناس إلىٰ هذه الأزمان، فإذا ذُكِرَ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذُكِرَ بالتبجيل والتعظيم والثناء الحسن، ويوصف بالإمامة في الدين ويقال له: إمام أهل السُنة أي: أنه من كبار أئمة أهل السُنة، وبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، وهذا الذي حصل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تلك الفتنة العظيمة: صبر وقال الحق وعنده اليقين، وعنده الصبر فصار إمامًا مُبجلًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



فعلىٰ كلٍ: الحق لا بد له من ظهور وإن حصل له خفاء وضعف في وقت من الأوقات فهو من باب الابتلاء والامتحان وإلا فإن الحق لا يزول بالكُلية ولا ينتهي

بالكلية لا بد من ظهور للحق، لكن في بعض الأزمان يضعف الحق ويكثر المتكلمون بالباطل، وفي بعضها يكون بالعكس من ذلك والأيام دول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، فهذه سُنة من سُنن الله عَزَّوَجَلَّ: أنه جعل الأيام دولًا بين الناس، لا يبقىٰ الشر ويستمر، وهكذا لا يكون الظهور للحق في جميع الأوقات، بل يظهر الباطل في وقت ثم ينقمع ويظهر الحق، والعاقبة للمتقين في الدنيا وفي الآخرة، وليست العاقبة لهم في الآخرة فقط بل في الدارين، ولا شك أن أعظم العاقبة هي عاقبة الآخرة، لكن الله عَزَّوَجَلَّ جعل العاقبة الحسنة للمتقين في الدنيا وفي الآخرة.



آثار في التحذير من البدع

قال وفقه الله:

تعريف البدعة:

١- قل العلامة الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَالْبِدْعَةُ إِذَنْ عِبَارَةٌ عَنْ: طَرِيقَةٍ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٍ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ)[(١)].

٢- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والبدعةُ التي يُعدُّ بها الرجلُ من أهلِ الأهواءِ ما اشتهرَ عندَ أهلِ العلمِ بالسُّنةِ مخالفتُها للكتابِ والسُّنةِ)[(٢)].

٣- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكلُ مَن دَانَ بِشيءِ لَم يَشْرَعهُ اللهُ فَذَاك بِدعَةٌ وَإِن كَانَ متأولًا فِيهِ)[(٣)].

تعريف المبتدع:

قال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والعَامِلُ بِغيرِ السُّنَةِ تَدينًا هُوَ المُبتَدِعُ بِعينِهِ)[(٤)].

فائدة:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا بُدَّ أن نُميِّزَ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ، فأَنَّ السُّنَّةَ هِيَ مَا قَامَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ عَلَيْهِ)[(٥)].



الشرح:

١- قل العلامة الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَالْبِدْعَةُ إِذَنْ عِبَارَةٌ عَنْ: طَرِيقَةٍ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٍ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ).

---

(١) "الاعتصام" (١/ ٤٣).

(٢) "الاستقامة" (٥٩) ط. دار الفضيلة.

(٣) "المصدر السابق" (٥٩).

(٤) "الاعتصام" (١/ ٥٤).

(٥) "مجموع الفتاوى" (٣/ ٣٥١).





قوله: (تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ): أي: تُضاهي الطريقة الشرعية.

قوله: (يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ): فهذا هو مقصد أهل البدع والأهواء فيما يُحدثونه إما من العقائد، أو الأقوال، أو الأعمال الظاهرة والباطنة، يُريدون بذلك المبالغة في التعبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

فالبدعة: هي الحدث في الدين مما ليس منه، فإن أحدث الشخص أمرًا وليس له علاقة بالدنيا وإنما له علاقة بالدين وليس هو من الدين فهو ردٌّ، فهذه هي البدعة التي بينها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا»، إشارة إلىٰ أمر الدين، «مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، فالبدعة المذمومة: هي الحدث في الدين.



أما ما يتعلق بالدنيا فالأصل أنَّ ما في الدنيا هو الحِل إلا إذا كان فيه ما يُخالف الشريعة، وإلا فللناس أن يحدثوا في ديناهم ما شاءوا ما لم يكن هذا الإحداث فيه مُخالفة للشريعة، فإن كان فيه مُخالفة للشريعة مُنِعْ، وما سوىٰ ذلك فالأصل في الإحداث في الدنيا هو الحِل.

وأما ما يتعلق بأمر الدين فالأصل هو الحُرمة: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» والشيء إذا كان من أمر الدين فلا نحتاج أن نسأل من جاء به، هل قصدت التعبد أو لم تقصد؟ فكونه من الدين فالأصل أنه علىٰ معنىٰ التعبد، ولا يُشترط أن نسأل المُحدث هل أردت التعبد أو لم تُرد التعبد بذلك القول أو بذلك الفعل، فإذا جاءنا شخص وصلىٰ الظُهر خمس ركعات فلا نحتاج أن نقول له هذه الركعة الخامسة زدتها علىٰ نية التعبد أو علىٰ غير نية التعبد، لأنَّها عبادة فلا نحتاج إلىٰ هذا السؤال، لكن يُقال: هل زدت تلك الركعة متعمدًا أو ساهيًا؟ وهكذا إذا أحدثَّ صومًا




واستمر عليه في كل عام أو في كل أسبوع مما لم تأتِ به السُنة فهل نقول لذلك الصائم هل أردت بهذا الصيام التعبد أو غير التعبد؟

لا نحتاج إلىٰ هذا السؤال لأنَّ الصيام عبادة وهذا حدث في أمر الدين، فإنه إذا ادعىٰ خلاف ذلك لم يقبل منه، فلو قال: ما أردت التعبد، هل يُقبل منه هذا الكلام؟

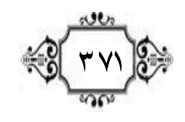
لا يقبل منه، فهي عبادة أحدثها، لكن من الذي يحتاج أن يُسأل؟

يُسأل الشخص الذي جاء بشيء يحتمل العبادة وغير العبادة، فهنا نحتاج أن نستفصل، كما أشار إلىٰ هذا المعنىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا شاهدنا مثلاً رجلًا يسعىٰ بين جبلين، فهنا نحتاج أن نستفصل ما الذي تريد بهذا الفعل؟ إن قال: أُريد أن أفعل كما يفعل الحُجاج والمعتمرون من السعي بين الصفا والمروة فيُحكم علىٰ هذا العمل بأنه بدعة من البدع، وإذا قال: أنا أسعىٰ بين الجبلين علىٰ معنىٰ الرياضة أُريد أن أتقوىٰ فإنَّه يحكم علىٰ فعله بأنه مُباح، فالعمل إذا كان فيه تردد بين العبادة وغيرها فهنا نحتاج أن نستفسر الفاعل، فإن ذكر أنه أراد معنىٰ العبادة فإنه يُحكم عليه بالبدعة، وإذا ذكر معنىً مُباحـًا فيترك وشأنه.



وهكذا إذا طاف شخص حول بيت فهنا يُحتاج أن يُستفسر: لماذا تطوف حول هذه البيت؟ فإن قال: أُريد أن أفعل كما يفعل الحُجاج والمعتمرون في الطواف حول البيت فإننا نحكم عليه بالبدعة، وإذا ذكر أمرًا مُباحًا: وهو أنه أراد بذلك الرياضة، ولم يخطر معنىٰ العبادة في نفسه ولا أراد هذا الأمر، أو أنَّه طاف حول البيت لينظر إليها وما فيها من الخلل والعيب أو غير ذلك من المقاصد المُباحة فإنه لا يُحكم عليه بالبدعة.

إذًا: نحتاج أن نستفسر الشخص في عمله ماذا أراد به إذا كان العمل مُحتمل، يفعله الشخص علىٰ نية العبادة، وآخر يفعله علىٰ غير نية العبادة فهنا نحتاج أن نستفصل، لكن العمل إذا كان من قبيل العبادات فهنا لا نحتاج أن نستفصل هل أردت بذلك



التعبد لله عَزَّوَجَلَّ أو لم تُرد؟ فيكفينا أن هذا العمل عبادة من العبادات وأن من فعله فيحكم علىٰ حسب الظاهر أنه أراد التعبد ولو ادعىٰ خلاف ذلك لم يلتفت لدعواه؛ لأنه ادعىٰ دعوة بعيدة خلاف الظاهر فلا تُقبل.

فقول من يقول من العلماء في تعريف البدعة: يقصد بها المبالغة في التعبد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو علىٰ هذا المعنىٰ، وليس المُراد أن الشخص يبقىٰ يسأل الناس في كل حدث أحدثوه: هل أردت بذلك العبادة أو لم تُرد؟ فإذا كانت عبادة فهو يُريد العبادة وإذا ادعىٰ خلاف ذلك فهي دعوىٰ غير مقبولة، وهي دعوة المغالطين الذين يُريدون أن تنصرف عنهم ولا تُنكر علىٰ ما هم فيه من الباطل، فلا تُقبل مثل هذه الدعاوي المُخالفة للظاهر.

٢- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: (والبدعةُ التي يُعدُّ بها الرجلُ من أهلِ الأهواءِ ما اشتهرَ عندَ أهلِ العلمِ بالسُّنةِ مخالفتُها للكتابِ والسُّنةِ).

وليس مُراد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: أن الشخص لا يُبدع إلا بالأمور المشتهرة، لكن المراد: أن من وقع في بدعة مشتهرة مُخالفة للكتاب والسُنة وإن كان في زمن متقدم فإننا نحكم عليه بالبدعة ولا نحتاج أن نُقيم الحجة عليه، فلا يُقال: هل أُقيمت عليه الحجة أو لا؛ لأنه وقع في بدعة مشتهرة.

مثلًا: شخص فيمن تقدم نهج منهج الخوارج، ولا ندري هل أُقيمت عليه الحُجة أو لم تُقم، هل نحكم عليه بالبدعة أو لا نحكم؟

الجواب: نحكم عليه بالبدعة، وهكذا إذا وقع في بدعة القدر، أو في بدعة المُرجئة، أو في غير ذلك من البدع المشتهرة المعلومة بمخالفتها للكتاب والسُنة فهنا نحكم عليه بالبدعة.

لكن إذا كان شخص متقدم لم ندركه ووقفنا علىٰ خطأ وقع فيه أو علىٰ بدعة وقع فيها ودونها في بعض كُتبه إلا أنها من البدع الخفية، هل نحكم عليه بالبدعة؟

الجواب: لا نحكم عليه بالبدعة، لأنَّه قد يكون تلك المسألة خفيت عليه، فنلتمس له العُذر، لكن إن كان حيًا ووقع في بدعة خفية فهنا نحتاج إلىٰ أن نقيم عليه الحجة وأن يُبين له: أن هذا الفعل من البدع بالدلائل والبينات، فإذا بُيِّن له الأمر ووضحت له المسألة وعاند بعد البيان فيُحكم عليه بالبدعة.

فكلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ محمول علىٰ نحو هذا المعنىٰ الذي ذكرناه، فمن وقع في بدعة مشتهرة فهذا يُحكم عليه بالبدعة، ولا يحتاج أن يُقال هل أُقيمت عليه الحجة أو لا؛ لأنها بدعة ظاهرة بينة مشتهرة، وأما البدعة الخفية ففيها تفصيل، وإلا فإن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ له أحكام كثيرة جدًا حكم فيها بالبدعة وبالتبديع في مسائل فيها نوع خفاء.



وأصحاب الأهواء يتمسكون بمثل هذا الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أجل أن يُدافعوا عن أنفسهم، فيقولون: ما وقعنا في بدعة مشتهرة، فالبدع المشتهرة التي ذكرها شيخ الإسلام هي: بدع الخوارج، وبدع القدرية، وبدع المُرجئة ونحو هذه من البدع، فيأتي التراثيون ويأتي السروريون ويأتي الحسنيون أتباع أبي الحسن وغير هؤلاء من أهل البدع المتأخرين ويقولون: لم نقع في بدع مشتهرة، وشيخ الإسلام يقول: (**والبدعةُ التي يُعدُّ بها الرجلُ من أهلِ الأهواءِ ما اشتهرَ عندَ أهلِ العلمِ بالسُّنةِ مخالفتُها للكتابِ والسُّنةِ**)، ثم مثل رحمه الله لبعض البدع المشتهرة، فأهل الأهواء يتمسكون بهذا ويقولون: لم نقع في هذا فلماذا تبدعوننا؟!، فهم يحتجون بمثل هذه العبارات ويأخذون من كلام العلماء المتشابهة ويُلبسون علىٰ جُهَّال الناس ويقولون: نحن نُحارب الجهمية، ونحارب القدرية، ونُحارب المُرجئة، نحن نُدرس كُتب السلف، ونُدرس السُنة للإمام أحمد، ونُدرس السُنة للخلال، والشريعة للآجري، ونُدرس أصول السُنة للإمام أحمد، فنحن نُدرس كتب السُنة

ونُحذر من هذه البدع: من بدعة القدرية، والجبرية، والمُرجئة فلم نقع في هذه البدع المشتهرة، فلماذا تُبدعوننا؟.

فلا بد من معرفة هذه الأمور حتىٰ لا يُلبس الملبسون علىٰ أهل السُنة ويشوشون عليهم، ويجذبونهم بعد ذلك إلىٰ ما هم فيه، وإذا دخلت مثل هذه الشبهات فسرعان ما ينجر الجاهل إليهم ويقول: ظلمناهم وحذرنا منهم وهجرناهم وهم ليسوا قدرية ولا أشاعرة ولا كُلابية ولا ماتُريدية ولا مُرجئة، وإنَّما قعوا في بعض الأمور الاجتهادية كما يقول بعضهم.

فعلىٰ كلٍ: لا بد للعبد أن يتبصر في دينه في مثل هذه الأمور؛ حتىٰ لا ينخدع من قبل أهل البدع والأهواء.



٣- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَكلُ مَن دَانَ بِشيء لَم يَشْرَعهُ اللهُ فَذَاك بِدعَةٌ وَإِن كَانَ متأولًا فِيهِ).

حتىٰ ولو كان متأولًا فيه فهو بدعة، لكن إذا كان له شيء من شُبة التأويل فلم يتعمد المُخالفة هل يُقال في حقه مُبتدع؟

الجواب: لا يقال في حقه مُبتدع؛ لكن البدعة هي بدعة فلا تصير سُنة بالتأويل أو لأنَّ الذي أحدثها معذور، فنحن قد نعذر من جاء بالبدعة لشيء من التأويل والخطأ والجهل الذي صدر منه، لكن لا تصير البدعة سُنة بمثل هذه الأعذار.




تعريف المبتدع:

قال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والعَامِلُ بِغيرِ السُّنَةِ تَدينًا هُوَ المُبتَدِعُ بِعينِهِ).

والمعنىٰ: أن المبتدع هو العامل بالبدعة، فإن غير السُنة هي البدعة، فإذا عَمِلَ الشخص بغير السُنة فهو عامل بالبدعة، وسواءً كان هذا العمل من قبيل الأقوال أو من قبيل الأفعال، وأشد من هذا إن كان من قبيل العقيدة؛ فإن البدع العقائدية أشد وأشد من البدع العملية، وأهل البدع يتفاوتون.

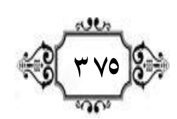
فائدة:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا بُدَّ أن نُميِّزَ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ، فَأَنَّ السُّنَّةَ هِيَ مَا قَامَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ عَلَيْهِ).



قوله: (**لا بُدَّ أن نُميِّزَ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ**): هذا أمر لا بد منه، فلا بد للشخص أن يُميز بين السُنة والبدعة؛ لأنه إذا لم يُميِّز بين السُنة والبدعة وقع في البدعة وهو يظن أنها سُنة.

يقول حُذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي**)، فلا بد للشخص أن يعلم التوحيد والشرك؛ حتىٰ يجتنب الشرك ويحقق التوحيد، ولا بد أن يعرف السُنة والبدعة؛ حتىٰ يتمسك بالسُنة ويبتعد عن البدعة، ولا بد أن يُميز بين الحق والباطل عمومًا؛ حتىٰ يتمسك بالحق ويترك الباطل، ومن ليس عنده تمييز فإن الأمور تختلط عليه، والشخص الذي لا يُميِّز بين السُنة والبدعة فإنه لن يستطيع أن يُميِّز بين أهل السُنة وبين أهل البدعة، وكيف يستطيع أن يُميِّز بين أهل السُنة وبين أهل البدعة وهو لا يستطيع أن يُميِّز بين السُنة والبدعة، فلا بد من التمييز بينهما.



قوله: (**فَأَنَّ السُّنَّةَ هِيَ مَا قَامَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ عَلَيْهِ**): أي: والبدع على خلاف ذلك، فما لم يقم الدليل الشرعي عليه فهو من البدع، فما خرج عن سُنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وسُنة الخلفاء الراشدين هي البدعة، فإن في حديث العرباض بن سارية قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**»، فمحدثات الأمور: ما كان خارجًا عن سُنْتِهِ وعن سُنة الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قال وفقه الله:

خطورة البدع:

١- قال الإمام أبو القاسم الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَرْغَانِيُّ قَالَ: نا هَارُونُ بْنُ مُوسَى الْفَرْوِيُّ قَالَ: نا أَبُو ضَمْرَةَ أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بِدْعَةٍ**»[1].

سُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن معناه فقال: (**لَا يُوفَّق لتوبةٍ**)[2].

٢- قال السلف: (**إِنَّ الْبِدْعَةَ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا، والْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا**)[3].

٣- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا: أَنَّ الْمُبْتَدِعَ الَّذِي يَتَّخِذُ دِينًا لَمْ يُشَرِّعْهُ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ قَدْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَهُوَ لَا يَتُوبُ مَا دَامَ يَرَاهُ حَسَنًا؛ لِأَنَّ أَوَّلَ التَّوْبَةِ الْعِلْمُ بِأَنَّ فِعْلَهُ سَيِّئٌ لِيَتُوبَ مِنْهُ، أَوْ بِأَنَّهُ تَرَكَ حَسَنًا**



(١) "المعجم الأوسط" (٤٧١٣) ط. مكتبة الرشيد.
(٢) "الآداب الشرعية" (١/ ٨٩) ط. الرسالة.
(٣) "الآداب الشرعية" (١/ ٨٩) ط. الرسالة، و"تلبيس إبليس" ص(١٥) ط. الجيل.

مَأْمُورًا بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ لِيَتُوبَ وَيَفْعَلَهُ، فَمَا دَامَ يَرَى فِعْلَهُ حَسَنًا وَهُوَ سَيِّئٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّهُ لَا يَتُوبُ)[1].

٤- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ الْبِدَعَ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا شِبْرًا ثُمَّ تَكْثُرُ فِي الِاتِّبَاعِ حَتَّى تَصِيرَ أَذْرُعًا وَأَمْيَالًا وَفَرَاسِخَ)[2].

٥- وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ الْبِدَعَ لَا تَزَالُ تُخْرِجُ الْإِنْسَانَ مِنْ صَغِيرٍ إِلَى كَبِيرٍ حَتَّى تُخْرِجَهُ إِلَى الْإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ)[3].

٦- وقال كذلك: (وَلَا تَجِدُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ)[4].

٧- وقال ابن وضاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخبرنَا أَسَدٌ، أَخبرنَا رُدَيْحُ بْنُ عَطِيَّةَ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: (يَأْبَى اللَّهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ بِتَوْبَةٍ، وَمَا انْتَقَلَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ إِلَّا إِلَى شَرٍّ مِنْهَا)[5].

٨- وقال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ذَكَرَ السَّلَفُ أَنَّ الْبِدْعَةَ إِذَا أُحْدِثَتْ لَا تَزِيدُ إِلَّا مُضِيًّا، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ الْمَعَاصِي، فَقَدْ يَتُوبُ صَاحِبُهَا وَيُنِيبُ إِلَى اللَّهِ، بَلْ قَدْ جَاءَ مَا يَشُدُّ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ الْفِرَقِ، حَيْثُ جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: (تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ وَمِنْ هُنَا جَزَمَ السَّلَفُ بِأَنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا تَوْبَةَ لَهُ مِنْهَا حَسْبَمَا تَقَدَّمَ)[6].

٩- وقال ابن نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدثنا إِسحاقَ، أنبأنا وكيع، عن هِشَامُ بْنُ الْغَازِ، أَنَّه سَمع نَافِعٍ يقول: قال ابْنِ عُمَرَ (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً).



(١) "مجموع الفتاوى" (٢/ ٧٦) ط. مكتبة الرشيد.
(٢) "المصدر السابق" (٨/ ٤٢٥).
(٣) "المصدر السابق" (٣/ ٤٨٩).
(٤) "المصدر السابق" (٧/ ١٧٣).
(٥) "ما جاء في البدع" رقم الأثر (١٥٢).
(٦) "الاعتصام" (١/ ٣٩١) بتصرف يسير.

ومما يدلُ على خطورة البدع:

- أن المبتدع لا يوفق لتوبةٍ كما تقدم في حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
- أن عملَ المبتدع مردود عليه؛ لحديث: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرنا فَهُوَ رَدٌّ»[1].
- أن البِدع تُفَرقُ المسلمين وتوقعُ بينهمُ العداوةَ والبغضاءَ.

فائدة:

قال الإمام الألكائي رَحِمَهُٱللَّهُ وهو يتكلم عن حال المبتدع: (**لَا شَيْءَ عِنْدَهُ إِلَّا مَضْغُ الْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا دِينُهُ الضَّجَاجُ وَالْبَقْبَاقُ وَالصِّيَاحُ وَاللَّقْلَاقُ**)[2].

الشرح:

قوله: (خطورة البدع).

العبد إذا لم يعرف خطورة الشيء فإنه يستهين به، وإذا عَلِمَ خطورة الشيء ابتعد عنه، وإنما يقترب الشخص من البدعة ومن أهل البدع؛ لأنه لا يعرف خطورة البدعة ولا خطورة أهل البدع والأهواء.



فمن عَلِمَ خطورة البدعة فإنه يبتعد عنها، وإنما يؤتىٰ الإنسان من جهة الجهل فإنَّه ينظر إلىٰ أهل البدع ويقول: هؤلاء قوم أرادوا أن يتقربوا إلىٰ ربهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهؤلاء القوم لهم نية حسنة ونية صالحة وإن أخطأوا العمل، هؤلاء القوم لم يسرقوا، ولم يشربوا الخمر، ولم يقتلوا النفس المُحرمة، وما قطعوا الطريق، ولا أخافوا السبيل، فيهم آثار النُسك والعبادة، فيهم آثار الخشوع، فالجاهل ينظر إلىٰ أهل البدع

---

(١) "صحيح مسلم" (٤٤٦٨) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٢) "شرح أصول اعتقاد أهل السُنة" (١/ ١٣).

وإلىٰ البدع بمثل هذا المنظار فتميل نفسه إليهم، ويفتتن بهم؛ فلهذا يحتاج المُسلم أن يعرف خطورة البدعة وخطورة أهل البدع والأهواء؛ حتىٰ لا تقبل نفسه إلىٰ الباطل.

وقد عرفنا شيئًا من خطورة البدع ومن أضرار البدع فيما مضىٰ من هذا الكتاب ومن غيره؛ ولهذا قال من قال من السلف: (**لأن أَلقىٰ الله بِصحيفةِ الحجَّاجِ أَحَبُّ إليَّ مِن أن أَلقاهُ بِصحِيفةِ عَمْرو بن عُبيدٍ**)، وقد سبق ذِكره، فهؤلاء قوم عرفوا خطورة البدعة وخطورة أهل البدع والأهواء، فالحجاج ظالم فاسق، وعمرو بن عُبيد مع زهده في الدنيا غير أنه كان من أهل البِدع والأهواء.

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمر بالصبر علىٰ الولاة الظلمة وإن أخذوا المال وظلموا بالضرب ونحوه: «**وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»، وأمر النبي ﷺ بالمقابل وحثَّ علىٰ قتال الخوارج حثًا بالغًا، وبيَّن ما في قتالهم من الأجر العظيم والثواب الكبير في أحاديث متعددة يعلمها الكثير، والفرق: أن الخوارج من أهل البدع وضررهم أكبر، والولاة الظلمة والفُسَّاق من المسلمين ضررهم أخف من ضرر أهل البدع والأهواء، فهؤلاء أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالصبر عليهم، وأهل البدع من الخوارج حثَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ قتالهم، بل قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»، كما في "الصحيحين" من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلىٰ غير ذلك من الأدلة التي جاءت في الباب، وليس أي قتل بل قال: «**لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»، «**لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ**»، قتل فيه معنىٰ الاستئصال للشر، فالضرر الحاصل من أهل البدع والأهواء أعظم من الضرر الحاصل من أهل الفسق والفجور، فلا بد أن يعرف الإنسان مثل هذا الأمر حتىٰ لا يقترب من هؤلاء، ويحذرهم غاية الحذر.



١- قال الإمام أبو القاسم الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَرْغَانِيُّ قَالَ: نا هَارُونُ بْنُ مُوسَى الْفَرْوِيُّ قَالَ: نا أَبُو ضَمْرَةَ أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بِدْعَةٍ**».

سُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معناه فقال: (**لَا يُوفَّق لتوبةٍ**).

وهذا يدل علىٰ خطورة ما هو فيه، فالفاسق قد يوفق للتوبة، فكم من فاسق تاب، وكم من زانٍ تاب، وكم من شارب للخمر تاب، وكم من قاطع للطريق تاب، وكم من قاتل للنفس المُحرمة تاب، وكم ممن هو منشغل بالشهوات المُحرمة تاب ورجع إلىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا أمر معلوم وكثير، لكن ما يتعلق بالبدعة فأندر من النادر أن يكون الشخص صاحب بدعة ثم يتوب إلىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يقول أيوب السختياني لمحمد بن سيرين رحمة الله عليهما: كَانَ رَجُلٌ يَرَىٰ رَأْيًا فَرَجَعَ عَنْهُ، فَأَتَيْتُ مُحَمَّدًا فَرِحًا بِذَلِكَ أُخْبِرُهُ، فَقُلْتُ: أَشَعَرْتَ أَنَّ فُلَانًا تَرَكَ رَأْيَهُ الَّذِي كَانَ يَرَىٰ؟ فَقَالَ: (**انْظُرُوا إِلَىٰ مَا يَتَحَوَّلُ؛ إِنَّ آخِرَ الْحَدِيثِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوَّلِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ لَا يَعُودُونَ فِيهِ**)، يُريد حديث أبي سعيد الخدري في الخوارج: قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ**».

الشاهد: أن أهل البدع إذا خرجوا فإنهم لا يرجعون، فيقول ابن سرين: (**انْظُرُوا إِلَىٰ مَا يَتَحَوَّلُ؛ إِنَّ آخِرَ الْحَدِيثِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوَّلِهِ**)، فيقول: انظر إلىٰ أين ينتقل الشخص من أهل البدع ربما يترك بدعة من البدع وينتقل إلىٰ أختها وهذا شيء موجود ومُلاحظ في كثير من أهل البدع والأهواء، يكون الشخص في الإخوان المسلمين ثم يتظاهر بالتوبة وإذا به ينتقل إلىٰ أصحاب الجمعيات، ثم يتظاهر بالتوبة وإذا به ينتقل إلىٰ أصحاب أبي الحسن، ومن بدعة إلىٰ بدعة، ومن شر إلىٰ شر،




وبعضهم كان مع فتنة أبي الحسن وفُتن بها ثم أظهر التراجع وإذا به يقع في فتنة العدني كحال نعمان الوتر مكث في فتنة أبي الحسن ثم لمَّا أظهر التراجع إلىٰ أين انقلب؟ من فتنة إلىٰ فتنة، ومن شر إلىٰ شر.

وهكذا شأن أهل البدع والأهواء: يتنقلون من باطل إلىٰ باطل، ومن شر إلىٰ شر: (**آخِرَ الْحَدِيثِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوَّلِهِ**).

وهنا يقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بِدْعَةٍ**»، وهذا مما يدل علىٰ خطورة البدعة، فلا يستهن الشخص بالبدعة فإن المبتدع يرىٰ أنه في عمل صالح وفي قُربىٰ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨]، فكيف يتوب من الصالحات علىٰ حسب ظنه؟ وكيف يتوب من الأعمال التي يراها من خير أعماله التي يتقرب بها إلىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟، فلا يتوب منها إلا إذا كشف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن قلبه تلك الظُلمة والغشاوة فأبصرَ ما كان يراه حسنًا قبيحًا ومَنَّ الله عليه بإزالة ذلك الغشاء فهذا قد يتوب إلىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن إذا ما زال هذا الغشاء في قلبه باقيًا فيرىٰ البدعة سُنة، ويرىٰ الباطل حقًا فإنه لا يتوب إلىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



٢- قال السلف: (إنَّ الْبِدْعَةَ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنْ الْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا، والْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا).

والبدع كما هو معلوم يحصل فيها استباحة للدماء المُحرمة، وهذا هو واقع أهل البدع والأهواء يستبيحون الدماء بأتفه الأمور وأدنىٰ الأسباب.

٣- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا: أَنَّ الْمُبْتَدِعَ الَّذِي يَتَّخِذُ دِينًا لَمْ يُشَرِّعْهُ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ قَدْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَهُوَ لَا يَتُوبُ مَا دَامَ يَرَاهُ حَسَنًا؛ لِأَنَّ أَوَّلَ التَّوْبَةِ الْعِلْمُ بِأَنَّ فِعْلَهُ سَيِّئٌ لِيَتُوبَ مِنْهُ، أَوْ بِأَنَّهُ تَرَكَ حَسَنًا مَأْمُورًا بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ لِيَتُوبَ وَيَفْعَلَهُ، فَمَا دَامَ يَرَى فِعْلَهُ حَسَنًا وَهُوَ سَيِّئٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّهُ لَا يَتُوبُ).

هذا هو شأن أهل البدع والأهواء، وهذا مما يدل علىٰ خطورة البدعة، وقد سبق الكلام علىٰ أشياء متعددة فيما يتعلق في ضرر البدع وما فيها من الخطورة.

٤- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ الْبِدَعَ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا شِبْرًا ثُمَّ تَكْثُرُ فِي الِاتِّبَاعِ حَتَّى تَصِيرَ أَذْرُعًا وَأَمْيَالًا وَفَرَاسِخَ).

قوله: (**فَإِنَّ الْبِدَعَ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا شِبْرًا**): البدعة تكون في أول أمرها صغيرة، ثم تكبر وتَعظُم، والخط المتفرع عن الخط المستقيم الذي وضعه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مبدأه يكون قريبًا من الخط المستقيم الذي هو الصراط المستقيم، وكلما امتدت تلك الخطوط المنحرفة ازدادت بُعدًا، وهكذا البدع في أول أمرها تكون قريبة من الحق يلتبس أمرها ويغتر بها من يغتر، وكلما سلك الإنسان في طريق البدعة كلما ابتعد عن الحق وابتعد عن الصراط المستقيم حتىٰ يصير مع الصراط المستقيم كالمشرق أو المغرب.

قوله: (**ثُمَّ تَكْثُرُ فِي الِاتِّبَاعِ**): فيكثر التفاريع لها في أتباع ذلك المبتدع، فالمبتدع يبتدع بدعة ومن اتبع ذلك المبتدع في تلك البدعة فإنه يزيد شيئًا، وذاك زيد شيئًا فتكثر البدع وهذا هو المُلاحظ، وإذا قرأ الإنسان في تاريخ البدع يجد هذا الأمر ظاهرًا جليًا، وعلىٰ سبيل المثال: بدعة الخوارج، هذه البدعة ظهرت في زمن الصحابة كما هو معلوم وأنكرها الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين وقاتلوا الخوارج، وكان مبدأ الخوارج أن




كفروا عليًا ومن معه من الصحابة الذين شاركوا في قتال الجمل وصفين، وتأولوا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، فكفروا بذلك عليًا ومن معه لأنه حكم الرجال وانحازوا إلىٰ حروراء، فهذا أصل الخوارج، ثم بعد ذلك كَثُرت فرق الخوارج ووصلت إلىٰ ست فرق كفرقة الأزارقة، وفرقة العجاردة، وفرقة الثعالبة، وفرقة الإباضية، والصُفرية وغيرها من الفرق نحو ست فرق، وتشعبت من هذه الفرق عدة فرق، فيأتي شخص ويُحدث شيئًا لم يكن عليه من مضىٰ يأخذ بمذهب الخوارج ويُضيف شيئًا ويؤسس له فِرقة، فتنسب تلك الفرقة إليه، وآخر يُخالف صاحب المذهب الأول في مسألة من المسائل ويُحدث له فرقة، فتفرعت الخوارج بعد ذلك علىٰ نحو عشرين فرقة أو أكثر، فكثُرت هذه البدعة في الاتباع وكانت قبل ذلك فرقة واحدة يُقال لهم: الحرورية نسبة إلىٰ حروراء.

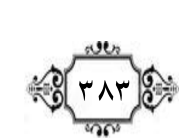
فبعد ذلك أحدثوا بدعًا واختلفوا فيها فكثرت هذه البدعة في الاتباع، كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ الْبِدَعُ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا شِبْرًا ثُمَّ تَكْثُرُ فِي الِاتِّبَاعِ).

وهكذا سائر البدع هي من هذا القبيل، فالمتأمل في مبدأها يجدها شيئًا يسيرًا، ثم بعد ذلك يجد كثرة الفروع فتكثُر تلك البدع.



قوله: (حَتَّىٰ تَصِيرَ أَذْرُعًا وَأَمْيَالًا وَفَرَاسِخَ): أي: تبعد عن الحق وبعد ذلك يَعسُر رجوع أهلها إلىٰ الحق إلا من أراد الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ له الهداية.

وهكذا المبتدع إذا استمر في بدعته فإنه ينتقل إلىٰ ما هو أشد، كشأن أصحاب الحِلق الذين ابتدأوا ببدعة في الذِكر، ثم عظُمت فيهم تلك البِدعة إلىٰ أن صاروا مع الخوارج يقاتلون الصحابة الكِرام رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين ومن معهم من التابعين في يوم النهروان، فكانت في أولها بدعة في الذِكر وكانوا يقولون لابن مسعود: يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، ثم عَظُمت فيهم البدعة حتىٰ استحلوا الدم الحرام، واستحلوا دماء الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين، فالبدع خطيرة جدًا، وهذا الأمر لا نظير



له في كثير من الذنوب، فالبدع ضررها كبير، والذنوب دون البدع لا تصل إلىٰ هذا الحد غالبًا.

٥- وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ الْبِدَعَ لَا تَزَالُ تُخْرِجُ الْإِنْسَانَ مِنْ صَغِيرٍ إِلَى كَبِيرٍ حَتَّى تُخْرِجَهُ إِلَى الْإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ).

فالبدع بريد الكُفر توصل العبد إلىٰ الإلحاد والزندقة، وهذا مما يدل علىٰ خطورة البدع فإنها باب موصل إلىٰ الإلحاد وإلىٰ الزندقة.

واشتهرت تلك العبارة عن السلف في علم الكلام: وأن من أمعنَّ في علم الكلام وتوسع فيه فإنه يتزندق، فهذا حال عُلماء الكلام إذا ما توسعوا في هذا العلم وخاضوا فيه خوضًا واسعًا فمآل بعضهم إلىٰ الزندقة والعياذ بالله، والشكِ في رَبِّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والشكِ في الأمور القطعية.

وهذا موجود حتىٰ في البدع والأهواء المعاصرة فيدخل شخص في بعض الأهواء المعاصرة فيتردىٰ ثم يتردىٰ حتىٰ تسمع منه الإلحاد والزندقة، وتخرج من فيهِ النتن، عبارات فيها ما فيها من الطعن في الإسلام وأنواع الكُفر والزندقة والعياذ بالله، فهكذا البدع توصل إلىٰ الإلحاد وإلىٰ الزندقة.



٦- وقال كذلك: (وَلَا تَجِدُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا تَرَكَ شَيْئًا مِنْ السُّنَّةِ).

وهذا لا بد منه؛ فإن البدع تُزاحم السُنن، فمن انغمس في السُنة ظاهرًا وباطنًا فلا يبقىٰ للبدعة مجال في قلبه ولا في جوارحه، وإذا انغمس في البدع فلا بد أن تذهب عنه بعض السُنن، ولا أعني أن المبتدع يترك السُنة بالكلية، ولكن تفوته من السُنن علىٰ قدر ما في قلبه من البدع؛ فإن البدعة كما عرفنا تُزاحم السُنة، وكلما عظُمت البدعة في قلبه كلما ذهبت السُنة شيئًا فشيئًا إلىٰ أن تذهب السُنة بالكلية فيقع في الزندقة والعياذ بالله.

٧- وقال ابن وضاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبرنَا أَسَدٌ، أَخبرنَا رُدَيْحُ بْنُ عَطِيَّةَ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: (**يَأْبَى اللَّهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ بِتَوْبَةٍ، وَمَا انْتَقَلَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ إِلَّا إِلَى شَرٍّ مِنْهَا**).

قوله: (**أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ**): وسيبان بطن من حميَّر، وهو ابن عم الأوزاعي.

وهذا كما قُلنا كما حصل من أصحاب الحِلق كانوا في بدعة متعلقة بالذِكر ثم انتقلوا إلىٰ بدعة الخوارج، وبدعة الخوارج أشر.

فإذا عَلِمَ الإنسان مثل هذا الأمر فإنه يخاف علىٰ نفسه من البدع؛ فلهذا الواجب الحذر من البدع والحذر من أهلها، فيحذر الإنسان من أهل البدع غاية الحذر ولا يقترب منهم فإن الاقتراب من أهل البدع والأهواء هو الهلاك، وليس بهلاك البدن وإنما هلاك الدين.



٨- وقال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ذَكَرَ السَّلَفُ أَنَّ الْبِدْعَةَ إِذَا أُحْدِثَتْ لَا تَزِيدُ إِلَّا مُضِيًّا، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ الْمَعَاصِي، فَقَدْ يَتُوبُ صَاحِبُهَا وَيُنِيبُ إِلَى اللَّهِ، بَلْ قَدْ جَاءَ مَا يَشُدُّ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ الْفِرَقِ، حَيْثُ جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: (**تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ وَمِنْ هُنَا جَزَمَ السَّلَفُ بِأَنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا تَوْبَةَ لَهُ مِنْهَا حَسْبَمَا تَقَدَّمَ**)

قوله: (**ذَكَرَ السَّلَفُ أَنَّ الْبِدْعَةَ إِذَا أُحْدِثَتْ لَا تَزِيدُ إِلَّا مُضِيًّا، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ الْمَعَاصِي فَقَدْ يَتُوبُ صَاحِبُهَا**): فصاحب المعصية قد يستمر في معصيته إلىٰ أن يموت، وقد يتوب، والتائبون من المعاصي كُثر بعكس من وقع في بدعة فإن توبتهم من أندر النادر.

وتأملوا في الذين كانوا علىٰ السُّنة وانحرفوا في السنين الماضية، هل تاب منهم أحد؟ لا يكاد يتوب منهم أحد إلا في أندر النادر، وربما يتظاهر بعضهم بالتوبة لبعض

المصالح أو المكر، وتأتي فتنة أخرىٰ وإذا به يقع فيها فلا يرجع رجوعًا صحيحًا، وإذا جاءت فتنة أخرىٰ إذا به ينغمس فيها والعياذ بالله.

قوله: (تَتَجَارَىٰ بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَىٰ الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ): والْكَلْبُ داء معروف إذا وقع بالشخص فإنه ينتشر فيه انتشارًا واسعًا وهكذا الأهواء.

قوله: (وَمِنْ هُنَا جَزَمَ السَّلَفُ بِأَنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا تَوْبَةَ لَهُ مِنْهَا حَسْبَمَا تَقَدَّمَ): وقد جاء في حديث أبي سعيد: قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في شأن الخوارج: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ».



والأثر المتقدم جاء من حديث معاوية عند الإمام أحمد وأبي داود وإن كان في إسناده شيء من الضعف فإنه من طريق أزهر بن عبد الله الحرازي لم يوثقه مُعتبر، ووثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات وهما ممن يتساهلان في المجاهيل كما هو معلوم.

٩- وقال ابن نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدثنا إسحاقَ، أنبأنا وكيع، عن هِشَامُ بْنُ الْغَازِ، أنَّه سَمع نَافِعٍ يقول: قال ابْنِ عُمَرَ (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً).

وهذا أثر صحيح عن عبد الله بن عمر، فليست العبرة برؤيا الناس، فالحسن في الدين هو ما دلَّ عليه الدليل، وأما شيء لم يدل عليه الدليل وهو في أمر الدين وفي عبادة من العبادات فإنه قبيح شرعًا، ولو كان من الأمور الحسنة لجاءت به الشريعة؛ فإن الشريعة تأتي بكل حسن، وتنهىٰ عن كل قبيح.

ومما يدلُ على خطورة البدع:

- أن المبتدع لا يوفق لتوبةٍ كما تقدم في حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
- أن عملَ المبتدع مردود عليه؛ لحديث: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».
- أن البِدع تُفَرقُ المسلمين وتوقعُ بينهمُ العداوةَ والبغضاءَ.

فهذه جُملة من الأمور التي تدل علىٰ خطورة البدع، وخطورة البدع لا تنحصر فيما ذكره بل الأمر أوسع من هذا كما هو معلوم، لكن ما ذكره مما يدل علىٰ ذلك.

والبدع كما هو معلوم: وسيلة إلىٰ الكفر والزندقة والعياذ بالله فهي بريد الكُفر علىٰ ما سبق، والمبتدع جعل نفسه في مقام الربوبية وإن لم يعتقد ذلك؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ:٢١]، والمبتدع شرع من الدين ما لم يأذن به الله، فقد جعل نفسه شريكًا مع ربِّ العالمين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في التشريع، والتشريع إنما يكون للرب فالرب هو الخالق، والمالك، والمدبر، وهو الآمر والناهي، فهذا مما يدل علىٰ خطورة البدع.



والمبتدع مُتهم للنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنه لم يُبلغ البلاغ المُبين، فهذه هي حقيقة الأمر وإن لم يعتقد ذلك المبتدع بقلبه لكنه لازم له؛ وذلك أنَّ من اعتقد أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد بلغَّ كلَّ شيء فيلزمه ترك البدعة إذ أنَّه ليس هنالك حينئذ حاجة لهذه البدعة، والمبتدع يرىٰ أن هذا من الدين فإذا كان من الدين ولم يأتِ به النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فمعنىٰ ذلك: أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كتم بعض الرسالة، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة:٦٧]، فالنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بلغ البلاغ المبين.

وهكذا من لازم ذلك: أن الدين فيه نقص لم يُكمله الله عَزَّوَجَلَّ، ففيه تكذيب لقول الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣]، فالمبتدع كأنه يقول: بقيَّ كذا وكذا من الدين أُكمِلَ بعد ذلك، لم يُكمله رَبُّ العالمين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بخاتم الأنبياء والمُرسلين وإنما أُكمِلَ بعد ذلك، فالمتأمل في البدع يجد علىٰ أنها في غاية من الخطورة.

وهذه بعض ما في البدع من الخطورة؛ ولهذا فإنَّ النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصفها بشر الأمور فكان يقول في خطبه: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»، فهي شر الأمور.



فائدة:

قال الإمام الألكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن حال المبتدع: (لَا شَيْءَ عِنْدَهُ إِلَّا مَضْغُ الْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا دِينُهُ الضَّجَاجُ، وَالْبَقْبَاقُ، وَالصِّيَاحُ، وَاللَّقْلَاقُ).

قوله: (**الضَّجَاجُ**): أي: المشاغبة، والجلبة، والصياح، فهذا هو دين المبتدع ليس عنده حُجة فيما هو فيه، فإذا ما حُوجج فإنَّه يكثر من الضجيج والمشاغبة والجلبة والصياح.

قوله: (**وَالْبَقْبَاقُ**): وهو كثرة الكلام، وصار في عرف الناس أنَّهم يقولون: فلان مبقبق يريدون أنَّه كثير الكلام وينقل الحديث ولا يحفظ السر.

قوله: (**وَاللَّقْلَاقُ**): وهو في معنىٰ الصياح: وهو كل صوت فيه اضطراب وشدة؛ وأهل البدع ليس عندهم الحُجج الشرعية الصحيحة، فإذا ما حُوجِجوا أكثروا من الصياح واللغط فهذا شأنهم.




قال وفقه الله:

تحذير السلف من البدع:

١- عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (**اتَّبِعُوا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ**)[(١)].

٢- وقال أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**...وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ أَهْلِهَا الْعَدَاوَةَ، وَالْبَغْضَاءَ**)[(٢)].

٣- قال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، ثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، ثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: (**مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا وَلَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)[(٣)].

٤- وعن عاصم الأحول رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قَالَ قَتَادَةُ: (**يَا أَحْوَلُ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ابْتَدَعَ بِدْعَةً يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُذْكَرَ حَتَّى تُحْذَرَ**)[(٤)].

٥- قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَن ابتدعَ فِي الإِسلَامِ بِدعةً يَراها حَسْنةً، فقد زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا**)[(٥)].

٦- وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**صَاحِبُ الْبِدْعَةِ عَلَى وَجْهِهِ الظُّلْمَةُ، وَإِنِ ادَّهَنَ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثِينَ مَرَّةً**)[(٦)].



---

(١) "الإبانة" برقم (١٧٤).

(٢) "المصدر السابق" برقم (١٣٦) بسند صحيح.

(٣) "الحلية" برقم (٧٨٤١) وإسناده صحيح.

(٤) "شرح أصول اعتقاد أهل السُنة" برقم (٢٥٦).

(٥) "الاعتصام" للشاطبي (١/ ٦٢).

(٦) "شرح أصول اعتقاد أهل السُنة" برقم (١٥٩).

٧- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واحذروا البدعَ كُلَّها ولا تشاورْ أحدًا مِن أهلِ البدعِ في دينِك)[١].

٨- وقال أيضًا: (وفي الجملةِ أنَّ أهلَ البدعَ والأهواءِ لا ينبغي أن يُستعانَ بِهم في شيءٍ من أمور المسلمينَ؛ فإنَّ في ذلك أعظمَ الضررِ على الدِّين)[٢].

٩- قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَللإِمَامِ أَحْمَدَ كَلاَمٌ كَثِيْرٌ فِي التَحْذِيْرِ مِنَ البِدَعِ وَأَهلهَا، وَأَقْوَال فِي السُّنَّةِ، وَمَنْ نظرَ فِي كِتَابِ "السُّنَّةِ" لأَبِي بَكْرٍ الخَلاَّلِ، رَأَى فِيْهِ عِلْمًا غَزِيْرًا وَنقلًا كَثِيْرًا)[٣].

١٠- قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا حَذِرَ هَذِهِ الْفِرَقَ، وَجَانَبَ الْبِدَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَزِمَ الْأَثَرَ فَطَلَبَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَاسْتَعَانَ بِمَوْلَاهُ الْكَرِيمِ)[٤].

١١- وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَكُلُّ بِدْعَةٍ مُضِلَّةٍ فِي الدِّينِ أَسَاسُهَا الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ؛ وَلِهَذَا اشْتَدَّ نَكِيرُ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ لَهَا، وَصَاحُوا بِأَهْلِهَا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَحَذَّرُوا فِتْنَتَهُمْ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، وَبَالَغُوا فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُبَالِغُوا مِثْلَهُ فِي إِنْكَارِ الْفَوَاحِشِ، وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، إِذْ مَضَرَّةُ الْبِدَعِ وَهَدْمُهَا لِلدِّينِ وَمُنَافَاتُهَا لَهُ أَشَدُّ)[٥].

١٢- وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نَبرَأُ إِلَى اللهِ مِنَ البِدَعِ وَأَهلِهَا)[٦].

الشرح:

١- عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (اتَّبِعُوا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ).

---

(١) "المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد" (٢/ ٤٠٢).

(٢) "المصدر السابق" (٢/ ٤٠٢).

(٣) "سير أعلام النبلاء" (١١/ ٢٩١).

(٤) "الشريعة" (١/ ١٨٤) ط. دار الفضيلة.

(٥) "مدارج السالكين" (١/ ٣١٠).

(٦) "سير أعلام النبلاء" (١٠/ ٢٠٢) ترجمة: بشر المريسي.



٢- وقال أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ أَهْلِهَا الْعَدَاوَةَ، وَالْبَغْضَاءَ).

كما هو معلوم أن البدعة تُفرّق، والسُنة تجمع أي: أنها تجمع من تمسك بها، وأما البدعة فهي قرينة الفُرْقة، وإذا ما حصلت الفُرْقة حصلت العداوة والبغضاء.

٣- قال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، ثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، ثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: (**مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا وَلَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**).

وسبق الكلام في ذلك وعرفنا: أن البدع تُزاحم السُنن، وأن الشخص إذا امتلأ من البدع فإن السُنة تذهب منه، وكلما أكثر من البدع فإنَّه يذهب بمقدار ذلك ما يُقابل البدعة من السُنن.

وهذا الأثر جاء مرفوعًا؛ لكنه جاء بإسناد لا يثبت.



٤- وعن عاصم الأحول رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: قَالَ قَتَادَةُ: (يَا أَحْوَلُ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ابْتَدَعَ بِدْعَةً يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُذْكَرَ حَتَّى تُحْذَرَ).

قوله: (**قَالَ قَتَادَةُ**): أي: قال له فإن عاصمًا الأحول سَمِعَ قتادة يتكلم في عمرو بن عُبيد فاستنكر ذلك، وقال عاصم لقتادة: (ما أرىٰ العُلماء يتكلم بعضهم ببعض؟).

فقال له قتادة: (**يَا أَحْوَلُ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ابْتَدَعَ بِدْعَةً يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُذْكَرَ حَتَّى تُحْذَرَ**)، ثم رجع إلىٰ منزله وهو كئيب فنام فرأىٰ في المنام عمرو بن عُبيد وهو يحك آية من القرآن فاستنكر عليه عاصم في المنام، فقال له عمرو بن عُبيد: سوف أُعيدها ولم يتمكن من إعادتها، فقام عاصم الأحول وعَلِمَ من تلك الرؤيا صدق ما قاله قتادة.

وما قاله عاصم الأحول لقتادة: (ما أرىٰ العلماء يتكلم بعضهم ببعض)، يقوله كثير من الناس في هذه الأزمان إذا سمعوا من يحذر من أهل البدع والأهواء فإنَّهم يقولون:

فلان يتكلم في العلماء ويطعن في العلماء، ويقولون: قال ابن عساكر: لحوم العلماء مسمومة، إلىٰ غير هذه من الأقوال التي يدندن بها من يُدندن.

فهذا أمر قاله بعض من مضىٰ كعاصم الأحول في أول أمره، ولعلَّ هذا كان في أول طلبه قبل أن تحصل له البصيرة في هذه الأمور، وحال الشخص في مبدأ أمره غير حاله إذا ما توسع في العلم وحصلت له البصيرة في الدين، فاستنكر علىٰ قتادة في أول الأمر كيف يتكلم في عمرو بن عُبيد وهو عالم من العلماء!، فقال له قتادة: (**يَا أَحْوَلُ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ابْتَدَعَ بِدْعَةً يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُذْكَرَ حَتَّى تُحْذَرَ**)، وهذا في الحقيقة من الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وهو واجب من الواجبات، وفيه حماية للدين وصيانة لسُنة خاتم الأنبياء والمُرسلين.

٥- قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَن ابتدعَ فِي الإِسلَام بِدعةً يَراها حَسْنةً، فقد زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ ، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا).

وهذا من جملة الأمور التي تدل علىٰ خطورة البدعة وقد سبق الكلام في ذلك، وبيّنا أنَّ من لوازم البدعة: اتهام النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالخيانة، وأنه ما بلغ جميع الوحي.

٦- وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (صَاحِبُ الْبِدْعَةِ عَلَى وَجهِهِ الظُّلْمَةُ، وَإِنِ ادَّهَنَ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثِينَ مَرَّةً).

المبتدع في وجهه ظُلمة البدعة ولو جَمَّلَ نفسهُ فإن ظُلمة البدعة تظهر علىٰ وجهه، والمعاصي تكسوا الوجوه شيئًا من الظُلمة كما أن الطاعة تكسوا الوجوه شيئًا من النور كما قال الله تعالىٰ: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح:٢٩]، وهو ما في الوجوه من البهاء والجمال والنضرة؛ بسبب العبادة والطاعة، والمعاصي يحصل منها

ظُلمة في الوجوه وظُلمة في القلوب؛ ويُشاهد ذلك أصحاب الفِراسة والنظر الصائب، فليس كل الناس يدركون هذا في وجوه الناس، وأما يوم القيامة فإن الأمور تنجلي: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران:١٠٦]، شيء ظاهر ليس فيه لبس: ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾ [يونس:٢٧]، فلا يوجد لبس يوم القيامة فأهل النور يظهر نورهم للناظرين وأهل الظلمة تظهر ظلمتهم للناظرين.

٧- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واحذروا البدعَ كُلَّها ولا تشاورْ أحدًا مِن أهلِ البدعِ في دينِكَ).

احذَّر أن تشاور صاحب البدعة في الدين؛ لأنه غير مؤتمن علىٰ الدين بما أحدثه من البدع والأهواء.



٨- وقال أيضًا: (وفي الجملةِ أنَّ أهلَ البدعَ والأهواءِ لا ينبغي أن يُستعانَ بِهم في شيءٍ من أمورِ المسلمينَ؛ فإنَّ في ذلكَ أعظمَ الضررِ على الدِّين).

وذلك أنَّه لو كان لهم شيء من السُلطان فإنهم يستغلون ذلك في نشر البدع والأهواء وإذا مُكِنوا في أمر من أمور المسلمين وجُعِلَ لهم شيء من السلطان في بعض الأمور فيستلغون تلك المكانة في الدعوة إلىٰ البدع والأهواء، فلا يُستعان بهم في شيء من أمور المسلمين.

وإذا جُعِلَ المبتدع قاضيًا فسوف يستغل هذه المنزلة في نشر البدعة؛ وذلك لما له من المكانة في أوساط الناس، وهكذا إذا جُعِلَ من الوزراء أو من قادة الجيش أو غير ذلك من الأمور التي يكون له فيها شيء من السُلطة علىٰ المسلمين، فإنه يستغل تلك المكانة في نشر ما معه من البدع والأهواء.

٩- قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَللإِمَامِ أَحْمَدَ كَلاَمٌ كَثِيْرٌ فِي التَحْذِيْرِ مِنَ البِدَعِ وَأَهلهَا، وَأَقْوَال فِي السُّنَّةِ، وَمَنْ نظرَ فِي كِتَابِ "السُّنَّةِ" لأَبِي بَكْرٍ الخَلاَّلِ، رَأَى فِيْهِ عِلْماً غَزِيْرًا وَنقلًا كَثِيْرًا)،

وكتاب "السُنة" للخلَّال من أحسن الكتب المؤلفة وأنفسها، وهو من الكُتب الواسعة الكبيرة؛ لكن فيه ما فيه من العلوم النافعة، ولم يقتصر الخلَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ذكر أقوال الإمام أحمد وحده، بل هو في الغالب ينقل كلام الإمام أحمد، وينقل مع ذلك لجماعة من أئمة السلف في مسائل متعددة من مسائل العقيدة فهو من الكُتب النفسية النافعة.

١٠- قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا حَذِرَ هَذِهِ الْفِرَقَ، وَجَانَبَ الْبِدَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَزِمَ الْأَثَرَ فَطَلَبَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَاسْتَعَانَ بِمَوْلَاهُ الْكَرِيمِ).

وهذا هو الأصل فالعون من الله وحده: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فلا يستطيع العبد أن يستقيم علىٰ الصراط المستقيم إلا بعون من ربِّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١١- وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَكُلُّ بِدْعَةٍ مُضِلَّةٍ فِي الدِّينِ أَسَاسُهَا الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ؛ وَلِهَذَا اشْتَدَّ نَكِيرُ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ لَهَا، وَصَاحُوا بِأَهْلِهَا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَحَذَّرُوا فِتْنَتَهُمْ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، وَبَالَغُوا فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُبَالِغُوا مِثْلَهُ فِي إِنْكَارِ الْفَوَاحِشِ، وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، إِذْ مَضَرَّةُ الْبِدَعِ وَهَدْمُهَا لِلدِّينِ وَمُنَافَاتُهَا لَهُ أَشَدُّ).

قوله: (**فَكُلُّ بِدْعَةٍ مُضِلَّةٍ فِي الدِّينِ أَسَاسُهَا الْقَوْلُ عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلْمٍ**): والأمر كذلك، فإن ما كان سبيله العلم فهي السُنن، والبدع قول علىٰ الله بغير علم، ولو كانت قولًا بعلم لكانت من السُنن ولم تكن من البدع، وهكذا الشرك والكُفر قول علىٰ الله بغير علم، فالذين عبدوا غير الله عَزَّوَجَلَّ هم قائلون علىٰ الله بغير علم: وهو أن الله عَزَّوَجَلَّ

شرع لهم ذلك، ورضيَّ لهم ما هم فيه من الشرك، ومعلوم حال المشركين أنهم كانوا يُضيفون هذا الأمر إلىٰ ربِّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن ما فعلوه بمشيئة الله، وأن الله لو شاء لما أشركوا، ولما عبدوا غيره؛ ولا شك أن كل ما في الكون بمشيئة الله؛ لكنَّهم يُريدون بذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ قد رضيَّ ذلك وأحبه وشرعه لهم: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨]، فالقول علىٰ الله بغير علم هو أصل الشرك، وأصل الكُفر، وأصل البدع والأهواء؛ ولهذا لمَّا رتبَّ الله عَزَّوَجَلَّ المُحرمات ختمها بأعظمها وأشملها فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

قوله: (وَلِهَذَا اشْتَدَّ نَكِيرُ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ لَهَا، وَصَاحُوا بِأَهْلِهَا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ): فلم يتعاملوا معهم بالانبساط والخُلق الحسن وطلاقة الوجه، والبشاشة.



بل كما قال: (وَحَذَّرُوا فِتْنَتَهُمْ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، وَبَالَغُوا فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُبَالِغُوا مِثْلَهُ فِي إِنْكَارِ الْفَوَاحِشِ، وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ): فهذه الذنوب لا تهدم الدين وهي مُجرد معاصي تؤثر علىٰ الشخص ولا تهدم الدين، وأما البدع فإنها هادمة تهدم الدين فضررها عظيم أشد من ضرر الفواحش، والظُلم، والعدوان، فالواجب: الحذر منها غاية الحذر.

نعم هذه الذنوب يحصل فيها نقص في إيمان الشخص لكنها ليست كشأن البدع والأهواء، فالبدع تُحارب السُنة وتهدم السُنة، فأما هذه المعاصي فليست هادمة للسُنة، وإنَّما تؤثر علىٰ إيمان الشخص وعلىٰ تدينه لربه وعلىٰ استقامته، وتُعرض الشخص لمقت الله ولعذابه؛ لكنها لا تهدم السُنة فالبدع مُضادة للسُنن وهادمة للسُنن والعياذ بالله.

قوله: (إِذْ مَضَرَّةُ الْبِدَعِ وَهَدْمُهَا لِلدِّينِ وَمُنَافَاتُهَا لَهُ أَشُدُّ): وهذا هو كلام العلماء المتبصرين الذين يعرفون خطر هذا الأمر، فالذي يستهين ويهون من أمر البدع والأهواء فإنما يهون عن أمر عظيم، ومن كان كذلك فيجب أن يُحذر منه، فالذي في قلبه تهوين لأمر البدع والأهواء وعدم التنفير منها، وعدم المبالغة في التحذير والحذر منها ينبغي أن يحذر منه، والتهوين من البدع لم يكن من هدي السلف رحمة الله عليهم، بل كانوا يُحذرون من البدع أشد من التحذير من غيرها من الذنوب والمعاصي وبالغوا في ذلك؛ لأنهم عَلِموا خطورة البدعة ومضارها.

١٢- وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نَبرَأُ إِلى اللهِ مِنَ البِدَّعِ وَأهلِهَا).

وهذا هو الواجب علىٰ كل مُسلم: البراءة من البدع ومن أهل البدع، فلا يكفي أن الإنسان يبرأ من البدع ولا يبرأ من أهل البدع كشأن كثير ممن لم يعرف مذهب السلف، إذا به إذا تكلم عن البدع يُحذر من البدع ويتبرأ من البدع، لكنه يُجالس أهل البدع، ويُصاحب أهل البدع ويتبشبش لهم، ويُظهر المودة لهم فهذا خطأ كبير، فالواجب البراءة من البدع ومن أهل البدع، كالبراءة من الشرك والكُفر ومن أهل الشرك والكفر كما قال الله تعالىٰ عن خليله إبراهيم والذين آمنوا معه: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ﴾ [الممتحنة:٤]، ابتدأوا بالبراءة منهم أي: من أهل الشرك، ثم ثنوا بما يعبدونه من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا هو الأصل: أن يتبرأ الإنسان من أهل الكفر ومن الكفر، ومن أهل البدع ومن البدع، والذي يتبرأ من الكافرين هو في الحقيقة متبرأ من الكُفر؛ لأنه لم يتبرأ منهم إلا بسبب كُفرهم، والشخص قد يتبرأ من الكُفر ولا يتبرأ من الكافرين وهذا خطأ كبير، وقد يتبرأ من البدعة ولا يتبرأ من أهلها وهذا خطأ كبير، ولو تبرأ من أهل البدع فهو متبرأ من البدع؛ فإنه ما نابذهم ولا ابتعد عنهم ولا جانبهم؛ إلا من أجل ما وقعوا فيه من البدع والأهواء، فهذا هو الأصل: أن الإنسان




يتبرأ من أهل البدع والأهواء ويتبرأ من البدع، أما أن يتبرأ من البدع ثم يقع في أحضان أهلها ويقول: يكفي أنني لا أوافقهم علىٰ تلك البدع والأهواء، وأنا مُنكر لها، فهذا لا يكفي لا بد أن يتبرأ الإنسان من أهل البدع ومن البدع.

هكذا كان من مضىٰ من أئمة السلف، ومن لم يتبرأ من أهل البدع ويقول: أنا أتبرأ من البدع ولا يتبرأ من أهلها، وإذا به يمشي معهم ويُجالسهم، ويُصاحبهم فهذا مآله إلىٰ أن يقع في البدع، فإن أهل البدع يلقون إليه الشبهات شيئًا فشيئًا حتىٰ يصير بعد ذلك يعرف ما كان يُنكر وينكر ما كان يعرف، فكان يُنكر تلك البدع ومع الشبهات التي يلقاها من أهل البدع إذا به يعرف ما كان يُنكره من البدع، وينقلب قلبه والعياذ بالله.



فالسلامة: هي أن يتبرأ المرء من أهل البدع وبهذا ينجو من البدع والأهواء ويسلم له دينه، فالذي يُحذر من البدع ولا يُحذر من أهلها هذا علىٰ خطر، ولم يكن هكذا السلف رحمة الله عليهم أجمعين، بل كانوا يُحذرون من أهل البدع أشد التحذير؛ لأنهم إذا حذروا من أهل البدع أماتوا ما عندهم من البدع بأقصر طريق، فإذا حُذِّرَ من المبتدع فإنَّ الناس يبتعدون عنه فتموت ما عندهم من البدع، فلا يستطيع بعد ذلك أن ينشر تلك البدع في أوساط الناس، لكن إذا قال الشخص: أنا لا أحذر من ذلك المبتدع فذلك عالمٌ جليل، وذلك نفع الله به الإسلام والمسلمين؛ لكن أُحذر من البدع التي جاء بها! فهذا تحذير في غاية الضعف ولا يُفيد شيئًا، وإن حصلت فائدة فهي يسيرة والمفسدة أعظم من المصلحة، لكن إذا حُذِرَ من أهل البدع فإن المبتدع تموت ما عنده من البدع فتبقىٰ البدع في قلبه ولا ينتقل هذا الداء إلىٰ الناس.

فهذا هو الواجب: التحذير من أهل البدع، والتبرؤ منهم كما كان عليه أئمة السلف رحمة الله عليهم أجمعين.



قال وفقه الله:

الموقف الحازم للسَّلف من أهل البدع:

١- قال الإمام أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يذكرُ موقفَ السلفِ من أهل البدع: **(وَيبغضونَ أهل البِدع الذينَ أحدثوا في الدِّين مَا ليس مِنهُ، وَلا يُحِبُّونَهم وَلا يَصْحَبُونَهم، وَلا يسمعونَ كَلامَهُم وَلا يُجالِسونَهُم، وَلا يُجادِلُونَهُم فِي الدِّين وَلا يُنَاظِرونَهُم، وَيرونَ صَونَ آذانِهِم عَن سَماعِ أَباطِيلِهم التي إِذا مَرَّت بِالآذان وَقرَّت فِي القُلوبِ ضَرَّت، وَجرَّت إِليها مِن الوساوِس وَالخطرات الفَاسِدة مَا جَرَّت)**، وَفيهِ أنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قُولهُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]"(١).

٢- وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّ فِرْقَةَ النَّجَاةِ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ مَأْمُورُونَ بِعَدَاوَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَالتَّشْرِيدِ بِهِمْ، وَالتَّنْكِيلِ بِمَنِ انْحَاشَ إِلَى جِهَتِهِمْ)**"(٢).

٣- وقال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُبينًا موقفَ السَّلف ممن ظهرت منه بدعةٌ: **(كَانُوا إِذا سمعُوا بِوَاحِد من أهل الْبِدْعَة أظهرُوا التبرُّؤ مِنْهُ، ونهوا النَّاس عَن مُجَالَسَته ومحاورته وَالْكَلَام مَعَه، وَرُبمَا نهوا عَن النّظر إِلَيْهِ، وَقد قَالُوا: إِذا رَأَيْت مبتدعًا فِي طَرِيق فَخذ فِي طَرِيق آخر)**"(٣).

٤- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَالرَّادُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ مُجَاهِدٌ حَتَّى كَانَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى يَقُولُ: " الذَّبُّ عَنْ السُّنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ الْجِهَادِ")**"(٤).

من أسباب انتشار البدع:

۞ الجهل.



---

(١) "عقدة السلف وأصحاب الحديث" (ص١١٤) ط. مكتبة الغرباء الأثرية.

(٢) "الاعتصام" (١/ ٢٠٨) ط. الدار الأثرية.

(٣) "الانتصار لأصحاب الحديث" (ص١٧).

(٤) "مجموع الفتاوىٰ" (٤/ ١٤).

- القصورُ في الفَهم.
- عدمُ أخذِ العلومِ الشرعيةِ من أهلها.
- عدمُ التوفيقِ بين النصوص، وردِّ المتشابهِ إلى المُحكم، كما هو طريقةُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ في كل زمانٍ ومكانٍ، فللهِ الحمدُ لا نُحصي ثناءً عليه[1].

الشرح:

١- قال الإمام أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يذكرُ موقفَ السلفِ من أهل البدع: (وَيبغضونَ أهل البِدع الذينَ أحدثوا فِي الدِّين مَا ليس مِنهُ، وَلا يُحِبُونَهم وَلا يَصْحَبُونَهم، وَلا يسمعونَ كَلامَهُم وَلا يُجالِسونَهُم، وَلا يُجادِلُونَهُم فِي الدِّين وَلا يُنَاظِرونَهُم، وَيرونَ صَونَ آذانِهم عَن سَماعِ أَباطِيلِهم التي إِذا مَرَّت بِالآذان وَقرَّت فِي القُلوبِ ضَرَّت، وَجرَّت إِليها مِن الوساوِس وَالخطرات الفَاسِدة مَا جَرَّت)، وَفيهِ أنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قَولَهُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]).



فهذا هو موقف السَّلف كما ذكر الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" ذكر هذا الكلام الذي لخصهُ بما عَلِمهُ من مذهب السلف تجاه أهل البدع والأهواء، فمن خرج عن هذا فهو خارج عن المنهج الصحيح، ومن يرىٰ أن هذا من الغلو فهذا في قلبه شيء من الهوىٰ والزيغ فإن منهج السلف هو الحق وما خرج عنه فهو الباطل.

قوله: (وَيبغضونَ أهل البِدع الذينَ أحدثوا فِي الدِّين مَا ليس مِنهُ، وَلا يُحِبُونَهم وَلا يَصْحَبُونَهم): لا محبة في القلوب ولا صُحبة في الأبدان.

---

(١) مقتبسًا ومُلخصًا من "فتح المجيد" (ص٦٥٠) ط. مكتبة ابن تيمية.

قوله: (وَلا يسمعونَ كَلامَهُم): ولو تكلموا بآية أو حديث لا يُسمع لهم؛ لأنهم يبثون الشبهات ويتأولون ذلك علىٰ ما يُريدون.

قوله: (وَلا يُجالِسونَهُم): حتىٰ مُجرد المُجالسة وإن لم تكن هناك صُحبة.

قوله: (وَلا يُجادِلُونَهُم فَي الدِّين وَلا يُنَاظِرونَهُم): وسبق الكلام في الجدال والمُناظرة، وأن ذلك من أسباب انتشار البدع بسبب انتشار الشبهات؛ فإن أهل البدع متنفسهم المُناظرة والمُجادلة فبها يستطيعون أن يخرجوا ما عندهم من الباطل.

قوله: (وَيرونَ صَونَ آذانِهِم عَن سَماعِ أَباطِيلِهم التي إِذا مَرَّت بِالآذان وَقرَّت فِي القُلوبِ ضَرَّت): وهذا هو الواجب وكم يُقصر في هذا المقصرون، فيسمع لهذا، ويسمع لهذا، ويسمع لهذا ثم يأتي إلىٰ الشيخ الفلاني والشيخ الفلاني ويقول: عندي شبهة، وعندي شبهة، وما هو الجواب عن كذا؟ وما الجواب عن كذا؟ ودخل الداء في قلبه لأنه لم يسلك مسلك العافية ولم يأخذ بنصيحة السَّلف.

فالواجب علىٰ الشخص: أن يتعلم العلم النافع من كتاب الله ومن سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويبتعد عن السماع لأهل الشُبهات، فالشبهات خطافة والقلوب ضعيفة، ورُبَّ شُبهة تتمكن من القلب فلا يستطيع العالم أن يُزيلها من قلبك بعد أن تمكنت، ومثل هذا كمثل من يتناول ما به هلاك لبدنه فتحدث له الأمراض الخطيرة المُهلكة ثم يُريد العلاج، والذي عرضَّ نفسه للآفات والأمراض القتالة المُهلكة ثم ذهب يبحث عن من يُعالجه من تلك الأمراض فقد يحصل له العلاج بإذن الله عَزَّوَجَلَّ عن طريق الطبيب الحاذق، وقد لا يتمكن الطبيب مع حذقه من علاجه فيهلك، وهكذا ما يتعلق بمرض هؤلاء القوم من شبهات أهل البدع والأهواء، فإذا دخل المرض إلىٰ قلبك قد يتمكن العالم الحاذق من إخراج ذلك المرض وقد لا يتمكن فالهداية ليست بيد العالِم، الهداية بيد الله عَزَّوَجَلَّ فالله يهدي من يشاء ويُضلُ من يشاء،

فكيف تطلب لنفسك المرض ثم تطلب العلاج؟!، وكما يُقال: (**الوقاية خير من العلاج**)، فالإنسان يقي نفسه من المرض ويسلم، هذا هو الواجب.

٢- وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ فِرْقَةَ النَّجَاةِ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ مَأْمُورُونَ بِعَدَاوَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَالتَّشْرِيدِ بِهِمْ، وَالتَّنْكِيلِ بِمَنِ انْحَاشَ إِلَى جِهَتِهِمْ).

قوله: (**فِرْقَةَ النَّجَاةِ**): وهم أهل السُنة، وأهلُ السُنة كما هو معلوم هم الفِرقة الناجية وهم الطائفة المنصورة، وهنا ذكر العلامة الشاطبي وصفًا من أوصافهم، فقال: (**فِرْقَةَ النَّجَاةِ**)، ليس المعنىٰ أن أهل السُنة هم الطائفة الناجية وليس هم الطائفة المنصورة، فإن هذا القول مما أُحدِثَ في هذه الأزمان المتأخرة وهو التفريق بين الفِرقة الناجية وبين الطائفة المنصورة، فذهب بعض المتأخرين من أهل الأهواء إلىٰ التفريق بين الفرقتين، فالطائفة المنصورة عندهم: هم الذين يُظهرون أو يُعلنون علم الجهاد، وأما عُلماء السُنة الذين يُعلمون العلم النافع ويُحذرون من البدع والأهواء فيقولون: هم الفِرقة الناجية، والذين رفعوا رايات الجهاد من أهل التحزب والشر فهم الطائفة المنصورة وهم يرفعون رايات يسمونها رايات الجهاد، ويدعون أنهم أهل الجهاد وهم أهل الفساد، فأولئك علىٰ حد زعم هم الطائفة المنصورة، وهذا القول من أبطل الباطل، فالطائفة المنصورة والفرقة الناجية وصفان لأهل السُنة والجماعة، ومن كان له النجاة في الدنيا وفي الآخرة فهو أولىٰ الخلق بالنصرة من الله عَزَّوَجَلَّ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، فمن كان ناجيًا في الدنيا من البدع والأهواء، ونجاه الله قبل ذلك من الشرك والكُفر، وهكذا كان له النجاة من عذاب الآخر فهؤلاء هم الذين وعدهم الله عَزَّوَجَلَّ بالنصر وهؤلاء هم عُباد الرحمن، وهم جُند الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]، وهؤلاء هم أهل الإيمان.



ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مبدأ "العقيدة الواسطية" قال: (**أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**)، فوصف أهل السُنة والجماعة بهذين الوصفين: بأنهم الفِرقة الناجية، والطائفة المنصورة.

والشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموضع لا يُقال أنه فَرَّقَ؛ لكنه ذكر وصفًا من أوصاف أهل السُنة، أو منقبة وفضيلة من فضائلهم وهو أنهم أهل النجاة، وأنهم الفرقة الناجية، فلا يُقال أنه ممن يُفرْق بين الفرقة الناجية والمنصورة، وكون الشاطبي ذكر وصفًا لا يعني الحصر، بمعنىٰ أنَّ هذا الوصف الذي لهم وليس لهم وصفٌ آخر.

قوله: (**مَأْمُورُونَ بِعَدَاوَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ**): فنحن مأمورون به، وهو من الأمور اللازمة، وهذا من البغض في الله عَزَّوَجَلَّ، والحب في الله وهو من أوثق عُرىٰ الإيمان.

قوله: (**وَالتَّشْرِيدِ بِهِمْ، وَالتَّنْكِيلِ بِمَنِ انْحَاشَ إِلَىٰ جِهَتِهِمْ**): فهذا الذي عليه أهل السُنة لا يُتساهلون في جانب أهل البدع والأهواء، ولا يتساهلون بما انحاش إلىٰ جهتم -أي: نَفَر إليهم- فمن نفر واتجه إلىٰ أهل البدع والأهواء فإنهم يُنكلون به ولا يتساهلون معه ويقولون: الأمر سهل، افعل ما تشاء، كُن معنا أو كُن مع غيرنا؛ بل أهل السُنة مُنذ الأزمان القديمة يُنكلون بمثل هؤلاء.

وهذا التنكيل بهؤلاء هو علاج لهم حتىٰ يبتعدوا عن أهل البدع والأهواء فتحصل لهم العافية، وفيه أيضـًا وقاية لغيرهم؛ فإن الناظر إذا نظر إلىٰ تنكيل أهل السُنة بمن اتجه إلىٰ أهل البدع والأهواء كان ذلك رادعًا له حتىٰ لا يفعل كما فعل أولئك فيرتدع خشية التنكيل به فيسلم ويُسلمه الله عَزَّوَجَلَّ من شر أهل البدع والأهواء.

وهؤلاء الذين يتجهون إلىٰ أهل البدع ويجالسونهم ويُصاحبونهم ضررهم كبير علىٰ أنفسهم وعلىٰ غيرهم، فإنهم كما قُلنا: هم الذين ينقلون أمراض أهل البدع والأهواء، وينقلون الشبهات وينقلون الأهواء إلىٰ أهل السُنة، فلهذا أهل السُنة كما قال الشاطبي: يُنكلون بهؤلاء.

٣- وقال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُبينًا موقفَ السَّلف ممن ظهرت منه بدعةٌ: (كَانُوا إِذا سمعُوا بِوَاحِد من أهل الْبِدْعَة أظهرُوا التبرُّؤ مِنْهُ، ونهوا النَّاس عَن مُجَالَسَته ومحاورته وَالْكَلَام مَعَه، وَرُبمَا نهوا عَن النّظر إِلَيْهِ، وَقد قَالُوا: إِذا رَأَيْت مبتدعًا فِي طَرِيق فَخذ فِي طَرِيق آخر).

قوله: (أظهرُوا التبرُّؤ مِنْهُ): ولو كان أقرب قريب فإنهم لا يُجاملون أحدًا في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا ليس موجودًا إلا في أهل السُنة والجماعة: فهم نقاوة المجتمع وأهل الحق. وأهل السُنة كالبحر والبحر لا يقبل الميتة، فلا يقبلون من أظهر البدعة في أوساطهم بل يتبرؤون منه ويُحذرون منه ولا يجاملون كبيرًا ولا صغيرًا.



ومنهم من يلمز أهل السُنة: بأنَّهم يتكلم بعضهم في بعض، ويُحذر بعضهم من بعض؛ وهذا اللمز من جهله فإن هذا من أعظم المناقب لأهل السُنة والجماعة: فإنَّهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المُنكر، ويُنكرون علىٰ المُخطئ ولو كان أقرب قريب، ولو كان من أحب الناس إليهم، فيعظمون دين الله عَزَّوَجَلَّ أعظم من تعظيم الأشخاص، فهذا من مناقبهم وليس من مثالبهم، وأهل الأهواء لا يُبالون بمخالفات من هو في أوساطهم، فما دمت معنا افعل ما تشاء، ويُبررون له الكلام القبيح السيء ويُظهرونه بمظهر الحق، حتىٰ لو كان كلامًا تفوح منه الزندقة، وكلامًا مُعارضًا لأصل الإسلام، فيُبررون لأصحابهم تلك الأخطاء العِظام، وأنه ما قصد كذا، ويقصد كذا، وهو مجتهد وهذا اجتهاد منه، وله من الفضائل كذا، ومن الحسنات كذا، ولا يتبرؤون منه ومن مقالته، ولا يتكلمون ويُحذرون الناس من شره ما دام منتسبًا إليهم، وهذا من أعظم المعايب علىٰ أهل البدع والأهواء.

وفي المقابل فإن من أعظم المحامد والمحاسن والفضائل لأهل السُنة: أنهم لا يُجاملون أحدًا علىٰ حساب الدين فإنهم أهل دين، فمن تمسك به أحبوه ولو كان في

المشرق أو في المغرب، أو في أي موطن من مواطن الأرض، وسواءً كان من العرب أو كان من العجم ما دام متمسكًا بدين الله.

وإذا حصلت منه المُخالفة والعناد والابتداع والهوىٰ عادوه ونبذوه وتبرؤوا منه وحذروا منه ولو كان من أقرب قريب فإن ولاءهم من أجل الله، وبراءهم من أجل الله عَزَّوَجَلَّ.

فما يجعله أهل الأهواء من معايب أهل السُنة ومن مثالبهم فهو من أعظم فضائلهم، وكما قلنا: السُنة كالبحر لا تبقل الميتة، وهكذا دين الله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا سُنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا تقبل من زاغ.

قوله: (**ونهوا النَّاس عَن مُجَالَسَته**): وذلك حماية لهم حتىٰ لا يتضرروا ببدعته، فهذا الذي عليه أهل السُنة، والأوزاعي ينقل عن أهل السُنة، وأن هذا مذهب أهل السُنة قاطبة مُنذ الأزمان القديمة وليس مذهب الغُلاة.

قوله: (**ومحاورته**): لأنه كما عرفنا بالمحاورة تظهر الشبهات، والشبهات خطافة والقلوب ضعيفة.

قوله: (**وَالْكَلَام مَعَه وَرُبمَا نهوا عَن النّظر إِلَيْهِ**): إلىٰ هذا الحد من المبالغة، وإذا سَمِع من في قلبه شيء من المرض في هذا الباب يقول: ما هذا؟! هذا هو الغلو والتشدد!، والسلف ربما بالغوا إلىٰ هذا الحد، كل هذا من المبالغة في التحذير؛ حتىٰ لا يستهين الناس بالبدعة ولا بأهل البدع، فربما بلغ بهم التحذير إلىٰ أن يقولوا: لا تنظر إلىٰ المبتدع؛ حتىٰ لا تُفتن بالنظر إليه، فإن هناك من أهل البدع من تحصل الفتنة بهم بالنظر إليهم لما يُظهرونه من التخشع، والانكسار والذُل والتواضع، فإذا ما نظرَّ الناظر إليهم ولم يكن قد صَلُبَ واشتد ساعده في السُنة ربما مال إليهم.

وعبد الرزاق الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع إمامته لمَّا وقع في التشيع في أول الأمر ثم تاب، ما الذي أوقعه في التشيع؟

غره سمتَ جعفر بن سُليمان، فنظر إلىٰ سمته فاغتر به فوقع في بدعة التشيع ثم نجاه الله من بدعة التشيع، فالشخص قد يتضرر حتىٰ بالنظر.

وفي هذه الأزمان ربما المتكلم إذا قال: لا تُجالسوا أهل البدع والأهواء، قالوا: هذا متشدد، وهذا صاحب غلو، فكيف بمن يقول لا تنظر إلىٰ أهل البدع والأهواء ماذا يُقال في حق هؤلاء؟.

والأوزاعي ينقل هذه المبالغة عن بعض السلف: وهو أنه ربما بلغ التحذير إلىٰ النظر في وجوههم.

وروىٰ الخطيب في تاريخ بغداد عن حبش بن الورد، يقول: رؤىٰ أسود بن سالم يغسل وجهه من غدوة إلىٰ نصف النهار، فقيل له: أيش خبرك؟ قال: رأيت اليوم مبتدعا، فأنا أغسل وجهي منذ وقت رأيته إلىٰ الساعة، وأنا أظنه لا ينقىٰ.



قوله: (**وَقد قَالُوا إِذا رَأَيْت مبتدعًا فِي طَرِيق فَخذ فِي طَرِيق آخر**): فإلىٰ هذا الحد بلغ بهم التحذير من أهل البدع والأهواء، وهذا يدل علىٰ أن هذا الأمر ليس بالأمر السهل واليسير التي يتسامح بها الشخص، فلا يستهين الشخص بأهل البدع فيقترب منهم فإنَّ هذا أمر في غاية الخطورة.

٤- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَالرَّادُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ مُجَاهِدٌ حَتَّى كَانَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى يَقُولُ: " الذَّبُّ عَنْ السُّنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ الْجِهَادِ").

وبعض الناس يرىٰ أن هذا من تضييع الوقت، وأن هذا مشغلة عن العلم، فهذا من وساوس الشيطان. فلا يقال: هذا مشغلة عن العلم، فهذا من العلم وهذا من تطبيق العلم، وهذا من حماية العلم، ومن حماية الدين، ومن ثمرة العلم أن الشخص يُحذر من أهل البدع والأهواء، وهذا من أعظم الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (**الذَّبُّ عَنْ السُّنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ الْجِهَادِ**): أي: أفضل من جهاد الأعداء، وأيهما أشد ضررًا الكفار أم أهل البدع؟

أهل البدع أشد ضررًا والكفار أعظم جُرمًا، الكفار معلوم حالهم وأما أهل البدع فحالهم مُلتبس علىٰ كثير من الناس، فالكلام هنا عن قضية الضرر وليس عن قضية من هو أشد جُرمًا، فالكفار لا شك أنَّهم أشد جُرمًا، فاعظم الذنوب هي الكفر بالله والشرك به، لكن الكفار أمرهم ظاهر عند الناس فالصغير والكبير يعرف الكفار وأنهم أعداء للإسلام والمسلمين، وإن كان يحصل الضعف في الولاء والبراء من كثير من الناس، لكن من حيث العموم إذا سُئِل الشخص ولو كان صغيرًا: من هو عدوك؟ فيذكر الشيطان، ويذكر الكفار، واليهود والنصارىٰ، فهذا شيء معلوم حتىٰ عند الصغار، لكن أهل البدع والأهواء أمرهم ملتبس فإنهم يأتون تحت ستار الدين ويُظهرون العلم والعمل والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، ويدعون الناس فيما يزعمون إلىٰ الخير وينهونهم عن الشر؛ وهم مع هذا ينشرون ما عندهم من البدع والأهواء تحت ستار الدين فيغتر بهم من يغتر، ويقع في بدعهم من يقع ويهلك من يهلك في باطلهم، فأمرهم خفي؛ فلهذا كان خطرهم أعظم من غيرهم، وكلما كانت البدع أخفىٰ كان ضررها أعظم.

ولهذا أكثر ردود شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أي فرقة من الفرق؟

الجواب: علىٰ الأشاعرة، فأكثر مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرد فيها علىٰ الأشاعرة مع أن هنالك من هو أخبث من الأشاعرة وأبعد عن الإسلام منهم وبدعته أبعد من بدع الأشاعرة، وبدعة الأشاعرة أقرب من كثير من البدع، لكن لمَّا كانت هذه البدع خفية اغتر بها من اغتر من الجُهَّال، وحتىٰ اغتر بها كثير من كِبار العلماء ودخلوا في كثير من الأشعريات، فلما خفيت هذه البدعة علىٰ كثير من الناس اهتم بها وأكثر في التأليف في تلك البدعة وإبطال ما جاءت به، وهكذا الكُلابية من الأمور المخالفة لمذهب السلف، وكلما كانت البدع أخفىٰ كان أمرها أخطر؛ باعتبار وقوع الناس فيها، وأما الخطأ الظاهر فإن أكثر الناس ينفرون منه.

من أسباب انتشار البدع:

- الجهل.
- القصورُ في الفَهم.
- عدمُ أخذِ العلومِ الشرعيةِ من أهلها.
- عدمُ التوفيقِ بين النصوص، وردِّ المتشابهِ إلى المُحكم، كما هو طريقةُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ في كل زمانٍ ومكانٍ، فللهِ الحمدُ لا نُحصي ثناءً عليه.

قوله: (**الجهل**): فالجهل سبب من أسباب انتشار البدع.

قوله: (**القصور في الفهم**) منشأه الجهل، والبِدع وقودها الجُهَّال وتنتشر في أوساطهم؛ بسبب جهلهم وعدم تمييزهم بين السُنة وبين البدعة، وهذا شيء مُلاحظ والمتأمل في الأماكن التي ينتشر فيها الجهل ويقل فيها العلم كالقُرىٰ البعيدة عن العلم يجد الأمر ظاهرًا جليًا، بل ينتشر ما هو أشد من البدع وهو الشرك الأكبر والشرك الأصغر والعياذ بالله، وسواءً كان من قبيل الشرك المتعلق بتوحيد الألوهية أو توحيد الربوبية هذا موجود في القُرىٰ البعيدة عن العلم؛ بسبب انتشار الجهل، فالجهل إذا انتشر انتشر كلُ شَر فينتشر الشرك وتنتشر البدع، فالعلم هو عُلاج لجميع الشرور، وإذا انتشر العلم الصحيح في بلد من البُلدان عَمَّ الخير وزال الشِرك وزالت البدع، وعلىٰ أقل الأحوال أن يخف الشرك ويقل وهكذا البدع.



قوله: (**عدمُ أخذِ العلومِ الشرعيةِ من أهلها**): أي: عدم أخذ العلوم الشرعية من أهلِ السُنة، فالعلم إذا أُخذ من أهل البدع والأهواء كان ذلك من أسباب انتشار البدع وهذا كلام صحيح؛ فإن المُعلم له الأثر البالغ في الطالب، وقد يتأثر به الطالب وإن كان الطالب أعلم من مُعلمه -كما ما سبق معنا- ويتأثر به، فإن قال قائل: فما حاجته إلىٰ ذلك المُعلم وهو أعلم منه؟

الجواب: قد يحتاج إليه في بعض الأمور كأن يكون عنده من الحديث ما ليس عنده كما حصل من عبد الرزاق الصنعاني مع جعفر بن سُليمان الضُبعي، فعبد الرزاق أعلم من جعفر وأين جعفر من عبد الرزاق الصنعاني، ومع هذا تأثر بشيخه بسمته فوقع في التشيع ثم تاب من ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالطالب يتأثر بشيخه فإذا تتلمذ عند أهل الأهواء فإنه يتأثر بهم.

والحافظ البيهقي دخلت عليه بعض الأشعريات في مسائل العقيدة، وقد تأثر بشيخه ابن فورك الِأشعري، وأين الحافظ البيهقي من شيخه، فالحافظ البيهقي معلوم حاله وما عنده من العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومع هذا تأثر بهذا الرجل من عُلماء الكلام.

فعلى كلٍ: هذه من أسباب انتشار البِدع: أن الإنسان يطلب العلم عند أهل البدع والأهواء بحُجة: أن ذلك العالِم أو ذلك الرجل من أهل الأهواء عنده مكنة في ذلك العلم المُعين، كأن يكون عنده مكنة في عِلم اللغة العربية، فيقول آخذ عنه اللغة ولا آخذ عنه العقيدة، وإذا به يذهب إليه ويجلس بين يديه، وصاحب البدعة يسعىٰ في نشر بدعته ولو عن طريق عِلم العربية، فإن وجد مدخلًا دخل في تقرير ما يعتقده من البدع والعياذ بالله.

وقد يغتر كما عرفنا بُزهده أو بسمته ويقع في تلك البدعة والعياذ بالله، فلا يأمن الإنسان علىٰ نفسه، وهكذا قد يأتي الشيطان لكثير من طُلاب العلم في مسألة القراءات، وأن فلانـًا عنده كذا وكذا من الإجازات في مسألة القراءات ويكون من أهل البدع والأهواء، من الإخوان المسلمين، أو من السروريين، أو من التراثيين، أو من الصوفية ويذهب إليه ويأخذ القراءات علىٰ يديه من أجل الإجازات، وكل هذا من الخطأ فيُغرر الإنسان بنفسه، ويُعرض نفسه للخطر، ويُعرض نفسه للانتكاسة والعياذ بالله.

والذي ينبغي له أن يأخذ العلم من أهل العلم ويجعل الله عَزَّوَجَلَّ له البركة، وقليل من العلم مع السُّنة خير من كثير العلم مع البدعة والعياذ بالله.

قوله: (عدم التوفيق بين النصوص، ورد المتشابه إلىٰ المُحكم...): وهذا كلام أيضًا صحيح فإن أهل البدع تمسكوا بالمتشابه من القرآن وتركوا المُحكم فضلوا ضلالًا بعيدًا، والمتأمل في أهل البدع يجد علىٰ أنهم يتجهون إلىٰ الاحتجاج بآيات القرآن، ويأخذون بالمتشابه منها ويتركون المُحكم، وهؤلاء الذين جاء فيهم حديث عائشة في "الصحيحين" لمَّا تلا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»، وهؤلاء هم أهل البدع والأهواء: كالمعتزلة، والجهمية، والخوارج وغير هؤلاء فيتمسكون بالمتشابه ويتركون المُحكم.



وكل داعية من دعاة الباطل هذا هو شأنه وهذه هي طريقته، وحتىٰ من يدعو إلىٰ عبادة القبور وبناء المساجد علىٰ القبور من دون الله عَزَّوَجَلَّ يتمسك بالمتشابه ويحتج من كتاب الله بقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف:٢١]، فيحتجون بذلك من علىٰ بناء المساجد علىٰ القبور، وهذا ذكره الله عَزَّوَجَلَّ عن أهل الغلبة وهم أهل السلطان والقهر وليس عن أهل العلم والفضل والخير، فلم يقل هذا العلماء في ذاك الزمان ولم يقل ذلك الصالحون.

مسألة: وهل يُقال: أن هذا كان في شريعة من مضىٰ، وأن هذا كان يجوز عندهم؟

الجواب: لا يقال هذا؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لعنَّ اليهود والنصارىٰ الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فمن مضىٰ لمَّا فعلوا هذا الفعل أصابتهم اللعنة، فدلَّ

ذلك علىٰ أن هذا الأمر من المُحرمات القديمة لم يُحله الله عَزَّوَجَلَّ في أي أمة من الأمم، فهؤلاء القبوريون يتعبون المتشابه ويتركون المُحكم وهي الأدلة النبوية الكثيرة التي لعنَّ فيها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذين يتخذون القبور مساجد: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، إلىٰ غير ذلك من الأدلة الثابتة في "الصحيحين" كحديث عائشة، وحديث أبي هريرة، وحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيتكرون المُحكم ويتمسكون بالمتشابه.

ومن يدعو إلىٰ بعض أنواع الربا يأتي إلىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾ [آل عمران:١٣٠]، فيقول: إذًا يجوز الرِبا اليسير، فالمُحرم إنما هو الأضعاف المُضاعفة، ويترك الأدلة الكثيرة الصريحة في حُرمة الرِبا، وفي إعلام الله عَزَّوَجَلَّ لمحاربة من لم يتب من الرِبا ويتمسك بالمتشابه، والآية كما هو معلوم هي وارد في النهي عن أمر كان في الناس: وهو أنهم كانوا يأكلون الرِبا أضعافًا مُضاعفة، فنهو عن شيء فعلوه فخرجت الآية مخرج الغالب، وما خرج مخرج الغالب فإنه لا مفهوم له عند العلماء.



لو أن شخصًا زنا بامرأة جاره وما زال علىٰ هذه الفاحشة مستمراً فإذا قيل له: لا تزنِ بامرأة جارك، هل يقول عاقل: مفهوم ذلك أزنِ بمن شئت من النساء؟

الجواب: لا يُفهم هذا الفهم عاقل؛ وذلك لأنه نُهيَّ عن شيء وقع فيه، وما كان كذلك فلا مفهوم له، وهكذا الله عَزَّوَجَلَّ نهىٰ الناس عما كان موجوداً في الجاهلية من أكل الرِبا أضعافًا مُضاعفة.

علىٰ كلٍ: هذا شأن كل مُبطل يحتج بالمتشابه ويترك المُحكم.




قال وفقه الله:

الشدة على أهل البدعِ من المناقب:

١- في ترجمة سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (**وَكَانَ شَدِيْدًا عَلَى الخَوَارِجِ، قَتَلَ مِنْهُم جَمَاعَةً وَكَانَ الحَسَنُ وَابْنُ سِيرِيْنَ يُثْنِيَانِ عَلَيْهِ** -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) [(١)].

٢- وفي ترجمة أحمد بن أصرم المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكانَ ثَبْتًا سُنيًّا شديدًا على أصحابِ البدعِ**) [(٢)].

٣- وفي ترجمة شريك بن عبد الله النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَانَ عاقِلًا صَدوقًا مُحدِثًا، وكانَ شَدِيدًا عَلى أَهلِ الرِّيبِ والبِدعِ**) [(٣)].

٤- وفي ترجمة نعيم بن حماد الخُزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَانَ شَديدًا عَلَى الجَهْمِية**) [(٤)].

٥- وفي ترجمة سحنون أبي سعيد عبد السلام بن حبيب: (... **وَكَانَ شَدِيدًا عَلَى أَهلِ البِدعِ**) [(٥)].

٦- وفي ترجمة عبد الله بن عون البصري: (**كَانَ مِن سَاداتِ أهلِ زَمانِهِ عبادةً وَفضلًا وورَعًا ونُسكًا وَصَلابةً في السُنةِ وشدةً عَلى أهلِ البدعِ**) [(٦)].

٧- وفي ترجمة حكم بن محمد بن حكم الجُذَامي: (**قال الغسَّاني: كان... صَلِيبًا في السُنةِ مُتشددًا على أهلِ البِدعِ**) [(٧)].



---

(١) "سير أعلام النبلاء" (٣/ ١٨٦) ط. الرسالة.

(٢) "تاريخ بغداد" (٤/ ٢٦٤) ط. الكتب العلمية.

(٣) "ميزان الاعتدال" (٢/ ٢٧٣) ط. دار الفِكر.

(٤) "ميزان الاعتدال" (٤/ ٢٦٧) ط. دار الفكر.

(٥) "سير أعلام النبلاء" (١٢/ ٦٩).

(٦) "تهذيب التهذيب" (٢/ ٣٩٩).

(٧) "سر أعلام النبلاء" (١٧/ ٦٥٩).

٨- وفي ترجمة بكر بن محمد جعفر بن راهب: (وكان... شَدِيدًا عَلَى المُبْتَدِعَةِ)[١].

٩- وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن الفرج القُرطبي: قال القاضي عياض: (كَانَ صَالِحًا قَوَّالًا بِالحَقِّ شَدِيدًا عَلَى المُبْتَدِعَةِ)[٢].

١٠- وفي ترجمة عبد الرحمن بن يَخْلَفْتَنْ بن أحمد بن أبي زيد القُرطبي: (وكَانَ شَدِيدًا عَلَى المُبْتَدعةِ)[٣].

١١- وفي ترجمة يحيى بن أبي المنصور -ويعرف بابن الحبيشي-: (مما تَمَيَّزَ بِهِ التَّعَصُّبُ فِي السُّنةِ، وشدةُ التَمسكِ بِها، وقَمعُ أهلِ البدَعِ، ومُجانَبَتُهم، ومُنابَذَتُهم)[٤].

الشرح:

قوله: (الشدة على أهلِ البدع من المناقب).



وهذا شيء معلوم في كُتب التراجم، فإن أهل العلم يذكرون هذا الأمر في مناقب العلماء كما سيأتي معنا، فيقولون: كان شديدًا علىٰ أهل البِدع، إما علىٰ سبيل العموم، وإما يُقيدون فيقولون: كان شديدًا علىٰ الجهمية، أو كان شديدًا علىٰ الخوارج، أو كان شديدًا علىٰ القدرية، ويجعلون هذا الأمر من المناقب، وعند الجاهلين أن هذا من المثالب، وأمّا عُلماء السُنة وأئمة السلف فكانوا يعدون هذا من المناقب، ويثنون بهذا الأمر علىٰ من كان شديدًا علىٰ أهل البدع، لكن لجهل كثير من الناس بما كان عليه من مضىٰ من أئمة السلف ربما ظنوا أن هذا الأمر من سوء الأخلاق، وأن هذا

(١) "سير أعلام النبلاء" (١٦/ ٣٩٦).
(٢) "سير أعلام النبلاء" (١٩/ ٢٠٠).
(٣) "تاريخ الإسلام" (١٣/ ٣٩٧).
(٤) "تاريخ الإسلام" (١٤/ ٤٨٣).

من المثالب، وليس الأمر كذلك، بل هذه منقبة من المناقب سار عليها من مضىٰ من أئمة السلف.

١- في ترجمة سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (وَكَانَ شَدِيْدًا عَلَى الخَوَارِجِ، قَتَلَ مِنْهُم جَمَاعَةً وَكَانَ الحَسَنُ وَابْنُ سِيْرِيْنَ يُثْنِيَانِ عَلَيْهِ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ).

ليس المعنىٰ أنه كان شديدًا علىٰ هؤلاء دون غيرهم، لكن باعتبار أن هذه البدعة التي ظهرت في ذلك الزمن وعَظُمَ شررُها، فلما ظهرت تلك البدعة في زمنه كان شديدًا علىٰ أهلها.

ولمَّا ظهرت بدعة القدرية في زمن عبد الله بن عُمر وفي زمن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كانت لهم المواقف الشديدة علىٰ أهل القدر كما هو معلوم.

فالشاهد من هذا: أن هذه منقبة من المناقب؛ ولهذا كان الحسن وابن سيرين يُثنيان علىٰ سَمُرة بن جُندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بذلك.



٢- وفي ترجمة أحمد بن أصرم المُزَني رَحِمَهُٱللَّهُ: (وكانَ ثَبْتًا سُنيًّا شديدًا على أصحابِ البدعِ).

وأهل العلم إذا ما أطلقوا كلمة: (البدع، وأهل البدع) فهم يُريدون بذلك من كان مُجاهرًا ببدعته وداعيًا إليها فكانوا يُغلظون علىٰ هؤلاء، أما من كان متخفيًا ببدعته وبدعته في قلبه فهذا الأمر بينه وبين ربه وإنما يضر نفسه، لكن الضرر يحصل ممن جَاهَرَ بالبدعة وأعلن بها ودعا إليها، فكانوا يُغلظون علىٰ مِثل هؤلاء، ومن كان من عوام أهل البِدع والأهواء فإنَّه يُحتاج إلىٰ رِفق ولين ودعوة بالتي هي أحسن؛ حتىٰ يُؤخذ بيده من البِدعة إلىٰ السُنة، وكم من عامي من عوام أهلِ البدعِ والأهواء هداه الله عَزَّوَجَلَّ للسُنة، فإن كثيراً من هؤلاء يُريدون الخير لكنهم أخطأوا الطريق ووقعوا في شِباك أهل البدع والأهواء؛ لظنهم أنهم دعاة الإسلام، وأنهم الذين يدعون إلىٰ الخير

ويدعون إلىٰ السُنة، وأنهم هم العُلماء، وهم الزُّهاد، وهم الاتقياء، وربما دخلوا في بعض بدعهم؛ بسبب الجهل، فهؤلاء يَحتاجون إلىٰ شيء من الرفق واللين، والدعوة إلىٰ السُنة بالتي هي أحسن، فكم من شخص كان في أوساط أهل البدع والأهواء ونجاهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منهم بسبب الرفق واللين، وصار عالمًا من عُلماء السُنة أو صار طالبَ عِلم مجتهد، وهذا معلوم في أحوال كثير من الناس وكثير من طُلاب العلم.

فاسأل عن فلان ماذا كان أمره في بادئ أمره؟ فيقول: كنت في حلقة من حلقات التحفيظ عند الإخوان أو عند أصحاب الجمعيات أو عند غيرهم، ثم نصحني فلان من أهل السُنة وأخرجني منهم بالرفق واللين والكلام الحسن والأخلاق الحسنة فهذا من الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وهذا أمرٌ مطلوب، فالجُهَّال لهم شأن آخر، وعوام أهلِ البدع والأهواء لهم شأن آخر، وأما من لم يكن من هؤلاء وكان من دعاتهم فهذا الذي يحتاج إلىٰ الغِلظة وإلىٰ الشدة؛ لأن هؤلاء لا يتوبون إلا أن يشاء الله عَزَّوَجَلَّ، وعلاجهم: الشِدة، والغِلظة حتىٰ يحصل لهم شيء من الردع، وأقل ما في الأمر: أن يَقلِّ الشر من جهتهم ومن أجل أن يحذرهم الناس.

٣- وفي ترجمة شريك بن عبد الله النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَانَ عاقِلًا صَدوقًا مُحدِثًا، وكانَ شَدِيدًا عَلى أَهل الرِّيبِ والبِدعِ).

فكان موصوفًا بهذه الصفات الحسنة، وموصوفًا مع ذلك بالشدة علىٰ أهل الريب والبدع، فكان كذلك مع وصفه بالعقل فإن هذا الفِعل من العقل وليس بخلاف العقل، وربما عند جُهَّال الناس يرون أن هذا من الطيش ويقولون: هذا ما عنده عقل، كيف يستعمل الشِدة مع هؤلاء؟!.

٤- وفي ترجمة نعيم بن حماد الخُزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَانَ شَدِيدًا عَلَى الجَهْمِية**).

وكان إمامًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السُنة مع ضعفه في الحديث.

٥- وفي ترجمة سحنون أبي سعيد عبد السلام بن حبيب: (... **وَكَانَ شَدِيدًا عَلَى أَهلِ البِدعِ**).

عرفنا فيما مضىٰ: أن سحنون هو لقبٌ له، واسمه: عبد السلام، وأصل هذه الكلمة طائر في المغرب يوصف بالفطنة والتحرز، كما ذكر ذلك الحافظ الذهبي في ترجمته في السيَّر.



وسبق أن نقلنا من أقواله الحسنة أنه قال: (**أكلٌ بِالمَسكنَة خَيرٌ مِن أكلٍ بِالعلمِ**)، فكون الشخص يأكل شيئًا من الدنيا بالمسكنة وسؤال الناس، فهذا خير له من أن يأكل أموال الناس بالعلم، فيحتال عليهم ويأكل أموالهم بالعلم فإن هذا من إهانة العلم. وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَا
وَلَكِنْ أَذَلُّوهُ فَهَانَ وَدَنَّسُوا ... مُحَيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّىٰ تَجَهَّمَا

٦- وفي ترجمة عبد الله بن عون البصري: (كَانَ مِن سَاداتِ أهل زَمانِهِ عبادةً وَفضلًا وورَعًا ونُسكًا وَصَلابةً في السُنةِ وشدةً عَلى أهلِ البدعِ).

كان رحمه الله من سادات أهل زمانه، وكان موصوفًا بهذه الصفات ومنها: الشدة علىٰ أهلِ البدع، وهكذا ينبغي للمسلم أن يتحلىٰ بجميع صفات الخير، ولا يكون الشخص عنده شدة علىٰ أهلِ البدع فقط وهو بعيد عن الأخلاق الحسنة، بل ينبغي أن يتحلىٰ بجميع أمور الإسلام، فالشدة علىٰ أهلِ البدع من أمور الإسلام ومن الأخلاق الحسنة؛ ولكن يحتاج الإنسان أيضًا أن يتحلىٰ بسائر أمور الإسلام ويقوم بسائر شعائر الدين، وأما أن يكون حاله أنه لا يعرف من الدين إلا مُجرد الشدة علىٰ أهل

البدع والأهواء فهذا تقصير، والشدة علىٰ أهل البدع والأهواء من المحامد ولا يُذم الشخص علىٰ شدته علىٰ أهل البدع والأهواء لكن يلام علىٰ كونه مُقصرًا في بقية الأمور، والواجب علىٰ المرء أن يأخذ الدين من جميع جوانبه، فيأخذ بهذا وبغيره، فعبد الله بن عون البصري: (**كَانَ مِن سَاداتِ أهل زَمانِهِ عبادةً وَفضلًا وورَعًا ونُسكًا وَصَلابَةً فِي السُنةِ وشدةً عَلىٰ أهلِ البدعِ**)، وهكذا كان من مضىٰ من أئمة السلف، كانوا احرص الناس علىٰ العلم، وأحرص الناس علىٰ العمل، وأحرص الناس علىٰ الاتباع ظاهرًا وباطنًا، وكانوا يتصفون بهذه الصفة الحسنة وهي: الشدة علىٰ أهل البدع والأهواء، وهكذا ينبغي علىٰ الشخص أن يكون كذلك.

٧- وفي ترجمة حكم بن محمد بن حكم الجُذَامي: (قال الغسَّاني: كانَ... صَلِيبًا في السُنةِ مُتشددًا على أهلِ البِدعِ).

٨- وفي ترجمة بكر بن محمد جعفر بن راهب: (**وكان... شَدِيدًا عَلَى المُبَتَدعةِ**).

٩- وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن الفرج القُرطبي: قال القاضي عياض: (**كَانَ صَالِحًا قَوَّالًا بِالحقِّ شَديدًا عَلَى المُبتدعةِ**).

١٠- وفي ترجمة عبد الرحمن بن يَخْلَفْتَنْ بن أحمد بن أبي زيد القُرطبي: (**وكَانَ شَديدًا عَلَى المُبَتَدعةِ**).

١١- وفي ترجمة يحيى بن أبي المنصور -ويعرف بابن الحبيشي-: (مما تَمَيَّزَ بِهِ التَّعَصُّبُ فِي السُنةِ، وشدةُ التَمسكِ بِها، وقَمعُ أهلِ البدَعِ، ومُجانَبَتُهم، ومُنابَذَتُهم)

قوله: (**ويُعرف بابن الحبيشي**): ليس المُراد أنه من حُبيش إحدىٰ قرىٰ إب من بلاد اليمن، بل هو من بلاد حران، ومن مشايخ الإسلام ، والتشابه يحصل في أسماء بعض القبائل والعشائر مع اختلاف أماكنها.

فالشاهد من هذه الآثار: أن هذه الشدة تُعد من المناقب عند العلماء، والآثار في ذلك كثيرة، وكلام العُلماء في ذلك كثير في الثناء علىٰ أئمة السلف بمثل هذا الأمر،

وأنهم يجعلون هذا من المناقب، وعند الجُهَّال يقولون: هذا هو الغلو، ومن كان كذلك وصِفَّ بالتشدد والغلو عندهم، وكل هذا من الجهل بمنهج السلف، وما كان عليه السلف لا يُعد من الغلو.

ونحن في هذه الأزمان في تقصير كبير عما كان عليه السلف في هذا الباب وفي غيره، فإن أمر السلف في هذا الباب مما يضعف عنه الكثير في هذه الأزمان ويشق عليهم الأخذ به، وهم كانوا أشد منا بكثير فيما يتعلق بالتعامل مع أهل البدع والأهواء، وفي منابذتهم، وقمعهم، والرد عليهم، والكلام الشديد فيهم، وشدة الهجر لهم، فأمور السلف أشد بكثير مما نحن فيه في هذه الأيام، فنحن نشكو من ضعف أحوالنا في هذا الباب وفي غيره، ومع هذا صار من يأخذ بشيء من منهج السلف علىٰ ضعفٍ يُرمىٰ بالغو والتشدد.



فعلىٰ كُلٍ: لا يُعدُ هذا الأمر من المثالب إلا عند الجُهَّال أو عند أصحاب الأهواء، فإن أهل الأهواء يلمزون من نابذهم وحذرَ منهم وتكلم فيهم بأهل الغلو علىٰ مر الأزمان مُنذُ حدوث البِدع القديمة إلىٰ أيامنا هذه، فالجهمية ومن جاء بعدهم جميعهم يرمون أهل السُنة الذين حذروا منهم وتكلموا فيهم وطعنوا في مناهجهم وبينوا عوارهم وقاموا بفضحهم؛ بأنهم أصحاب غلو إلىٰ هذه الأزمان وهم سائرون علىٰ ذلك.

قال وفقه الله:

خطر مُجالسة المبتدعة:

١- في ترجمة عمران بن حطان: (**كَانتْ لَهُ بِنتُ عَمٍ تَرى رَأيَ الخوارجَ فَتزَوَّجَهَا لِيرُدَّهَا عَن ذلك فَصَرَفَتهُ إلى مَذْهَبِهَا**)[1].

٢- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا الْمُتَوثِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الْفُضَيْلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنِ الْبَتِّيِّ، قَالَ: كَانَ (**عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَقَدِمَ غُلَامٌ مِنْ أَهْلِ عُمَانَ مِثْلُ الْبَغْلِ، فَقَلَبَهُ فِي مَقْعَدٍ**)[2].

الشرح:

١- في ترجمة عمران بن حطان: (كَانتْ لَهُ بِنتُ عَمٍ تَرى رَأيَ الخوارجَ فَتزَوَّجَهَا لِيرُدَّهَا عَن ذلك فَصَرَفَتهُ إلى مَذْهَبِهَا).

تأثَرَ بامرأة من أهل البِدع فانتكس بسببها إلىٰ البدعة والعياذ بالله مع أن المرأة ضعيفة في باب الشبهات، وفِتن الشبهات في جانب الرجال أقوىٰ، ومع هذا أثرت عليه فانقلب إلىٰ رأي الخوارج، وهو تزوجها يُريد أن يردها إلىٰ السُنة فانقلب بسببها إلىٰ البِدعة والعياذ بالله، فهذا مما يدل علىٰ خطر الاقتراب من أهل البِدع والأهواء، فلا يتخذ الشخص له صديقًا من أهل البِدع والأهواء، ولا يستهن بأهل البِدع والأهواء فإن ضررهم عظيم، ولا يعتمد علىٰ نفسه ويثق بإيمانه ويثق بثباته فهذا ليس صحيحًا، وللشخص عِبرة بمن مضىٰ، اقرؤوا التاريخ وتأملوا فيه وفي أخبار من مضىٰ تجدون العِبر، والسعيد من وعِظَ بغيره فاتعظ، فكُن متعظًا بغيرك ولا تكن ممن يتعض الناس به.

---

(١) "ميزان الاعتدال" (٣/ ٢٣٦) رقم الأثر (٤٧٧) ط. دار الفكر.

(٢) "الإبانة" (٤٧١) رقم الأثر (٤٧٧) ط. دار الراية.

وعمران بن حطان كان من أهل السُنة ثم صار من دعاة الخوارج، وبدعة الخوارج من شِرار البِدع، فقد وردت فيها من الحديث ما لم يرد في غيرها كما هو معلوم: «شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَة»، «شِرَارُ الْخَلْقِ»، «طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ»، «لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»، «لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»، «كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ»، «شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»، إلىٰ غير ذلك من الأدلة المتكاثرة في شأنهم.

وابن حطان لمَّا وقع في البِدعة صار يمدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في أبيات له مشهورة، وكان من أشعر الناس، لكن وجه بعض شعره في الباطل والعياذُ بالله.



وهناك من الناس من يُزين له الشيطان مُجالسة أهل البدع والأهواء، وهم أُناس قد عُلِموا بالتعصب في البدعة، ويقول: أنا أُجالس هؤلاء من أجل أن أردهم إلىٰ السُنة وهم كما قلنا ممن عُلم عنهم التعصب للبدعة، وليسوا بأُناس مُغرر بهم من عامة المسلمين، وإنما أُناس قد انغرست البدعة في قلوبهم وصاروا يُجادلون ويُناظرون، وفيهم التعصب الشديد للبدع والأهواء وإذا بذلك الذي يغتر بنفسه يقول: أنا أُجالس هؤلاء من أجل النصيحة وأردهم إلىٰ السُنة، وما هي أيام إلا وينتكس إلىٰ البدعة والعياذ بالله.

٢- وقال ابن بطة رَحِمَهُٱللَّهُ: حَدَّثَنَا الْمَتُّوثِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الْفُضَيْلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنِ الْبَتِّيِّ، قَالَ: **(كَانَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَقَدِمَ غُلَامٌ مِنْ أَهْلِ عُمَانَ مِثْلُ الْبَغْلِ، فَقَلَبَهُ فِي مَقْعَدٍ)**.

وعلىٰ هذه الرواية: أنه تأثر بذلك الغُلام، وقوله: (فَقَلَبَهُ فِي مَقْعَدٍ): أي: في مجلس واحد، وعمان انتشر فيهم مذهب الإباضية والإباضية من مذاهب الخوارج وهو أخف مذاهب الخوارج، وهذا الغلام في جلسه واحدة قَلَبَهُ من السُنة إلىٰ البدعة.

وسبق أن ذكرنا مِرارًا ما حصل لجماعة من أهل السُنة من العلماء في هذا الباب من الزلل؛ بسبب الاقتراب من أهل البدع والأهواء كما حصل لعبد الرزاق الصنعاني ثم تاب ورجع، وكما حصل للحافظ البيهقي ولجماعة ممن مضىٰ من كِبار العلماء، فإذا كان هذا الأثر يحصل للعلماء الكِبار فكيف لا يتأثر من هو دونهم بمراحل؟!.

قال وفقه الله:

عِبرة:

١- جالس الخليفةُ المأمونُ المبتدعةَ مِن المعتزلةِ فانحرفَ عن السُنِ وصارَ مُعاديًا لأهلهَا –عياذًا باللهِ من ذلك–.

٢- وفي ترجمة عبد الله بن أبين نُجيح المكي: قال ابن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كانَ يَرى الاعتزالَ، وقال أحمد: أَفْسدُوهُ بآخرهِ وكانَ جالسَ عَمرَو بن عُبيد)**[١].

٣- وفي ترجمة داود بن المحبر: قال ابن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَا زالَ مَعروُفًا بالحديثِ ثُم تركَهُ وصَحِبَ قَومًا مِن المعتزلةِ فأفسدوهُ وهُو ثِقةٌ)**[٢].

الشرح:

١- جالس الخليفةُ المأمونُ المبتدعةَ مِن المعتزلةِ فانحرفَ عن السُنِ وصارَ مُعاديًا لأهلهَا –عياذًا باللهِ من ذلك–.

وحصلت منه تلك الفتنة العظيمة: وهي فتنة القول بخلق القرآن، ودخل فيها الخليفة وصار جُندًا من جنود الجهمية والعياذ بالله، وحصل منه ما حصل من الشر والبلاء العظيم للمسلمين.

---

(١) "الميزان" (٢/ ٥١٥) ط. دار الفكر.

(٢) "الميزان" (٢/ ٢٠) ط. دار الفكر.




والمعتزلة في ذلك الزمن فتنوا الناس بهذا المسألة مع أن لهم مسائل وعقائد كثيرة منحرفة منها: مسألة الرؤية، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُرىٰ في الآخرة، فهذا كما هو معلوم مذهب المعتزلة فلا يرون أن المؤمنين يرون ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الآخرة لكنهم ما اختاروا مسألة الرؤية باعتبار أن حجتهم فيها ضعيفة وخفية فلا تروج الشبهة لهم في مسألة الرؤية، وربما لو أظهروها لنفر منهم الخليفة، ولا ما انقاد لهم لا الخلفية ولا غيره، وإنما اختاروا مسألة خلق القرآن لما لهم فيها من الشبهة وهم يزعمون أنهم دُعاة التوحيد، ويحتجون بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢]، ويقولون: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الخالق وما سواه مخلوق وهذا من توحيد الله، ويقولون: القرآن شيء فهو من جُملة المخلوقات وإن لم نقل ذلك نقضنا التوحيد وأثبتنا خالقًا غير الله عَزَّوَجَلَّ، فجاءوا للناس من هذا الباب بأنهم دُعاة التوحيد ويدعون إلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ويُحاربون الشرك المتعلق بتوحيد الربوبية، فراجت هذه الشُبهة في وسط الخلفية وفي وسط كثير من الناس، واستطاعوا أن يمتحنوا الناس وأن يفتنوا الناس، ولو أخذوا مسألة أخرىٰ ربما لم ينقاد لهم أحد، بل رُبما عُقِبوا وكانت الفتنة عليهم لكن اختاروا هذه المسألة دون غيرها، كما بيَّن ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيانه لتلبيس الجهمية وأنهم اختاروا هذه المسألة دون غيرها من أجل هذا الأمر.

فعلى كُلٍ: الخلفية المأمون جالسَ المعتزلة ففتنوه ووقع في شر عظيم بسببهم، والفتن الذي حصلت في زمنه يُقال: فتنة المعتزلة؛ لأن دعاتهم أهل اعتزال، ويقال: الجهمية، باعتبار أن مذهب المعتزلة هو مذهب الجهمية في مسألة القرآن وفي كثير من المسائل.



٢- وفي ترجمة عبد الله بن أبين نُجيح المكي: قال ابن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كانَ يَرى الاعتزالَ**، وقال أحمد: **أَفْسدُوهُ بآخرِهِ وكانَ جالسَ عَمرَو بن عُبيد**).

جالس هذا الرجل من دعاة الاعتزال، وكان في أول أمره علىٰ سُنة وخير، واستهان في مُجالسة هذا الرجل وترك وصايا السلف واقتحم ما نهىٰ عنه السلف فأضره عمرو بن عُبيد وأفسده والعياذ بالله.

٣- وفي ترجمة داود بن المحبر: قال ابن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَا زالَ مَعروُفًا بالحديثِ ثُم تركَهُ وصَحِبَ قَومًا مِن المعتزلةِ فأفسدوهُ وهُو ثِقةٌ).

وهو ثقة في رواية الحديث وإن كان غير ثقة في دينه؛ لأنه صار معتزليًا بعد أن كان صاحب سُنة وحديث.

فكل هذا مما يدل علىٰ هذا الأمر: وهو أن الإنسان لا يستهين بهذا الأمر، فيبتعد عن أهل البدع والأهواء ولا يقترب منهم، ولو كان من قبيل الزواج بامرأة من أهل البدع، وعليه أن يتزوج بامرأة صالحة عفيفة، وكونه يتزوج بامرأة صاحبة فسق خير له من أن يتزوج يتزوج بامرأة صاحبة بدعة تُدخل إليه الشبهات في ليله ونهاره وإذا به ينتكس من السُنة إلىٰ البدعة والعياذ بالله.

فمسألة المجالسة والمُصحابة لا يستهين بها الشخص، والصاحب كما يُقال: ساحب، إما إلىٰ الخير وإما إلىٰ الشر، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»، ويُعرف الشخص بخدنه وبجليسه، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»، ويقاس المرء بالمرء، والمجالسة تدعو إلىٰ المؤانسة، والمؤانسة تدعو إلىٰ المجانسة فيصير بعد ذلك من جنسهم، فتبدأ مجالسة، ثم مؤانسة، ثم مجانسة فيصير بعد ذلك من جِنس أهل البِدع والأهواء، فهذا مما يجب الحذر منه، فلا يستهين الشخص مما

يتعلق بهذا الأمر فقد زلَّ عُلماء كِبار فخذ العِبرة بغيرك، زلَّ علُماء كِبار نحن بالنسبة إليهم من الجُهَّال، وربما نحن بالنسبة إلىٰ طلابهم من الجُهَّال ومع هذا زلوا في هذا الباب؛ بسبب الاقتراب من بعض أهل البدع والأهواء.

قال وفقه الله:

تحذيرُ السَّلف من الاستماع إلى أهلِ البِدع:

١- عن معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كَانَ ابْنُ طَاوُسٍ جَالِسًا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: فَأَدْخَلَ ابْنُ طَاوُسٍ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ. قَالَ: وَقَالَ لِابْنِهِ: (**أَيْ بُنَيَّ، أَدْخِلْ أُصْبُعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ لَا تَسْمَعْ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا**). قَالَ مَعْمَرٌ: يَعْنِي أَنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ)[(١)].

٢- وعن حماد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قال لنا يونس بن عُبيد: (**أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ، فَخُذُوهَا عَنِّي حَيِيتُ أَوْ مُتُّ: لَا تُمَكِّنْ سَمْعَكَ مِنْ صَاحِبِ هَوًى، وَلَا تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَكَ بِمَحْرَمٍ، وَلَوْ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهَا الْقُرْآنَ، وَلَا تَدْخُلَنَّ عَلَى أَمِيرٍ، وَلَوْ أَنْ تَعِظَهُ**)[(٢)].



الشرح:

١- عن معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كَانَ ابْنُ طَاوُسٍ جَالِسًا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: فَأَدْخَلَ ابْنُ طَاوُسٍ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، وَقَالَ لِابْنِهِ: (**أَيْ بُنَيَّ، أَدْخِلْ أُصْبُعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ لَا تَسْمَعْ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا**)، قَالَ مَعْمَرٌ: يَعْنِي أَنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ).

وهذا مما يدل علىٰ ما كان عليه أئمة السلف رحمة الله عليهم أجمعين من الخوف علىٰ أنفسهم من أهل البِدع والأهواء، وليس هذا كما قلنا لقلة علمهم فهم العلماء،

---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة" برقم (٢٤٨).

(٢) "الإبانة" برقم (٣٨٧) وجاء برقم (٣٨٦).

ولا لضعف يقينهم فهم أهل اليقين وأهل الثبات في الدين، لكن كما قُلنا مِرارًا: (الشبهات خطافة والقلوب ضعيفة)، وكلام أهل البِدع أعدىٰ من الجرب وأشد من اللهب؛ فلهذا حَذِرَ منه أئمة السلف رحمة الله عليهم أجمعين.

ومن الخطأ الكبير ما يفعله بعض الناس ممن يدعي التمسك بالسُنة وانتهاج منهج السلف من الذهاب إلىٰ مساجد أهل البِدع والأهواء والسماع لخطبهم أو لمحاضراتهم أو لدروسهم، وابن طاوُس رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذهب إلىٰ أهل البدع وإنما جاءوا إليه ومع هذا أدخل أصبعيه في أذنيه وقال لابنه: (**أَيْ بُنَيَّ، أَدْخِلْ أُصْبُعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ لَا تَسْمَعْ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا**)، فكيف بالذي يذهب بنفسه إلىٰ أهلِ البدع والأهواء يحضر مجالسهم، ويحضر محاضراتهم أو الخطب التي يقيمونها، أو يحضر بعض الدروس فإن هذا من الخطأ الكبير، ولم يكن هكذا من مضىٰ من أئمة السلف، ومن فعل هذا فإنه يسعىٰ في إهلاك نفسه وفي إيقاع نفسه في البدع والأهواء والعياذ بالله.

وبعض جُهَّال الناس يقول: أنا أسمع لكل أحد فآخذ الطيب وأدع الخبيث، وهو إنما يُلبس علىٰ نفسه أو يُلبس عليه الشيطان، وإلا فهو في الحقيقة يأخذ الخبيث والطيب؛ لأنه ليس عنده تمييز، ولو كان عنده تمييز لما حلَّ هذا له؛ لأنه كما عرفنا من أن الشبهات خطافة والقلوب ضعيفة، وكيف وهو لا تمييز له بين الخبيث والطيب، يأخذ الكل فيأخذ الخبيث ويظنه طيبًا فإن أهل البِدع يُظهرون الباطل بمظهر الحق، فالجاهل يأخذ الباطل علىٰ أنه حق ويظن أن الكل طيب، فيأخذ الخبيث والطيب ولا يُميز بين خبيث ولا طيب.

والناس يتساهلون في أمر دينهم ويتشددون في أمر دنياهم، ففي أمر الدنيا لا يأخذ إلا الطيب، والشيء الذي فيه خبيث وطيب يبتعدون عنه ويريدون الشيء الصافي الطيب الذي ليس فيه غش، ويتحرون الطيب أشد التحري هذا في أمر الدنيا؛ لأنها

مُعظمة عند النفوس أعظم من الدين إلا عند من رَحِمَ الله عَزَّوَجَلَّ ممن له تعظيم لدينه أعظم من دُنياه.

٢- وعن حماد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قال لنا يونس بن عُبيد: (أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ، فَخُذُوهَا عَنِّي حَيِيتُ أَوْ مُتُّ: لَا تُمَكِّنْ سَمْعَكَ مِنْ صَاحِبِ هَوًى، وَلَا تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَكَ بِمَحْرِمٍ، وَلَوْ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهَا الْقُرْآنَ، وَلَا تَدْخُلَنَّ عَلَى أَمِيرٍ، وَلَوْ أَنْ تَعِظَهُ).

وهذه ثلاث وصايا من وصايا هذا العالم من عُلماء السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**لَا تُمَكِّنْ سَمْعَكَ مِنْ صَاحِبِ هَوًى**): فإن من مَكَّن سمعه من صاحبَ هوىٰ زرع في قلبه الهوىٰ والعياذ بالله، ولا تقول أيضًا: انظر ما عندهم وما هي الحجة التي عندهم فهذا خطأ، فإنهم يُظهرون الباطل بمظهر الحق فيلتبس عليك الأمر وتقبل الباطل فتزل.



قوله: (**وَلَا تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَكَ بِمَحْرِمٍ، وَلَوْ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهَا الْقُرْآنَ**): فإن فِتَنَ النساء من الفتن العظيمة حتىٰ ولو كان يقرأ عليها القرآن، لا في قراءة القرآن ولا في تعلم العلم النافع ولا غير ذلك من الأمور، فإن هذا من الفتن العظيمة، ومن فعل هذا فإنه لا يسلم من الشر ولو كان في موطن خير وطاعة، فكيف إذا كان في موطن ريبة؟ فإن الأمر أشد وأشد، فلهذا لا يُشرع أن يُقرئ الشخص النساء ويخلو بهنَّ في إقراء القرآن أو في تسميع القرآن فإن هذا فيه ما فيه من الشر والفتنة

وليس هنالك عُذراً شرعياً بأنه لا توجد امرأة متمكنة من الإقراء فإن هذا ليس بواجب عليها، فإن تيسرَّ لها من يقوم بتعليمها من نساء جنسها أو من محارمها فذاك وإلا فإن هذا ليس من الواجبات عليها، فلا تُعرض نفسها للفتنة ولا تُعرض غيرها للفتنة بهذا الأمر.

ومثل هذه الأمور فيما يتعلق بتحفيظ القرآن وإقراء القرآن موجود عند بعض التحزب والعياذ بالله، وهكذا ما يتعلق ببعض القُراء علىٰ المرضىٰ والخلوة بالنساء

من أجل الرُقية كل هذا من تلاعبات الشيطان، وفيه ما فيه من الشر والفِتنة، فكل هذا مما لا يُشرع فكل هذا من خطوات الشيطان ومداخل الشيطان للشر والفتنة.

قوله: (وَلَا تَدْخُلَنَّ عَلَىٰ أَمِيرٍ، وَلَوْ أَنْ تَعِظَهُ): باعتبار أن القُرب من الأُمراء فِتنة، وكم من شخص فُتِنَ بكثرة دخوله علىٰ الملوك والأُمراء؛ ولهذا حذر من حذر من أئمة السلف من الاقتراب من الأُمراء والملوك؛ لما في ذلك من الشر والفتنة، فإذا أراد الشخص أن ينصح لذي سُلطان وله كلمة عنده فيمكن أن تكون بالمُراسلة، ويمكن أن تكون فيما لا بُدَّ منه من غير إكثار علىٰ قدر الضرورة؛ لأن الاقتراب فيه ما فيه من الفتنة؛ ولهذا كَثُرَ تحذير السلف من ذلك والذي يقرأ ما ذكر السلف يجد الشيء الكثير في هذا الباب.

وحال الأُمراء ليس كحال الخُلفاء الراشدين فالاقتراب منهم خيرٌ ونعمة، أولئك أهل العلم، والتُقىٰ، والخير، والسداد، والتوفيق، والرُشد، والصلاح ومن اقترب منهم ازداد عِلمًا وانتفع بمجالستهم، وأقبل علىٰ الآخرة وزهِدَ في الدنيا، فأولئك الاقتراب منهم فيه ما فيه من الخير، لكن الأُمراء الذين عُرِفوا بالفسق والفجور والإقبال علىٰ الدنيا والزُهد في الآخرة، والزُهد في العلم والخير والصلاح، فإذا اقترب الإنسان منهم فُتِنَ بما معهُم من المُلك، وفُتِنَ بأموالهم وربما حاول أن يُجاملهم ولو في معصية الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ تكون له المكانة عندهم، ويُطيعهم فيما يأمرون به ولو كان مُخالفًا لشريعة الإسلام حتىٰ لا يسقط من أعينهم، ويُحاول التزلف لهم فيقع فيما يقع من الشرور والمفاسد؛ فلهذا قال: (وَلَا تَدْخُلَنَّ عَلَىٰ أَمِيرٍ، وَلَوْ أَنْ تَعِظَهُ)، ويستثنىٰ من ذلك ما ذكرناه كأن تدعو الضرورة إليه، وكأن يحصل شيء من الشر العظيم والفساد، فإنَّ أعظم الجهاد كلمة حق عند سُلطان جائر.

قال وفقه الله:

تحذير السَّلف من مُجالسة المُبتدعة:

١- قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو تَقِيٍّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحِمْصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي حَصِيْنٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: **(لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ)**[١].

٢- قال أبو عبد الله بن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُصْعَبَ بْنَ سَعْدٍ، قَالَ: **(لَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا، فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَى إِحْدَى اثْنَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتْبَعَهُ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِيَكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ)**[٢].

٣- وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: ثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ أَبُو قِلَابَةَ يَقُولُ: **(لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ)**[٣].

٤- وقال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عُلماء السَّلف: **(وَلَا يجوزُ مُجالسة أهل الْمعاصِي الَّذينَ ظهر فِسقهُم، وَلَا مجالسة أهلِ الْبِدع الَّذين ظَهرت بِدعهُم)**[٤].



---

(١) "الشريعة" رقم الأثر (١٣٣) ط. دار الفضيلة.

(٢) "الإبانة" برقم (٣٩٣) و (٤٣٣) و"الاعتقاد" للبيهقي (ص٢٧٩)ط. دار الفضيلة.

(٣) "الشريعة" (٢/ ٦٦٨-٦٦٩) رقم الأثر (٢٠٤٤) ط. دار الفضيلة.

(٤) "الحجة" (٢/ ٢٨٤) ط. دار الراية.

٥- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَتركُ مُجالسة أهلِ الْبِدْعَةِ، وَمُعاشرتِهم سُنة لِئَلَّا تَعلق بِقلوبِ ضُعفاء الْمُسلمين بعضُ بِدعتهِم، وَحَتَّى يعلم النَّاس أَنهم أهل الْبِدْعَة، وَلِئَلَّا تكونُ مُجالستهُم ذَرِيعَة إِلَى ظُهُورِ بِدْعتهِم)[(١)].

٦- قال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، ثنا أَبُو يَعْلَى، ثنا عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ، يَقُولُ: (إِذَا رَأَيْتَ مُبْتَدِعًا فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي طَرِيقٍ آخَرَ)[(٢)].

٧- وقال أيضًا: (وَعَلَامَةُ النِّفَاقِ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ وَيَقْعُدَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ)[(٣)].

٨- قال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: ثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: ثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنْ يَحْيَى أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي طَرِيقٍ آخَرَ)[(٤)].

٩- وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ، فَخُذْ فِي غيرِهِ)[(٥)].

١٠- وعن أبي الجوزاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (لِأَنْ أُجَالِسَ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُجَالِسَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ)[(٦)].

١١- عن عمرو بن قيس الملائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (كَانَ يُقَالُ: لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ زَيْغٍ، فَيُزِيغَ قَلْبَكَ)[(٧)].

الشرح:

---

(١) "الحجة" (٢/ ٥٥٠) ط. دار الراية.

(٢) "الحلية" برقم (١١٥٢٦) بسند حسن.

(٣) "المصدر السابق".

(٤) "الحلية" برقم (٣٢٤٧) بسند صحيح.

(٥) "الإبانة" برقم (٤٩٨) بسند صحيح.

(٦) "الحلية" لأبي نعيم برقم (٣٢٩٥).

(٧) "الإبانة" برقم (٣٦٦، ٣٩٠).

١- قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو تَقِيٍّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحِمْصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ سُلَيْم، عَنْ أَبِي حَصِيْنٍ[١]، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (**لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مَمْرَضَةٌ لِلْقُلُوبِ**).

والأمر كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فمجالسة أهل البِدع والأهواء ممرضة للقلوب بمرض الشبهات، ومرض الشبهات أعظم من مرض الأبدان وأعظم من مرض الشهوات.

٢- قال أبو عبد الله بن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُصْعَبَ بْنَ سَعْدٍ، قَالَ: (**لَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا، فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَى إِحْدَى اثْنَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتْبَعَهُ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِيَكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ**).



وهذا كلام حسنٌ جميل، لا تُجالس مفتونًا قد فُتِنَ بالأهواء فإنك لا تخلو من أحد شرين: (إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتْبَعَهُ): وهذا أعظم الشرور، أن يفتنك عن السُنة، وأن يفتنك عن دينك فتقع في البِدع والأهواء فتهلك، وهذا غاية ما يُريده أهل البِدع منك، وأقل ما في الأمر قال: (وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِيَكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ): بالسب والشتم واللعن والكلام القبيح كشأن أهلِ البِدع والأهواء، من لم يستجب لهم ونازعهم وقمعهم يلجؤون إلىٰ السِباب والشِتام: وأنتم كذا، وأنتم كذا، وأنتم كذا، ويرمونهم بالألفاظ البشعة،

---

(١) حصل إشكال في ضبط المؤلف لأبي حَصِيْن الراوي عن أبي صالح السمان، فإنه ضبطهُ بفتح الصاد: (حَصَيْنٍ)، وتم تعديله في المتن بعد الرجوع إلىٰ كتاب الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ "تبصير المنتبه لتحريف المتشبه"، فإنه ضبطه بفتح الحاء وبكسر الصاد (حَصِيْن).
وهناك من يُكنىٰ بهذه الكُنية بضم الحاء مع فتح الصاد (حُصَيْن)، لكن الراوي عن أبي صالح السمان: هو عُثمان بن عاصم بن حَصِيْن كُنيته مضبوطة بفتح الحاء وكسرِ الصاد.

ويقذفونهم بما لا يجوز فهذا شأن أهل البِدع والأهواء فلا تلقَىٰ منهم إلا الشَّر، إما أن تستجيب لهم فتفتتن، وإما أن تلقىٰ منهم الأذية، وهذا في حق من جالسهم فإما أن يقع في الفتنة وإما أن يحصل له الأذىٰ، إذًا: لا خير في مجالستهم فالخير في الابتعاد عنهم، يسلم دين العبد له ويصون عرضه من كلامهم القبيح.

٣- وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: ثنا قُتَيْبَةُ بن سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بن زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ أَبُو قِلَابَةَ يَقُولُ: (**لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ**).

وهذا أثر مشهور عن أبي قِلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والمؤلف أورده في هذا الموضع باعتبار: النهي عن المُجالسة: (**لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ**): نهىٰ عن المُجالسة وعن المُجادلة، وقد سبق الكلام علىٰ هذه الجملة من الأثر فيما مضىٰ.

قوله: (**فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ**): فمن جالس أهل الأهواء أو جادلهم فلا يخلو من أحد هذين الشرين: إما أن ينغمس في الضلالة فيقع في البدعة وهذا هو الأشد والأعظم، وإن لم ينغمس في البدعة فيحصل له شيء من اللبس بالشبهات التي تُلقىٰ في سمعه وتستقر في قلبه، فيحصل له شيء من اللبس بعد أن كان عنده اليقين فيما هو فيه من الحق فإذا به يحصل له شيء من الشك، فمن جادل أهل البِدع وجالسهم فلا يخلو من إحدىٰ المفسدتين.

٤- وقال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عُلماء السَّلف: (وَلَا يجوزُ مُجالسة أهل الْمعاصِي الَّذين ظهر فِسقهُم، وَلَا مجالسة أهلِ الْبِدع الَّذين ظَهرت بِدعهُم).

قوله: (**وَلَا يجوزُ مُجالسة أهل الْمعاصِي الَّذين ظهر فِسقهُم**): الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول هذا عن عُلماء السلف، فهذا الذي سار عليه أئمة السلف: من أنه لا يُجالس المرء أصحاب الفِسق والفجور فإنه يتأثر بهم، وربما شاركهم فيما هم فيه من الفسق والفجور.

قوله: (**وَلَا مجالسة أهلِ الْبِدع الَّذين ظَهرت بِدعهُم**): وهذا أشد وأشد، ولا يُشترط أن يكون داعية بلسان المقال فيكفي أنه قد أظهر البِدعة، فالشر يحصل من جهته بإظهار البِدعة، فإذا كان ممن يُظهر البِدعة فهذا لا يُجالس ولا يُقترب منه ويُهجر، وإذا كان يُهجر من أظهر الفِسق والفجور وإن لم يدعُ بلسان المقال إلىٰ فِسقة وفجوره، فمن باب أولىٰ أن يُهجر من أظهر البِدعة وإن لم يدعُ إليها بلسانه، فيكفي مُجرد الظهور والمُجاهرة والإعلان بها، والشخص قد يكون داعية بلسان حاله كما يكون داعية بلسان مقاله، فإن من أظهر البِدعة تابعه عليه بعض الجاهلين ممن يُحسن به الظن، وهذا شيء معلوم من أحوال الجُهَّال، إذا شاهدوا شخصًا يُحبونه ويلتمسون منه الخير فيما يظنون إن فعل شيئًا تابعوه وقالوا: قد فعل فُلان كذا، ورأينا فلانًا يفعل كذا وقد يكون ذلك الشيء من البدع والأهواء مما لا أصل له في الشريعة، لكن يتابعونه لاغترارهم به، فإظهار البِدع أخطر من إظهار الفِسق، فإن من أظهر فسقه يعلم الناس أن هذا فِسق ويبتعد الناس عنه وعن فسقه، لكن من أظهر البِدعة لا يتبين للناس أنها بدعة فيلتبس علىٰ كثير من الناس ويظنون أن ذلك من الدين، وأن ذلك من السُنة، وأن ذلك عمل صالح، فإظهار البِدع أعظم من إظهار الفسق، والخطر الحاصل بإظهار البدع أعظم من الخطر الحاصل بإظهار الفسق.



إذًا: من أظهر ما عنده من البِدع فإنه لا يُجالس ويُهجر ويُزجر، ولا يُشترط أن يكون داعية بلسان المقال يكفي أنه يُظهر البِدع، وكما عرفنا إن أظهر البدع فهو داعية في الحقيقة بلسان الحال، وإن لم يكن داعية بلسان المقال، فإن هنالك من جُهَّال الناس من يُتابعه علىٰ تلك البِدع ويظن أن ذلك من الدين، ويقول قائلهم: قد فعل فلان كذا، ورأيت فلانًا يفعل كذا ممن يراه من أهل العلم ومن أهل العبادة والخير فيما يظهر له فيتابعه علىٰ تلك البدعة؛ لأن البِدع أمرها خفي بعكس الفسق فإن من أظهر الفسق فهذا مما لا يلتبس علىٰ كثير من الناس.

وهذا الذي عليه عُلماء السلف كما ذكر الأصبهاني فيما نقل المؤلف في هذا الموضع وعزاه إلىٰ كِتاب "الُحجة".

٥- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: (وَترك مُجالسة أهلِ الْبِدْعَةِ، وَمُعاشرتهم سُنة لِئَلَّا تَعلق بِقلوبِ ضُعفاء الْمُسلمين بعضُ بِدعتهِم، وَحَتَّى يعلم النَّاس أَنهم أهل الْبِدْعَة، وَلِئَلَّا تكونُ مُجالستهُم ذَرِيعَة إِلَى ظُهُورِ بِدْعتهِم).



فالأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيَّن أن ترك مُجالسة أهل البِدع والأهواء فيه المصالح العظيمة، وإذا ما جالسَّ الشخص أهل البِدع والأهواء حصلت من ذلك المفاسد العظيمة:

قوله: (**وَتركُ مُجالسة أهلِ الْبِدْعَةِ، وَمُعاشرتِهم سُنة**): أي: من سُنن السلف، وطريقة سار عليها أئمة السلف، فهذا أمر ساروا عليه وأجمعوا عليه في أن أهل البِدع لا يُجالسون، من كان داعيةً إلىٰ بدعته بلسان المقال أو كان مُظهرًا للبدعة وإن لم يدعُ إليها بلسان المقال، فهؤلاء لا يُجالسون باتفاق السلف، وهي سُنة سار عليها من مضىٰ من أئمة السلف.

---

(١) يعني أبو القاسم الأصبهاني.





قوله: (لِئَلَّا تَعلق بِقلوبِ ضُعفاء الْمُسلمين بعضُ بِدعتهِم): فإن من جالسهم ربما علقت في قلبه تلك البِدع التي عندهم والعياذ بالله؛ ولأن صاحب السُنة إن جالس صاحب البِدعة أغرَّ بالناس، وربما ظن الناس أن فلانًا من أهل السُنة فيجالسونه فيقعون في البدعة وتتمكن من قلوبهم والعياذ بالله.

قوله: (وَحَتَّىٰ يعلم النَّاس أَنهم أهل الْبِدْعَة): وإذا جالسَ أهل السُنة أهل البِدعة متىٰ يعرف الناس أهل السُنة من أهل البدعة ومتىٰ يُميزون بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل؟.

قوله: (وَلِئَلَّا تَكونُ مُجالستهُم ذَرِيعَة إِلَىٰ ظُهُورِ بِدْعتهِم): فإن أهل البدع إذا ما حصلت لهم مُجالسة كان ذلك من أسباب ظهور البِدع فإنهم لا يسكتون، فمن جالسهم أدخلوا في قلبه البِدعة بأنواع من المكر والأساليب الخفية فتنتشر البِدعة بسبب مجالسة أهل البدع والأهواء كما أن الأمراض تنتشر بمجالسة أصحاب الأوبئة والأمراض، فتنتقل الأمراض بالمجالسة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ والكل بمشيئة الله فليست بنفسها ولا بذاتها، فهكذا البدع تنتشر بالمُجالسة، من جالس أهل البدع فإنه يتأثر بهم، وتخرج البِدع التي في قلوب أهل البدع إلىٰ قلبه والعياذ بالله فتظهر البدع وتنتشر.



٦- قال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدثنا أَبُو يَعْلَى، حدثنا عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ، يَقُولُ: (إِذَا رَأَيْتَ مُبْتَدِعًا فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي طَرِيقٍ آخَرَ).

وكل هذا من باب المُبالغة في الابتعاد عن أهل البدع والأهواء، فإن هنالك من الناس من فيه ضعف، وما كُلَ الناس علىٰ حدٍ سواء، بعض الناس عنده القوة والشِدة والصرامة حتىٰ لو مشىٰ بجوار أهلِ البدع فإنه لا يُبالي بهم فعنده القوة في قلبه فلا يلين معهم، وهناك من الناس من فيه شيء من الضعف والحياء، فإذا ما اقترب منهم

ربما يُصاب بشيء من الحياء فيتحدث معهم وينبسط لهم ويحصل ما يحصل له من الضرر؛ بسبب ما في قلبه من الضعف.

فهذا الذي يعلم من نفسه الضعف فالسلامة له الابتعاد: (**إِذَا رَأَيْتَ مُبْتَدِعًا فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي طَرِيقٍ آخَرَ**)، سَلِمْ نفسك من شرهم، فإن كنت تعلم من نفسك الضعف والليونة وعدم القوة والصرامة فابتعد، فإذا رأيته في طريق لا تسير من ذلك الطريق الذي هو فيه، وانظر لك طريقًا آخر وسَلم نفسك.

٧- وقال أيضًا: (وَعَلَامَةُ النِّفَاقِ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ وَيَقْعُدَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ).

والنفاق كما هو معلوم منه ما هو أكبر، ومنه ما هو أصغر وهذا من النِفاق الأصغر فإنه يُظهر شيئًا ويُبطن شيئًا، فالظاهر لا يوافق الباطن، والباطن لا يوافق الظاهر وهذا نوع نفاق، والواجب في العبد: أن يكون ظاهره وباطنه علىٰ الحق لا يوجد اختلاف بين ظاهره وباطنه، فظاهرهُ السُنة وباطنه السُنة هذا هو الإيمان الصحيح، أما أن يكون الظاهر خلاف الباطن فهذا نوع نفاق وإن لم يكن من النفاق الأكبر، وهذا موجود في كثير من الناس يتظاهر بالسُنة ومحبة أهل السُنة وأنه منهم، وإذا ما التقىٰ بأهل البدع والأهواء قعد معهم وجالسهم وضحك معهم وانبسط إليهم، وكل هذا علامة من علامات النفاق والعياذ بالله.



٨- قال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: ثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: ثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنْ يَحْيَى أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (**إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي طَرِيقٍ آخَرَ**).

٩- وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ، فَخُذْ فِي غَيرِهِ)

وقد سبق بيان ذلك، وهذا يعم من كان قويًا ومن كان ضعيفًا، لكن كما قلنا من كان ضعيفًا هو أحوج إلىٰ هذا الأمر الذي ذكره أئمة السلف.

١٠- وعن أبي الجوزاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (لِأَنْ أُجَالِسَ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُجَالِسَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ).

فإن القردة والخنازير لا تضره في دينه، وأهل الأهواء يضرون به فيفسدون عليه دينه.

١١- عن عمرو بن قيس الملائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (كَانَ يُقَالُ: لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ زَيْغٍ، فَيُزِيغَ قَلْبَكَ).

فالشخص يتأثر بجليسه، والصاحب ساحب إما إلىٰ الخير وإما إلىٰ الشر؛ فلهذا كان الواجب: هو الابتعاد عن أهل الزيغ، وعن أهل البدع والأهواء إذا أراد العبد لنفسه السلامة.



قال وفقه الله:

التحذير من المفتونين:

١- **من أسباب الانحراف عن الحق**: (صُحبةُ جُلَساءِ السُّوءِ الذّين يَدْعُونَ إلى أَهوائِهِمْ وأَغراضِهِمْ الفاسِدَةِ، فإنَّهُم كما قِيلَ: المسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ والطّبْعُ طَبْعُ ثَعْلبٍ، يَزَيِّنُونَ الكَلَامَ، ويَتَظَاهُرون بالأخْلاقِ الجَميلَةِ وَوَرَاءَ ذَلك كَيْدٌ وَمَكرٌ يُوقِعُ في الفتنةِ والتَّحَزُّبِ للبَاطلِ، فَلْيكُنْ مَنْ أَرَادَ النَّجاةَ على حَذرٍ مِنْهُم).

٢- قال أبو عبد الله ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَاللَّهَ اللَّهَ إِخْوَانِي احْذَرُوا مُجَالَسَةَ مَنْ قَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ فَزَاغَ قَلْبُهُ)**[1].

الشرح:

(١) "الإبانة" (١/ ٢٦٠).

١- **من أسباب الانحراف عن الحق:** (صُحبةُ جُلَساءِ السُّوءِ الذّينَ يَدْعُونَ إلى أَهوائِهِمْ وأَغَراضِهِمْ الفاسِدَةِ، فإنَّهُم كما قِيلَ: المسُّ مَسُّ أَرْنَبِ والطّبْعُ طَبْعُ ثَعْلبٍ، يَزَيِّيُونَ الكَلَامَ، ويَتَظَاهُرون بالأخْلاقِ الجَميلَةِ وَوَرَاءَ ذَلكَ كَيْدٌ وَمَكرٌ يُوقِعُ في الفتنةِ والتَّحَزُبِ للبَاطلِ، فَلْيكُنْ مَنْ أرَادَ النَّجاةَ على حَذرٍ مِنْهُم).

فليحذر المرء من أهل البدع ولا يغتر بلينهم المصنع ولا بأخلاقهم المصطنعة فإنَّ من وراء ذلك السم القاتل، وأهل البدع ربما يظهرون الأخلاق الحسنة من أجل جذب الشخص إلىٰ الهوىٰ، وهم يتحينون الفرص فإذا نزلت بالشخص نازلة ربما زاروه وواسوه بالمال، وتعاونوا معه بما يقدرون عليه، ويتصنعون تلك الأخلاق من أجل أن يفتنوا الشخص عن دينه، فإن الإحسان كما قيل: يقطع اللسان، والشخص ينجذب إلىٰ من أحسنَّ إليه، وتميل إليه نفسه وأقل ما في الأمر: أن يسكت عنهم، فيذكر ما قاموا به من الإحسان إليه فيستحي ويسكت عنهم فلا يكون ولاؤه وبراؤه من أجل الله عَزَّوَجَلَّ فيضعف في قلبه جانب الولاء والبراء.

وقد رأينا من هؤلاء العجب من حيث التظاهر بالأخلاق الحسنة وعندهم ما عندهم من سوء الأخلاق، حتىٰ أن شخصًا من هؤلاء المبتدعة تشاجر مع شخص آخر وإذا بذاك الشخص الآخر يمد يده ويضرب ذلك المبتدع في خده ضربة شديدة مع وجود بعض أقرباء ذلك الشخص المعتدي عليه بالضرب وإذا بالمبتدع يمسح علىٰ خده ويُهدئ ذلك القريب من أقرباء ذلك المعتدىٰ عليه ويقول: هؤلاء أُناس جُهَّال يُصبر عليهم ويتكلم بنحو ذلك من الكلام الحسن وإذا به فتن ذلك القريب من أقرباء ذلك المُعتدي بتلك الأخلاق وهي أخلاق مُصطنعة، وهم أُناس نعرفهم بسوء الخُلق، والذي اعتدىٰ علىٰ ذلك المبتدع رجل ليس علىٰ سواء السبيل وهو أيضًا منحرف، فمنحرف تشاجر مع منحرف.

لكن الشاهد: أنه أراد أن يجذب شخصًا آخر بالتظاهر بحسن الخلق وعدم الانتقام والصبر والعفو والصفح، مع أن قلوبهم مليئة بالسوء، ومن جالسهم يعرف ما عندهم من الأخلاق القبيحة السيئة لكن يتصنعون الأخلاق؛ من أجل أن يصطادوا الجُهَّال ويغتر بهم الجُهَّال ويقول الجاهل: هؤلاء هم أصحاب الأخلاق الحسنة، والذي يدعوا إليه هؤلاء هو الإسلام، هؤلاء عندهم الحلم وعندهم الصبر، وهم في الحقيقة ليس عندهم شيء من الصبر ولا الحلم وإنما هو تصنع لاصطياد الجاهلين، وكل هذا من المكر: (**المسُّ مَسُّ أَرْنَبِ والطّبْعُ طَبْعُ ثَعْلبِ**)، نعم مكر وكيد منهم.

وإذا ما عرف الإنسان أمرهم وابتعد عنهم عاملوه بأقبح المعاملات وزالت تلك الأخلاق التي تصنعوا بها في أول الأمر، وأظهروا سوء الخُلق وأظهروا الأمور القبيحة من الأقوال والأفعال.



قوله: (**يَزَيِّنُونَ الكَلَامَ، ويَتَظَاهُرون بالأخْلاقِ الجَميلَةِ وَوَرَاءَ ذَلكَ كَيْدٌ وَمَكرٌ يُوقِعُ في الفتنةِ والتَّحَزُبِ للبَاطلِ**): وهذا كما عرفنا كلام صحيح وهو واقع أهل البِدع والأهواء مع الذين يُريدون أن يدخلوه في فتنتهم، وإلا فإن من يُعاشر مثل أولئك من أبناء جنسهم إذا يجدهم يتكلمون فيهم ويذكرون ما عندهم من الأخلاق السيئة وضعف الدين والتهاون في أمر الدين، وهكذا غير ذلك من الأخلاق السيئة القبيحة.

قوله: (**فَلْيكُنْ مَنْ أرَادَ النَّجاةَ علىٰ حَذرٍ مِنْهُمْ**): فلا يغتر بِحسن خُلقٍ مبتدع حتىٰ ولو صدقوا في أخلاقهم فليحذر الإنسان مما هم فيه من الباطل، فلا يغتر الإنسان بالخُلق الحسن مع البدعة والهوىٰ، كما ذكر الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عمرو بن عُبيد حين ذكر شيئًا من زهده، فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا ينفعه زهده مع بدعته، الزاهد في الحقيقة: من زهِدَ عن الذنوب والمعاصي وابتعد عنها، وَزَهِدَ عن البدع وابتعد عنها، أما أن يزهد الإنسان في الحلال ويقع في أعظم الأمور وأشدها بعد الكُفر والشرك وهي البدع

والأهواء فليس هذا بزهدٍ نافع، فأصل ذلك: أن يبتعد الإنسان عن معصية الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أعظم المعاصي: البدع والأهواء.

٢- قال أبو عبد الله ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَاللَّهَ اللَّهَ إِخْوَانِي احْذَرُوا مُجَالَسَةَ مَنْ قَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ فَزَاغَ قَلْبُهُ).

و كلام العُلماء في التحذير من مُجالسة أهل البدع والأهواء كثير.

والذي يدعو إلىٰ مجالستهم فإنَّ في قلبه هوىٰ، ومن يهون من هذا الأمر ففي قلبه هوىٰ، فإن أئمة السلف حذروا من هذا غاية التحذير وبالغوا وبالغوا في التحذير من مُجالسة أهل البِدع والأهواء ومن الاقتراب منهم وهم أهل العلم والبصيرة، وهم الأطباء في هذا الباب يعرفون كيف أهل البدع وضرر أهل البدع، ويعرفون خطورة البِدع، واجتمعت كلمتهم علىٰ التحذير من الاقتراب من أهل البدع ومجالسة أهل البدع ومُصاحبة أهل البدع وبالغوا أشد المبالغة، فالذي يهون في هذا الأمر ففي قلبه شيء من الهوىٰ والعياذ بالله، والتهوين من هذا الأمر هو بداية الانحراف، وهذا موجود في كل مُنحرف ممن مضىٰ فإنَّهم يبدؤون بهذا الباب في أول انحرافهم: وهو التحذير من الغلو زعموا، وأن هذا من الغلو، وأن هذا من الشدة ويدعون إلىٰ اللين مع أهل البدع والأهواء وهم مع ذلك يتشددون ويغلون في جانب أهل السُنة ويطعنون فيهم أشد الطعن وإذا بهم يدعون إلىٰ اللين مع أهلِ البِدع والأهواء، ويتماوتون معهم، ويتأسدون علىٰ أهل السُنة، فهذا هو واقعهم.

قال وفقه الله:

حُكْمُ السَّلف فيمن جالسَ المُبتَدِعة:

١- قال أبو عبد الله القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]: **(وَفِي الآية: النَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَأَنَّ مَنْ جَالَسَهُمْ حُكْمُهُ حُكْمُهُمْ، وَقَدْ ذَهَبَ إلى ذلك الإمام أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: يُنْهَى عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ، فَإِنِ انْتَهَى وَإِلَّا أُلْحِقَ بِهِمْ، يَعْنُونَ فِي الْحُكْمِ)**[١].

٢- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَرِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْكِنْدِيُّ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: **(مَنْ يُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدَعِ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ)**[٢].

الشرح:

١- قال أبو عبد الله القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]: (وَفِي الآية: النَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَأَنَّ مَنْ جَالَسَهُمْ حُكْمُهُ حُكْمُهُمْ، وَقَدْ ذَهَبَ إلى ذلك الإمام أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا فِي رَجلٍ شَأنهُ مُجالسةِ أهلِ البِدع: يُنْهَى عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ، فَإِنِ انْتَهَى وَإِلَّا أُلْحِقَ بِهِمْ، يَعْنُونَ فِي الْحُكْمِ).

نعم يصير الشخص من أهل البدع والأهواء بالمجالسة، فإذا جالس أهل البدع والأهواء ونُبه وبُيِّن له أن هذا الرجل من أهل البدع والأهواء، ممن يدعو إلىٰ بدعته



(١) مُقتبسًا مُلخصًا من "تفسير القُرطبي" (٤/ ١٢٥-١٢٦).

(٢) "الإبانة" (٢/ ٤٧٣) كتاب الإيمان، رقم الأثر (٤٨٦).

أو ممن يُجاهر بها ويُظهر البدعة، وبُيِّن له ذلك فأصر علىٰ مُجالسة القوم فإنه يلحق بهم، وهذا يدل علىٰ خطورة المُجالسة.

وقوله: (وَإِلَّا أُلْحِقَ بِهِمْ، يَعْنُونَ فِي الْحُكْمِ): أي: يصير من جملة أهل البدع والأهواء بهذه المُجالسة التي عاند وأصرَّ عليها.

إذًا: هكذا كان أئمة السلف يُبالغون في هذا الباب مُبالغة حسنة مقتضاها الزجر عن الاقتراب من أهل البدعة حتىٰ لا يقع الشخص في البدع والأهواء.

٢- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَرِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْكِنْدِيُّ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: (**مَنْ يُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدَعِ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ**).

سبق الكلام علىٰ هذه الجملة من كلام ابن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبينا فيما مضىٰ صحة ما ذكره، وعرفنا أن الذي يُجالس أهل البدع هو الذي ينقل البِدع إلىٰ أوساط أهل السُنة، فإن أهل السُنة بما أعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ من العلم والمنهج الصحيح يحذرون من أهلِ البدع والأهواء ويبتعدون عنهم، فهذا الذي يتظاهر بالسُنة ويُجالس أهل البدع والأهواء فإنه يذهب إليهم ويأخذ ما عندهم من الشبهات، ثم يذهب إلىٰ أهل السُنة وهم يظنونه منهم وإذا به يبثُ تلك الشبهات في أوساطهم، فيقول: ما تقولون في كذا وكذا؟ وما هي الإجابة عن شُبهة كذا وكذا؟ فيُدخل المرض في أوساط أهل السُنة بعد أن كانوا بعافية في ابتعادهم عن البِدع والأهواء فلا يسمعون منهم شيئًا، ولا يقبلون منهم شُبهة، فسَلِمت لهم قلوبهم واطمأنت نفوسهم عند ابتعادهم عن أهلِ البدع والأهواء، وهذا الذي يُجالس أهل البدع فإنَّه ينقل المرض من هؤلاء إلىٰ هؤلاء، فهذا أخطر من أهل البدع؛ لأن أهل البِدع قد عُلِمَ حالهم فَحذَرَهم أهلُ السُنة؛ لأن أمرهم قد ظهر، لكن هذا الذي هو واسطة بين أهل السُنة وبين أهل البدع يُجالس هؤلاء ويُجالس هؤلاء هو الذي ينشر الشر في أوساط أهل السُنة وينشر البِدع

والشبهات في أوساط أهل السُنة فضرره علىٰ أهل السُنة أشد من ضرر المبتدعة؛ لأن المبتدعة كما عرفنا حالهم وأمرهم مكشوف يتبعد الشخص عنهم ويسلم، أما هذا يظن الشخص أنه من أهل السُنة وهو ينقل المرض من أهل البدع إلىٰ أهل السُنة، وإذا ما جالسّ الرجل من أهل السنة الرجل من أهل البدع فإنه يحصل بذلك التغرير لعامة الناس فإنَّه يقول من لا يدري: فلان من أهل السُنة رأيت فلانًا يمشي معه، ورأيت فلانًا يُجالس فلانًا وما جالسه فلان إلا لأنه من أهل السُنة فيقوم بمجالسته فيزيغ قلبهُ بسبب الشبهات التي يسمعها من ذلك الشخص.

فمجالسة أهل البدع والأهواء في غاية الخطورة: **(مَنْ يُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدَعِ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ)**، هكذا يقول ابن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأهل البدع لا يُجالسون لا في إجابة دعوة، ولا في عيادة مريض، ولا في اتباع جنازة ولا في غير ذلك فلا يُجالسون بتاتًا، هذا الذي عليه أئمة السلف.



قال وفقه الله:

ترك السلام على أهل البِدع:

١- قال الخَلَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ لَهُ جَارٌ رَافِضِيٌّ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، قَالَ: **(لَا وَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ)**[(١)].

٢- وقال أبو حُذيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدَّثنا الثوري، قال: **(كان الأعمشُ يَلقَى حمادًا[(٢)] حين تكلَّمَ في الإرجاءِ فَلَم يَكُنْ يُسلِّمُ عليهِ)**[(٣)].

الشرح:

---

(١) "الآداب الشرعية" (١/ ٢٥٥) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) حماد: هو ابن أبي سليمان.

(٣) "تهذيب التهذيب" (١/ ٤٨٤) ط. مؤسسة الرسالة.

قوله: (تركُ السَّلام على أهلِ البِدع).

وأهل العلم كما عرفنا فيما مضىٰ أنهم إذا أطلقوا وتكلموا في أهلِ البِدع وقالوا: (ترك السُلام علىٰ أهل البدع)، (من يُجالس أهل البِدع أشد علينا من أهل البدع)، وغير ذلك من عباراتهم، فإنهم يريدون بهذا الإطلاقات: الذين يُظهرون البِدع أو يدعون إليها، فإما يدعون إلىٰ البدعة بلسان المقال، أو يُظهرون البدع، فكلام السلف في هؤلاء، وأما من كان كاتمًا لبدعته فبدعته في قلبه فإنما يَضرُ نفسه، وإنَّما يحصل الضرر من المبتدع إذا دعا وأظهر ما في قلبه فإذا أظهر ما في قلبه فهنا يُتقىٰ، وإن دعا إلىٰ البِدعة أيضًا يُتقىٰ، فهؤلاء الذين يتكلم فيهم أئمة السلف بمثل هذه التحذيرات، أما كان من كان لا يُدرىٰ بحاله وبدعته في قلبه ولا يُظهر هذه البدعة ويُجاهر بها ولا يدعو الناس إليها فإنما يَضرُ بنفسه، والضرر حاصل ممن يُجاهر بالبدعة أو يدعو إليها.

١- قال الخلَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ لَهُ جَارٌ رَافِضِيٌّ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، قَالَ: (**لَا وَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ**).

أي: لا يبتدأ هو بالسلام ولا يرد عليه السلام.

٢- وقال أبو حُذيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدَّثنا الثوري، قال: (كان الأعمشُ يَلقَى حمادًا حين تكلَّمَ في الإرجاءِ فَلَم يَكُنْ يُسلِّمُ عُليهِ).

قوله: (**حمادًا**): وهو حماد بن أبي سُليمان شيخ أبي حنيفة، وهو أول من قال بإرجاء الفقهاء، وسار علىٰ مذهبه أبو حنيفة، وسار علىٰ ذلك كثير من الحنفية، وهذا الإرجاء من أخف مذاهب الإرجاء وهو من جُملة البِدع.

فالأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يلقىٰ حمادًا حين تكلم بالإرجاء فلم يكن يُسلم عليه، وحماد تكلم بالإرجاء ولم يكن شيئًا في قلبه يكتمه وإنما تكلم به وأظهره وتابعه عليه

كثير من الناس، فكان الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يُسلم عليه، وهذا ما سار عليه أئمة السلف، لا يبتدؤون أهل البدع بالسلام ولا يُردون عليهم السلام، ولا يقال هذا من حق المُسلم علىٰ المُسلم فهذا كلام غير صحيح وكلام فاسد خلاف ما كان عليه أئمة السلف رحمهم الله في معاملتهم لأهل البدع والأهواء، فأهل البدع خارجون من هذا الحق بسبب بدعتهم.

قال وفقه الله:

ترك مصافحة أهل البدع:

في ترجمة ثور بن يزيد أبي زيد الكلاعي، قال: قَالَ أَبُو تَوْبَةَ الحَلَبِيُّ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا أَنَّ ثَوْرًا لَقِيَ الأَوْزَاعِيَّ، فَمدَّ يَدَه إِلَيْهِ، فَأَبَى الأَوْزَاعِيُّ أَنْ يمدَّ يَدَه إِلَيْهِ، وَقَالَ: (**يَا ثَوْرُ! لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا، لَكَانَتِ المُقَارَبَةُ، وَلَكِنَّهُ الدِّيْنُ**)[1].



الشرح:

وثور رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع علمهِ فإنه وقع في بدعة القدرية، فعامله الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه المعاملة وهي أنَّ ثوراً مد يده للأوزاعي فأبىٰ الأوزاعي أن يُصافحه، وقال: (**يَا ثَوْرُ! لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا، لَكَانَتِ المُقَارَبَةُ**)، لو كان النزاع فيما بيني وبينك في أمر من أمور الدنيا فالأمر هين فالدنيا حقيرة يُمكن أن نتقارب فيها، لكن أمر الدين فلا، لا تمكن المُقاربة مع من أحدث بدعة من البِدعة، فقال: (**وَلَكِنَّهُ الدِّيْنُ**)، فالدين لا يوجد فيه مُقاربة مع أهل البِدع والأهواء، فلا يقترب الإنسان من أهل البِدع والأهواء فإن ذلك يضرُ بدينه.

وأما الإضرار بالدنيا فليس فيه كثير مفسدة، والدنيا إذا ذهبت ما ضرت، والدنيا ذاهبة فلا تبقىٰ لأحد ولا يبقىٰ فيها أحد فهي زائلة وهي أحقر عند الله عَزَّوَجَلَّ من جناح

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (٦/ ٣٤٥) ط. مؤسسة الرسالة.

بعوضة، فإذا كان أمر من أمور الدنيا فالأمر سهل، لكن أمر الدين فالإنسان لا يُخاطر بدينه.

وثور رَحِمَهُ ٱللَّهُ استظهر الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه رَجِعَ عن بدعة القدر وهذا الظن فيه، فقد جاء رجل إلىٰ ثور وقال له: يا قدري، فقال: إن كُنت كما تقول فأنا رجل سوء، وإن لم أكن كما تقول فأنت في حِل، فالظاهر كما يقول الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه رجع عن هذه البدعة وتابَ إلىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا الظن فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لكن الشاهد من هذا: أنه لمَّا وقع في البدعة عامله الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه المُعاملة وهي المعاملة السلفية التي سار عليها أئمة السلف مع أهلِ البدع والأهواء.



وبعض الناس ممن فيه ضعف إذا جاءهُ كبير من كُبراء أهلِ البِدع وسلم عليه وصافحه يفرح بذلك، فالمبتدع يُصافحه وذاك يُصافحه بل يزيد الطين بلة فيتجه إليه بالمعانقة وربما يُقبله في جبهته، وكل هذا من الضعف الشديد في التمسك بالسُنة، وكل هذا يدل علىٰ مرض في القلب والعياذ بالله.

قال وفقه الله:

موقف السَّلف مِن مُناظرة المُبتَدِعة:

قال الإمام الألكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَا جُنِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جِنَايَةٌ أَعْظَمُ مِنْ مُنَاظَرَةِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَهْرٌ وَلَا ذُلٌّ أَعْظَمَ مِمَّا تَرَكَهُمُ السَّلَفُ عَلَى تِلْكَ الْجُمْلَةِ يَمُوتُونَ مِنَ الْغَيْظِ كَمَدًا وَدَرَدًا، وَلَا يَجِدُونَ إِلَى إِظْهَارِ بِدْعَتِهِمْ سَبِيلًا، حَتَّى جَاءَ الْمَغْرُورُونَ فَفَتَحُوا لَهُمْ إِلَيْهَا طَرِيقًا، وَصَارُوا لَهُمْ إِلَى هَلَاكِ الْإِسْلَامِ دَلِيلًا، حَتَّى كَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْمُشَاجَرَةُ، وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُمْ بِالْمُنَاظَرَةِ، وَطَرَقَتْ أَسْمَاعَ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَرَفَهَا مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، حَتَّى تَقَابَلَتِ الشُّبَهُ فِي الْحُجَجِ، وَبَلَغُوا مِنَ التَّدْقِيقِ فِي اللُّجَجِ، فَصَارُوا أَقْرَانًا وَأَخْدَانًا، وَعَلَى الْمُدَاهَنَةِ خِلَّانًا وَإِخْوَانًا، بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِي اللَّهِ أَعْدَاءً وَأَضْدَادًا، وَفِي الْهِجْرَةِ فِي اللَّهِ أَعْوَانًا، يُكَفِّرُونَهُمْ[1] فِي وُجُوهِهِمْ عِيَانًا، وَيَلْعَنُونَهُمْ جِهَارًا، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَهَيْهَاتَ مَا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَنَا مِنَ الْفِتْنَةِ فِي أَدْيَانِنَا، وَأَنْ يُمَسِّكَنَا بِالْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَعْصِمَنَا بِهِمَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ)[2].



الشرح:

قوله: (فَمَا جُنِيَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ جِنَايَةٌ أَعْظَمُ مِنْ مُنَاظَرَةِ الْمُبْتَدِعَةِ): وتأملوا في هذا الكلام الصائب الرشيد، ولم ينفرد الإمام الألكائي بذلك بل كُتب السلف طافحة بالتحذير من مُناظرة أهلِ البِدع والأهواء، والسلف متفقون علىٰ التحذير البالغ من مُناظرة أهلِ البدع والأهواء لا لضعف في العلم فهم العلماء، ولا لضعف في اليقين فهم أصحاب اليقين والثبات؛ لكن لما في ذلك من المفاسد العظيمة.

---

(١) ليس معناه تكفير المبتدعة عمومًا؛ وإنما قصد أنهم يُكفرون من يستحق التكفير كالجهمية والروافض..

(٢) "أصول اعتقاد أهل السُّنة" (١/ ١٩) ط. طيبة.

وسبق أن تكلمنا عن هذه المسألة فيما مضىٰ وعرفنا بعض المفاسد التي تحصل من مُناظرة المبتدعة، منها: قد تعلق الشُبهة في قلب المُناظر فالقلوب ضعيفة والشبهات خطافة، وأيضًا: هذا من أشد الأمور في إيصال الشبهات التي في قلوب أهل البِدع إلىٰ عامة الناس، فإن مجالس المُناظرة يحضر فيها كثير من عوام الناس من أجل أن ينظروا من هو الغالب ومن هو المغلوب، فالمبتدع كان مقموعًا بهجره وترك مناظرته فلا يستطيع أن يبث الشبهات في أوساط كثير من الناس بسبب هجره والتحذير منه، لكن إذا ما نُوظِر استطاع أن يتكلم في أوساط الناس، وأن يخرج أقوىٰ ما عنده من الشبهات فتصل تلك الشبهات إلىٰ أسماع الناس وتدخل في قلوبهم وربما تقع الشبهة في القلب ولا يدخل الحق فيه، وربما ذلك الذي يُناظر المبتدع يرد تلك البِدعة لكن عوام الناس لم يفهمون الرد، وفهموا الشبهة ودخلت في قلوبهم وتمكنت، وهذا في غاية الخطورة: فالمرض قد يحصل في الناس والعلاج قد ينفع وقد لا ينفع، فهذا من أعظم الأمور في نشر شبهات أهل البدع والأهواء: فعقد المناظرات العامة بين فلان السني وبين فلان المبتدع هي من أضر الأمور، والسلف حذروا من ذلك كما قلنا ليس لقلة العلم فهم أهل العلم وأهل البصيرة، لكن لما عندهم من الفطنة ولما عندهم من معرفة المصالح والمفاسد، وأن هذا الفعل مفسدة محضة.

ويستثنىٰ من ذلك ما إذا دعت الضرورة لمناظرة أهل البدع والأهواء كأن تكون المناظرة بين يدي سُلطان كما ذكر ذلك الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الشريعة"، بمعنىٰ: أن البِدعة قد دخلت في قلب السلطان من جهة أهل البِدع والأهواء فيحتاج عُلماء السُنة أن يُناظروا أهل البدع بين يدي السُلطان لإخراج البِدعة من قلبه، فإنها إذا وقرت عَظُمَ الضرر، فالسلطان إذا تبنىٰ البدعة فإنه يحصل منه فتنة عظيمة لما عنده القوة والمكنة كما حصلت في الخلفاء الثلاثة في زمن الإمام أحمد لمَّا دخلت البدع




إلىٰ قلوبهم حصلت منهم الفتنة الشديدة علىٰ الناس، فهنا مصلحة المُناظرة أعظم من المفسدة المحذورة؛ لأنه يُدرأ بها مفسدة عظيمة، فهذه ضرورة تشرع بسببها المناظرة.

وهكذا قد تكون المُناظرة لدرأ فتنة عظيمة ولا تكون في أوساط عامة الناس وإنما يُناظر أهل البدع مع عدم وجود عامة الناس درئًا لفتنة عظيمة تحصل منهم، كما فعل عبد الله بن عباس في مُناظرته للخوارج الذين خرجوا من جيش علي، فلو تُركوا لحصلت منهم فتنة عظيمة، فابن عباس لم يناظرهم بين عامة الناس وإنما فيما بينه وبينهم فالشبهات قد وقعت في قلوبهم فليس في مناظرتهم بث للشبهات في أوساط عامة الناس، وإنما ذهب للعلاج وإزالة الفتنة والشر، فناظرهم وليس معهم فيهم من غيرهم، ورجع منهم من رجع بسبب تلك المُناظرة وقلَّ شرهم برجوع من رَجِع، فهنا مصلحة عظيمة والمفسدة ضعيفة، فالمفسدة التي قد تحصل لابن عباس مثلًا: هي أن تدخل شُبهة من شبهاتهم في قلبه، لكن لا يوجد مضرة عامة للناس، وابن عباس من عُلماء الصحابة، ومن فعل ذلك وهو يرجو مرضات الله عَزَّوَجَلَّ فله العون من ربِّ العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيحمي قلبه من شبهاتهم؛ لأنه قام مقامًا عظيمًا من أجل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وفيه مصلحة راجحة للمسلمين وليس فيه مفسدة للإسلام والمسلمين.



هذه صورة مستثناه وما سوىٰ ذلك فإن مُناظرة أهل البِدع والأهواء فيها ما فيها من الشر العظيم.

وبهذا يُعرف خطأ كثير من المناظرات التي تُقام في كثير من الأماكن: مناظرة مع كذا، ومناظرة مع كذا وإذا بالناس يسرعون إلىٰ تلك المناظرة، وهكذا ما يكون من المناظرات عن طريق القنوات كل هذا من الشر، سواءً كانت المناظرة عن طريق القنوات، أو كانت المناظرة في المساجد، أو كانت في الشوارع كما هو موجود في بعض البُلدان كبلاد السودان وقد أخبرت: أنَّ هنالك من يقوم بمناظرات في الطُرقات






والشوارع فيجتمع الناس لها، وذاك يُشجع فريقًا وذاك يُشجع الفريق الآخر، وهذا لم يكن معهوداً عن السلف وقد حذر منها السلف غاية التحذير من ذلك، وإنما أُتيَّ هؤلاء من جهلهم بمنهج السلف، ومن جهلهم أيضًا بالمصالح والمفاسد.

قوله: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَهْرٌ وَلَا ذُلٌّ أَعْظَمَ مِمَّا تَرَكَهُمُ السَّلَفُ عَلَىٰ تِلْكَ الْجُمْلَةِ يَمُوتُونَ مِنَ الْغَيْظِ كَمَدًا وَدَرَدًا): فالسلف تركوهم وقاموا بهجرهم وحذروا منهم فماتوا كمدًا، وماتت بدعهم في قلوبهم، ولم يتمكنوا أن ينشروها كما أرادوا.

قوله: (وَلَا يَجِدُونَ إِلَىٰ إِظْهَارِ بِدْعَتِهِمْ سَبِيلًا): أي في أيام السلف حين تركهم أئمة السلف يموتون غيظًا وكمدًا ولم يجدوا سبيلًا إلىٰ إظهار بدعتهم.

قوله: (حَتَّىٰ جَاءَ الْمَغْرُورُونَ فَفَتَحُوا لَهُمْ إِلَيْهَا طَرِيقًا، وَصَارُوا لَهُمْ إِلَىٰ هَلَاكِ الْإِسْلَامِ دَلِيلًا): بهذه المُناظرات التي هي من أسباب الهلاك، ومن أسباب انتشار البِدع والشبهات، وإذا ما انتشرت البدع والشبهات حصل الهلاك العظيم للناس في دينهم.

قوله: (حَتَّىٰ كَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْمُشَاجَرَةُ، وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُمْ بِالْمُنَاظَرَةِ): فصار لهم القول وصار كلاهم مسموعـًا وشبهاتهم تصل إلىٰ آذان الناس بعد أن كانت محجوبة عنهم.

قوله: (فَصَارُوا أَقْرَانًا وَأَخْدَانًا): بعد أن كانوا منبوذين ومهجورين.

قوله: (بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِي اللهِ أَعْدَاءً وَأَضْدَادًا، وَفِي الْهِجْرَةِ فِي اللهِ أَعْوَانًا، يُكَفِّرُونَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ عِيَانًا): وهذا في بعض البدع المُكفرة، فهناك من أهل البدع من يُحكم عليه بالفسق، وهناك من يُحكم عليه بالكفر كالجهمية.

قوله: (وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ): منزلة السلف التي كانوا فيها، وهو موقفهم الحازم من أهل البدع والأهواء وبين منزلة هؤلاء.







وهذا الكلام الذي قاله الإمام الألكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ له نظائر من كلام كثير أهل السلف وكُتب السلف مليئة بهذا، فيُحذرون غاية التحذير من الجدال والمناظرة والمشاجرة مع أهل البدع والأهواء ويسدون هذا الباب لخطورته؛ وذلك لما عندهم من العلم، فإن هذا الفعل فيه ما فيه من المفاسد والأضرار علىٰ الشخص وعلىٰ العامة والخاصة.

قال وفقه الله:



خطر الثناء على المُبتَدِعة:

فِي ترجمة أبي ذر الهروي: قَالَ أَبُو الوَلِيْدِ البَاجِيُّ فِي كِتَاب "اختصَار فرق الفُقَهَاء" مِنْ تَأْلِيفه، فِي ذكر القَاضِي ابْنِ البَاقِلاَّنِيّ[1]: لَقَدْ أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو ذَر وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِهِ، فَسَأَلْتُهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ مَاشياً بِبَغْدَادَ مَعَ الحَافِظ الدَّارَقُطْنِيّ، فَلَقِيْنَا أَبَا بَكْرٍ بنَ الطَّيِّب فَالتزمه الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ، وَقبَّلَ وَجهَهَ وَعَيْنَيْهِ، فَلَمَّا فَارقنَاهُ، قُلْتُ لَهُ: مَنْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِهِ مَا لَمْ أَعْتَقِدْ أَنَّكَ تَصْنَعُهُ وَأَنْتَ إِمَامُ وَقْتِك؟ فَقَالَ: هَذَا إِمَامُ المُسْلِمِيْنَ، وَالذَّابُّ عَنِ الدِّيْنِ، هَذَا القَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الطَّيِّب، قَالَ أَبُو ذَر: فَمِنْ ذَلِكَ الوَقْت تَكَرَّرْتُ إِلَيْهِ مَعَ أَبِي)[2].

الشرح:

قوله: (**الثناء علىٰ المبتدعة**).

(١) أبو بكر الباقلاني كان علىٰ منهج الأشاعرة ولما أثنىٰ عليه الدارقطني دون أن يُبين منهجه وعقيدته اغتر بكلامه أبو ذر الهروي فلازمه فنقله من ذهب أهل السُنة إلىٰ مذهب الأشاعرة، وانتقل معه بسبب ذلك أُناس كثيرون، والله المستعان.

(٢) "سير أعلام النُبلاء" (١٧/ ٥٥٨) ط. مؤسسة الرسالة.



وهذا أيضًا مما يدل علىٰ أن الشخص لا يثني علىٰ أهلِ البدع والأهواء فإن فيه ما فيه من الشر والبلاء، وفيه ما فيه من التضليل علىٰ الجاهلين.

قوله: (مَنْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِهِ مَا لَمْ أَعْتَقِدْ أَنَّكَ تَصْنَعُهُ وَأَنْتَ إِمَامُ وَقْتِكَ؟): عَظُمَ ذلك الفعل في نظره، فقال في نفسه: الحافظ الدارقطني مع سعة علمه وعلو مكانته يفعل هذا الفعل بذلك الرجل!، التزم الباقلاني وقبَّل وجهه وعينيه ما فعل به هذا إلَّا لفضله وسعة علمه.

فما حصل من الدارقطني هو من قبيل الزلل وكان ذلك سببًا لوقوع أبي ذر الهروي في مذهب الأشاعرة.

والباقلاني له الردود الكثيرة علىٰ المتعزلة، وعلىٰ الفلاسفة لكنه لم يسلم في عقيدته كما هو معلوم، فمثل هذا الفعل من الدراقطني للباقلاني كانت منه هذه النتيجة وهو وقوع أبي ذر الهروي في مذهب الباقلاني.

فالثناء علىٰ أهل البدع والأهواء وتعظيم أهل البدع والأهواء يحصل به مثل هذه المفاسد، فيغتر بذلك الجُهَّال ويتجهون إلىٰ أهل البدع فيقعون في البدع والعياذ بالله، والسبب هو ذاك الشخص الذي مدح أثنىٰ علىٰ ذلك المبتدع.

بعض الناس إذا نظرت في مصنفاتهم فكأنهم ألفوها من أجل الثناء علىٰ أهل البدع والأهواء، فإذا به يكتب كلامًا ويجعله بين قوسين ويقول في الحاشية: انظر "الظلال للسيد قُطب"، ويسطر كلامًا آخر ويجعله بين قوسين ويكتب الحاشية: انظر كلام سعيد حوىٰ في كتاب كذا، وانظر كلام كذا في كذا، وهو عنده ما عنده من البلاغة وحسن التعبير، وصياغة الكلام، لكن كأنه يُريد بتلك المؤلفات الترويج لأهل البدع والأهواء، فيذكر جماعة من أهل البدع والأهواء في الحاشية، ويصير الكتاب دعاية لأهل البدع والأهواء، وكان يفعل هذا من هو محسوب علىٰ أهل السُنة ثم زل وانحرف مع غيره من المنحرفين، والشخص إذا كان محسوبًا علىٰ أهل السُنة ويفعل

هذا في مؤلفاته فإنَّه يغرر بكثير من الجاهلين الذين يحسنون به الظن، فالذي يعرف الكاتب ولا يعرف هؤلاء يظن أنَّ هؤلاء من عُلماء السُنة، وإذا به يُريد أن يتوسع في تلك المسألة فيذهب إلىٰ ذلك الكتاب ويقرأ فيه فتدخل في قلبه الأمراض والبدع والانحرافات فيزل فيها، فيكون الكتاب الذي عزىٰ إلىٰ هؤلاء هو السبب في إضلاله، فهذا مما يُحذر منه غاية التحذير.

من أسباب الوقوع في البِدع:

- صُحبةُ أهلِ البدع.
- القراءةُ في كتبِ المبتدعةِ.
- الانشغالُ عن العلمِ والتكالبُ على الدنيا.
- عدم ضبطِ السيرِّ على منهج السلفِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في جميع الدين.
- التساهلُ في بعض ما أمر به الرسولُ ﷺ كما قال أبو بكر رَحِمَهُٱللَّهُ: (**فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ**).
- العملُ بالأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ.



الشرح:

قوله: (صُحبةُ أهلِ البدع): لأن الشخص يتأثر بجليسه، وهذا أمر معلوم من حيث الشرع ومن حيث الواقع، كما قال النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»، ويُعرف المرء بخدنه، «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»، فالشخص يتأثر بجليسه، (وقل لي من تُجالس أقل لك من أنت)، فإن كنت تُجالس الفُسَّاق فأنت منهم، وإن كنت تُجالس الصالحين فأنت منهم، وإن كنت تُجالس أهل البدع فأنت منهم.

قوله: (**القراءةُ في كتبِ المبتدعةِ**): أيضًا هذه من أسباب الوقوع في البدع، فإن أهل البدع يحرصون علىٰ نشر ما عندهم من البِدع في كتبهم ومؤلفاتهم، فإذا قرأ الشخص في كُتب أهلِ البدع والأهواء فقد يَزِل وتدخل البدعة إلىٰ قلبه والعياذ بالله، فلهذا ينبغي الحرص علىٰ قراءة الكتب النافعة من كُتب السلف المتقدمين والمتأخرين، فإنَّ فيها النفع الكثير وفيها النُصح، ومن قرأ فيها غَنِمَ وسَلِم فإنه يغنم العلوم النافعة ويَسلم من الشر والبدع والأهواء، بعكس القراءة في كُتب البِدع فإنه لا يسلم مما فيها من السموم والشبهات، والإنسان يتأثر بما يقرأ وهذا شيء معلوم، فمن قرأ في كُتب السلف فإنه يتأثر بهم، ومن قرأ من كُتب أهل البدع فإنه يتأثر بهم، هناك من كان من أهل البدع والأهواء قرأ في كُتب السلف فتأثر بما فيها من العلم النافع والحُجج الصحيحة وما فيها من الهُدىٰ والنور وصار من دُعاة السُنة، وبالعكس من يُطالع كتب أهل البدع والأهواء فإنه لا يكاد يسلم.

ويُذكر عن الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه جَمعَ كُتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أجل أن يرد عليه، وكان منحرفًا في عقيدته في أول الأمر، فقرأ فيها من أجل الرد فتأثر بها وصار من عُلماء السُنة، وصار سلفيًا صافيًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وانتفع الناس بمؤلفاته.

قوله: (**الانشغالُ عن العلمِ والتكالبُ علىٰ الدنيا**): فهذه من أسباب الوقوع في البدع، فإن الجُهَّال هم أقرب الناس إلىٰ الوقوع في شِباك أهل البدع والأهواء فإنَّه ليس عندهم التحصن الصحيح بالعلم، فأقرب الناس إلىٰ الوقوع في البدع والأهواء من كان منشغلًا بالدنيا بعيدًا عن العلم، فإن الشُبه تتمكن من قلبه بسرعة.

قوله: (**عدم ضبطِ السيرِّ علىٰ منهج السلفِ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ **في جميع الدين**): وهذا أيضًا من أسباب الوقوع في البدع، فإن هنالك من الناس من يأخذ مذهب السلف في بعض الأمور دون بعض، وهناك من ربما يكون من الدكاترة يقال له: الدكتور فلان والدكتور فلان في علم العقيدة، وإذا درس العقيدة الواسطية والعقيدة الطحاوية




والتدميرية وغير ذلك من كُتب العقيدة جاء بالفوائد الكبيرة وانبهر السامعون بما عنده من الفوائد والعلوم، وهو في الحقيقة أخذ عِلم العقيدة وأخذ منهج السلف في جانب دون جانب وإذا به مع أهل البدع والأهواء من السروريين أو من التراثيين، أو من الإخوان المسلمين فينظم إلىٰ هؤلاء أو غيرهم من أهل البدع والأهواء وهو دكتور في العقيدة، يأخذ منهج السلف في جانب ويترك سائر الجوانب، فلا بد أن يسير العبد علىٰ منهج السلف في جميع الأمور، ولا يكفي أن يعرف مسائل الأسماء والصفات ومسائل الإيمان ومسائل القدر فتكون عنده العلوم الواسعة في هذه الأمور ولا يعرف منهج السلف في التعامل مع أهل البدع والأهواء، والكُل عنده علىٰ خير فيجالس هؤلاء، ويجالس هؤلاء ويمشي مع هؤلاء، ويتزاور مع هؤلاء، وأصدقاؤه من أهل البِدع والأهواء ومن كان كذلك فإنه لا يسلم من البدعة والشر، فلا بد من الأخذ بمنهج السلف من جميع الأمور، فلا يأخذ الإنسان منهج السلف في باب دون باب، فإنه قد يقع في البدع والأهواء والعياذ بالله.



قوله: (**التساهلُ في بعض ما أمر به الرسولُ ﷺ كما قال أبو بكر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ**)): فمخالفة أمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أسباب زيغ القلوب، والقلوب إذا زاغت مالت إلىٰ الباطل، وإذا مالت إلىٰ الباطل يُخشىٰ عليها أن تميل إلىٰ البدع والأهواء أو إلىٰ ما هو أشد من ذلك إلىٰ الكُفر والشرك والعياذ بالله، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الفِتنة: الشرك**)، والإنسان قد يقع في الشرك والعياذ بالله، وقد يقع في الكُفر، ويقد يقع في البدع والأهواء؛ بسبب المخالفة لأمر الله ولأمر رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، كما أن جزاء الحسنة الحسنة بعدها، فإذا فعل العبد سيئة نادت



السيئة أختها هلمي، وإذا فعل العبد الحسنة نادت الحسنة أختها هلمي، فالحسنة تدعو الحسنة، والسيئة تدعو السيئة.

قوله: (**العملُ بالأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ**): فهذا أيضًا من أسباب الوقوع في البدع، فإن كثيرًا من البدع إذا تأمل الإنسان في أصلها وجد أن منشأها من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة، يجد بعض الناس أحاديث مكذوبة في فضل كذا، وفي فضل كذا، وفي فضل كذا، وتروج تلك الأحاديث الموضوعة في أوساط الناس فيتجه جُهَّال الناس إلىٰ تلك البِدع؛ بسبب تلك الأحاديث الموضوعة كالأحاديث الموضوعة في فضل بعض البدع في رجب، أو في فضل النصف من شعبان، أوفي صلاة الرغائب، أو وغير ذلك من البِدع والخرافات، فكل هذه مبنية علىٰ الأحاديث الموضوعة، فكثير من البِدع إذا نظر الإنسان في أصلها وبحث وجد أن أصلها أحاديث موضوعة مكذوبة أضيفت إلىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا كثير في البدع التي هي من قبيل العبادات؛ لأنها مبنية علىٰ الكثير من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة.

فهذه جملة من الأسباب التي قد توقع الشخص في البدع والأهواء، وينبغي الحذر من هذه الأسباب، وكل هذه الأسباب التي ذكرها المؤلف عافاه الله وشفاه أسباب صحيحة.

قال وفقه الله:

أهل البدعِ لا يُنْتَظَرُ منهم أن يَنصروا الدين:

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَاعْلَمُوا رَحِمكُمْ الله أَن جَمِيع فِرَقِ الضَّلَالَة لم يُجْرِ الله تَعَالَى قَطُّ على أَيْدِيهم خيرًا، وَلَا فتح بهم من بِلَاد الْكفْر قَرْيَة وَلَا رَفَعَ لِلْإِسْلَامِ رَايةً، وَمَا زَالُوا يَسْعَوْنَ فِي قَلْبِ نِظَامِ الْمُسلمينَ ويُفَرِّقُونَ كَلِمةَ الْمُؤمنِينَ وَيَسلُّون السَّيْفَ عَلى أهل الدِّين وَيَسْعَونَ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[1].

الشرح:

قوله: (أهل البدعِ لا يُنتَظَرُ منهم أن يَنصروا الدين).

وكيف ينصرون الدين وهم الذين طعنوا فيه؟!، فأهل البدع هم الذين طعنوا في الدين وإن لم يقصدوا حقيقة الطعن لكن هذا هو الواقع؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر أنه أكمل الدين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣]، وهؤلاء يقولون بلسان حالهم الدين لم يُكمل بعد بقيٍّ كذا وبقيَّ كذا، سواءً فيما يتعلق بالعبادات أو ما يتعلق بالعقائد، فلا يُنتظر نُصرة الدين من قِبل أهل البدع والأهواء.



قوله: (وَلَا رَفَعَ لِلْإِسْلَامِ رَايةً): أي: علىٰ أيديهم.

قوله: (وَمَا زَالُوا يَسْعَوْنَ فِي قَلْبِ نِظَامِ الْمُسلمينَ): هذا شأن أهل البدع وإن اختلفت أسمائهم فقد اتفقوا علىٰ هذا السير، فهم يسعون في قلب نظام المسلمين ويسعون في الثورات، والانقلابات، وقلقلة الأمن، ونشر الفوضىٰ.

قوله: (ويُفَرِّقُونَ كَلِمةَ الْمُؤمنِينَ وَيَسلُّون السَّيْفَ عَلىٰ أهل الدِّين وَيَسْعَونَ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ): هذا شأن أهل البدع والأهواء فلا يُنتظر منهم النصر.

---

(١) "الفصل في الملل والأهواء النحل" (٣/ ١٦٦-١٦٧).

قال وفقه الله:

أهل البدع لا يُرجى منهم النصح:

١- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تُشَاوِرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي دِينِك، وَلَا تُرَافِقْهُ فِي سَفَرِك**)[(١)].

٢- عن مروان بن محمد الطَّاطَري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (**ثَلاثَةٌ لَا يُؤْتَمَنُونَ فِي دِينٍ: الصُّوفِيُّ، وَالقَصَّاصُ، وَمُبْتَدِعٌ يَرِدُّ عَلى أَهلِ الأَهْوَاءِ**)[(٢)].

٣- قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا يَنْبَغِي أَن يسمع قَول مُبْتَدع فِي مُبْتَدع**)[(٣)].

الشرح:

قوله: (**أهل البدع لا يُرجى منهم النصح**).

وذلك: أن أهل البدع غششة فيدخلون دخولًا أوليًا في قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»، فإنهم غشوا المسلمين في دينهم وهذا أعظم الغش، فإذا كان أهل البدع يدخلون تحت مُسمىٰ الغش فكيف يُرجىٰ منهم النُصح وهم واقعون في غش أعظم الغش وهو الغش المتعلق بالدين؟!.

١- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا تُشَاوِرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي دِينِك، وَلَا تُرَافِقْهُ فِي سَفَرِك).

قوله: (**وَلَا تُشَاوِرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي دِينِك**): لأنَّهم غششة وليسوا بنصحة.

قوله: (**وَلَا تُرَافِقْهُ فِي سَفَرِك**): وقد عرفنا مِرارًا أن الشخص يتأثر بجليسه، ولا سيما جليس الأسفار فإن الشخص يحتاج إلىٰ رفيقٍ في سفره حاجةً ماسة، فتأثر



(١) "الآداب الشرعية" (١/ ٢٢٣) ط. مؤسسة الرسالة.
(٢) "ترتيب المدارك وتقريب المسالك" للقاضي عياض في ترجمة مروان بن محمد.
(٣) "مقدمة الفتح" (ص٥٥٦) في ترجمة إسماعيل بن أبان الوراق..

الشخص برفيقه في السفر أعظم بتأثره بغيره، وقد قيل: (السفر يُسفر عن أخلاق الرجال)، بمعنىٰ: يكشف، وسُميَّ السفر سفرًا للانكشاف في الأرض؛ لأن المُسافر ينكشف في الأرض، (أسفرت المرأة عن وجهها) بمعنىٰ: كشفته، والمسافر يتجاوز البُنيان وينكشف في الأرض، والسفر يُسفر عن أخلاق الرجال فيعرف الشخص الشُجاع من الجبان، والكريم من البخيل، والصادق من الكاذب، وذلك أنَّ الإنسان في سفره تمر به أشياء مختلفة لا سيما الأسفار الطويلة، فيمر المسافرون بالمخاوف، وربما يقل الزاد أيضًا عند بعضهم أو ينتهي فيظهر أهل الجود بجودهم، وأهل الموساة، وأهل الإيثار، فتظهر الأخلاق الحميدة والأخلاق الرذيلة في الأسفار، فإذا رافق الشخص مبتدعًا في سفره وظهرت منه مثل هذه الأخلاق: خُلق الإيثار، والجود، والكرم، والشجاعة وغير ذلك ربما يتأثر الإنسان بذلك الرفيق تأثرًا بالغًا، وربما يؤدي هذا التأثر إلىٰ الوقوع في الهوىٰ، فيُصغي بسمعه لرفيقه في سفره وهو من أهل البدع فيسمع الشبهات التي تُضله؛ ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا تُشَاوِرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي دِينِك، وَلَا تُرَافِقْهُ فِي سَفَرِك).



٢- عن مروان بن محمد الطَّاطَري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (ثَلاثَةٌ لَا يُؤْتَمَنُونَ فِي دِينٍ: الصُّوفِيُّ، وَالقَصَّاصُ، وَمُبْتَدِعٌ يَرِدُّ عَلى أَهلِ الأَهْوَاءِ).

قوله: (**الصوفي**): والأمر لا يختص بالصوفي فقط، فأهل البدع عمومًا لا يؤتمنون في الدين؛ وقد حصلت منهم الخيانة والغِش في الدين، فكيف يؤتمنون علىٰ الدين وهم قد وقعوا فيما وقعوا فيه من الغش والباطل، فالصوفي لا يؤتمن في الدين والصوفي من أهل البدع والأهواء، وغير الصوفي له حُكم الصوفي فجميع أهل البدع والأهواء لا يؤتمنون في الدين.

قوله: (**وَالقَصَّاصُ**): الذين يعظون الناس بالقصص ولا يتحرون فيها، يقصون الموضوعات والمكذوبات علىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو علىٰ الصحابة أو من

جاء بعده، فما عندهم دراية ولا معرفة بما صحَّ وما لم يصح، فالقصاص يكثر فيهم الكذب في باب الترغيب والترهيب، فهم يُريدون أن ينفروا الناس عن شيء من الباطل فيكذبون، أو يذكرون الأكاذيب التي كذبها غيرهم؛ فلهذا ذمَّ أهل العلم القُصاص، وللعلماء في ذلك مؤلفات كثيرة في ذمهم والتحذير منهم، وممن كتب في ذلك العلامة ابن الجوزي.

فهؤلاء لا يؤتمنون علىٰ الدين؛ لأنهم أصحاب جهل، وفي أزماننا أشبه الناس بهم جماعة التبليغ، فكم يروون الأكاذيب سواءً فيما يتعلق بالأحاديث عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو الأكاذيب المتعلقة بالقصص عن أنفسهم، فعلنا كذا، وفعلنا كذا، وحصل كذا وهي أكاذيب؛ من أجل أن يزينوا للناس الخروج معهم، ولعلَّ الكثير منكم قد سَمِعَ شيئًا من أكاذيبهم فيما يقولونه ويروونه عن أمورهم التي حصلت لهم أمور عجائب.

فمن أكاذيبهم مثلًا: أنَّ شخصـًا منهم في مدينة تعز يعض الناس ويذكر: أنه ذهب مع الجماعة إلىٰ صَبِر وكان الناس في قحط شديد ينتظرون المطر، وقد نزلت بهم الشدة من الجدب، فجاءت الجماعة ثلاثة أيام فنزل المطر في الثلاثة الأيام، فلما خرجت الجماعة انتهىٰ المطر، ويقول: هذه بركة الخروج في سبيل الله!، وأشياء كثيرة مما يأتون به من الأكاذيب وهم يعرفون أنهم يكذبون، فهم يستحلون الكذب في مصلحة الدعوة، والكذب لا يجوز في باب الدعوة إلىٰ الله فكيف بمن يكذب من أجل أن يدعو الناس إلىٰ البِدع والأهواء، فهذه ظُلمات بعضها فوق بعض، فيدعو الناس إلىٰ البدعة ويتخذ الوسيلة في الدعوة إلىٰ البدع بالكذب والعياذ بالله.

فعلىٰ كُلٍ: القُصاص ذمهم السلف بهذا الاعتبار، وأما من كان يَقصُ بالأحاديث الصحيحة والقصص الثابتة المذكورة في كتاب الله أو في صحيح سُنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإن هذا مما لا يُذم، وإنما الذم في حقِّ هؤلاء الجُهَّال، والناس ما

عندهم تمييز بين الصدق والكذب، فيميلون إلىٰ الأكاذيب وتصغىٰ أسماعهم لها ويتعجبون من تلك القصص، وحال جُهَّال الناس كما قيل: (كل ما قيل في المِحراب فهو صواب)، فكل ما سمعوه من المتكلم ولو كان من أكذب الناس يظنون أنه صواب فيأخذون به.

فعلىٰ كُلٍ: القُصاص لا يؤتمنون؛ لكثرة الكذب في أوساطهم، والكذب إمَّا يحصل الكذب منهم أو ينقلون الأكاذيب عن غيرهم، سواءً كانت عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهذا أشد، أو عن غيره.

قوله: **(وَمُبْتَدِعٌ يَرِدُّ عَلىٰ أَهلِ الأَهْوَاءِ)**: فلا تغتر بالمبتدع وإن ردَّ علىٰ أهل الأهواء، ولا تفرح برده علىٰ أهل البدع والأهواء، فإن المبتدع إن ردَّ علىٰ أهل البدع والأهواء فإنما يَرِدُ علىٰ أهل البدع والأهواء علىٰ حسب أصوله المحدثة، فلا يرد علىٰ أهل البدع والأهواء بالأدلة الصحيحة والأصول السليمة المستقيمة، وحتىٰ لو كان يسير في رده علىٰ المنهج الصحيح المستقيم فلا تفرح به فنفسه أولىٰ به، ولا يشرع للشخص أن يستمع لرد ذلك المبتدع علىٰ غيره من أهل البدع، فإنه يرد عليه علىٰ حسب أصوله المحدثة.



فالأشاعرة لهم ردود علىٰ الجهمية ولهم ردود علىٰ المعتزلة كثيرة؛ لكنهم يريدون علىٰ هؤلاء علىٰ حسب أصولهم الفاسدة، وهكذا يردون علىٰ الفلاسفة علىٰ حسب أصولهم وما علموه من عِلم الكلام والمنطق، ولا يردون علىٰ هؤلاء بالأدلة الصحيحة من كتاب الله ومن سُنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإنما يريدون عليهم بعلم المنطق وعلم الكلام، وما يرونه صوابًا في ذلك العلم الذي دلَّ عليه المعقول علىٰ حسب ما يزعمون فيردون علىٰ أهل البدع بأصولهم الفاسدة.

وهكذا قد يوجد غير هؤلاء إلىٰ هذه الأزمان، فيرد بعض أهل البدع علىٰ بعض أهل البدع، ويردون عليهم بأصولهم الفاسدة المخالفة لأدلة الكتاب والسُنة؛ فلهذا

لا يفرح بالشخص المبتدع إذا ما رد علىٰ أهل البدع والأهواء، ولا يستمع لردوده، وإنما يُفرح بردود عُلماء السُنة علىٰ أهل البدع والأهواء، فإنهم يردون عليهم بحجج الكتاب والسُنة والإجماع، فيستفيد الشخص عِلمًا نافعًا وينال ما ينال من الخير عند سماعه لردود عُلماء السُنة علىٰ أهل البدع والأهواء، فإن أهل السُنة يردون علىٰ أهل البدع والأهواء بأصول أهل السُنة: بالكتاب والسُنة والإجماع، وما دلَّ عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم فهذا الذي يُوثق به وهذا الذي ينتفع الشخص به وينال علمًا، وأما المبتدع فلا تأمنه فقد يتكلم بشيء من الحق في رده وبشيء من الباطل، وهذا موجود في ردود أهل البِدع علىٰ أهل البِدع، فيكون عند أولئك شيء من الحق وأولئك شيء من الحق، ومع أولئك شيء من الباطل، ومع أولئك شيء من الباطل، فليس ردهم رداً صحيحًا مستقيمًا من كل وجه.

٣- قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَنْبَغِي أَن يسمع قَول مُبْتَدع فِي مُبْتَدع).

يُريد بذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ جرح المبتدع للمبتدع فإنَّ هذا مما لا يقبل، وذلك لأنَّه في الأصل مجروح فكيف يجرح غيره، والشخص إن كان من أهل البِدع فإن الهوىٰ في قلبه فما عنده الإنصاف في جرحه فيجرح علىٰ حسب هواه؛ فيجرح من خالفه في بدعته ويفتري عليه ويطعن فيه بما ليس فيه، وربما يقبل فيه الإشاعات الكاذبة ويبني عليه الأحكام الجائرة؛ والسبب أنَّ لم يدخل في بدعته، فلا يقبل كلام المبتدع في جرح المبتدع فليسوا أهل إنصاف.

قال وفقه الله:

من عقوبة المبتدع:

١- قال ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَافِعَ بْنَ أَشْرَسَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: إِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ الْكَذَّابِ: أن لا يُقبل صِدْقُهُ، قَالَ: وَأَنَا أَقُولُ: **(وَمِنْ عُقُوبَةِ الْفَاسِقِ الْمُبتدِعِ: أن لا تُذكرَ محاسِنُهُ)**[(١)].

٢- قال الشيخ الفوزان وفقه الله: **(في ذِكرِ محاسِنِ المُبتَدِعة تَغريرٌ بالناس وترويجٌ لبدعِهم وهذا لا يَجوزُ أبدًا)**[(٢)].

الشرح:

١- قال ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَافِعَ بْنَ أَشْرَسَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: إِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ الْكَذَّابِ: أن لا يُقبل صِدْقُهُ، قَالَ: وَأَنَا أَقُولُ: **(وَمِنْ عُقُوبَةِ الْفَاسِقِ الْمُبتدِعِ: أن لا تُذكرَ محاسِنُهُ)**.



قوله: **(إِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ الْكَذَّابِ: أن لا يُقبل صِدْقُهُ)**: فالكذاب كما هو معلوم خبره مردود سواءً كان من الصدق أو كان من الكذب؛ وذلك لأنه أفسد منطقه بهذا الخُلق فصار لا يُقبل ما تكلم به، وسواءً كان من الصدق أو الكذب؛ لأننا لا ندري هل ذلك القول الذي قاله من الصدق أو من الكذب، فيترك حديثه ولا يُقبل بالكلية، وهو قد يكون صادقًا في نفس الأمر، لكن لمَّا تخلقَّ بهذا الخُلق فقد أفسدَّ منطقهُ بالكذب فلا يُقبل منه ما تحدث به بعد ذلك سواءً كان من الصدق أو الكذب، وليس المعنىٰ أننا نرد خبره الذي هو من قبيل الصدق بعد عِلمنا به أنه من الصدق، وإنما بسبب جهلنا

---

(١) "الصمت وآداب اللسان" رقم الأثر (٥٥٢) و"شرح علل الترمذي" لابن رجب (١/ ٥٠) ورواه الخطيب في "الكفاية" (٣٠٦) وفيه رد علىٰ أصحاب منهج الموازنات.

(٢) مادة مسموعة "دروس من شرح كتاب التوحيد"..

بصدقه في ذلك الخبر صرنا لا نُميّز بين الصدق والكذب من حديثه فلهذا رددنا الجميع، وهذا من عقوبة الكذاب.

قوله: (وَمِنْ عُقُوبَةِ الْفَاسِقِ المُبتدِعِ: أن لا تُذكرَ مَحاسِنُهُ): وفي هذا إبطال لمنهج الموازنات الذي أحدثهُ المتأخرون من أهلِ البدع، وهو منهج مُحاماة عن أهلِ البِدع والأهواء، وهو من أسباب تعظيم أهلِ البدع والأهواء في النفوس، ومن أسباب عدم التنفير عنهم فإن المبتدع لا يخلو من شيء من المحاسن، فإذا ما ذُكِرت محاسنه ضَعُفَ جانب التحذير منه، وكان في الحقيقة من يذكر محاسن مُتبدع إنما يدعو إليه لا أنه يُحذر منه، فإذا قال: فلان المبتدع قال: كذا وكذا، ويذكر بدعة من بدعه، ثم يذكر ما عنده من المحاسن يقول: لكنه من الموحدين لربِّ العالمين سبحانه، من الحافظين علىٰ الصلوات في بيوت الله، ويُحافظ علىٰ تكبيرة الإحرام مع الإمام، ويُحافظ علىٰ الصف الأول، وفيه ما فيه من الزُهد في الدنيا، وفيه ما فيه من الجود والكرم والشجاعة، والمواساة بالقليل والكثير، ويبقىٰ الشخص يُعدد ما عند المبتدع من المحاسن، فهو في الحقيقة يدعو إلىٰ ذلك المبتدع ويُزين ذلك المبتدع في أنظر الجاهلين، فإن الجاهل إذا سَمِعَ مثل هذا القول يقول: هذا من أولياء الله، ما عنده إلا هذه القضية فقط وهو كذا وكذا وكذا!، فتدخل محبة ذلك المبتدع في قلوب عامة الناس ويتجهون إليه ويتعلقون به، وهذا المُغفل يُريد أن يُحذر من ذلك المبتدع ويرىٰ أن ذِكر الحسنات والسيئات من العدل ويخاف علىٰ نفسه أن يظلم ذلك المبتدع فإذا به يذكر البدعة ويعدد ما عنده من الحسنات، ويُريد مع ذلك أن يُحذر من ذلك المبتدع، وهذا المغفل لو سكت عنه ولم يذكر لا المحاسن ولا المساوئ ولم يتعرض لكان هذا أسلم للناس، أما أن يبقىٰ الشخص يُعدد ما له من الحسنات وما له من الأخلاق الحسنة وما عنده من الدين، ويقول: لكنه وقع في كذا وكذا، فهذا من الخطأ البالغ.

وهذه القاعدة كما عرفنا جاء بها أهل البدع والأهواء، وما جاءت من جهة أهل السُنة، والغرض منها المحاماة عن أهل البدع والأهواء، فهي من أعظم القواعد في هذا الباب، وهي من أعظم المكر الذي جاء به أهل البدع والأهواء.

وقوله: (وَمِنْ عُقُوبَةِ الْفَاسِقِ الْمُبتدِعِ: أن لا تُذكرَ مَحاسِنُهُ): فالشخص في مقام الرد لا يذكر محاسن المبتدع، والنبي عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر زعيم الخوارج وقال: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِيءِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»، وقال فيهم أيضًا: «شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَة»، «شِرَارُ الْخَلْقِ»، «لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»، «لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»، «كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ»، فذمهم وبالغ في ذمهم ولم يقل لكنهم كذا وكذا، ومعهم كذا وكذا من الخير وإنما اقتصر علىٰ ذمهم، فالمقام مقام تحذير من الشر فهو مقام ذم من أجل التنفير عن أهل الباطل، وليس مقام ترجمة.

وهكذا الله عَزَّوَجَلَّ ذمَّ من مضىٰ من اليهود والنصارىٰ، ومن ذمه لم يذكر ما له من الحسنات، وأدلة الكتاب والسُنة مليئة من هذا الأمر، ومنهج السلف أيضًا علىٰ هذا الأمر وهو التحذير من أهل البدع والأهواء، فهم يحذرون منهم ولا يذكرون ما عندهم من الحسنات وإنما يذمونهم ويُبالغون في ذمهم والتنفير منهم.



وقد يذكر بعض العلماء الحسنات والسيئات في مقام الترجمة وليس في مقام التحذير، فيذكرون تاريخ الرجل وترجمته: متىٰ وِلِد، ومتىٰ مات، وأين طلب العلم، يذكرون تاريخ ذلك الرجل من خير ومن شر، فهذا في مقام ترجمة كما يفعل ذلك الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه السيَّر وغيره ويفعل ذلك غيره من أهل العلم.

يذكر ما عند الرجل ويؤرخ له ويترجم له وليس هو في مقام التحذير وإنما مقام الترجمة، والغرض من ذلك: كتابة شيء من التاريخ، أما مقام التحذير من أهل البدع والأهواء فهو مقام التنفير، ولم يكن معهودًا عن السلف ذِكر الحسنات والسيئات في مقام التحذير من أهل البدع والأهواء.

٢- قال الشيخ الفوزان وفقه الله: (في ذِكرِ محاسِنِ المُبتَدِعة تَغريرٌ بالناس وترويجٌ لبدعِهم، وهذا لا يَجوزُ أبدًا).

وهذا حق وقد سبق بيانه.

قال وفقه الله:

كيف تكون توبة المبتدع:

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَتَوْبَةُ هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقِ مِنْ جِهَةِ الِاعْتِقَادَاتِ الْفَاسِدَةِ بِمَحْضِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَلَا يُكْتَفَى مِنْهُمْ بِذَلِكَ أَيْضًا حَتَّى يُبَيِّنُوا فَسَادَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْبِدْعَةِ، إِذِ التَّوْبَةُ مِنْ ذَنْبٍ هِيَ بِفِعْلِ ضِدِّهِ)**(١).

الشرح:

قوله: **(فَتَوْبَةُ هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقِ مِنْ جِهَةِ الِاعْتِقَادَاتِ الْفَاسِدَةِ)**: الفسق الاعتقادي وهم أهل البدع والأهواء، فإن الفسق الذي وقعوا فيه فسق باعتبار الاعتقادات، وهناك من جمع بين الأمرين: فسق باعتبار الاعتقادات، وفسق باعتبار الأعمال كالبدع العملية.

قوله: **(بِمَحْضِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ)**: لا يقول: تُبتُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ فقط، وأنا متراجع عن كذا، لا بد أن يترك البدعة ويتبع السُنة فيأتي بنقيض ما كان عليه.

قوله: **(وَلَا يُكْتَفَى مِنْهُمْ بِذَلِكَ أَيْضًا)**: أي: بان يتركوا البدعة وأن يتبعوا السُنة.

قوله: **(حَتَّى يُبَيِّنُوا فَسَادَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْبِدْعَةِ)**: لا بد من البيان؛ وذلك أن المُبتدع حصل منه الكتمان والدعوة للباطل، فالمبتدع جمع بين كتمان الحق والدعوة للباطل، فإذا أراد أن يتوب لا بد أن يُبيِّن الحق الذي كتمه، وأن يُبطل الباطل الذي جاء به وأسسه ونشره في أوساط الناس؛ لأنه كتم الحق وتكلم بالباطل، فلا بُد

(١) "مدارج السالكين" (١/ ٣٩٣) ط. الكتب العلمية.

أن يُبيِّن الحق وأن يُبطل الباطل، فهكذا تكون توبة المُبتدع يحتاج إلىٰ أن يرجع إلىٰ السُنة بعد أن كان في البدعة، ويصدق في تمسكه بالسُنة.

والمبتدعة ليسوا علىٰ حد سواء، فهناك مبتدع لم يحصل منه كبير شر فبدعته في نفسه فما أظهرها للناس ولا دعا الناس إلىٰ إليها فهذا تكفيه التوبة سِرًا؛ لأنه لم يُظهر بدعته ولم يدعُ إليها، وإنما كانت بينه وبين ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا يُكتفىٰ منه بالتوبة السرية فكما أسرَّ بالبِدعة فإنه يُسر بالتوبة، وهذا كافٍ في حقه، وأما من دعا إلىٰ البدعة بلسان الحال أو بلسان المقال كأن يُظهر البدعة ويجاهرَ بها في أوساط الناس فهذا حاله أشد فيحتاج إلىٰ توبة ظاهرة ولا يكفي أن يتوب بينه وبين ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يكفي أن يُظهر التوبة ويقول: تُبتُ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مما كُنت فيه من البِدعة، فلا بد أن يأتي إلىٰ البِدع التي نشرها في أوساط الناس والتي احتج لها بأنواع الشبهات فيأتي إليها ويرد ويُبين فساد ما جاء به، ولا يكتفىٰ بالتوبة المُجملة فلا بد أن يُبين فساد ما كان عليه، فيقول: كنت أقول كذا وكذا، وأحتج لتلك البدعة بكذا وكذا، وهذا قول فاسد واحتجاج باطل، ويُبين فساد ذلك الأمر الذي كان عليه، ويُبين فساد ذلك الاحتجاج وأنه احتجاج فاسد ويُبين وجه الفساد فيه فيُزيل ما وقع في نفوس الناس من البدع، وما وقع في نفوس الناس من الشبهات، وكما أنه نشر المرض في أوساط الناس فلا بد أن ينشر العلاج، وأما أن يكون الشخص من أهل البدع والأهواء وينشر البِدع ويؤلف المؤلفات في نُصرة البِدع ويخطب ويتكلم في الناس ويحثَّ الناس علىٰ تلك البِدع بأنواع الشُبهات المُضلة ثم يقول: أستغفر الله وأتوب إليه، كنت علىٰ خطأ وكُنت علىٰ باطل فلا يكفي هذا منهِ، فلا بد أن يُزيل تلك الشبهات التي نشرها، وأن يحثَّ الناس علىٰ السُنة كما حثهم علىٰ البِدعة، ويُبين فساد تلك البِدع فلا بد من توبة صحيحة وصادقة.



أما التوبة المُجملة لا تكفي وليست صحيحة، كما قال العُصيمي مبرراً لنفسه: المؤلفات التي كانت قبل ثلاثين سنة أنا مُتراجع عنها، ليست هذه منه توبة؟! هذه ليست توبة شرعية، المؤلفات قبل ثلاثين سنة فيها حق وفيها باطل، كيف يقول: أنا مُتراجع عنها؟ هل أنت مُتراجع عن الحق والباطل؟ فإن قال: نعم، فهذا أمر عظيم إذ كيف يتراجع عن حق دلَّ عليه كِتاب الله وسُنة رسوله الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإن قال: أنا مُتراجع عن الباطل التي فيها وغير متراجع عن الحق، فيُقال: وما يُدرينا ما هو الذي تراجعت عنه، فربما تلك المسألة من الباطل أنت تراها حقاً ولم تتراجع عنها، فهذه توبة السياسيين وليست بتوبة الصادقين، الصادق في توبته يقول: قُلت في كتاب كذا: كذا وكذا، هذا باطل، والحق هو كذا وكذا، وقلت: كذا وكذا، وهذا باطل أنا مُتراجع عنه، والحق: كذا وكذا، فكما أنه أخطأ خطئًا مُفصلًا فيحتاج إلىٰ أن يتوب توبة مُفصلة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٦٠]، فالتوبة تكون علىٰ الضوابط الشرعية، لا تكون توبة مُجملة في أمور وأخطاء مُفصلة، فقد ضلَّ من ضلَّ بسبب تلك الأخطاء، واغتر من اغترَّ بها، فمثل هذه التوبات توباتٍ غير صحيحة.

والمُبتدع الذي عاش زمنًا في البدعة ومكثَّ ما شاء الله وهو في البِدع والأهواء إن تاب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لا تُرد توبته لكن يُتعامل معه بشيء من الحذر؛ وذلك لأن المُبتدع الذي عاش فترة من الزمن علىٰ البِدع والأهواء وإن تاب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فتبقىٰ فيه شيء من الرواسب فيُخشىٰ من تلك الرواسب المتبقية في قلبه، ويُخشىٰ أن يكون من الماكرين في توبته فيحتاج إلىٰ شيء من الاختبار وشيء من التأني، لا أعني أنه يقال: توبتك ليست مقبولة هذا ليس صحيحًا، لكن يحتاج إلىٰ شيء من التأني، فلا يكون رأسًا في الباطل ثم يصير رأسًا في السُنة، هذا كلام غير صحيح، بل يحتاج إلىٰ شيء في النظر فيه والامتحان لأمره والاختبار لحاله حتىٰ يتبين هل هو من الصادقين أم هو من الكاذبين؟، ويتبين أيضًا هل ما زال في نفسه شيء من الرواسب أم لا؟

وإذا أظهر التوبة فينبغي أن ينشغل بالعلم النافع لعلَّ الله عَزَّوَجَلَّ أن يُزيل ما في قلبه من الرواسب بحضور مجالس أهل العلم ومجالس أهل السُنة، وما في قلبه من الرواسب تزول شيئًا فشيئًا، فأما أن يُمكن في الناس وبعد أن كان رأسًا في الباطل يصير رأسًا في السُنة فهذا خطأ ومثل هذا لا يؤمن، وكم من شخصٍ كان رأسًا في الباطل ثم صار رأسًا في السُنة وإذا به يُحدث فتنة جديدة ويأخذ من يأخذ ويُضلُ من يُضل من الناس، ويغوي من يغوي من الناس، فمثل هؤلاء يحتاجون إلىٰ شيء من التأني، وهذا في من كان من أهل البدع والأهواء وبقىٰ زمنًا وهو في البدع والأهواء قد أُشرِبَ قلبه البدع والأهواء، فالكلام في مثل هؤلاء القوم، وليس الكلام في شخص كان صاحب سُنة فمشربهُ السُنة، ويأخذ السُنة وهو ممن تربىٰ علىٰ السُنة وعلىٰ المنهج الصحيح، لكنه اغتر بشخص ظنَّ أنه من أهل السُنة ومن دعاة السُنة، فدافع عنه؛ لأنه يظنُه من أهل السُنة، ثم بعد ذلك تبيَّن أنه من أهل الأهواء فابتعد عنه، فهذا لا يدخل في كلامنا ولا يُقال فيه مثل هذه المقولة: بأنه لا بد أن يُمتحن، وأن يُهجر سُنة كما فعل عمر بن الخطاب بصبيغ بن عسل، هذا من الكلام الفاسد، فإن هؤلاء أصحاب سُنة تربوا علىٰ السُنة وعلىٰ المنهج الصحيح، وإنما حصل لبعضهم جهل بحال شخصٍ ظنوه أنه من أهل السُنة ثم تبيَّن لهم أنه من أهل الأهواء فابتعدوا عنه فمثل هؤلاء لهم شأن آخر فهم ما زالوا علىٰ السُنة وباقون في السُنة ويعاملون كمعاملة غيرهم من أهل السُنة، وإنما الكلام فيمن كان في بدعة قد امتلأ قلبه من البدع والأهواء ولم يكن علىٰ السُنة، بل كان علىٰ البدعة، فكان من الخوارج، أو كان من المعتزلة، أو كان من الأشاعرة، أو كان من التراثيين، أو كان من السروريين، أو كان من الإخوان المسلمين، كان من أهل البدع والأهواء، فهذا الذي يحتاج إلىٰ الاختبار والامتحان؛ لأنه قد يكون من الماكرين وقد لا يكون من الماكرين، لكن بقيَّ شيء في قلبه من الرواسب ورواسب البدعة فيُخشىٰ أن يؤثر علىٰ الناس بتلك الرواسب التي في قلبه فهذا الذي يحتاج إلىٰ



شيء من الامتحان والاختبار والتأني في أمره والتريث فيه، وأن لا يُجعل رأسًا، وألا يُمكن في شيء من أمور المسلمين.

فهؤلاء لهم شأن وأولئك لهم شأن آخر، فهذا مما يحتاج التنبيه عليه في مثل هذه القضية التي يُخطئ فيها من يُخطئ، ويُريد أن يجعل هؤلاء كهؤلاء، هذا كلام غير صحيح وفاسد.

قوله: (إِذِ التَّوْبَةُ مِنْ ذَنْبٍ هِيَ بِفِعْلِ ضِدِّهِ): فلا يكون الإنسان وقع في البدع والأهواء ودعا إليها ويقول: أستغفر وأتوب إليه، فهذه ليست توبة صحيحة فلا يكتفىٰ بقوله: أستغفر الله وأتوب إليه، فإن التوبة من الذنب هي بفعل ضده، فلا بد أن يأتي بضد ما كان عليه، لا بد أن يُبيِّن الحق الذي كتمه ولا بد أن يُبطل الباطل الذي نشره، فهكذا تكون التوبة من الذنب.

وذمَّ الله عَزَّوَجَلَّ الذين يكتمون البينات والهُدىٰ في كتابه الكريم وأوجب الله عليهم البيان والإصلاح والتوبة فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٦٠]؛ لأن ذنبهم كان سببه الكِتمان فتكون التوبة بضد ذلك الذنب وهو البيان، وأهل البدع كما عرفنا حصل منهم كتمان، وحصل منهم كلام بالباطل، فلا بد أن يأتوا بضد ذلك ولا يكتفي الشخص ويقول: أستغفر الله وأتوب إليه.

وأهل النفاق حصل منهم عدم الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ فإذا تابوا يلزمهم ما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:١٤٦].

والشخص إذا حصل منه القذف، وقذف شخصًا محصنًا بالزنا وليس عنده بينة فلا يكتفي أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من القذف، بل لا بد أن يُكذب نفسه؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ حكم عليه بالكذب: ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [النور:١٣]، فهو أخبرَّ بخبر: أن فلانًا وقع في الزِنا، فإذا




أراد أن يتوب يأتي بضد الخبر الذي أخبَّر به ولا يكفي أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من القذف ولن أعود إلىٰ القذف أبدًا، فلا بد أن يأتي برد ذلك الخبر الذي أخبر به ويُبرئ ذلك الشخص الذي اتهمه بالزنا وأن يُكذب نفسه.

بهذا تكون التوبة كما حرر ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا بد أن يأتي بالضد وهو أن يُكذب نفسه ويُبرئ ذلك الشخص الذي اتهمه، حتىٰ ولو شاهد الفاحشة بعينه وجبَّ عليه أن يفعل هذا إذا لم تكن عنده بينة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ حكم عليه بالكذب، فهو عند الله عَزَّوَجَلَّ من الكاذبين، فالله عَزَّوَجَلَّ حكم عليه بالكذب؛ لأنه ليس عنده الشهود فلا يُعارض حُكم الله عَزَّوَجَلَّ، ويشهد علىٰ نفسه بما شَهِدَ الله عليه به أنه من الكاذبين فيُبرئ ذلك الشخص الذي وقع في الزنا وإن شاهد ذلك بعينه.

والكذب قد يُطلق ويُراد به الإخبار بخلاف الواقع، وسواءً كان عمدًا أو خطئًا، فإذا أخبر الإنسان بخبر خلاف الواقع عن عمد فهو الكذب المعروف، وإن كان عن غير عمد هو المشهور عند الناس بالخطأ، والخطأ يدخل في مسمىٰ الكذب، كما قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ»، والمُراد بذلك: أخطأ.

وهكذا في هذه القضية إذا أخبَّر الشخص وقال: إن فلانًا وقع في الزنا، وهو حين أخبر بهذا الخبر لا يُريد مجرد الخبر بل يُريد من الناس أن يصدقوه، فكأنه يقول: صدقوا هذا الخبر، وهذا الخبر الذي أخبرت به ينبغي لكم أن تُصدقوه، فكأنه يقول لهم: هذا الخبر من الأخبار التي تُصدق، وقوله كذب؛ لأن الخبر الذي يُصدق هو الخبر الذي قامت عليه البينة؛ فلهذا ذهب بعض العلماء أنه يُعتبر من الكاذبين من هذا الوجه: ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ﴾ [النور:١٣].

ذكر نحو هذا الكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "النبوات".

والشاهد من هذا: أن من وقع في ذنب وأراد أن يتوب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لا بد أن يفعل ضِد ذلك الشيء الذي وقع فيه.




قال: (إِذِ التَّوْبَةُ مِنْ ذَنْبٍ هِيَ بِفِعْلِ ضِدِّهِ)، وهكذا الذي يقع في البدع والأهواء لا يكتفي بقوله: أستغفر الله وأتوب إليه، لا بد أن يُبيِّن ما كان يكتم من الحق والسُنة، وأن يُبطل ما أشاعه من الباطل ويرد ذلك الباطل الذي أشاعه، وبهذا تكون التوبة صحيحة مقبولة، وما سوىٰ ذلك فالتوبة تكون غير صحيحة.

قال وفقه الله:

عدم إمكان التقريب بين أهل السُّنة والرافضة:

١- قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التقريب بين الرافضة وبين أهلِ السُّنةِ غَيرُ ممكِنٍ؛ لأن العقيدة مُختلفة، فَعقيدةُ أهلِ السُنة وَالجماعة تَوحيدُ اللهِ وَإخلاص العبادة للهِ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **وَأنهُ لا يُدعى مَعهُ أحدٌ لا مَلكٌ مُقربٌ وَلا نَبي مرسلٌ، وَأن اللهَ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **هُوَ الذي يَعلمُ الغيبَ، وَمِن عَقيدةِ أهلِ السُنة: مَحبة الصحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **جميعًا والترضي عنهم والإيمان بِأنهم أفضلُ خَلقِ اللهِ بعد الأنبياءِ، وَأنَّ أفضلهم أبو بكرٍ الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عن الجميع، والرافضة خِلافُ ذلك فَلا يُمكن الجمع بينهما، كما أنهُ لا يُمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين وأهل السُنة، فكذلك لا يُمكن التقريب بين الرافضة وبين أهل السُنة؛ لاختلاف العقيدة التي أوضحناها**)[١].

٢- قال العلامة ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (**فإنَّ الروافضَ ليسُوا بِمُسلمينَ... وهي طائفةٌ تَجري مَجْرَى اليهودِ في الكذبِ والكُفرِ**)[٢].

٣- وقال عبد القاهر البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومَا رأينَا ولا سَمِعْنَا بنوعٍ من الكُفرِ إلا وجَدْنَا شُعبةً مِنهُ في مذهبِ الرَّوافضِ**).

وقال أيضًا: (**وَهَذِه الْفرْقَة لَيست من فِرَقِ الإسلامِ**)[٣].



(١) "فتاوىٰ العقيدة" (٣/ ١١٠٣) ط. دار الوطن.
(٢) "الفصل في الملل والنحل" (٢/ ٧٨).
(٣) "الفَرْقُ بين الفِرَق" (ص١٥).

٤- وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالرَّافِضَةُ لَيْسَ لَهُمْ سَعْيٌ إِلَّا فِي هَدْمِ الْإِسْلَامِ، وَنَقْضِ عُرَاهُ، وَإِفْسَادِ قَوَاعِدِهِ)(١).

الشرح:

فعلىٰ كُلٍ: الجمع بين الحق والباطل مما لا يستقيم: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة:١٠٠].

قال وفقه الله:



صُحبةُ أهلِ السُّنة الثابتين عليها من أسباب الهداية إلى الحقِّ:

١- قال الإمام الألكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ، ثنا سَعِيدُ بْنُ شَبِيبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يُوسُفَ بْنَ أَسْبَاطٍ يَقُولُ: (كَانَ أَبِي قَدَرِيًّا، وَأَخْوَالِي رَوَافِضَ، فَأَنْقَذَنِي اللَّهُ بِسُفْيَانَ)(٢).

٢- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد ذُكِرَ لهُ أصحابُ الحديث: (مَا أَنْفَعَ مُجَالَسَتَهُمْ يَعْرِفُ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ بِهِمْ)(٣).

٣- قال ابن وضاح: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْأَيْلِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ وَهْبٍ مَا لَا أُحْصِي يَقُولُ: (لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَنْقَذَنِي بِمَالِكٍ وَاللَّيْثِ لَضَللتُ)(٤).

٤- وعن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (اعْتَزِلْ مَا يُؤْذِيكَ، وَعَلَيْكَ بِالْخَلِيلِ الصَّالِحِ وَقَلَّمَا تَجِدُهُ، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ)(٥).

---

(١) "منهاج السُنة" (٧/ ٤١٥).

قلت: وما يفعله الرافضة الحوثيون في بلاد اليمن من نشر الشرك وتعزيز البدع، والبغي والعدوان علىٰ أهل التوحيد، والإفساد في الأرض؛ لهو أكبر دليل علىٰ ذلك.

(٢) "أصول اعتقاد أهل السنة" (١/ ٦٧) رقم الأثر (٣٢)ط. طيبة.

(٣) "الآداب الشرعية" (٢/ ١١٨) ط. مؤسسة الرسالة.

(٤) "التمهيد" (١/ ٥١).

(٥) "الحلية" لأبي نعيم برقم (٨٩٩٦).

الشرح:

قوله: (صُحبةُ أهلِ السُّنة الثابتين عليها من أسباب الهداية إلى الحقِّ).

والأمر كذلك، فإن من وفِقَّ إلىٰ السُنة من أول أمره فإنه يوفق للخير من الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا سبب عظيم من أسباب الهداية، فإن هنالك من الناس من يتجه إلىٰ الخير لكنه لا يوفق إليه من أول الأمر بل يتلقاه أهل البِدع والأهواء، فيبدأ في الخير ويتجه قلبه إلىٰ عبادة ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويرتاد المساجد ويُحب الخير وأهل الخير لكن ما عنده تمييز بين أهل الحق وأهل الباطل، بين أهل السُنة وأهل البدعة، فيتلقفه أهل البدع والأهواء فيضلِ إلا أن يشاء الله، فإذا ما توجه الشخص ووفق إلىٰ أهل السُنة من أول الأمر فإن هذا من أسباب هدايته، ومن أسباب توفيقهِ، ومن أسباب نجاته من البِدع والأهواء، فليحرص المُسلم علىٰ أهل السُنة والاستقامة علىٰ الدين، وليحذر كل الحذر من مُصاحبة أهل البدع والأهواء.

١- قال الإمام الألكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغوِيُّ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ، حدثنا سَعِيدُ بْنُ شَبِيبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يُوسُفَ بْنَ أَسْبَاطٍ يَقُولُ: (**كَانَ أَبِي قَدَرِيًّا، وَأَخْوَالِي رَوَافِضَ، فَأَنْقَذَنِي اللَّهُ بِسُفْيَانَ**).

فهذا لازمَّ سفيان فأنقذه الله عَزَّوَجَلَّ من تلك البِدع التي كانت تُحيط به من كل وجه من جهة أقرب الناس إليه كأبيه وأخواله، فأنقذهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعالم من عُلماء السُنة، فمن جالس عُلماء السُنة نال الخير بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر عن نفسه في كتابه "النونية": أنه كان من أهل الكلام، ثم أنقذه الله عَزَّوَجَلَّ بشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، قال:

حَتَّىٰ أتاح لي الإلَه بفضله ... من لَيْسَ تجزيه يَدي ولساني

هكذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشكر لشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية الذي أخذ بيديه، فنجاهُ

الله عَزَّوَجَلَّ من عِلم الكلام ومن ضلالات عُلماء الكلام بشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمجالسة عُلماء السُنة فيها الخير والبركة.

٢- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد ذُكِرَ لهُ أصحابُ الحديث: (مَا أَنْفَعَ مُجَالَسَتَهُمْ يَعْرِفُ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ بِهِمْ).

يعرف الحديث بهم، ويعرف السُنة بهم، ويُميّز بين السُنة والبدعة بهم، وأهل الحديث هم أهل السُنة، وهم السلفيون، فيقال: أهل السُنة ويقال: السلفيون، ويقال: أهل الحديث؛ لتمسكهم واعتنائهم بحديث رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٣- قال ابن وضاح: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْأَيْلِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ وَهْبٍ مَا لَا أُحْصِي يَقُولُ: (**لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَنْقَذَنِي بِمَالِكٍ وَاللَّيْثِ لَضَللتُ**).



أنقذه الله عَزَّوَجَلَّ بمالك والليث بهاذين العالِمين: بالإمام مالك وبالليث بن سعد، فعلماء أهل السُنة فيهم الخير والبركة، ومجالسة عُلماء السُنة من أسباب الهداية للحق ومجانبة البدع والأهواء، وإنما يَضِلُّ الشخص في اجتنابه لعُلماء السُنة، فإذا ابتعد عنهم فإنه يضل، وذلك أنَّ من عاش في هذه الحياة الدنيا تمرُ به الأمور الكثيرة من الفتن والأهواء، فإن سَلِمَ من فتنة وقع في أخرىٰ إلا أن يشاء الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا كان الشخص يُجالس العُلماء فإنَّه يحصل له الخير ويحصل له الثبات علىٰ السُنة وعلىٰ الحق بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، فمجالسة العلماء الذي عُرِفوا بالصدق وعُرفوا بملازمة السُنة وتعظيم السُنة تحصل بها الخير ويحصل للشخص الثبات علىٰ السُنة والابتعاد عن الأهواء، ويُنجيه الله عَزَّوَجَلَّ من كثير من الفِتن.

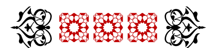
٤- وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (اعْتَزِلْ مَا يُؤْذِيكَ، وَعَلَيْكَ بِالْخَلِيلِ الصَّالِحِ وَقَلَّمَا تَجِدُهُ، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ).

قوله: (**اعْتَزِلْ مَا يُؤْذِيكَ**): ومنهم أهل الفسق وأهل البدع.

قوله: (**وَعَلَيْكَ بِالْخَلِيلِ الصَّالِحِ وَقَلَّمَا تَجِدُهُ**): ويدخل فيهم صاحبَ السُنة الذي نجاه الله عَزَّوَجَلَّ من البِدع، وهكذا من نجاهُ الله عَزَّوَجَلَّ من الفِسق، وقلَّ ما تجد الخليل الصالح.

قوله: (**وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ**): فإذا شاور الإنسان في أمره من يخاف الله عَزَّوَجَلَّ فإنهم يُرشدونه إلىٰ مرضات الله عَزَّوَجَلَّ، فالذي ما عنده خوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُضلك عن الهدىٰ والخير، ويهون في نفسك العظائم، ومن كان خائفًا من الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يتعامل معك بورع، ويبعدك عن الأمور التي تَضرك، ويجعلك تتقي الشبهات فضلًا عن المُحرمات الظاهرات الواضحات.

وقد عزىٰ في الحاشية أثر عُمر إلىٰ لأبي نُعيم في "الحلية"، وهكذا رواه البيهقي في شُعب الإيمان بإسناد منقطع من رواية زيد بن أسلم عن عُمر، وهو إسناد منقطع، وإن كان من حيث المعنىٰ حسن.



آثار عن السَّلف في هجر المبتدعة ومن جَاهر بالمعاصي

قال وفقه الله:

١- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّ قَرِيبًا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ، قَالَ: فَنَهَاهُ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ، وَقَالَ: «**إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا، وَلَا تَنْكَأُ عَدُوًّا، وَلَكِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ**»، قَالَ: فَعَادَ، فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْهُ، ثُمَّ تَخْذِفُ، لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا)[١].

٢- وفي حديث كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (**وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ... فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ**)[٢].

٣- قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر حديث كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (**وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هِجْرَانَ أَهْلِ الْبِدَعِ عَلَى التَّأْبِيدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَافَ عَلَى كَعْبٍ وَأَصْحَابِهِ النِّفَاقَ حِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَأَمَرَ بِهِجْرَانِهِمْ، إِلَى أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ، وَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرَاءَتَهُمْ، وَقَدْ مَضَتِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَتْبَاعُهُمْ، وَعُلَمَاءُ السُّنَّةِ عَلَى هَذَا مُجْمِعِينَ مُتَّفِقِينَ عَلَى مُعَادَاةِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، وَمُهَاجَرَتِهِمْ**)[٣].

٤- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَعَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ إِذَا رَأَى رَجُلا يَتَعَاطَى شَيْئًا مِنَ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ مُعْتَقِدًا، أَوْ يَتَهَاوَنُ بِشَيْءٍ مِنَ السُّنَنِ أَنْ يَهْجُرَهُ، وَيَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَيَتْرُكَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَلا يُسَلِّمْ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَلا يُجِيبُهُ إِذَا ابْتَدَأَ إِلَى أَنْ يَتْرُكَ بِدْعَتَهُ، وَيُرَاجِعَ الْحَقَّ**)[٤].



(١) "صحيح مسلم" رقم (٥٠٢٦).
(٢) "صحيح البخاري" (٤٤١٨) و"صحيح مسلم" (٦٩٤٧).
(٣) "شرح السُنة" (١/ ٢٢٧) ط. المكتب الإسلامي.
(٤) "المصدر السابق" (١/ ٢٢٤).

٥- قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمن مَذْهَب أهل السّنة التورع فِي المآكل والمشارب والمناكح والتحرز من الْفَوَاحِش والقبائح، والتحريض عَلَى التحاب فِي الله عَزَّوَجَلَّ، واتقاء الْجِدَال والمنازعة فِي أُصُول الدّين، ومجانبة أهل الْأَهْوَاء والضلالة، **وَهَجْرُهُم وَمُبايَنتِهِم**)[١].

٦- وقال ابن قُدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ومن السُّنة: هُجرانُ أهلِ البدعِ، ومُبَايِنتهم، وَترك الجدال والخصومات في الدِّين، وَترك النظر في كتب المُبتدعة وَالإصغاءُ إلى كلامهِم، وَكلُّ محدثةٍ في الدِّين بِدعة)**[٢].

٧- قال أبو عبد الله المرداوي في منظومته:

وَهِجْرَانُ مَنْ أَبْدَى الْـمَـعَاصِيَ سُنَّةٌ ... وَقَدْ قِيلَ إنْ يَرْدَعْهُ أَوْجِبْ وَأَكِّدْ

وَقِيلَ: عَلَى الْإِطْلَاقِ مَا دَامَ مُعْلِنَا ... وَلَاقِـهِ بِوَجْـهٍ مُكْفَـهِرٍّ مُـــرَبَّدِ

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعلقًا: (وَهِجْرَانُ) مَصْدَرُ هَجَرَهُ هَجْرًا بِالْفَتْحِ وَهِجْرًا بِالْكَسْرِ صَرَمَهُ قَالَ فِي النِّهَايَةِ: الْهَجْرُ ضِدُّ الْوَصْلِ يَعْنِي صَرْمَ وَقَطْعَ (مَنْ) أَيْ إنْسَانٍ مُكَلَّفٍ (أَبْدَى) أَيْ أَظْهَرَ وَأَعْلَنَ ذَلِكَ الْمُكَلَّفُ (الْمَعَاصِيَ) جَمْعُ مَعْصِيَةٍ وَهِيَ مَا يُعَابُ فَاعِلُهَا ضِدُّ الطَّاعَةِ. وَلَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِ الْمَعَاصِي فِعْلِيَّةً أَوْ قَوْلِيَّةً أَوْ اعْتِقَادِيَّةً (سُنَّةٌ) مِنْ سُنَنِ الْمُصْطَفَى يُثَابُ الْإِنْسَانُ عَلَى فِعْلِهَا حَيْثُ كَانَ الْهَجْرُ لِلَّهِ تَعَالَى وَغَضَبًا لِارْتِكَابِ مَعَاصِيهِ أَوْ لِإِهْمَالِ أَوَامِرِهِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ – رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: إذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِذَلِكَ لَمْ يَأْثَمْ إنْ جَفَاهُ حَتَّى يَرْجِعَ، وَإِلَّا كَيْفَ يَتَبَيَّنُ لِلرَّجُلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَرَ مُنْكَرًا وَلَا جَفْوَةً مِنْ صَدِيقٍ. وَقَدْ هَجَرَ النَّبِيُّ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَعْبًا وَصَاحِبِيهِ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِهَجْرِهِمْ خَمْسِينَ يَوْمًا. وَهَجَرَ نِسَاءَهُ شَهْرًا. وَهَجَرَتْ سَيِّدَتُنَا عَائِشَةُ – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا – ابْنَ أُخْتِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ

---

(١) "الحجة" (٢/ ٥١٧) ط. دار الراية.

(٢) "لمعة الاعتقاد" (ص١٥٩) ط. مكتبة الرشيد.

- رضي الله عنهما - مُدَّةً. وَهَجَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ الصَّحَابَةِ وَمَاتُوا مُتَهَاجِرِينَ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -.

أَمَّا هِجْرَانُ النَّبِيِّ - ﷺ - كَعْبًا وَصَاحِبَهُ وَهُمَا (مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ) الْعَامِرِيُّ وَ (هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ) الْوَاقِفِيُّ فَلِتَخَلُّفِهِمْ عَنْهُ - ﷺ - فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

وَأَمَّا هِجْرَانُهُ أَهْلَهُ شَهْرًا فَلِكَلَامٍ أَغْضَبَهُ - ﷺ - مِنْ طَلَبِ بَعْضِ أُمُورٍ وَشُئُونٍ مِنْهُ حَتَّى أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّرَهُنَّ، فَخَيَّرَهُنَّ فَاخْتَرْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ[1].

٨- قال في عون المعبود عند حديث أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا يَحِلّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُر أَخَاهُ فَوْق ثَلَاث**»، الحديث: (وَهَذَا فِيمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ عَتَبٍ وَمَوْجِدَةٍ أَوْ تَقْصِيرٍ يَقَعُ فِي حُقُوقِ الْعِشْرَةِ وَالصُّحْبَةِ دُونَ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي جَانِبِ الدِّينِ، **فَإِنَّ هِجْرَةَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَاجِبَةٌ عَلَى مَرِّ الْأَوْقَاتِ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ التَّوْبَةُ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ**)[2].

٩- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (**مَنْ كَانَ مُظْهِرًا لِلْفُجُورِ أَوْ الْبِدَعِ يَجِبُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ وَنَهْيُهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ مَرَاتِبِ الْإِنْكَارِ هَجْرُهُ لِيَنْتَهِيَ عَنْ فُجُورِهِ وَبِدْعَتِهِ**)[3].



فائدة:

قال بعض السلف:

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ وَاهْجُرْ كُلَّ مُبْتَدَعٍ ... وَكُلَّ غَاوٍ إِلَى الْأَهْوَاءِ مَيَّالِ
وَلَا تَمِيلَنَّ يَا هَذَا إِلَى بِدَعٍ ... يَضِلُّ أَصْحَابُهَا بِالْقِيلِ وَالْقَالِ[4]

ملحق:

الرد على من يقول: لا يكونُ الهجْرُ إلا إذا حصلَ نفعٌ.

---

(١) "غذاء الألباب شرح منظومة الآداب" (١/ ٤٤٥) ط. مؤسسة قُرطبة.
(٢) "عون المعبود شرح سنن أبي داود" (١٣/ ١٧٤) ط. الكتب العلمية.
(٣) "مجموع الفتاوىٰ" (٣/ ٦٣٦).
(٤) "الإبانة" لابن بطة (٢/ ٢٨٥) كتاب: الرد علىٰ الجهمية.

أقول: النفعُ حاصلٌ من عدة وجوه:

الأول: اتباعُ السنةِ لأمر النبي ﷺ بهجر كعبَ بن مالك وصاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتى أنزلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى توبتَهُم.

الثاني: تأديبُ المهجورِ وإعانتهُ على الرجوع إلى الحقِّ.

الثالث: الاقتداءُ بالسلف.

الرابع: حمايةُ السنةِ وأهلِها مما وقعَ فيه المخالفونَ.

الخامس: الرحمةُ بالمهجور؛ حتى لا يَغترَّ به الناسُ فتكثرَ أوزارُهُ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].

السادس: التميزُ عن أهلِ الباطلِ والأهواءِ الذينَ انحرفُوا عن السُّنةِ.

الشرح:

١ - قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَنَّ قَرِيبًا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ، قَالَ: فَنَهَاهُ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ، وَقَالَ: «**إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا، وَلَا تَنْكَأُ عَدُوًّا، وَلَكِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ**»، قَالَ: فَعَادَ، فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْهُ، ثُمَّ تَخْذِفُ، لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا).

وفي هذا الأثر عن عبد الله بن مُغفل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما يَدل علىٰ هجر من جاهر بالمعصية ولم يقبل النصيحة، وأنه يُهجر هجرًا مستمرًا لقوله: (**لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا**)، وهذا محمول علىٰ من دام علىٰ هذه الحال، أي: ما دُمت كذلك فلا أُكلمك أبدًا، فأما إن حصلت التوبة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فالهجر يزول بالتوبة الصادقة، لكن ما دُمتَّ علىٰ إصرارك علىٰ هذه المعصية فلا أُكلمك أبدًا.

والخذف معروف يضع حصىٰ صغيرة بين أصبعين كأن يضع الحصىٰ بين السبابتين اليمنىٰ واليسرىٰ، ثم يرمي بها، فإنها كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَصِيدُ صَيْدًا»، فيكون في ذلك مصلحة دنيوية، «وَلَا تَنْكَأُ عَدُوًّا»، فيكون في ذلك مصلحة شرعية، «وَلَكِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ»، مُجرد مفسدة من غير مصلحةٍ فيها.

وهكذا ما يفعله بعض الأولاد بما يُسمىٰ بالمخامع أو المرامي هي من هذا القبيل أو أشد، وهكذا المُسدسات التي يلعب بها الأولاد التي فيها بعض الحبوب الصغيرة التي يُرمىٰ بها هي من هذا القبيل، كل هذا يدخل في المعنىٰ الذي نهىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الخذف من أجله فقال: «إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا، وَلَا تَنْكَأُ عَدُوًّا، وَلَكِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ»، وهذه المُسدسات والألعاب التي من هذا القبيل التي يعلب بها الأولاد يحصل بها هذا الأمر، وربما يحصل ما هو أشد من الخذف الذي عن طريق الأصابع، فقد تفقأ العيون بها ويحصل بها الضرر العظيم، فكل هذا مما يُنهىٰ عنه، فيُمنع الأولاد من هذه الأمور المضرة، ويعلبون بما لا ضرر فيه لا عليهم ولا علىٰ غيرهم.



٢- وفي حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ... فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ).

واستمر الهجر لهم حتىٰ تاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم ليتوبوا، فتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم وحصلت منهم التوبة الصادقة فارتفع الهجر بارتفاع سببه.

وإذا كان هذا في شأن المعاصي التي ليست من قبيل البدع فإن البدع أشد وهي أولىٰ بأن يُهجر المبتدع بسببها، فيُهجر المبتدع بسبب البدعة إلىٰ أن تحصل له التوبة،

فإذا لم يتب فإن الهجر لا يزال مُستمرًا، فإذا كان الهجر يستمر في شأن المعاصي إلىٰ أن تحصل التوبة فالبدع من باب أولىٰ، غير أن أمر المعصية ليست كأمر البدعة فإن العاصي قد لا يرتدع بالهجر ويزداد عتوًا ونفورًا فقد لا تكون المصلحة في هجره، بل المصلحة في وعظِهِ، فيُفعل فيه ما فيه المصلحة، ومنهم من تكون المصلحة في هجره.

أما أهل البِدع فإن المصلحة في هجرهم علىٰ أي حال؛ وذلك أن من يهجر المبتدعة لا ينظر إلىٰ مصلحة المُبتدع فحسب ولا إلىٰ مصلحة الناس أيضـًا، بل ينظر أيضًا إلىٰ مصلحة نفسه، فإنه إذا لم يهجر أهل البِدع والأهواء جذبوه إليهم، فإذا وجدوا منه الانبساط لهم وردُّ السلام عليهم وابتداؤهم بالسلام، ووجدوا منه أنه إذا مرضوا عاد مرضاهم، وواساهم في مصائبهم، وإذا دعوه أجاب دعوتهم، فإنهم يجذبونه إلىٰ البِدعة ولا يسلم من شرهم، فمسألة البِدعة أشد من مسألة المعصية؛ فلهذا فإن المصلحة في هجر أهل البدع والأهواء مصلحة مستمرة، فمن المصالح كما عرفنا: أن ينزجر المُبتدع ويتوب من بدعته هذه مصلحة شرعية، ومن المصالح: أن ينزجر الناس عن تلك البِدعة وعن ذلك المُبتدع فلا يقتربوا منه وهذه مصلحة للناس، فإذا لم تحصل المصلحة للمبتدع ولا المصلحة للناس بقيت مصلحة وهي: أن يقيَّ الإنسان نفسه شر أهل البدع والأهواء وهذه مصلحة مستمرة، فيهجر أهل البدع والأهواء ليقي نفسه من شرهم، وأما أن يقال: إنَّ هجر أهل البدع والأهواء يُنظر فيه إلىٰ مصلحة المبتدع وإلىٰ مصلحة الناس فقط هذا كلام فاسد، كيف تنظر إلىٰ مصلحة الغير ولا تنظر إلىٰ مصلحة نفسك؟! وأيهما أولىٰ بالاعتبار مصلحة الغير وإلا مصلحة النفس؟ مصلحة النفس أولىٰ بالاعتبار، فالنظر إلىٰ مصلحة المُبتدع ومصلحة الناس وعدم النظر إلىٰ مصلحة النفس هذا هو عين الخطأ، بل يُنظر أيضًا إلىٰ مصلحة النفس بل هي المصلحة المُقدمة، فالواجب عليك أن تقي نفسك من شر

أهل البدع والأهواء، والناس إن استجابوا فالحمد لله، وإن لم يستجيبوا فالإثم عليهم، أما أن يُعرض الإنسان نفسه للخطر من أجل الناس هذا ليس صحيحًا.

فعلىٰ كُلٍ: مُراعاة الإنسان مصلحة نفسه في هجر أهل البدع والأهواء أوكد.

فهذا هو الأصل: أن هجر أهل البدع والأهواء مصلحة مستمرة إلا في بعض الصورة المستثناه التي فعلها من مضىٰ من أهل العلم: فمسألة الرواية عن أهل البدع حين اضطر إليها أئمة السلف اضطرارًا من أجل أن يحفظوا سُنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا علىٰ خلاف الأصل، فقد توجد مصلحة كهذه المصلحة التي فعلها السلف من أجل حفظ السُنة، فالأصل أن أهل البدع يُهجرون وأن الأصل في هجرهم مصلحة مستمرة.

٣- قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر حديث كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هِجْرَانَ أَهْلِ الْبِدَعِ عَلَى التَّأْبِيدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَافَ عَلَى كَعْبٍ وَأَصْحَابِهِ النِّفَاقَ حِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَأَمَرَ بِهِجْرَانِهِمْ، إِلَى أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ، وَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرَاءَتَهُمْ، وَقَدْ مَضَتِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَتْبَاعُهُمْ، وَعُلَمَاءُ السُّنَّةِ عَلَى هَذَا مُجْمِعِينَ مُتَّفِقِينَ عَلَى مُعَادَاةِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، وَمُهَاجَرَتِهِمْ).



قوله: (**وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ هِجْرَانَ أَهْلِ الْبِدَعِ عَلَىٰ التَّأْبِيدِ**): يعني: ما داموا كذلك، فالأصل: هو بقاء الهجر عليهم باعتبار أن الغالب في أهل البدع والأهواء والأصل فيهم هو عدم التوبة.

قوله: (**وَقَدْ مَضَتِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَتْبَاعُهُمْ، وَعُلَمَاءُ السُّنَّةِ عَلَىٰ هَذَا مُجْمِعِينَ مُتَّفِقِينَ عَلَىٰ مُعَادَاةِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، وَمُهَاجَرَتِهِمْ**): إذًا المسألة ليس فيها نزاع بين أئمة السلف، بل هجر أهل البِدع والأهواء من مسائل الإجماع.

والذي يُهجر كما عرفنا: من كان داعيةً إلىٰ بدعته إما بلسان الحال أو بلسان المقال، أي: من كان داعيًا بلسانه أو كان مُظهرًا للبدعة ومُعلنًا بها فهذا الذي يُهجر،




أما من كانت بدعته في قلبه بينه وبين ربه فهذا لا يحصل منه الضرر وإنما يضر نفسه، وإذا ما أظهر البدعة فهنا يحصل الضرر فهذا يُهجر لأنَّه أظهرها وجاهر بها، وهو أولىٰ بهجر من جاهر بالمعصية، وإذا كان الذي يُجاهر بالمعصية يُهجر كما في هذه الأدلة، فكيف الذي يُجاهر بالبِدعة وأيهما أولىٰ بالهجر: من جاهر بالمعصية أو من جاهر بالبدعة؟

الجواب: من جاهر بالبدعة أولىٰ بالهجر، وإن لم يدعُ إليها بلسان المقال، فهو كما عرفنا داعٍ لها بلسان الحال.

٤- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَعَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ إِذَا رَأَى رَجُلا يَتَعَاطَى شَيْئًا مِنَ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ مُعْتَقِدًا، أَوْ يَتَهَاوَنُ بِشَيْءٍ مِنَ السُّنَنِ أَنْ يَهْجُرَهُ، وَيَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَيَتْرُكَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَلا يُسَلِّمْ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَلا يُجِيبَهُ إِذَا ابْتَدَأَ إِلَى أَنْ يَتْرُكَ بِدْعَتَهُ، وَيُرَاجِعَ الْحَقَّ).



قوله: **(وَيَتْرُكَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا)**: فيتركه في حياته وبعد موته، ويتركه ميتًا بأن لا يتبع جنازته، فهذا من تركه بعد موته، وهكذا يُترك الثناء عليه حتىٰ بعد أن يموت إذا كان من أهل البدع والأهواء، فإن الضرر يحصل به في حياته وبعد موته، وإذا كانت له كُتب، وله مُصنفات، وله صوتيات، فإذا ما حصل الثناء عليه اتجه الناس إلىٰ مؤلفاته واتجه الناس إلىٰ صوتياته فيقعون في البِدع بسبب هذا الأمر.

قوله: **(فَلا يُسَلِّمْ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَلا يُجِيبَهُ إِذَا ابْتَدَأَ)**: أي: لا يُجيبه إذا سلم وابتدأ المبتدع بالسلام فإنه لا يُجيبه، فلا يبتدئهُ بالسلام ولا يُجيبه إذا سِلَّمَ.

قوله: **(إِلَىٰ أَنْ يَتْرُكَ بِدْعَتَهُ، وَيُرَاجِعَ الْحَقَّ)**: ولا يُقال: هذا حق المُسلم علىٰ المُسلم، فإن أهل البدع هكذا يُعاملون بإجماع السلف.

٥- قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمن مَذْهَب أهل السّنة: التورع فِي المآكل والمشارب والمناكح والتحرز من الْفَوَاحِش والقبائح، والتحريض عَلَى التحاب فِي الله عَزَّوَجَلَّ، واتقاء الْجِدَال والمنازعة فِي أصُول الدّين، ومجانبة أهل الْأَهْوَاء والضلالة، وَهَجْرُهُم وَمُبايَنَتِهِم).

قوله: **(التورع فِي المآكل والمشارب والمناكح والتحرز من الْفَوَاحِش والقبائح)**: فهم يبتعدون عن جميع الشرور، عن البدع وعن غيرها.

قوله: **(والتحريض عَلَى التحاب فِي الله عَزَّوَجَلَّ، واتقاء الْجِدَال والمنازعة فِي أصُول الدّين، ومجانبة أهل الْأَهْوَاء والضلالة)**: كل هذا مما يدعو إليه أهل السُنة والجماعة.

قوله: **(وَهَجْرُهُم وَمُبايَنَتِهِم)**: هذا الذي عليه أهل السُنة، فإنهم يتقون سائر الشرور، فمما ذهبوا إليه ما ذكره الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مجُانبة أهل الأهواء والضلالة وهجرهم ومُباينتهم.



٦- وقال ابن قُدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ومن السُّنة: هُجرانُ أهلِ البدعِ، ومُبَاينتهم، وَترك الجدال والخصومات في الدِّين، وَترك النظر في كتب المُبتدعة وَالإصغاءُ إلى كلامهِم، وَكلُّ محدثةٍ في الدِّين بِدعة).

وهذا مما سار عليه من مضىٰ من أهل السُنة: هجران أهل البدع، وهكذا ترك الجدال معهم والخصومات، وهكذا ترك النظر في كُتب أهل البدع والأهواء، فمن أراد الخير والهداية فعليه بكتب أهل السُنة ففيها الخير وفيها الهداية، وفيها العلوم النافعة، فيقرأ الشخص في كُتب أهل السُنة ويستفيد، ويقرأ بأمان؛ لأنها كُتب سُنة كُتب خير وكُتب هداية، وإذا قرأ في كُتب أهل البِدع والأهواء فإنه يُصيبه الشك في كثير من الأمور، ويَضِل في بعض المسائل التي يظنها أنها هي الحق وهي عين الباطل؛ فلهذا يبتعد الإنسان حتىٰ عن كُتب أهل البدع والأهواء ويكتفي بكُتب أهل السُنة ففيها




الخير والهداية، وهكذا يترك الإصغاء إلىٰ كلام أهل البدع والأهواء فإن هذا مما سار عليه من مضىٰ من أئمة السلف.

٧- قال أبو عبد الله المرداوي في منظومته:

وَهِجْرَانُ مَنْ أَبْدَى الْمَعَاصِيَ سُنَّةٌ ... وَقَدْ قِيلَ إنْ يَرْدَعْهُ أَوْجِبْ وَأَكِّدْ

وَقِيلَ: عَلَى الْإِطْلَاقِ مَا دَامَ مُعْلِنًا ... وَلَاقِهِ بِوَجْهٍ مُكْفَهِرٍّ مُرَبَّدِ

قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا: (وَهِجْرَانُ) مَصْدَرُ هَجَرَهُ هَجْرًا بِالْفَتْحِ وَهِجْرًا بِالْكَسْرِ صَرَمَهُ قَالَ فِي النِّهَايَةِ: الْهَجْرُ ضِدُّ الْوَصْلِ يَعْنِي صَرْمَ وَقَطْعَ (مَنْ) أَيْ إنْسَانٍ مُكَلَّفٍ (أَبْدَى) أَيْ أَظْهَرَ وَأَعْلَنَ ذَلِكَ الْمُكَلَّفُ (الْمَعَاصِيَ) جَمْعُ مَعْصِيَةٍ وَهِيَ مَا يُعَابُ فَاعِلُهَا ضِدُّ الطَّاعَةِ. وَلَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِ الْمَعَاصِي فِعْلِيَّةً أَوْ قَوْلِيَّةً أَوْ اعْتِقَادِيَّةً (سُنَّةٌ) مِنْ سُنَنِ الْمُصْطَفَى يُثَابُ الْإِنْسَانُ عَلَى فِعْلِهَا حَيْثُ كَانَ الْهَجْرُ لِلَّهِ تَعَالَى وَغَضَبًا لِارْتِكَابِ مَعَاصِيهِ أَوْ لِإِهْمَالِ أَوَامِرِهِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –: إذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِذَلِكَ لَمْ يَأْثَمْ إنْ جَفَاهُ حَتَّى يَرْجِعَ، وَإِلَّا كَيْفَ يَتَبَيَّنُ لِلرَّجُلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَرَ مُنْكَرًا وَلَا جَفْوَةً مِنْ صَدِيقٍ. وَقَدْ هَجَرَ النَّبِيُّ – ﷺ – كَعْبًا وَصَاحِبِيهِ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِهَجْرِهِمْ خَمْسِينَ يَوْمًا. وَهَجَرَ نِسَاءَهُ شَهْرًا. وَهَجَرَتْ سَيِّدَتُنَا عَائِشَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – ابْنَ أُخْتِهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ – رضي الله عنهما – مُدَّةً. وَهَجَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ الصَّحَابَةِ وَمَاتُوا مُتَهَاجِرِينَ – رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ –.

أَمَّا هِجْرَانُ النَّبِيِّ – ﷺ – كَعْبًا وَصَاحِبَهُ وَهُمَا (مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ) الْعَامِرِيُّ وَ (هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ) الْوَاقِفِيُّ فَلِتَخَلُّفِهِمْ عَنْهُ – ﷺ – فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

وَأَمَّا هِجْرَانُهُ أَهْلَهُ شَهْرًا فَلِكَلَامٍ أَغْضَبَهُ – ﷺ – مِنْ طَلَبِ بَعْضِ أُمُورٍ وَشُئُونٍ مِنْهُ حَتَّى أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّرَهُنَّ، فَخَيَّرَهُنَّ فَاخْتَرْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ





قوله: (وَهِجْرَانُ مَنْ أَبْدَىٰ الْمَعَاصِيَ سُنَّةٌ): فعله النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفعلها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قوله: (وَقَدْ قِيلَ إِنْ يَرْدَعْهُ أَوْجِبْ وَأَكِّدْ): ويقال أيضًا: (أَوْجَبُ وَآكَدِ)، فإنه أوجب مما مضىٰ، وآكد مما مضىٰ، فإذا كان يرتدع صاحب المعصية بالهجر فإن هذا الهجر أوجب؛ لما فيه من المصالح الشرعية فيكون أوجب وآكد.

قوله: (وَلَاقِهِ بِوَجْهٍ مُكْفَهِرٍّ مُرَبَّدِ): أو يقال: (مُرْبَدِ) بالتخفيف، بمعنىٰ: متغير.

فعلىٰ كُلٍ: كلام المرداوي رَحِمَهُ اللَّهُ في شأن أصحاب المعاصي، وشأن أهل البِدع أشد من هذا، والمصلحة كما عرفنا موجودة باستمرار فيما يتعلق بأهل البِدع والأهواء انزجروا أو لم ينزجروا وهي مصلحة التوقي، تقي نفسك من شر أهل البدع والأهواء.



قوله: (وَإِلَّا كَيْفَ يَتَبَيَّنُ لِلرَّجُلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَرَ مُنْكَرًا وَلَا جَفْوَةً مِنْ صَدِيقٍ): أو يقال: (مُنكِرًا)، يعني: فكيف يعلم الإنسان أنه وقع في خطأ إذا كان يُجامل ولا يُنكر عليه، فكثير من الناس لا يعرف ما هو فيه من الخطأ إلا بالإنكار عليهم؛ لكثرة الجهل ولتهاون كثير من الناس في الحدود الشرعية.

قوله: (وَقِيلَ: عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ مَا دَامَ مُعْلِنًا) يعني: وإن لم يحصل له الردع فيُهجر.

وعلىٰ كُلٍ: الأدلة الواردة في هجر أهل البدع والأهواء وفي هجر أصحاب المعاصي كثيرة من أدلة السُنة ومن الآثار عن الصحابة الكِرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أجمعين، وهكذا أيضًا من آثار من جاء بعدهم من التابعين ومن جاء بعدهم، وكُتب السُنة مليئة بهذا الأمر، وهذا مُقرر في كُتب السُنة وهي مليئة بذلك، وقد اهتم العلماء بهذا الجانب اهتمامًا بالغًا؛ لأهميته لا سيما فيما يتعلق بأهل البِدع والأهواء.

٨- قال في عون المعبود عند حديث أبي أيوب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**لَا يَحِلّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُر أَخَاهُ فَوْق ثَلَاث**»، الحديث: (وَهَذَا فِيمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ عَتَبٍ وَمَوْجِدَةٍ أَوْ تَقْصِيرٍ يَقَعُ فِي حُقُوقِ الْعِشْرَةِ وَالصُّحْبَةِ دُونَ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي جَانِبِ الدِّينِ، **فَإِنَّ هِجْرَةَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَاجِبَةٌ عَلَى مَرِّ الْأَوْقَاتِ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ التَّوْبَةُ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ**).

وهنا يقول: (**وَاجِبَةٌ**)، فليست من الأمور المستحبة ولا من الأمور المُباحة، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع واجبة، قال: (**عَلَىٰ مَرِّ الْأَوْقَاتِ**)، وذلك كما عرفنا: أن المصلحة مستمرة في هجرهم ما لم يظهر منه التوبة والرجوع إلىٰ الحق.



وتلك الأحاديث هي ورادة في شأن العِشرة كما بيَّن: «**لَا يَحِلّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُر أَخَاهُ فَوْق ثَلَاث**»، فهذا فيما يتعلق بحقوق العِشرة، وبحقوق الصُحبة، أما ما كان من أجل الله عَزَّوَجَلَّ فإن الهجر يُشرع أكثر من ذلك إلىٰ أن تحصل التوبة، ويدخل في هذا هجر من وقع في معصية أو ترك واجبًا أو وقع في بدعة من البِدع فالهجر يستمر إلىٰ أن تحصل التوبة والرجوع إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهذا هجر من أجل الله عَزَّوَجَلَّ وهو من الأعمال الصالحة، وما قُيد بثلاث فهو في حقوق الخلق، في حقوق الصُحبة والعِشرة، أما كان من أجل الله عَزَّوَجَلَّ فيشرع أكثر من هذا وهو من الأعمال الصالحة.

٩- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: (مَنْ كَانَ مُظْهِرًا لِلْفُجُورِ أَوْ الْبِدَعِ يَجِبُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ وَنَهْيُهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ مَرَاتِبِ الْإِنْكَارِ هَجْرُهُ لِيَنْتَهِيَ عَنْ فُجُورِهِ وَبِدْعَتِهِ).

اكتفىٰ شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ بإظهار البدع والفجور في حل هجره، وإن لم يكن داعيًا بلسان المقال، فمُجرد أن يُظهر الفجور ويُظهر البِدع يجب الإنكار عليه وأقلَّ مراتب الإنكار: الهجر، وكل هؤلاء يُهجرون؛ لما في الهجر من المصالح الشرعية.

فائدة:

قال بعض السلف:

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ وَاهْجُرْ كُلَّ مُبْتَدَعٍ ... وَكُلَّ غَاوٍ إِلَى الْأَهْوَاءِ مَيَّالِ

وَلَا تَمِيلَنَّ يَا هَـذَا إِلَى بِـدَعٍ ... يَضِلُّ أَصْحَابُهَا بِالْقِيلِ وَالْقَالِ

والشاهد قوله: (**وَاهْجُرْ كُلَّ مُبْتَدَعٍ**)، فهذا هو الشاهد لإيراد المؤلف لهذه الأبيات في هذا الموضع.



ملحق:

الرد على من يقول: لا يكونُ الهّجرُ إلا إذا حصلَ نفعٌ.

أقول: النفعُ حاصلٌ من عدة وجوه:

الأول: اتباعُ السنةِ لأمر النبي ﷺ بهجر كعبَ بن مالك وصاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتى أنزلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى توبتَهم.

الثاني: تأديبُ المهجورِ وإعانتهُ على الرجوع إلى الحقِّ.

الثالث: الاقتداءُ بالسلف.

الرابع: حمايةُ السنةِ وأهلِها مما وقعَ فيه المخالفونَ.

الخامس: الرحمةُ بالمهجور؛ حتى لا يَغترَّ به الناسُ فتكثرَ أوزارُهُ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].

السادس: التميزُ عن أهلِ الباطلِ والأهواءِ الذينَ انحرفُوا عن السُنةِ.

قوله: (**الأول: اتباعُ السنةِ لأمر النبي ﷺ بهجر كعبَ بن مالك وصاحبيه** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، **حتى أنزلَ اللهُ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **توبتَهُم**): ولا شك أن اتباع السُنة فيه نفع، ومن

اتبع السُنة في أمر من الأمور فإنه ينتفع باتباعه للسُنة فيؤجر علىٰ ذلك وهذا من جُملة المنافع وهناك منافع أخرىٰ.

قوله: (**الثاني: تأديبُ المهجورِ وإعانتهُ علىٰ الرجوع إلىٰ الحقِّ**): وهذه أيضًا مصلحة من مصالح الهجر أن فيه تأديبًا للمهجور، وإذا ما أُدِبَ فإن ذلك من أسباب رجوعه إلىٰ الحق، وذلك أنَّه إذا وجد الناس نفروا عنه وهجروه وأعرضوا عنه فإنه يترك الأمر الذي وقع فيه ويرجع إلىٰ الحق، ويتوب إلىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذه من جملة المنافع والمصالح.

قوله: (**الثالث: الاقتداءُ بالسلف**): فإن هذا أمر أجمع عليه السلف والاقتداء بهم خير، والخروج عن منهجهم فيه الضرر البالغ وفيه الانحراف عن الحق والسلف أجمعوا علىٰ أهل البِدع والأهواء.

قوله: (**الرابع: حمايةُ السنةِ وأهلِها مما وقعَ فيه المخالفونَ**): فإن أصحاب البِدع إذا لم يهجروا انتشرت بدعهم في أوساط أهل السُنة، وإذا ما انتشرت ظنها من ظن من الجاهلين أنها من السُنن فيختلط الحق بالباطل، لا يحصل التمييز عند جُهَّال الناس فيقعون في البِدع وهم يظنون أنها من السُنن، وهكذا يختلط أهل البِدع بأهل السُنة فلا يحصل تمييز بين المُبتدع والسُني وهذا فيه ما فيه من الضرر، والتميُّز بين أهل الحق والباطل من المقاصد الشرعية: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، واختلاط الخبيث بالطيب مُفسدٌ للطيب كاختلاط الفاكهة التي فيها فساد بالفاكهة الصحيحة فإن الفساد ينتشر من الفاكهة الفاسدة إلىٰ الفاكهة الصحيحة فتفسد، فالابتعاد عن أهل البدع والأهواء وهجر أهل البدع والأهواء فيه حماية للسُنة ولأهل السُنة.

قوله: (**الخامس: الرحمةُ بالمهجور؛ حتىٰ لا يَغترَّ به الناسُ فتكثرَ أوزارُهُ..**): ولهذا قال من قال من السلف: نحن أرحم بهم من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم، فإن صاحب



السُنة إذا حذر من المُبتدع فهذا التحذير في الحقيقة رحمة للمبتدع، وإن كان المبتدع يتألم من هذا التحذير، ويتألم من الرد عليه ويتألم من هُجرانه مع أنه في الحقيقة رحمة به؛ وذلك أن الناس إذا ما حُذِّروا من ذلك المُبتدع نفروا عنه، وإذا نفروا عنه قَلَّ أتباعه، وإذا قل أتباعه قل وزره وهذه مصلحة عظيمة للمبتدع مع ما في ذلك من المصلحة للناس.

فالتحذير من المبتدع رحمة به حتىٰ تقل أوزاره لقلة متابعيه، فإنه كلما تبعه الناس كلما كَثُرت عليه الأوزار، وله من أوزار من أضلهم إلىٰ يوم القيامة فهي أوزار عظيمة، فإن المُبتدع إن دخل في بدعته رجل وذاك الرجل دعا إلىٰ تلك المبدعة رجلًا آخر وهكذا إلىٰ قيام الساعة فيأخذ مثل أوزار جميع أولئك الخلق، فكيف إذا أضلَّ أكثر من رجل، وفي كل طبقة من الطبقات ضلت أمم فكم له من الأوزار والآثام؟.

فإذا ما حُذِّرَ منه قَلَّ أتباعه وإذا هُجِرَ قلَّ أتباعه، وإذا قلَّ أتباعه قلت أوزاره، ففيه مصلحة له؛ فلهذا قال: (**الرحمةُ بالمهجور**)؛ حتىٰ لا يغتر به الناس فتكثُر أوزراه، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].

قوله: (**السادس: التميزُ عن أهلِ الباطلِ والأهواءِ الذينَ انحرفُوا عن السُنةِ**): وسبق الكلام علىٰ ذلك، وقد عرفنا أن التميّز فيه المصالح العظيمة، وأن اختلاط الحق بالباطل مما يؤدي إلىٰ التباس الحق بالباطل، ومما يؤدي كما عرفنا إلىٰ فساد عريض في أهل الحق، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن موالاة الكافرين: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال:٧٣]، فإذا حصلت موالاة للكفار حصلت الفتنة وانتشر الشرك والكُفر في أوساط الناس، وحصل الفساد الكبير، وهكذا إذا ما اختلط أهلُ السُنة بأهل البدعة، انتشرت البِدعة في أوساط أهل السُنة ويحصل لهم الشر والفساد الكبير.





وهكذا من جُملة المصالح التي لم يذكرها المؤلف: أن الهاجر يقيَّ نفسه من ضرر أهل البدع والأهواء، وهذه من أعظم المصالح، وكون الشخص يحمي نفسه أولىٰ من أن يُراعي مصلحة غيره فمصلحة النفس هي المُقدمة، والإنسان مأمور أن يُقدم نفسه وأن يحرص علىٰ نفسه أولًا، وإذا ما هجر أهل البِدع والأهواء فإنه يحمي نفسه من شرورهم ومن بدعهم وأهوائهم، وهذه مصلحة من المصالح العظيمة.

إذًا: هجر أهل البِدع والأهواء من المصالح العظيمة، لا يأتي شخص ويُلبس علىٰ الناس في هذا الباب، وأن الهجر ليس فيه مصلحة، بل فيه فساد وفيه مضرة؛ هذا كلام ليس صحيحًا، المصلحة والمنفعة موجودة في هجر أهل البدع والأهواء وهذا هو الأمر الملموس في واقع الناس، والشخص إذا اختلط بأهل البدع والأهواء فإنه ينحرف ويحصل الضرر علىٰ الناس باختلاطهم بأهل البدع والأهواء، وهذا الضرر حاصل بيِّن ما فيه لبس، فإذا ما اختلط الشخص بأهل البِدع والأهواء فإنه يتضرر التضرر العظيم، والمنفعة في هجرهم والابتعاد عنهم منفعة متحققة موجودة ملموسة، والواقع أكبر شاهد علىٰ هذا، فالذي يُخالط أهل البدع والأهواء تجدون فيه الأمراض الكثيرة. والأهواء المتعددة، وقلبه ممتلئ من الشبهات، فهو يسلك طريق الانحراف عن السُنة والوقوع في الباطل، هذا هو الواقع الملموس.

وشيء أجمع عليه السلف فهو الخير والهداية، فالسلف لم يجمعوا علىٰ شيء وفيه مضرة ومفسدة، أو ليس فيه مصلحة متحققة، بل هذا الأمر الذي أجمع عليه السلف هو عين المصلحة، فالمصلحة موجودة وملموسة، وخلاف ذلك مفاسد ملموسة وموجودة في واقع الناس، وأول انحراف من ينحرف ممن كان قبل ذلك متمسكًا بالسُنة هو أن يأتي ويدخل إليه الشيطان من هذا الباب: وأنه ليس هنالك مصلحة في الهجر، وأنه لا بد من تأليف أهل البدع والأهواء وإلىٰ ذلك من الشبهات التي يلقيها الشيطان في قلبه وإذا به يتساهل في هذا الباب ويقع في الخطأ شيئًا فشيئًا

حتىٰ يصير من أهل البِدع والأهواء، فيُنكر ما كان يعرف، ويعرف ما كان يُنكر هذا هو واقع المنحرفين، اشمأزوا مما كان عليه السلف من هذا المنهج الصحيح الواضح الذي فيه المصالح العظيمة وهو منهج هجر أهل البدع والأهواء، والتميُّز عن أهلِ البِدع والأهواء.

فهذا المفتاح هو مفتاح التساهل مع أهل البدع مفتاح شر وقع فيه كثير من المنحرفين الذين كانوا قبل ذلك علىٰ السُنة ثم انحرفوا، فحصل لهم التساهل في هذا الباب كما حصل بمن مضىٰ كأبي الحسن، فقد كان يتألم من هذا المنهج تألمًا شديدًا ثم انحرف مع المُنحرفين، وجاء بعده أصحاب الإبانة وصاروا يجتمعون مع أهلِ البِدع والأهواء ويُحاضرون عندهم ويبيتون عند بعضهم بعد أن كانوا مُنابذين لهم وكانوا مُبتعدين عنهم، وإذا بالتساهل في هذا الباب فيبدأ الاحتضان لهم والذهاب عندهم، وبعضهم تُجعل له الإجابة علىٰ الأسئلة وغير ذلك من الأمور، ففتحوا علىٰ أنفسهم باب الشرور فوقعوا بسبب ذلك في الانحراف عن السُنة والبُعد عن الهدي القويم، وهكذا من جاء بعدهم هو علىٰ هذا السير، فالمرض يأتي من باب التقارب مع أهل البِدع والأهواء، وعدم هجرهم، وعدم التميُّز عنهم، فهذا مفتاح الشر، فالواجب: الحذر من هذه الأمور ومن هذه الأبواب المُردية التي هي من أخصر الطُرق في الوقوع في البِدع والأهواء، والعياذ بالله.





آثارٌ عن السَّلف في التحذير من الكذبِ

قال وفقه الله:

الكذب يتنافى مع الإيمان:

قال الإمام ابن المُبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بِنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: (**إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ مُجَانِبُ الْإِيمَانِ**)[1].

الشرح:

عزاه المصنف "للزهد"، وهو أيضًا في "المُسند"، وهو صحيح عن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ**»، فالكذب يدعو إلىٰ الفجور، والفجور يشمل جميع الفساد: فهو الميل إلىٰ الباطل، والفساد، وهو شق الديانة، فالكذب يدعو إلىٰ الفجور، والفجور يدعو إلىٰ النار.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصِّدْقُ أَسَاسُ الْحَسَنَاتِ وَجِمَاعُهَا وَالْكَذِبُ أَسَاسُ السَّيِّئَاتِ وَنِظَامُهَا)، فأساس الحسنات الصدق، وأساس السيئات الكذب، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث أخبر أن الكذب يدعو إلىٰ الفجور، فجميع السيئات منشأُها من الكذب، فلا يستهين العبد بهذا الذنب فإن هذا الذنب مُفسدٌ للسان والمنطق، والمنطق إذا ما فَسُدْ فإن الفساد يحصل لغيره، وفي حديث أبي سعيد: قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ**»، أي: تخضع وتذل للسان، «**فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»، فهذا يدل علىٰ أن اللسان إذا ما فسد فالفساد يحصل للجوارح فإنه تُرجمان القلب، وفساد اللسان من فساد القلب، وإذا ما فسد اللسان فسدت

(١) "الزهد" لابن المبارك (ص٣٩٤) رقم الأثر (٦٨٧) ط. دار العقيدة.

الجوارح، فهو دليل علىٰ فساد القلب فيفسد القلب أولًا، ثم يفسد اللسان ثانيًا، ثم تتبع الجوارح اللسان، ففساد اللسان من الأمور الخطيرة، وإذا تأمل الشخص في أحوال الناس يجد علىٰ أن من كان أصدق منطِقًا فإنه أحسن عملًا، ومن كان سيء المنطق إن تأملت إلىٰ أعماله تجد أن أعماله قبيحة هذا هو الواقع، فتأمل في شخص فسد منطقه في السب واللعن والشتم والكلام القبيح ولا يتحاشىٰ في منطقه فيتكلم بالأمور القبيحة السيئة، وتأمل في أفعاله، تجد علىٰ أن أفعاله فاسدة كأقواله، وتأمل فيمن يتحرىٰ الصِدق في منطقه، وانظر في سائر أعماله تجد أن أعماله حسنة، فاللسان إذا ما فسد تفسُد الجوارح؛ فلهذا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر: «إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ»، يدعو إلىٰ جميع السيئات، فكل السيئات منشأها من الكذب وهو الذي يدعو إليها.



وأعظم السيئات: الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ والكُفر، ومنشأُ ذلك: الكذب علىٰ الله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣]، وهكذا البِدع منشأُها من الكذب: فالمبتدع يكذب في زعمه أن تلك البدعة من الدين وليست هي من الدين، وهكذا سائر الذنوب والسيئات منشأُها من الكذب، فالكذب هو أساس السيئات ونظامها، كما أن الصدق هو أساس الحسنات وجِماعُها.

ويكفي أن أكذبَّ الناس تتنزل عليهم الشياطين وهي أكذب الخلق: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ۝٢٢٣﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣]، فأكذب الخلق تتنزل عليهم الشياطين، وأصدق الناس الأنبياء والرُسل عليهم الصلاة والسلام يتنزل عليهم أصدق الخلق وهم الملائكة، فالملائكة تتنزل علىٰ الأنبياء والرُسل.

وقال الله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ [المائدة:١١٩]، وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، فذنب الكذب من الذنوب الخطيرة، وهو فساد المنطق.

وقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ مُجَانِبُ الْإِيمَانِ)، الإيمان يدعو إلىٰ محاسن الأمور، والكذب يدعو إلىٰ الفجور وإلىٰ النار، الإيمان يدعو إلىٰ الجنة، فالإيمان في جانب والكذب في الجانب الآخر، الإيمان يدعوه إلىٰ الأخلاق الحسنة والأعمال الحسنة يدعو إلىٰ مكارم الأخلاق، والكذب العكس من ذلك يدعو إلىٰ كل سيئة وإلىٰ كل شر.

والمنافقون كما هو معلوم من أبرز صفاتهم الكذب: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ..»، فالكذب أصل النفاق، وأصل الشرك، وأصل البِدع، وأصل السيئات.

قال وفقه الله:

الكذب طريقُ الهلكة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: (لَيْسَ فِيمَا دُونَ الصِّدْقِ مِنَ الْحَدِيثِ خَيْرٌ، مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ)[١].

الشرح:

عزاه لابن أبي الدنيا في "الصمت" ورواه أيضًا أبو داود في "الزُهد" وغيرهما، وهو أثر صحيح عن عُمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو بمعنىٰ حديث ابن مسعود: «فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ»، فقال: (مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ).

قال وفقه الله:

(١) "الصمت" لابن أبي الدنيا (١/ ١٩٨) رقم الأثر (٤٨٨)ط. الكتب العلمية.



تشديد السَّلف في الكذب:

١- قال الإمام البخاري: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: (**لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ فِي جِدٍّ وَلَا هَزْلٍ، وَلَا أَنْ يَعِدَ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ شَيْئًا ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ**)[١].

٢- قال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي رِزْمَةَ[٢]، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: (**أَوَّلُ عُقُوبَةِ الْكَاذِبِ مِنْ كَذِبِهِ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ صِدْقُهُ**)[٣].

٣- قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْكَاذِيُّ، قَالَ: أَخبرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ، أَخبرَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (**يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ**)[٤].

الشرح:



١- قال الإمام البخاري: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: (**لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ فِي جِدٍّ وَلَا هَزْلٍ، وَلَا أَنْ يَعِدَ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ شَيْئًا ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ**).

قوله: (**لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ فِي جِدٍّ وَلَا هَزْلٍ**): فلا يُشرع الكذب بحال، لا في جدٍ ولا في هزل، والواجب تحري الصدق في جميع الأمور.

قوله: (**وَلَا أَنْ يَعِدَ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ شَيْئًا ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ**): فإن هذا من الكذب والكذب لا يَحل، لا تكذب لا على كبير ولا على صغير، ولا تكذب حتى على الحيوان،

---

(١) "الأدب المُفرد" (ص١٤٤) رقم الأثر (٣٨٧) ط. دار الصديق.

(٢) هو محمد بن عبد العزيز.

(٣) "الصمت وآداب اللسان" رقم الأثر (٥٤٨) إسناده صحيح.

(٤) "الإبانة" برقم (٨/ ٤٣٢) ط. الكتب العلمية.

تحلىٰ بالصدق فالصدق يدعو إلىٰ البر وإلىٰ جميع الحسنات، والبِر يدعو إلىٰ الجنة، كما قال ذلك نبيُنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٢- قال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي رِزْمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: (**أَوَّلُ عُقُوبَةِ الْكَاذِبِ مِنْ كَذِبِهِ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ صِدْقُهُ**).

وهذا أثر حسن عن عبد الله بن المُبارك: (**أَوَّلُ عُقُوبَةِ الْكَاذِبِ مِنْ كَذِبِهِ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ صِدْقُهُ**): فهذه من عقوبات الكذاب: أنه إذا تكلم بالصدق رُدَّ صدقه؛ بسبب وصفه بالكذب، وذلك أنَّ السامع لا يعلم هل هذا من صدق حديثه أو من كذبه فيرد الجميع، فهذا من عقوبة الكذاب وربما يحلف الأيمان المُغلظة ولا يُقبل منه، فهذه عقوبة الكذب: أنه لا يُقبل منه الصدق ولا الكذب؛ لأنه أفسد منطقهُ فصار لا ينتفع بمنطقه فأفسده بالكذب، كالذي يُفسد بصره بشيء فيصير لا ينتفع ببصره فهذا أفسد منطقه وصار لا ينتفع به فيُكلم الناس ولا يُصدقونه؛ لأنهم لا يُميزون بين صدقه وبين كذبه، فالكذاب لا يؤتمن بشيء لا في أمور الدين ولا في أمور الدُنيا، ولا يتجه الناس إليه لا في أمر دين ولا في أمر دُنيا، في أمر الدين ظاهر، وفي أمر الدنيا فإن الناس يخافون من الكذاب، فيقول: هذه البضاعة من صفاتها كذا وكذا وهم يعرفون عنه الكذب فلا يقبلون منه ذلك، حتىٰ ولو كان صادقًا في نفس الأمر فهم لا يطمأنون لخبره؛ لأنهم قد عرفوا عنه الكذب فلو تحدث بصدق في بيعه وفي شرائه فإنهم لا يثقون به وهكذا في سائر معاملاته، فالكذاب لا يُعتمد عليه لا في أمر الدين ولا في أمر الدُنيا.

٣- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْكَاذِيُّ، قَالَ: أَخبَرنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ، أَخبَرنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: **(يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ)**.

عزاه المصنف في "الإبانة"، وقال: إسناد صحيح، وهو أيضًا في "مصنف ابن أبي شيبة" وثبت أيضًا عن ابن مسعود في "مصنف ابن أبي شيبة"، وجاء في "مُسند الإمام أحمد" مرفوعًا من حديث أبي أُمامة إلا أنه لا يصح.

قوله: **(يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَىٰ الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ)**: وهذا يدل علىٰ أن هذه الصفات من أردئ الصفات، فهي صفات لا تجتمع مع الإيمان بل هي مُجانبة للإيمان وهي: الخيانة والكذب، وإذا ما تمكنت هذه الصفات من العبد فإنه يصير من المنافقين النفاق الأكبر، فصار يقول في كل شيء ويكذب في كل شيء، وإن لم تتمكن فيه ففيه بعض خصال النفاق، فإن هذه الصفات لا تتمكن إلا في المنافقين النفاق الأكبر والعياذ بالله.



فعلىٰ كُلٍ: كلام السلف في التحذير من الكذب كثير وهكذا الأدلة في التحذير من هذا الخُلق السيء أدلة كثيرة، فالواجب: الابتعاد عن هذا الخُلق القبيح فإنه من الأخلاق الممقوتة حتىٰ عند أهل الجاهلية قبل الإسلام، ومعروف كلام أبي سفيان: أنه خشىٰ أن تؤثر عليه كذبة، وهو كان في الجاهلية قبل إسلامه، ولولا هذا الأمر لكذب علىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعلىٰ المؤمنين، لكن يرىٰ أن هذا من العيوب والمخازي عليه فقد كانوا في الجاهلية قبل الإسلام لا يُحبون الموصوف بالكذب ويحتقرونه ويُعظمون صاحب الصدق.

قال وفقه الله:

ثمرةُ الصدق والبُعد عن الكذب:

في ترجمة رِبعي بن حراش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كُوفي تَابعي ثِقة، وَيقال: إنه لم يَكذب كذبةً قط، كَانَ ابنان له عاصيان زَمن الحجاج فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبةً قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه فقَالَ: أين ابناك؟ قَالَ: هُما فِي البيت، قَالَ: قَدْ عفونا عنهُما بِصدقك**)[1].

الشرح:

قوله: (**كَانَ ابنان له عاصيان**): والمُراد بالعصيان هنا: عصيان أولياء الأمور.

قوله: (**قَدْ عفونا عنهُما بِصدقك**): فالصدق لا ينال العبد به إلا الخير: «**الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ**»، والصدق نجاة، وفي مراسيل منصور بن المعتمر: أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**تَحَرَّوُا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَاجْتَنِبُوا الْكَذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ**»، رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الصمت" وفي "مكارم الأخلاق"، هو مُرسل من مراسيل منصور بن المعتمر لكن معناه حسن جميل وإن لم يثبت عن النبي عيله الصلاة والسلام.

فالصدق نجاة كما في هذه القصة، حصلت النجاة لابني ربعي بن حراش بسبب صدق أبيهما قال الحجاج له: (**أين ابناك؟**)، وهو يُريد بهما الشر، فصدق وقال: (**هُما فِي البيت، قَالَ: قَدْ عفونا عنهُما بِصدقك**)، صدقه مع أنَّ الكذب في هذا الموطن يُشرع، وقد يجب إذا لم يتمكن الشخص من المعاريض، وكان هناك من يطلب شخصًا ظُلمًا وبغيًا يُريد أن يسفك دمه مثلًا، فإن جاء شخص وقال: هل فلان في البيت فضاقت علىٰ الشخص المعاريض فلم يستحضر في ذلك الوقت المعاريض فما عنده إلا الصدق أو الكذب الصريح، فهنا يكذب وله العُذر فإن المصلحة ها هنا

(١) "تاريخ بغداد" (٨/ ٤٣٢) ط. الكتب العلمية.

أعظم من المفسدة، فمفسدة الكذب بجانب مفسدة انتهاك حُرمة الدماء أهون، والأصل أن الإنسان يستعمل المعاريض لكن قد تضيق بالشخص المعاريض فلا يستحضر المعاريض بسبب مباغتة الأمر له، والمعاريض تحتاج إلىٰ شيء من التأمل والنظر، وقد تضيق علىٰ الشخص في بعض الأوقات، ولا يجوز للمرء أن يدل علىٰ فلان من الناس؛ لأن هذه الدلالة تؤدي إلىٰ سفك دمه والكذب أهون من سفك الدماء، فإن كذب الشخص في مثل هذا الموضع فله العُذر الشرعي؛ لأن هذا الكذب وسيلة إلىٰ حماية الدماء المُحرمة، والصدق في هذا الموضع من أسباب سفك الدماء المُحرمة وحُرمة الدماء أعظم، والمعاريض كما قُلنا إن تيسرت فهي المقدمة.

ومثال المعاريض: كأن يقول له: هل عندك فلان؟ فيقول: ليس هاهنا فلان ويُشير إلىٰ جيبه يُريد أنه ليس فيه جيبه، والسامع يظن أنه ليس في البيت، وهو في هذا المثال استعمل المعاريض عن طريق الإشارة.

وهكذا إذا قال الظالم لشخص: هل رأيت فلانًا، فقال: ما رَأيته بمعنىٰ: ما ضربته في رئته، فإن هذا من المعاريض المستقيمة كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



والذي ينبغي للشخص أن لا يستعمل المعاريض إلا فيما لا بُدَّ منه، وذلك أن الشخص إن توسع في المعاريض رُميَّ بالكذب، فلا يظن الناس فيه أنَّه يستعمل المعاريض، بل يقولون: فلان كذاب فيُرمىٰ بالكذب، فلهذا فلا ينبغي للشخص أن يستعمل المعاريض إلا فيما لا بُدَّ منه، فإذا كان بين أمرين إما الكذب الصريح وإما المعاريض فالمعاريض أهون من الكذب الصريح، ولا يستعملها في حقوق الناس فإن هذا لا ينفعه، فلا يستعمل المعاريض من أجل أن يفر من حقوق الناس فهذا لا يجوز، ولا تنفعه المعاريض في هذه المواضع.

فعلىٰ كُلٍ: الصدق نجاة، فيتحدث الإنسان ويتكلم بالصدق ويأتيه الفرج من الله عَزَّوَجَلَّ، المهم لا يتسبب بالإضرار بالغير، أما إذا كان يتسبب في سفك دماء الغير فلا، يستعمل المعاريض فإن لم يتمكن فالكذب أهون من سفك الدماء المُحرمة.

أكذب الطوائف:

١- قال الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْقَطِيعِيُّ، أنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَرْذَعِيُّ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، أَخْبَرَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: (**لَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ أَشْهَدَ بِالزُّورِ مِنَ الرَّافِضَةِ**)[(١)].

٢- وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَيْسَ فِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ أَكْثَرُ كَذِبًا مِنَ الرَّافِضَةِ**)[(٢)].

٣- قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتحدث عن الرافضة: (**بل الكذبُ شِعارُهُم، والتُّقِيةُ وَالنِفَاقُ دِثارُهُم**)[(٣)].

٤- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالرَّافِضَةُ أَشَدُّ بِدْعَةً مِنَ الْخَوَارِجِ، وَهُمْ يُكَفِّرُونَ مَنْ لَمْ تَكُنِ الْخَوَارِجُ تُكَفِّرُهُ، كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَيَكْذِبُونَ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - كَذِبًا مَا كَذِبَ أَحَدٌ مِثْلَهُ**)[(٤)].

فائدة بُغضُ السلف للرافضة:

قال ابن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: (**لَوْ كَانَتِ الشِّيعَةُ مِنَ الطَّيْرِ كَانُوا رَخَمًا**[(٥)]**، وَلَوْ كَانُوا مِنَ الدَّوَابِّ كَانُوا حَمِيرًا**)[(٦)].

من تحزب كذب:

---

(١) "الكفاية" برقم (٣٣٦) وإسناده صحيح.

(٢) "منهاج السُنة" (٤/ ٨٧).

(٣) "ميزان الاعتدال" (٣٩٥) ط. دار ابن الجوزي.

(٤) "مختصر منهاج السُنة" (٣٩٥) ط. دار ابن الجوزي.

(٥) الرَخَمَةُ: طائر أبقع يُشبه النسر في الخِلقة، ومن صفاتها: الحماقة، واللؤم، وقيل: أنها من أقذر الطيور؛ لأنها تأكل العَذِرة. انظر "حياة الحيوان الكُبرى".

(٦) "الطبقات" (٦/ ٢٦١).

قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَامت الحزبيةُ عَلَىٰ الكَذبِ وَالخِداعِ والتَلبيسِ)[1].

الشرح:

قوله: (قَامت الحزبيةُ عَلَىٰ الكَذبِ وَالخِداعِ والتَلبيسِ): والأمر كما ذكر الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالحزبية قامت علىٰ هذه الأمور: الكذب، والخداع، والتلبيس، لا يتحاشون من الكذب، وهكذا الخداع والتلبيس فهذا هو دينهم، وهذا شأن من تحزب فإذا وقع في التحزب ترىٰ منه العجائب، فترىٰ الخداع والتلبيس، والمكر والكيد، والكذب والعياذ بالله.

والحزبية خراب للأخلاق، وخراب للدين، فيكون الشخص عنده الخُلق الحسن، وإذا ما تحزب ترىٰ منه العجائب من سوء الأخلاق ومن الكلام القبيح والفعل القبيح، وغير ذلك من الصفات السيئة.



ملازمة الصدق من صفات المؤمنين:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْفَارِقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ هُوَ الصِّدْقُ فَإِنَّ أَسَاسَ النِّفَاقِ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ هُوَ الْكَذِبُ)[2].

الشرح:

الكذب أساس النفاق، والصدق أصل من أصول الخير، فهو أصل النبوة فالأنبياء هم أصدقَّ الخلق، ويتنزل عليهم الصادقون وهم الملائكة، والكذاب لا يكون نبيًا، والصدق أيضًا أصل الشهادة، فلا تُقبل شهادة من كان معروفًا بالكذب، وهو أصل الرواية فلا تُقبل رواية من عُرِفَ بالكذب، فالصدق أصل من أصول الخير، وإذا نظرنا في كثير من الخير نجد علىٰ أن الصدق هو الأصل في كثير من أمور الخير، والكذب

---

(١) "حكم تصوير ذوات الأرواح" (ص٣) ط. دار الآثار.

(٢) "مجموع الفتاوىٰ" (٢/ ٧٦) ط. مكتبة الرشيد.

هو أصل الشر، وأصل النفاق، وأصل الكُفر، وأصل الشرك، وأصل البِدع والأهواء، وأصل التنبؤ وهم الذين يدعون النبوة، فهو أصل لكل شر، فالكذب يهدي إلىٰ الفجور، والفجور يهدي إلىٰ النار، والصدق يهدي إلىٰ البِر، والبِر يهدي إلىٰ الجنة.

قال وفقه الله:

منزلة الصدقِ:

١- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَدْرَكْنَا المشايخَ يَقُولُونَ: الصِّدْقُ سَيْفُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَمَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ**)[1].

٢- وقد أحسن من قال:

إِذا مـا المَرءُ لَم يَحفَظ ثَلاثـًا ... فَبِعهُ وَلَو بِكَفٍّ مِن رَمادِ
سَلامَةُ صَدرِهِ والصِّدقُ مِنهُ ... وَكِتمانُ السَرائِرِ في فُـؤادِ

٣- وَذُكِرَ للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصدقُ والإخلاصُ، فقال: (**بِهَذَا ارْتَفَعَ الْقَوْمُ**)[2].

الشرح:

١- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَدْرَكْنَا المشايخَ يَقُولُونَ: الصِّدْقُ سَيْفُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَمَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ).

وهذا نقله شيخ الإسلام عن ذي النون.

فالصدق له قوته، والصادق له قوته وصولته، والحق داخل في مُسمىٰ الصدق وهو أصدق الصدق: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨]، فأصل الحق الصدق، وأصل الباطل الكذب.

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٢/ ٧٦) ط. مكتبة الرشيد.
(٢) "الآداب الشرعية" (٢/ ٥٨) ط. مؤسسة الرسالة.

فأهل الصدق هم المنصورون فإن الصدق أصل الإيمان، والله عَزَّوَجَلَّ جعل النُصرة لعباده المؤمنين: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، فالقوة والمكنَّة للصدق ولأهل الصدق، والرِفعة والعلو والشرف للصدق ولأهل الصدق.

والكاذب مهين: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾ [القلم:١٠]، فهو يكذب ويؤكد كذبه باليمين، فالكذاب مهين حقير ما له قيمة عند ربه ولا عند الناس، والصادق رفيع عند ربه وعند الناس.



٢- وقد أحسن من قال:

إِذا مـا المَرءُ لَم يَحفَظ ثَلاثـاً ... فَبِعهُ وَلَو بِكَفٍ مِن رَمادِ
سَلامَةُ صَدرِهِ والصِّدقُ مِنهُ ... وَكِتمانُ السَرائِرِ في فُـؤادِ

قوله: (فَبِعهُ وَلَو بِكَفٍ مِن رَمادِ): أي ليس له كبير شأن ولا قيمة.

قوله: (سَلامَةُ صَدرِهِ): من الغل، والحسد، والنفاق وغير ذلك من الأمراض المُهلكة.

قوله: (والصِّدقُ مِنهُ): وهذا محل الشاهد.

قوله: (وَكِتمانُ السَرائِرِ في فُـؤادِ): لا يُفشي السِر إذا ما أُسِرَ له بحديث كتمه.

٣- وَذُكِرَ للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصدقُ والإخلاصُ، فقال: (بِهَذَا ارْتَفَعَ الْقَوْمُ).

يعني: الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين رفعهم الله عَزَّوَجَلَّ بالصدق والإخلاص، فمن أراد أن يرفعه الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا والآخرة فعليه بهاتين الصفتين: الصدق، والإخلاص.

من آثار السَّلفِ في العنايةِ بالصلاة على السُنةِ

قال وفقه الله:

حرصُ الصحابةِ على أداءِ العبادة على السُنّة:

قال الإمام البخاري: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (**إِنِّي لاَ آلُو أَنْ أُصَلِّيَ بِكُمْ، كَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي بِنَا**) – قَالَ ثَابِتٌ: **كَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَصْنَعُ شَيْئًا لَمْ أَرَكُمْ تَصْنَعُونَهُ** – "**كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَامَ حَتَّى يَقُولَ القَائِلُ: قَدْ نَسِيَ، وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّى يَقُولَ القَائِلُ: قَدْ نَسِيَ**)[1].

الشرح:

قوله: (**إِنِّي لاَ آلُو أَنْ أُصَلِّيَ بِكُمْ**): بمعنىٰ: لا أقصر ولا أدع جهدًا في الاقتداء بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وفي هذا: ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين من الحرص علىٰ الاقتداء بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صلاته، وكانوا يحرصون علىٰ الاقتداء بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في كل شيء، والصلاة من أعظم الأمور.

قوله: (**قَالَ ثَابِتٌ: كَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَصْنَعُ شَيْئًا لَمْ أَرَكُمْ تَصْنَعُونَهُ**): وهذا يدل علىٰ أن هذا الأمر وهو قصر رُكن الاعتدال، وهكذا رُكن الجلوس بين السجدتين من الأمور القديمة، وأن هذه السُنة كانت في ذاك الزمن القديم قد ضاعت عند كثير من الناس، لا أعني عدم الطمأنينة وإنما التخفيف في هذين الرُكنين: رُكن الاعتدال من الركوع، ورُكن الجلوس بين السجدتين، فهذا أمرٌ لم يكن معروفًا عند الكثير في ذاك الزمن وهو زمن التابعين.

---

[1] "صحيح البخاري" (٨٢١).

قوله: (كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَامَ حَتَّىٰ يَقُولَ القَائِلُ: قَدْ نَسِيَ، وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّىٰ يَقُولَ القَائِلُ: قَدْ نَسِيَ): أي: من طول المكث في هذين الركُنين، أما الناس في هذه الأزمان فلا يكاد الواحد منهم يطمئن في هذين الرُكنين، وعدم الطمأنينة في هذين الركنين مُطبل للصلاة، فما أن يرفع رأسهُ من الركوع إذا به يّخرُ ساجدًا، وما أن يرفع رأسه من السجدة الأولىٰ إذا به يسجد السجدة الثانية من غير طمأنينة في رُكن الاعتدال ولا في رُكن الجلوس بين السجدتين، والصلاة تبطل بذلك.

قال وفقه الله:

الصلاة لا تنفعُ إلا إذا كانت على السُنة:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا أَتَى بِهَا كَمَا أُمِرَ نَهَتْهُ عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَإِذَا لَمْ تَنْهَهُ دَلَّ عَلَى تَضْيِيعِهِ لِحُقُوقِهَا، وَإِنْ كَانَ مُطِيعًا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: ٥٩]، الْآيَةَ. وَإِضَاعَتُهَا التَّفْرِيطُ فِي وَاجِبَاتِهَا، وَإِنْ كَانَ يُصَلِّيهَا)[١].



الشرح:

قوله: (**الصلاة لا تنفعُ إلا إذا كانت على السُنة**).

بمعنىٰ: أنهُ لا يحصل له منها النفع التام من حيث كون الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمُنكر، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ﴾ [العنكبوت:٤٥]، فالصلاة تنهىٰ عن الفحشاء وتنهىٰ عن المُنكر فهذه هي الصلاة الكاملة التامة التي هي علىٰ وِفق السُنة، وإذا حصل التقصير في هذا الباب فهو للتقصير في الصلاة، وإلا فإن الصلاة كما أخبر الله عز جل: ﴿إِنَّ

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٣/ ٥٤١) ط. الرشد.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت:٤٥]، فإذا لم يحصل ذلك، أو حصل قصور في نهيها عن الفحشاء والمُنكر فهو من جهة المُصلي، فلا بد أن يكون قد ضيع شيئًا من حقوقها أو واجباتها، وإلا فإنَّه إذا صلىٰ المُصلي كما أمرَّ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ وِفق سُنة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنها تنهاهُ عن كل فحشاء وعن كُل مُنكر، فالمصلي قريب من ربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والصلاة فيها إقامة لذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وتورث الخشية من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ومن أكثر من ذِكر ربه في صلاته أورثته الصلاة الخشية من الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا خشىٰ العبد رَبَّه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ابتعد عن كل الذنوب والمعاصي فنهته صلاته عن الفحشاء والمُنكر، إذا دخل العبد في صلاته وأداها كما أمرَّ الله عَزَّوَجَلَّ وكان مستحضرًا لما فيها من الذِكر والمعاني وكان مُعظمًا لربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فيها في ركوعه مُسبحًا لربه في سجوده، مستشعرًا لما يقرأ من القرآن وما يأتي به من الذِكر فإن من كان كذلك أورثته هذه الصلاة الخشية لله عَزَّوَجَلَّ فنهته صلاته عن الفحشاء والمُنكر: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ﴾ [العنكبوت:٤٥]، ذِكرُ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أكبر أي: أن الصلاة لها فائدتان:



الفائدة الأولىٰ: أنها تنهىٰ عن الفحشاء والمُنكر.

والفائدة الثانية: أن فيها إقامة لِذِكر الله.

وأيهما أعظم الفائدتين وأكبر الفائدتين؟

الجواب: كون الصلاة فيها إقامة لِذِكر الله عَزَّوَجَلَّ هذا هو أكبر الفائدتين، هذا الذي حرره شيخ الإسلام ابن تيمية في معنىٰ الآية؛ فإنَّ ذِكر الله عَزَّوَجَلَّ في الصلاة أكبر من كون الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمُنكر.

قوله: (**وَإِنْ كَانَ مُطِيعًا**): أي: بأدائها من حيث الجُملة.



قوله: (**وَإِضَاعَتُهَا التَّفْرِيطُ فِي وَاجِبَاتِهَا، وَإِنْ كَانَ يُصَلِّيهَا**): أي: ما تركها بالكلية، ومن أهل العلم من فَهِمَ الترك بالكلية، واحتج بذلك: علىٰ كُفر تارك الصلاة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [مريم:٦٠]، فدلَّ علىٰ أنه لم يكن مؤمنًا وأنه كان من الكافرين فيكون التضييع الذي حصل منه هو ترك الصلاة بالكلية.

والسلف كان لهم العناية البالغة في أمر الصلاة؛ لأهمية الصلاة فهي أعظم رُكن من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي فارقة بين المُسلم وبين الكافر والمُشرك، وقد ألفَّ العُلماء الكُتب الكثيرة في بيان هذه العبادة وفي بيان فضائلها وبينهم الحافظ المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "تعظيم الصلاة".

وذكر أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنهم كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا الحديث من شخص نظروا في صلاته، فإن أحسنها أخذوا عنه الحديث، وأن لم يُحسنها تركوه وابتعدوا عنه ورأوا بأنه ليس بأهل لأن يؤخذ عنه الحديث، فكانوا يختبرون الناس بهذه العبادة العظيمة عبادة الصلاة.



قال وفقه الله:

فائدة:

العبرةُ ليست بكثرة العبادة، بل بكونها على السُنة بعيدة عن البدعة:

قال الإمام محمدُ بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَثنا يَحْيَى، حدَثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: (**الِاقْتِصَادُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي بِدْعَةٍ**)[1].

الشرح:

(١) "السنة" برقم (٧٦) وإسناده صحيح، وأخرجه الألكائي برقم (١٣، ١٤، ١١٤).

قوله: (العبرةُ ليست بكثرة العبادة، بل بكونها علىٰ السُّنة بعيدة عن البدعة): والأمر كذلك، فالعبرة: أن يكون عمل العبد صوابًا: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾ [الملك:٢]، فيكون فيه الإخلاص والمُتابعة، ولم يقل الله عَزَّوَجَلَّ: (ليبلوكم أيكم أكثرُ عملًا) ذكر: ﴿أَحْسَنُ﴾ ، فالعبرة هو حُسْنُ العمل، وحُسن العمل يكون بالإخلاص والمتابعة.

قوله: (الِاقْتِصَادُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي بِدْعَةٍ): والأمر كما قال، عمل قليل علىٰ وفِق السُنة يَنال العبد به الأجر العظيم، وعمل كثير مع البِدعة مردود علىٰ صاحبه وينال الإثم العظيم، فالاقتصاد في السُنة خير من الاجتهاد في البدعة.

والخوارج كان عندهم من الاجتهاد في العبادة الشيء الكثير لكنَّهم ما انتفعوا بتلك العبادات ولا أثرت فيهم.

قال وفقه الله:

عدم العناية بالصلاة من شأن المنافقين:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إلَّا قَلِيلًا»: (فَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُنَافِقَ يُضَيِّعُ وَقْتَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ وَيُضَيِّعُ فِعْلَهَا وَيَنْقُرُهَا فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى ذَمِّ هَذَا وَهَذَا وَإِنْ كَانَ كِلَاهُمَا تَارِكًا لِلْوَاجِبِ. وَذَلِكَ حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ فِي أَنَّ نَقْرَ الصَّلَاةِ غَيْرُ جَائِزٍ وَأَنَّهُ مِنْ فِعْلِ مَنْ فِيهِ نِفَاقٌ. وَالنِّفَاقُ كُلُّهُ حَرَامٌ)[١].

الشرح:

قوله: (**عدم العناية بالصلاة من شأن المنافقين**).

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٣/ ٥٤١) ط. الرشد.

كما أن العناية بالصلاة من شأن المؤمنين، فعدم العناية بالصلاة من شأن المنافقين.

فشأن المنافقين: أنَّهم ليس عندهم عناية بالصلاة؛ لعدم إيمانهم، والله يقول: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، وهم ليسوا كذلك، فالمنافقون عندهم تضييع للصلاة، وتضييع للواجبات، وتضييع للشروط.

وفي حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي ذكره المؤلف في "مُسلم"، ذكر النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ شيئًا من ذلك: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ»، فهذا تضييع للوقت الواجب، ومعلوم أن وقت الاختيار الواجب لصلاة العصر إلىٰ اصفرار الشمس، وما بعد ذلك وقت ضرورة، فمن أخر الصلاة إلىٰ ذلك الوقت ففيه شبه بالمنافقين فهم يؤخرون الصلاة عن الوقت الواجب فلا يهتمون بالمواقيت.



وهكذا قال: « قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا»؛ فهم لا يطمئنون في صلاتهم وهذا من تضييع المنافقين لركن من أركان الصلاة، فهذا الحديث يدل علىٰ عدم عنايتهم بالصلاة فهم يؤخرونها عن وقتها ولا يطمأنون فيها، وهكذا «لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»، كل هذا من صفاتهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤]، فذكر الله عَزَّوَجَلَّ من صفاتهم: الكسل، فهم لا يقومون إلىٰ الصلاة بنشاط؛ لأنهم لا يرجون ثوابها فما عندهم إيمان، فإذا قاموا إليها قاموا وهم في غاية الكسل، وإذا قاموا إليها راؤوا فيها؛ لعدم إيمانهم، فيراؤون في فعلها يُريدون الثناء من الناس، لا يُريدون الجزاء من ربِّ العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لعدم إيمانهم، ولا يذكرون الله إلا قليلًا، فهذا من تضييع المنافقين وعدم عنايتهم بشأن الصلاة.

وفي الحديث المشهور عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَالْفَجْرِ**»، فيتخلفون عن هاتين الصلاتين، ويتخلفون عن الجماعة عمومًا، ويتلاعبون في صلاة الجماعة، وفي الحديث المشهور عن ابن مسعود: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ)، أي: الذي يتخلف عن صلاة الجماعة، ولا سيما صلاة الصُبح وصلاة العشاء، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (**كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ أَسَأْنَا بِهِ الظن**)، يخشون أن يكون من المنافقين، وإساءة الظن في هذا الموضع مبني علىٰ حُجة، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، ولم يقل: (اجتنبوا الظن)، أي: بالكلية، ولم يقل: (إن الظن إثم)، لكن قال: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ، وبعض الظن ليس بإثم، والمُراد بذلك أنَّ التهمة إن كانت مبنية علىٰ حُجة فليست بإثم.

وقد بيِّن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أن المنافقين يتخلفون عن صلاة العشاء وعن صلاة الصُبح، فإذا كان الشخص هذا ديدنه في هاتين الصلاتين فإنه يُساء به الظن، وإساءة الظن مبنية علىٰ حُجة شرعية علىٰ حديث من أحاديث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا إذا كان يتخلف تخلفًا مستمرًا أو غالبًا، أما الشيء النادر هذا لا يخلو منه أحد فقد يغلب النوم علىٰ الشخص فلا يشهد صلاة الفجر في بعض الأوقات من غير تقصير منه ولا تفريط، فلا يكاد أحد يسلم من مثل هذا الأمر.

فعلىٰ كُلٍ: العناية بالصلاة من شأن المؤمنين، وعدم العناية بالصلاة من شأن المنافقين، فهذه الصلاة مما يهتم بها الاهتمام البالغ؛ لما فيها من الفضائل العظيمة والخيرات: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، فمن خشع فيها سَهُلت عليه وإلا

فهي كبيرة في حق من لم يكن من الخاشعين: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، فكم فيها من الفضائل وكم فيها من الخيرات.

قال وفقه الله:

الخشوع في الصلاة:

قال أبو عبد الله المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: **(كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرَ الرَّجُلُ فِي صَلَاتِهِ إِلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِ)**(١).

الشرح:

قوله: (**الخشوع في الصلاة**).

والمُراد بالخشوع في الصلاة: حضور القلب وسكون الجوارح، فيكون القلب حاضرًا لأمر الصلاة لأذكارها ولأركانها، وهكذا تكون الجوارح ساكنة ولا تكون مضطربة، والخشوع في الصلاة من الواجبات علىٰ الصحيح من أقوال العُلماء؛ لأن الله عز جل علقَّ عليه الفلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون:١-٢]، وهذا فيما يتعلق بالخشوع في الصلاة، وأما الخشوع لله عَزَّوَجَلَّ عمومًا فهو من الواجبات العِظام: وهو أن يكون العبد لربه من الخاشعين أي من المنقادين بالمسكنة والذُل لحكم الله عَزَّوَجَلَّ الشرعي ولقضائه وقدره الكوني.



قوله: **(كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرَ، الرَّجُلُ فِي صَلَاتِهِ إِلَىٰ مَوْضِعِ سُجُودِهِ)**: أي: أن هذا من أسباب الخشوع، وإن كان هذا مما لا يجب علىٰ ما سبق ذِكره في درس "صفة الصلاة"، لكن كما عرفنا أن قصر النظر من أسباب الخشوع إذا كان هنالك ما يلهي

(١) "تعظيم قدر الصلاة" (ص١٣٠) رقم (١٤٥)ط. دار الفضيلة.

الشخص إذا مدَّ بصره، فقصر النظر من الأمور المطلوبة، ومدَّ البصر كما عرفنا لمُشاهدة الإمام قد دلت علىٰ ذلك الأدلة، وتفاصيل هذه المسألة قد مرت معنا في "شرح صفة الصلاة".

قال وفقه الله:

الإخلاص في الصلاة:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ: (**لَأَنْ تُقْبَلَ لِي صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَمِيعِ الدُّنْيَا قَالَه بن عُمَرَ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾** [المائدة:٢٧])[1].



الشرح:

قوله: (**الإخلاص في الصلاة**).

والإخلاص كما هو معلوم واجب في سائر الأعمال، والعمل الذي ليس فيه إخلاص مردود علىٰ صاحبه.

قوله: (**لَأَنْ تُقْبَلَ لِي صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَمِيعِ الدُّنْيَا**): فإذا عَلِمَ أن الله عَزَّوَجَلَّ تقبل منهُ صلاةً واحدة فإنه حينئذ يكون من المتقين، فهذا أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها، والأمر كذلك فهذه الفضيلة خيرٌ من الدنيا وما فيها.

قوله: (**لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾** [المائدة:٢٧]): والآية لا تدل علىٰ مُجرد الإخلاص فقط، بل تدل علىٰ الإخلاص والمتابعة وهُما شرطا قبول العمل، فالإخلاص والمُتابعة يدخلان في معنىٰ الآية، وذلك أنَّ أحد معاني هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]، أن من اتقىٰ ربهُ سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في عَمل قَبِلَهُ

(١) "الفتح" (١/ ٣٠٩) ط. دار السلام.

منه، وإنما يتقي العبد ربهُ بالعمل إذا حقق الإخلاص والمُتابعة، فإذا أخلصَّ العبد في عمله وتابع هدي رسول الله ﷺ فقد اتقىٰ ربه في ذلك العمل.

ومن اتقىٰ ربه في عمل قَبِلهُ الله منه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

والآية ﴿مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ إمَّا أن تُحمل علىٰ معنىٰ: في ذلك العمل، فمن كان متقيًا في عمل مُعين قَبِلهُ الله منه، وتقوىٰ الله في العمل: أن يعمل العمل مُخلصًا لوجه الله عَزَّوَجَلَّ ومُتابعًا لهدي رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



وإمَّا أن تحمل علىٰ ما هو أوسع من ذلك وهو أنَّ الله تعالىٰ لا يقبل عمل أحداً حتىٰ يكون من المتقين لله تعالىٰ، وإذا حملنا الآية علىٰ هذا المعنىٰ فإننا نقول: المُسلم يدخل في المتقين ما دام من أهل الإسلام، وأهل التقوىٰ وإن كانوا يتفاوتون، لكن المسلم لا يصح إسلامه حتىٰ يتقي الكُفر الأكبر والشرك الأكبر فيكون من جُملة المتقين، فإذا عَمِلَ المُسلم عملًا توفرت فيه الشروط وانتفت منهُ الموانع فهو من المتقين الذين يتقبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منهم، فلا يخلو المُسلم من تقوىٰ لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأهل التقوىٰ وإن كانوا يتفاوتون، لكن ليس المعنىٰ: أن من حقق كمال التقوىٰ في كل شيء قَبِلَ الله منه العمل، ومن لم يُحقق كمال التقوىٰ في كل شيء لم يقبل الله منه العمل، فإن في هذا فيه ما فيه من الحرج العظيم، فالعبد لا يخلو من تقصير في الواجبات وفي الوقوع في كثير من الذنوب والسيئات، فإما أن تُحمل الآية علىٰ العمل المُعين، أي: من المتقين في ذلك العمل، فمن اتقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في عمل بأن أخلص له واتبع سُنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَبِلَ الله منه، أو يُقال: يدخل في الآية جميع أهل الإسلام فإن المُسلم من المتقين لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه اتقىٰ الكفر الأكبر والشرك الأكبر.

قال وفقه الله:

تحري الصلاة خلف السُّني:

١- قال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا تُصَلِّ إِلَّا خَلْفَ مَنْ تَثِقُ بِهِ، وَتَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ)**[1].

٢- قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَصْحَاب الحَدِيث لَا يرَوْنَ الصَّلَاة خلف أهل الْبدع لِئَلَّا يرَاهُ الْعَامَّة فَيَفْسُدُونَ بِذَلِكَ)**[2].

الشرح:



١- قال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا تُصَلِّ إِلَّا خَلْفَ مَنْ تَثِقُ بِهِ، وَتَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ).

وهذا إذا تيسر الأمر، وإذا لم يتيسر الأمر فالواجب تأدية صلاة الجماعة ولو كان الإمام من أهل البِدع والأهواء، ما لم تكن البدعة التي وقع فيها من البِدع الكُفرية، وهذا إذا كان الشخص بين أمرين: **الأول**: أن يفوت صلاة الجماعة ويُصلي في بيته، **والآخر**: أن يُصلي خلف ذلك المُبتدع الذي بدعته لا تُخرج من الإسلام، فالواجب عليه أن يؤدي صلاة الجماعة ولو خلف أهل البدع والأهواء.

وإن كان بين أمرين: إما أن يُصلي خلف صاحب سُنة أو خلف صاحب بدعة وهو متيسر له الأمران فيستطيع بكل سهولة ويُسر أن يُصلي خلف صاحب سُنة وأن يُصلي

---

(١) "مقدمة تحفة الأحوذي" (ص٣٥٢) ط. الكتب العلمية، و"شرح أصول اعتقاد أهل السُنة" برقم (٣١٤) وفيه زيادة:.. والجماعة.

أراد الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك الصلوات الخمس، وأما صلاة الجمعة والعيدين فمن مذهب السلف: أنها تُصلىٰ خلف كل إمام برًا كان أو فاجرًا.

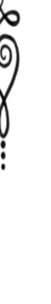
(٢) "الحُجة" (٢/ ٥٤٨).

خلف صاحب بدعة، فهنا فينبغي له أن يُصلي خلف صاحب السُّنة، وأن يبتعد عن أهل البِدع والأهواء.

٢- قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَصْحَاب الحَدِيث لَا يروْنَ الصَّلَاة خلف أهل الْبدع لِئَلَّا يرَاهُ الْعَامَّة فَيَفْسُدُونَ بِذَلِك).

قوله: (**وَأَصْحَاب الحَدِيث لَا يروْنَ الصَّلَاة خلف أهل الْبدع**): وهذا علىٰ التفصيل السابق، حتىٰ أن هناك من أئمة السلف من ذهب إلىٰ إعادة الصلاة إذا صلىٰ الشخص خلف صاحب بدعة وهو يستطيع أن يُصلي خلف صاحب سُنة، والصحيح: عدم وجوب الإعادة؛ لأن القول بوجوب إعادة الصلاة يحتاج فيه إلىٰ دليل.

قوله: (**لِئَلَّا يرَاهُ الْعَامَّة فَيَفْسُدُونَ بِذَلِك**): فإذا رأوا الشخص يتجه إلىٰ مسجد من مساجد أهل البدع والأهواء مع تيسر مساجد السُنة له، فيترك مسجد السُنة ويصلي خلف أهل البدع فإن عامة الناس ربما يلتبس عليهم الأمر ويقولون: فلان يُصلي في هذا المسجد، إذاً هذا الرجل وإمام ذاك المسجد علىٰ عقيدة واحدة ومنهج واحد؛ فهذا قد تحصل فيه مفسدة لعامة الناس، لكن هذا بشرط: أن يكون متيسر له أن يُصلي خلف ساحب السُنة، ومتيسر له أن يُصلي خلف صاحب البِدعة، فيبتعد عن صاحب البِدعة ويُصلي خلف صاحب السُنة.



أما إذا كان في ذلك شيء من المشقة والحرج بحيث تكون مساجد السُنة بعيدة وهناك مسجد قريب من منزله، ومساجد السُنة فيها بُعد والذهاب إليها يحتاج إلىٰ وقت ومشقة فلا يفوت صلاة الجماعة بل يؤديها ولو خلف أهل البِدع والأهواء فإن صلاة الجماعة واجبة.

قوله فى الحاشية: (**أراد الإمام سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بذلك الصلوات الخمس، وأما صلاة الجمعة والعيدين فمن مذهب السلف أنها تُصلىٰ خلف كل إمام برًا كان أو فاجرًا**): وهذا القول فيه نظر فإن صلاة الجُمعة والعيدين فيهما التفصيل السابق، فإذا

وُجدَ مسجدان مسجد يقيم الجُمعة والآخر يقيم الجمعة، وإمام المسجد الأول من أهل البِدع والأهواء، وإمام المسجد الآخر من أهل السُنة، فهل يُشرع الذهاب إلىٰ مسجد صاحب البِدعة لإقامة صلاة الجُمعة ويترك الشخص مسجد السُنة باعتبار أن صلاة الجُمعة تُصلىٰ خلف كل برٍ وفاجر، هل يستقيم هذا الكلام؟

الواجب: لا يستقيم هذا الكلام، والأمر فيما يتعلق بصلاة الجُمعة أضر من سائر الصلوات، فإن من يحضر صلاة الجُمعة يشهد الخُطبة ويستمع لخطب أهل البِدع والأهواء وما فيها من الشر ومن نشر الباطل، فهذا أضر من سائر الصلوات، فمسألة صلاة الجمعة وهكذا صلاة العيدين أشد من سائر الصلوات.

وكلام العلماء: في أن صلاة الجمعة وصلاة العيدين تُصلىٰ خلف كل برٍ وفاجر، بمعنىٰ: أنك لا تترك صلاة الجمعة باعتبار أن الإمام من الفجَّار أو من أهل البِدع والأهواء، وليس المعنىٰ أنك تترك مسجد السُنة وتنتقل إلىٰ مسجد البدعة بحجة أن صلاة الجمعة تقام خلف كل بر وفاجر.

وكانت الجُمعة قديمًا في الأزمان القديمة تُقام في موطن واحد، وهكذا صلاة العيدين في موضع واحد في البلد، وأمَّا سائر الصلوات فيُمكن للشخص أن يبتعد عن أهل البدع والأهواء وأن يُصلي في مساجد السُنة، لكن الجُمعة لما كانت تُقام في موطن واحد، فإما أن يُصلي الشخص صلاة الجُمعة خلف ذلك المبتدع وإما أن تضيع عليه صلاة الجمعة، فيقول السلف: تُصلىٰ صلاة الجمعة خلف كل بر وفاجر، وهكذا ما يتعلق بصلاة العيدين، لكن إن وجد مسجد لأهل السُنة تُقام فيه السُنة وتُقام فيه الجمعة، ومسجد آخر لأهل البدع فهنا يقال: لا يُصلي الشخص في مساجد أهل البدع والأهواء، ولا يحضر صلاة العيدين عند أهل البدع والأهواء، والشخص إذا صلىٰ سائر الصلوات في مساجد أهل البدع فربما لا يحصل كبير ضرر، لكن إذا شهد الجمعة والعيدين عند أهل البدع والأهواء فإن الضرر أشد وأشد.

وينبغي للمسلم أن يحرص على مساجد السنة ولا يكون من الكُسالىٰ فيحرص ما استطاع ولو كان هناك شيء من البُعد والكُلفة.

ولا يترك الإنسان مسجد السُنة باعتبار أن ذلك المبتدع يُقصر في الخطبة وذلك السُني يُطيل، بل يُنصح ذلك الرجل من صاحب السُنة ويقال له: السُنة تقصير الخُطَب هذا هدي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن لا يُترك الصلاة في مساجد السُنة من أجل هذا الأمر.

إذًا: قوله: (**أما صلاة الجمعة والعيدين فمن مذهب السلف: أنها تُصلىٰ خلف كل إمام برًا كان أو فاجرًا**): هذا كلام صحيح وهو أن مذهب السلف إقامة الجمعة خلف كل برٍ وفاجر لكن على التفصيل الذي ذكرناه، أما أن يقال: إن سفيان الثوري أراد بذلك الصلوات الخمس، فتترك الصلوات الخمس خلف أهل البدع والأهواء ويصليها في مساجد السُنة، وإذا جاءت الجمعة والعيد صلىٰ عند أهل البدع من غير تفصيل فهذا كلام لا يستقيم، فمسألة الجمعة والعيد أمرها أشد من مسألة الصلوات الخمس.



تشديد السلف في أمر الصلاة:

١- قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ، قَالَ: (**كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لاَ يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ**)[1].

٢- وروى الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي طُعِنَ فِيهَا فَأَيْقَظَ عُمَرَ لِصَلاَةِ

(١) "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي" (٧/ ٤٠٦) رقم (٢٦٢٢) ط. إحياء التراث.

الصُّبْحِ فَقَالَ عُمَرُ: (نَعَمْ، وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ)، فَصَلَّى عُمَرُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا[(١)].

٣- وقال أبو القاسم الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو يَزِيدَ الْقَرَاطِيسِيُّ، ثنا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، ثنا شَيْبَانُ أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: (مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا دِينَ لَهُ)[(٢)].

٤- وقال أبو عبد الله المروزي: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي زَكَرِيَّا، يُحَدِّثُ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ)[(٣)].

الشرح:

١- قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ العُقَيْلِيِّ، قَالَ: (كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ).



وهذا نقلٌ لإجماع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين علىٰ كُفر تارك الصلاة، وقد نقل إجماع الصحابة غير واحد من العُلماء كعبد الله بن شقيق كما في هذا الموضع، وكأيوب السختياني، وإسحاق بن راهويه، وابن نصر المروزي، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله جميعًا، فهؤلاء نقلوا إجماع الصحابة علىٰ كُفر تارك الصلاة، فتارك الصلاة كافر سواءً تركها متعمدًا أو تركها متكاسلًا أو تركها جحودًا.

---

(١) "الموطأ" (١/ ٤٤) رقم الأثر (١٠١) ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) "المعجم الكبير" (٧/ ٢٣١١) رقم الأثر (٨٩٤٢) ط. مؤسسة الرسالة، وإسناده صحيح.

(٣) "تعظيم قدر الصلاة" (ص٥٧٥) ط. دار الفضيلة.

والأدلة كما هو معلوم كثيرة وقد سبق الكلام عن هذه المسألة في بعض الدروس الماضية وعرفنا: أن تارك الصلاة كافر بدلالة الكتاب والسُنة والإجماع القديم.

٢- وروى الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنْ اللَّيْلَةِ الَّتِي طُعِنَ فِيهَا فَأَيْقَظَ عُمَرَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ فَقَالَ عُمَرُ: (**نَعَمْ، وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ**)، فَصَلَّى عُمَرُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا.

والشاهد: قول عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (**لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ**)، فتارك الصلاة ليس له حظ أي: ليس له نصيب من الإسلام، ومن لا نصيب له من الإسلام فإنه من الكافرين، فإن المُسلم ما دام مُسلمًا له نصيب من الإسلام علىٰ قدر إسلامه، ولا ينتفي عنه النصيب من الإسلام بالكلية إلا إذا كان من الكافرين.

هذا الأثر عزاهُ إلىٰ الإمام مالك في "الموطأ"، وإسناده في "الموطأ" منقطع إلا أن الأثر صحيح عن عُمر في غير الموطأ.



٣- وقال أبو القاسم الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو يَزِيدَ الْقَرَاطِيسِيُّ، ثنا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، ثنا شَيْبَانُ أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: (**مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا دِينَ لَهُ**).

وهذا الأثر عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عزاه المصنف إلىٰ "المُعجم الكبير" للطبراني، وقال: إسناده صحيح، والصواب أن يُقال: إسناده حسن، فإنه من طريق عاصم بن أبي النجود وهو صدوق حسن الحديث، فعلىٰ كُلٍ: هذا الأثر ثابت عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قوله: (**مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا دِينَ لَهُ**): وهذا يدل علىٰ أن من لم يصل فلا دين له، ومن لا دين له هو الكافر، فتارك الصلاة ليس له دين صحيح؛ لكفره والعياذ بالله.

٤- وقال أبو عبد الله المروزي: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي زَكَرِيَّا، يُحَدِّثُ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم قَالَ: (**لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ**).

وفيه: نفي الإيمان لمن لا صلاة له، والمُراد به هاهنا: نفي أصل الإيمان، لأنَّه قد عُلِمَ من مذهب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين القول بكفر تارك الصلاة.

وقوله: (**لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ**): أي: لا إيمان له بالكُلية فقد انتفىٰ عنه أصلُ الإيمان وهو من جُملة الكافرين.

وقد عزاه للمروزي في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" وإسناده حسن.

فعلىٰ كُلٍ: الصلاة لها شأن عظيم فالواجب الاعتناء بها، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»، وقال: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»، فلا يستهين العبد بهذه العبادة وبهذا الركن العظيم: (**مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا دِينَ لَهُ**)، (**لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ**)، (**لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ**)، (**كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ**)، فهذا يدل علىٰ عِظم هذه العبادة وعلىٰ الخطر البالغ في حق من فرط فيها وضيعها.

قال وفقه الله:

لا يجوز الزيادة في العبادة على المشروع:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨]: (**أَنَّ الْأَقْوَالَ الْمَنْصُوصَةَ إِذَا تُعُبِّدَ بِلَفْظِهَا لَا يَجُوزُ تَغْيِيرُهَا وَلَوْ وَافَقَ الْمَعْنَى**)[١].

الشرح:

(١) "الفتح" (٨/ ٣٨٦).





وهذا في الألفاظ التي تُعبِدَ بلفظها فلا تُغيَّر يؤتىٰ بها علىٰ ما جاءت، مثلًا: آيات القرآن، فلا يروِي الإنسان القرآن بالمعنىٰ، فنحن متعبدون بألفاظه ومعانيه، وهكذا الأذكار تعبدنا بألفاظها ومعانيها، فالأذكار يؤتىٰ بها علىٰ ما وردت فما يأتي الإنسان إلىٰ أذكار الاستفتاح مثلًا ويرويها بالمعنىٰ في صلاته، ويأتي إلىٰ صيغ التشهدات ويرويها بالمعنىٰ، ويأتي إلىٰ الصلوات ويروي ذلك بالمعنىٰ، بل يأتي بألفاظها وهكذا ما يتعلق بأذكار الصباح والمساء، وسائر الأذكار يؤتىٰ بها بألفاظها، فالأذكار نحنُ متعبدون بألفاظها ومعانيها، وهكذا ما يتعلق ببعض الأدعية: كدعاء الاستخارة، فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يُعلمهم الاستخارة كما يُعلمهم الآي من القرآن، فدعاء الاستخارة يؤتىٰ به بلفظه، فنحن متعبدون فيه بلفظه ومعناه.



وما سوىٰ ذلك مما ليس من هذا القبيل فإن الرواية بالمعنىٰ مشروعة عند أكثر العُلماء بشروط يذكرونها، كرواية الأحاديث المتعلقة بالأحكام، في بيان الحلال والحرام، فقد يأتي الشخص بلفظ الحديث وقد يأتي بمعناه، مثلًا: الحديث يدل علىٰ حُرمة كذا فيقول الشخص: نهىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن كذا فيُعبر عن معنىٰ الحديث وإن لم يسق لفظه، وكأن يقول الشخص: نهىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن شُرب الخمر فيذكر معنىٰ الحديث ولا يسوق لفظ الحديث عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهذا مشروع بشروطه وضوابطه لتي يذكرها عُلماء المصطلح في كُتب المصطلح.

إذًا: ما تعبدنا الله عَزَّوَجَلَّ بلفظه ومعناه فنأتي به بلفظه، وهكذا ما جاء عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتعبدنا بألفاظه كالأذكار فنأتي بها بألفاظها ولا نرويها بالمعنىٰ كأذكار الصلوات أو غير الصلوات.

وأما ما حصل من اليهود فإنهم غيروا وبدلوا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [البقرة:٥٨]، فقالوا: حِنطة، فلم يأتوا بالمعنىٰ وإنما غيروا اللفظ وغيروا المعنىٰ.

قال وفقه الله:

بدعية (حي على خير العمل) في الأذان:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض رده على الرافضة: (وَهُمْ قَدْ زَادُوا فِي الْأَذَانِ شِعَارًا لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - ﷺ -وَلَا نَقَلَ أَحَدٌ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ- أَمَرَ بِذَلِكَ فِي الْأَذَانِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: (حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ)"[١].

الشرح:

فهذه الجُملة لم ترد في أذان بلال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولا في أذان أبي محذورة، ولم يأمر بها النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في حديث صحيح، والأذان من العبادات المتكررة التي يُعلن بها إعلانًا بالغًا في كل يوم وليلة خمس مرات، وقد تناقله المُسلمون جيلًا بعد جيل تناقلًا متواترًا، وليس في الأذان المنقول مُنذ زمن رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وزمن الخُلفاء الراشدين زيادة هذه الجُملة، ومعلوم أنه كان يؤذن بين يدي رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بلال وهكذا ابن أم مكتوم، وما أُثِرَ عنهما أنهما زادا هذه الجُملة في الأذان، وهكذا كان أبو محذورة يؤذن في مكة، ولم يُعلمه النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ هذه الجُملة في الأذان.

وما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من زيادته لهذه الجُملة: (حَيَّ عَلَىٰ خَيْرِ الْعَمَلِ) في الأذان فيما رواه عبد الرزاق في "مُصنفه" وابن أبي شيبه أيضًا في "مُصنفه" والبيهقي في "السُنن الكُبرىٰ" وغيرهم بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر

(١) "منهاج السُنة" (٣/ ٦٩٢) ط. دار الفضيلة.

أنه ربما زاد في أذانه: (حَيَّ عَلَىٰ خَيْرِ الْعَمَلِ)، فهذا محمول عند أهل العلم علىٰ أنه قال ذلك حثًا للناس علىٰ الصلاة لا أن هذه الجُملة من الجُمل الراتبة في الأذان وإنما ربما كان يقول في بعض الأوقات وهذه الجُملة يقصد بذلك حثَّ الناس علىٰ الصلاة وأن الصلاة هي خير العمل، فهذا مما ثبت عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لكن كما جاء في بعض الروايات أنه ربما زاد، في أذانه وما جعلها جُملة راتبة من كلمات الأذان، وإنما كان يقولها في بعض الأوقات من باب الحث.

وعلىٰ كُلٍ: الأذان الذي كان علىٰ عهد رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وكان يُنادىٰ به خمس مرات في اليوم والليلة سواءً في المدينة أو في مكة ليس فيه هذه الجُملة، وقد نُقِلَ إلينا الأذان نقلًا متواترًا وليس فيه هذه الجُملة.



وهكذا المؤذنون الذين كان لهم الأذان الراتب علىٰ عهد الخُلفاء الراشدين في خلافة الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفي خلافة الفاروق عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفي خلافة عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفي خلافة علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهكذا فيما جاء بعد ذلك من الدول، كالدولة الأموية والدولة العباسية لم يكن المؤذن الراتب يأتي بهذه الجُملة: (حَيَّ عَلَىٰ خَيْرِ الْعَمَلِ)، وهكذا نُقِلَ إلينا الأذان نقلًا متواترًا جيلًا بعد جيل من غير ذكر هذه الجُملة، وإنما كما عرفنا ثبتت هذه الجملة في آثار عن عبد الله بن عُمر وهو محمول علىٰ أنه قصد الحث لا أنها كلمة من كلمات الأذان، وإنما زادها في بعض الأوقات من قبيل الاجتهاد منه يُريد الحثَّ علىٰ الصلاة لا علىٰ أنها من كلمات الأذان، فهذا مما يُعتذر به لعبد الله بن عُمر رضي الله عنهما، ولو كانت من كلمات الأذان لأمر النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بلالًا وابن أُم مكتوم وأبا محذورة، ولكانت موجودة في أذان هؤلاء، وهذا مما لا يصح عن واحد من هؤلاء.

قال وفقه الله:

عناية أهل الحديث بالعبادة:

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمن عَلامَة أَصْحَاب الحَدِيث أَدَاء الصَّلَاة فِي أول وَقت، وَصدق اللهجة، والتهجد بِاللَّيْلِ، وَكِتَابَة الحَدِيث والرحلة فِيهِ وَالنَّفقَة فِيهِ**)[1].

الشرح:

قوله: (عناية أهل الحديث بالعبادة).

فأهل الحديث لهم عناية بالعبادة، فإن العلم النافع هو الذي يُثمر العمل، وكما يُقال: (علم بلا عمل كشجرة بغير ثمر) وهو من أسباب ضياع العلم:

نَـــدبَ العِلــــمُ بالعَمْــــلْ ... فـــإن أجابـــه وإلا ارتحـــلْ

قوله: (**وَمن عَلامَة أَصْحَاب الحَدِيث أَدَاء الصَّلَاة فِي أول وَقت**): أي: أنهم لا يتلاعبون بالمواقيت ويحرصون علىٰ السُنة في مواقيت الصلاة.

قوله: (**وَصدق اللهجة**): أي: صدق الحديث.

قوله: (**والتهجد بِاللَّيْلِ**): فإن هذا من ثمرة العلم، وقد علموا ما لهذه الأمور من الفضائل وهم أحرص الناس علىٰ ما عَلِموا وما رووه للناس.

قوله: (**وَكِتَابَة الحَدِيث**): فيحرصون علىٰ ذلك.

قوله: (**والرحلة فِيهِ**): أي: في طلب الحديث.

قوله: (**وَالنَّفقَةُ فِيهِ**): أي: أنه يبذل ما يملك من المال في الرحلة في طلب العلم ولا يبخل بماله من أجل الرحلة في طلب الحديث.

---

(١) "الحُجة" (٢/ ٥٣٩).

والعلم ليس مُجرد رواية من غير دراية فإن هذا نقص: فكون الشخص يحمل الحديث ويحفظه ولا يعلم معناه، فليس عنده فقه لمعاني كلام رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإن هذا من النقص في حقه.

فعلىٰ كُلٍ: هذا مما ينبغي الحرص عليه: الحرص علىٰ العلم والعمل، والعمل هو ثمرة العلم، وهذا هو العلم النافع، وهذا هو دليل الإخلاص في طلب العلم: وهو أنَّ أثر العلم يظهر علىٰ المتعلم، فهذا يدل علىٰ أنه طلب العلم من أجل الله عَزَّوَجَلَّ، وطلب العلم من أجل أن يعبد ربه علىٰ بصيرة، ومن أجل أن ينفع نفسه أولًا، وينفع غيره ثانيًا، فهذا مما يدل علىٰ هذا الأمر.



عناية السَّلف بالعبادة في جميع الأحوال:

١- قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مُبينًا حرصَ السلفِ على مُلازمةِ صلاةِ الجماعةِ: (**وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفّ**)[(١)].

٢- قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَرُوبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: (**كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ أَسَأْنَا بِهِ الظن**)[(٢)].

٣- وقال الزُبير بن بكار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ قَالَ: (سَمِعَ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْمُؤَذِّنَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَمَنْزِلُهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: خُذُوا بِيَدِي،

---

(١) "صحيح مسلم مع شرح النووي" برقم (١٤٨٦) ط. دار المعرفة.

(٢) "صحيح ابن حبان" برقم (٣٣١٥) وإسناده صحيح، وأبو عروبة: هو الحسن بن محمد بن مودود السلمي.

فَقِيلَ لَهُ: أَنْتَ عَلِيلٌ، فَقَالَ: أَسْمَعُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَا أُجِيبُهُ؟ فَأَخَذُوا بِيَدِهِ فَدَخَلَ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ فَرَكَعَ مَعَ الْإِمَامِ رَكْعَةً ثُمَّ مَاتَ)[1].

٤- وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**»[2].

٥- وَعَن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «**سَلْ**» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟**» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»[3].

٦- قال الإمام ابن أبي شيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ الْمُحَارِبِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي مُعَاذٌ: (**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً**)، يَعْنِي: نَذْكُرُ اللَّهَ[4].

٧- قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أبو سعيد الأشج قال: سمعت أبا نُعَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: (**إِنِّي لَأَفْرَحُ بِاللَّيْلِ إِذَا جَاءَ**)[5].

٨- وعن مُجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (**لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا حَتَّى يَذْكُرَ اللهَ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا**)[6].

---

(١) "التمهيد" (٢٠/ ٩٣) ط. وزارة الأوقاف المغربية.

(٢) "مسلم" برقم (٤٨٨).

(٣) "مسلم" برقم (٤٨٩).

(٤) "المصنف" برقم (٣٤٦٨٧) وإسناده صحيح.

(٥) إسناده صحيح، انظر "الجرح والتعديل" (١/ ١٠٦) ترجمة سفيان الثوري، ط. الكتب العلمية.

(٦) "الحلية" لأبي نعيم برقم (٤١١٦).

٩- وعن جعفر قال: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي التَّيَّاحِ نَعُودُهُ، فَقَالَ: (وَاللهِ إِنَّهُ لَيَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَزِيدَهُ مَا يَرَى فِي النَّاسِ مِنَ التَّهَاوُنِ بِأَمْرِ اللهِ أَنْ يَزِيدَهُ ذَلِكَ جِدًّا وَاجْتِهَادًا، ثُمَّ بَكَى)[1].

الشرح:

١- قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُبينًا حرصَ السلفِ على مُلازمةِ صلاةِ الجماعةِ: (وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ. وَلَقَدْ كَانَ الرّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرّجُلَيْنِ حَتّى يُقَامَ فِي الصّفّ).



وفي هذا الأثر عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **بيان**: أن التخلف عن صلاة الجماعة من صفات المنافقين.

وفيه: ما كان عليه السلف من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين من الحرص علىٰ صلاة الجُماعة حتىٰ مع العُذر كحال المرض: (**يُؤْتَىَ بِهِ يُهَادَىَ بَيْنَ الرّجُلَيْنِ**): اشتد عليه المرض فلم يستطع أن يسير بقدميه استقلالًا فكان يُهادىٰ بين الرجلين حتىٰ يُقام في الصف، فإذا كان هذا حالهم في حال المرض فكيف يكون حالهم في وقت الصحة، الجواب أنهم يكونون أشد حرصًا علىٰ صلاة الجماعة في حال الصحة منهم وفي وقت المرض.

الناس في هذه الأزمان إلا من رحمَّ الله عَزَّوَجَلَّ يتخلفون عن صلاة الجماعة من غير عُذر، وربما من أجل بعض أمور الدنيا المُباحة، وربما يتخلفون من أجل بعض المُحرمات، فقد يترك صلاة الجماعة من أجل القات فيصلي الصلاة في آخر الوقت أو يجمع بين الصلاتين من أجل القات، ومنهم من يترك الصلاة بالكلية من أجل هذه

(١) "الحلية" برقم (٣٣١٥).

الآفة، وهكذا قد يترك صلاة الجماعة من أجل مشاهدة التلفاز، وقد يجمع بين الصلاتين من أجل هذا الأمر.

فأما من مضىٰ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين فكان عندهم هذا الحرص البالغ علىٰ صلاة الجماعة، فيأتون لصلاة الجماعة مع اشتداد المرض، ولو تخلف المتخلف منهم من أجل ذلك فإنه من المعذورين، لكن مع هذا كانوا يحرصون عليها مع شدة المرض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

٢- قال ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَرُوبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: **(كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ أَسَأْنَا بِهِ الظن)**.

وذلك لأن التخلف عن صلاة الصُبح والعشاء من صفات المُنافقين، فمن تخلف عن هاتين الصلاتين فقد أوقع نفسه في التُهمة، ومن أورد نفسه موارد التُهم فلا يلومنَّ غيره إن اتُهِمْ؛ وذلك لأن الحريص علىٰ نفسه يبعد نفسه عن مواطن التُهم، فينبغي للشخص أن يحرص علىٰ نفسه، فأما أن يورد نفسه موارد التُهم ويُريد من الناس أن يحسنوا الظن به فهذا ليس صحيحًا، فترك صلاة الصُبح والعشاء جماعةً هذه تُهمة من التُهم فإن هذا من صفات المُنافقين؛ ولهذا يقول: **(أَسَأْنَا بِهِ الظن)**، ولم يقل: أحسنا به الظن، وهذا يدل علىٰ أن الظن السيء إن كان له أسباب صحيحة فلا يُلام عليه الشخص فإن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد أخبرَّ عن المنافقين بأنهم يتخلفون عن صلاة الصبح والعشاء، وأثقل الصلاة علىٰ المنافقين صلاة الصبح والعشاء، فمن فعل مثل أفعالهم إن اتهِمَ وأُسيء به الظن فإنما أوتيَّ من جهة نفسه فعليه أن يرجع باللوم علىٰ نفسه لا علىٰ غيره.

وهذا إذا كان ذلك من الأمور الغالبة أما التخلف عن صلاة الصبح أو عن صلاة العشاء في الأوقات النادرة لا يكاد يسلم من ذلك أحد.

٣- وقال الزُبير بن بكار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ قَالَ: (سَمِعَ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْمُؤَذِّنَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَمَنْزِلُهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: خُذُوا بِيَدِي، فَقِيلَ لَهُ: أَنْتَ عَلِيلٌ، فَقَالَ: أَسْمَعُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَا أُجِيبُهُ؟ فَأَخَذُوا بِيَدِهِ فَدَخَلَ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ فَرَكَعَ مَعَ الْإِمَامِ رَكْعَةً ثُمَّ مَاتَ).

قوله: (وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ): فهو في سكرات الموت تكاد تخرج نفسه ويُريد أن يشهد الجماعة.

قوله: (أَسْمَعُ دَاعِيَ اللهِ فَلَا أُجِيبُهُ؟): عَظُمَ هذا في نفسه رَحِمَهُٱللَّهُ.

قوله: (فَرَكَعَ مَعَ الْإِمَامِ رَكْعَةً ثُمَّ مَاتَ): وهذا من حُسن الخاتمة له رَحِمَهُٱللَّهُ فلشدة حرصه علىٰ صلاة الجماعة قبضهُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهو فيها.



٤- وعن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً».

وهذا فيه: فضل السجود لله عَزَّوَجَلَّ، وفضل كثرة السجود، فالسجود من العبادات العظيمة، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

وفيه: غاية الذُل والانكسار والتواضع لرب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإن العبد يضع هذا الموضع الشريف في الموضع الذي يطأ عليه بقدمه وهو الأرض متواضعًا لربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ متذللًا خاضعًا، فيكون حينئذٍ أقرب إلىٰ ربه: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»، فهي عبادة عظيمة.

وللعلماء كلام كثير: في أيهما أفضل السجود أو القيام؟، وقد بحث المسألة شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ مبحثًا واسعًا وذكر الحُجج المتعددة في هذه المسألة وذهب إلىٰ: أن السجود أفضل، وهذا من جملة الحُجج الواردة في الباب: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً».

٥- وَعن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «**سَلْ**» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟**» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**».

فهو أراد وطلبَّ مطلبًا عظيمًا ورفيعًا: أن يرافق رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الجنة، فرأىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن أعظم شيء يُمكن أن يتحصل به الشخص هذه المنزلة: هو كثرة السجود؛ وهذا يدل علىٰ عظم هذه العبادة: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**».

لكن ليس المُراد بذلك أن يسجد الإنسان ويتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بالسجود المنفصل المستقل، فليس هذا هو المُراد، فبعض الناس يصنع مثل هذا فيبقىٰ يسجد من غير صلاة، السجود من غير صلاة لا يُشرع إلا في المواطن التي جاءت به السُنة، كسجود التلاوة، وسجود الشُكر، وهكذا ما كان تابعًا للصلاة وإن كان منفصلًا كسجود السهو بعد السلام، وما سوىٰ ذلك لا يُشرع السجود منفرداً، والمُراد بكثرة السجود في هذا الحديث هو أن يُكثر من الصلاة فيكثر من السجود لرب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



٦- قال الإمام ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ الْمُحَارِبِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي مُعَاذٌ: (**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً**)، يَعْنِي: نَذْكُرُ اللَّهَ.

وفيه: ما كان عليه السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين من الحرص علىٰ ذِكر الله: (**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً**).

وفيه: علىٰ أن الذِكر داخل في مُسمىٰ الإيمان، والذِكر: قول باللسان، ففيه: أن قول اللسان داخلٌ في مُسمىٰ الإيمان.

٧- قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدثنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أبو سعيد الأشج قال: سمعت أبا نُعَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: (**إِنِّي لَأَفْرَحُ بِاللَّيْلِ إِذَا جَاءَ**).

وليس المعنىٰ من أجل أن يستريح بالنوم من مشاق الدنيا وشدائدها، ومشاق النهار وشدائد النهار، ولكن من أجل أن يقوم مُصليًا لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ظُلمات الليل.

٨- وعن مُجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا حَتَّى يَذْكُرَ اللهَ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا).

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ [آل عمران:١٩١]، فإذا كان يذكر ربهُ في حال قيامه، وقعوده، واضطجاعه فهو من الذاكرين الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا.



والمحافظ علىٰ الأذكار الثابتة عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أذكار اليوم والليلة فهو من الذاكرين الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا، وتدخل في ذلك أذكار الصباح والمساء، وأذكار الليل، وأذكار النوم، والاستيقاظ، والدخول، والخروج من المنزل، وهكذا ما يتعلق بالدخول إلىٰ المسجد والخروج منه، وأذكار الأكل والانتهاء مِنهُ، إلىٰ غير ذلك من الأذكار الثابتة عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في اليوم والليلة، فإن حافظ عليها فهو من الذاكرين الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا.

٩- وعن جعفر قال: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي التَّيَّاحِ نَعُودُهُ، فَقَالَ: (وَاللهِ إِنَّهُ لَيَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَزِيدَهُ مَا يَرَى فِي النَّاسِ مِنَ التَّهَاوُنِ بِأَمْرِ اللهِ أَنْ يَزِيدَهُ ذَلِكَ جِدًّا وَاجْتِهَادًا، ثُمَّ بَكَى).

أي: أن الشخص إذا نظر إلىٰ تهاون الناس في الواجبات فإن هذا يدعوه إلىٰ المُحافظة علىٰ تلك الواجبات، وإذا رأىٰ من الناس التهاون في المستحبات فإن هذا

يدعوه إلىٰ المُسارعة في الخيرات لا أن يكون كالناس إن ضلَّ الناس ضلَّ وإن زاغوا زاغ، وإن فرطوا كان معهم من المُفرطين، بل كلما وجدَّ تقصيرًا في الناس كُلما زاد اجتهادًا ومسارعةً في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

قال وفقه الله:

فائدة: التفرغُ للعبادة من أسباب الرزق:

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَقُولُ رَبُّكُمْ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا، يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ مِنِّي فَأَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْرًا وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ شُغْلًا**»(١).

الشرح:

قوله: «**يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى**»: فإن الغنىٰ غِنىٰ النفس.

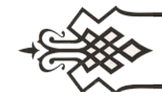
قوله: «**وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا**»: من أقبل علىٰ ربه وسعَّ الله عَزَّوَجَلَّ له في رِزقه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣].

قوله: «**يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ مِنِّي فَأَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْرًا**»: وإن كَثُر المال فإن الغنِىٰ غِنىٰ النفس، ومن لا غِنىٰ في قلبه فيرىٰ نفسهُ فقيرًا وإن كَثُرَ مله: «**لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ**».

قوله: «**وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ شُغْلًا**»: فينشغل بالدنيا وتكثر له الأشغال في الدنيا ويكثر له المال مع فقر قلبه، وهذه عقوبة من الله عَزَّوَجَلَّ.

هذا الحديث الصواب فيه: أنه لا يثبت، رواه الحاكم في "مستدركه" والشيخ مقبل رَحِمَهُٱللَّهُ أورده من رواية الحاكم في "الصحيح المُسند مما ليس في الصحيحين"، والحاكم حصل له وهم في بعض رواته فإنه جعله من رواية سلَّام بي أبي مُطيع وهو

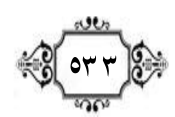
(١) أخرجه الحاكم، وصححه شيخنا مُقبل الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (١١٢٧).

عند الطبراني في "المُعجم الكبير" من رواية سلّام الطويل، وسلّام الطويل من جُملة المتروكين، والحاكم تحصل له أوهام كثيرة كما هو معلوم في كتابه "المُستدرك"، فذكر هذا الحديث من رواية سلّام بن مُطيع وهو ليس من رواية سلّام بن مُطيع بل هو من رواية سلّام الطويل لكن هذا من أوهامه، فلا يثبت هذا الحديث.

وعلىٰ كُلٍ: الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣]، ولكن ليس المعنىٰ: أن الإنسان إن احتاج إلىٰ سبب الرزق أنه يترك السبب مع احتياجه إليه، لا شك أن التفرغ للعلم والخير والعبادة من الأمور النافعة فإن كان عند الإنسان ما يكفيه ويغنيه عن سؤال الناس، فالتفرغ للعلم والخير من الخير العظيم، وإذا لم يكن عند الإنسان ما يكفيه فالتكسب بالأمور المُباحة ليس في ذلك شيء من العيب، وإنما العيب: أن يسأل الإنسان الناس، وما من نبي من الأنبياء إلا ورعىٰ الغنم، كما قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث أبي هريرة، وهكذا كان نبي الله زكريا نجارًا كما ذكر ذلك النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في حديث أبي هريرة في "صحيح الإمام مُسلم"، وكان نبي الله داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده كما جاء في "الصحيح" من حديث أبي هريرة، وغير ذلك من الأدلة الواردة في الباب، فأنبياء الله عَزَّوَجَلَّ ورُسل الله كان عندهم شيء من المكاسب، فليس هذا بعيب إنما العيب أن يسأل الشخص الناس، أو أن ينشغل بدنياه ويُضيع آخرته فيصير همه الشاغل الدنيا في ليله وفي نهاره، فلا يجعل له وقتًا للدار الآخرة فهذا هو العيب، أما إذا احتاج إلىٰ أن يُعف نفسهُ ويقتات لنفسه ولمن يعول فليس في ذلك عيب، وقد عاب المشركون بهذا الأنبياء والرُسل: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان:٧]، وجميع الرُسل كانوا كذلك: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان:٢٠]، فهذا شأن





سائر الأنبياء والُرسل وشأن أتباع الرُسل كذلك، فالصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يخرج إلىٰ بلاد الشام للتجارة، وتاجر جماعة من الصحابة كعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف وغير واحد من الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فمن كان عنده ما يستغني به فالتفرغ للعلم نعمةٌ من نِعمِ الله عَزَّوَجَلَّ، ومن لم يكن كذلك فالتكسب أولىٰ من سؤال الناس لكن لا يجعل الإنسان همه الشاغل الدنيا فيسبح في الدنيا وينسىٰ الآخرة، ويبتعد عن الخير ويبتعد عن العلم وعما يحتاج إليه.

وإذا اتقىٰ العبد ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نال الرزق بأدنىٰ الأسباب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٢-٣]، فتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والإقبال علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب الرزق كما في هذه الآية.



الخاتمة

بهذا نكون قد انتهينا من كتاب "الفواكه الجنية من الأثار السلفية"، وقد جمعَّ فيه المؤلف عافاه الله وشفاه جُملةً من الآثار النافعة الطيبة عن سلف هذه الأُمة من الصحابة، ومن التابعين، ومن جاء بعهدهم فجاء كتابًا نافعًا مُباركًا.





الفهرس

































